

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الدراسات العليا

كلية الدعوة والإعلام

قسم الدعوة والامتياز



الحكمة

في الدعوة إلى الله تعالى

رسالة مفصلة لتبليغ ورجمة ابن مسير

إعداد

سعيد بن عبد الله بن وهف القحطاني

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور

فضل إلهي بن شيخ ظهر إلهي

وكيل قسم الدعوة والامتياز بكلية الدعوة والإعلام

١٤١٠/١٤١١ هـ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

المقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا،
ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يٰٓاَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُّسْلِمُونَ) (١)،
(يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ
مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللّٰهَ كَانَ
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (٢)، (يٰٓاَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصَلِّحْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (٣).

أما بعد :

فما خلق الله الجن والإنس إلا ليعبدوه وحده لا شريك له، كما قال عز وجل:

(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون). (٤)

ولما كانت العبادة لا يمكن أن تعرف أحكامها على التفصيل أرسل الله الرسل
عليهم الصلاة والسلام، وأنزل عليهم الكتب؛ لبيان الأمر الذي خلق من أجله
الخلق؛ وإيضاحه وتفصيله لهم حتى يعبدوا الله على بصيرة، فقاموا بواجبهم
على الوجه الأكمل عليهم الصلاة والسلام.

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٢ .

(٢) سورة النساء، الآية ١ .

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان ٧٠-٧١ .

(٤) سورة الذاريات، الآية ٥٦ .

ثم ختم الله تعالى الرسل بأفضلهم وإمامهم وسيدهم نبينا محمد بن عبدالله عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، ودعا إلى الله على بصيرة سرا وجهرا، (قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعننى وسبحن الله وما أنا من المشركين). (١)

وهذه طريقته ومسلكه وسنته، يدعو إلى الله على بصيرة، ويقتين، وبرهان عقلي وشرعي. (٢)

١ - أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

وقد بين القرآن الكريم طرق الدعوة إلى الله تعالى، ويأتي في مقدمة هذه الطرق: الحكمة في الدعوة إلى الله عز وجل، وقد أمر الله تعالى نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - بالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة، فقال: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن). (٣)

ومن تتبع سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وجد أنه كان يلزم الحكمة في جميع أموره، وخاصة في دعوته إلى الله عز وجل، فأقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجا بفضل الله تعالى، ثم بفضل هذا النبي الحكيم - صلى الله عليه وسلم - الذي ملأ الله قلبه بالإيمان والحكمة، فعن أنس - رضي الله عنه - قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "فُرَجَّ سَقْفُ

(١) سورة يوسف، الآية ١٠٨ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٤٩٦/٢ .

(٣) سورة النحل، الآية ١٢٥ .

بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففَرَجَ صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست (١)
من ذهب مملوءة حكمة وإيماناً فأفرغته في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فخرج بي
... الحديث. (٢)

وهذا يثبت أن الحكمة من أعظم الأمور الأساسية في منهج الدعوة إلى الله
تعالى، حيث امتلأ بها صدر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو صاحب
الدعوة، مع الإيمان، وهو قضية الدعوة في لحظة واحدة، كما يؤكد قيمة وأهمية
الحكمة من خلال مجيئها يحملها جبريل وهو روح القدس، في طست من ذهب، وهو
أعلى المعادن، في مكة المكرمة، وهي البقعة المباركة، ليمتلأ بها صدر محمد
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو خير الخلق، بعد غسله بماء زمزم وهو
أطهر الماء وأفضله.

كل هذا يؤكد أن الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى أمرها عظيم، شأنها
كبير، وقد قال تعالى: (ومن يُؤتِ الحكمة فقد أُوتِيَ خيراً كثيراً). (٣)

ثم سار أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على طريقه وهدية في
الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة، فانتشر الإسلام في عهدهم - رضي الله عنهم -

(١) إناء كبير مستدير. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١/٤٦٠)، والمعجم

الوسيط مادة: "طس" ٥٥٧/٢ .

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الملوات في الإسراء (١/٤٥٨)،

ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى

السماوات وفرض الملوات، ١/١٤٨ .

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٦٩ .

انتشارا عظيما، ودخل في الإسلام خلق لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، وجاء التابعون، وكملوا السير على هذا الطريق في الدعوة إلى الله بالحكمة، وهكذا سارت القرون الثلاثة المفضلة ومن بعدهم من أهل العلم والإيمان، فأظهر الله الإسلام وأهله، وأذل الشرك وأهله وأعدائه.

والحكمة تجعل الداعي إلى الله يقدر الأمور قدرها فلا يزهد في الدنيا والناس بحاجة إلى النشاط والجد والعمل، ولا يدعو إلى التبتل والانقطاع والمسلمون في حاجة إلى الدفاع عن عقيدتهم وبلادهم، ولا يبدأ بتعليم الناس البيع والشراء وهم في مسيس الحاجة إلى تعلم الوضوء والصلاة.

الحكمة تجعل الداعية إلى الله يتأمل ويراعي أحوال المدعوين وظروفهم وأخلاقهم وطبائعهم، والوسائل التي يؤتون من قبلها، والقدر الذي يبين لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم، ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع والتشويق في هذه الطريقة حسب مقتضياتها، ويدعو إلى الله بالعلم لا بالجهل، ويبدأ بالمهم فالذي يليه، ويعلم العامة ما يحتاجونه بالفاظ وعبارات قريبة من أفهامهم ومستوياتهم، ويخاطبهم على قدر عقولهم، فالحكمة تجعل الداعية ينظر ببصيرة المؤمن، فيرى حاجة الناس فيعالجها بحسب ما يقتضيه الحال، وبذلك ينفذ إلى قلوب الناس من أوسع الأبواب، وتشرح له مدورهم، ويرون فيه المنقذ الحريص على سعادتهم ورفاهيتهم وأمنهم واطمئنانهم، وهذا كله من الدعوة إلى الله بالحكمة التي هي الطريق الوحيد للنجاح.

والمهم أن تكون أقوال الداعية إلى الله تعالى وأفعاله وتدبيراته وأفكاره نابعة من الحكمة، موافقة للصواب، غير متقدمة على أوانها ولا متأخرة،

لا زيادة فيها عما ينبغي ولا نقص، مجتهدا في معرفة نفعه وصلاحه، سالكا أقرب طريق يوصل إلى ذلك.

وهذا يؤكد أن دراسة الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى من أهم المهمات، ومن أعظم القربات، وأنها بحاجة إلى من يبرزها في صورة ميسرة؛ ليستفيد منها الدعاة في دعوتهم إلى الله عز وجل؛ ليقدّموا للناس الإسلام بالطرق السليمة التي توصله إليهم بيسر وسهولة، وهذا يحتاج إلى معرفة أحوال المدعوين، سواء كانت اعتقادية أو نفسية أو اقتصادية أو اجتماعية، ثم معرفة الشبه لديهم؛ لإزالتها بالطرق المناسبة لأحوالهم، وهذا كله يحتاج إلى دراسة علمية دقيقة متكاملة متأنية، سيما أن هذا الموضوع لم يتناوله أحد من الباحثين في دراسة مستقلة شاملة تستوعب جميع جوانبه المختلفة.

ولهذه الأهمية، وهذه الأسباب، وللعديد من غيرها، وحباً في خدمة هذا الموضوع عقدت العزم، واستعنت بالله، وقررت بعد الاستشارة والاستشارة أن أجعل موضوع رسالتي "الحكمة في الدعوة إلى الله".

والله أسأل أن يلهمني رشدي، ويعيدني من شر نفسي، ويوفقني للهدى والسداد، وجميع المسلمين.

٢ - الدراسات السابقة :

بالنسبة للدراسات السابقة لهذا الموضوع فحاصل ما اطلعت عليه منها ما يأتي:

- لقمان الحكيم وحكمه، لمؤلفه محمد خير الدين رمضان .

وقد حاول تعريف الحكمة لغة واصطلاحاً، وترجم للقمان الحكيم، وسرد بعض الآثار في حكم لقمان، وربما يكون بعضها من الإسرائيليات، ولم يتعرض في كتابه للحكمة في الدعوة إلى الله تعالى.

- حكمة الدعوة، لرفاعي سرور .

وقد ذكر بعض الجوانب لتعريف الحكمة، ثم ذكر قيام الجماعة الواحدة، وأحكام الفكر الإسلامي، ولم يتعرض في كتابه إلى شيء من جوانب الخطة التي وضعتها.

- وما كتبه ابن القيم - رحمه الله تعالى - حول الحكمة في كتابه: مدارج السالكين، فقد اقتصر على تعريفها، وأركانها، وأنواعها، ولم يتعرض - رحمه الله - إلى الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى؛ لأن موضوع كتابه عن منازل إياك نعبد وإياك نستعين.

- وما كتبه الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، في كتابه: الرياض الناضرة والحدائق النيرة - الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، إذ خصص مبحثين فقط من الفصل السابع عشر من هذا الكتاب عن الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى.

ولم تحظ الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى بعد بمؤلف مستقل شامل يتطرق للموضوع من جميع جوانبه في دراسة علمية متخصصة شاملة، دقيقة متكاملة.

٢ - خطة الرسالة :

وقد كانت خطة الرسالة كما يلي :

المقدمة .

الفصل الأول : الحكمة مفهومها وفوابطها

المبحث الأول : مفهوم الحكمة .

المبحث الثاني: أركانها .

المبحث الثالث: أنواعها .

المبحث الرابع: طرق اكتسابها .

الفصل الثاني : مواقف الحكمة :

المبحث الأول : مواقف النبي صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثاني : مواقف الصحابة رضي الله عنهم .

المبحث الثالث : مواقف التابعين رحمهم الله .

المبحث الرابع : مواقف تابعي التابعين رحمهم الله .

المبحث الخامس: نماذج من مواقف الحكمة عبر العصور .

الفصل الثالث : حكمة القول مع المدعوين :

تمهيد : إنزال الناس منازلهم ومراعاة أحوالهم .

المبحث الأول : حكمة القول مع الملحدين .

المبحث الثاني: حكمة القول مع الوثنيين .

المبحث الثالث: حكمة القول مع أهل الكتاب .

المبحث الرابع: حكمة القول مع عصاة المؤمنين.

الخاتمة : وفيها :

- ملخص البحث .
- أهم النتائج .
- التوصيات .

الفهارس :

- ١ - فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ - فهرس الأحاديث والآثار .
- ٣ - فهرس تراجم الأعلام .
- ٤ - فهرس المراجع والمصادر .
- ٥ - فهرس الموضوعات .

٤ - منهجي في الرسالة :

استخدمت في هذا البحث المنهج الاستردادي التاريخي التحليلي، حيث تتبعت النصوص من القرآن والسنة، ومواقف النبي - صلى الله عليه وسلم - في دعوته إلى الله بالحكمة، وأخذت مواقف الصحابة وأتباعهم فمن بعدهم التي سلكوا فيها طريق الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى من أمهات الكتب.

كما استخدمت منهج الاستدلال؛ لأنني احتجت إلى الاستدلال العقلي الذي ينبني على قواعد التأمل والتفكير في الوصول إلى الحقائق، واستخدمت هذا المنهج كثيرا في حكمة القول مع الملحدين، والوثنيين، وأهل الكتاب.

وقد راعيت الأمور التالية :

- ١ - عزوت الآيات القرآنية إلى سورها، ونكرت اسم السورة ورقم الآية منها.
 - ٢ - خرجت الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية.
 - ٣ - حاولت الاقتصار على الأحاديث الصحيحة أو الحسنة.
 - ٤ - أشرت إلى من صح الحديث أو حسنه من العلماء المحققين إذا كان في غير الصحيحين ما استطعت إلى ذلك سبيلا.
 - ٥ - حرصت على جمع المعلومات من المصادر الأصلية مباشرة، ورجعت إلى أكثر من مصدر في المسألة الواحدة ما استطعت إلى ذلك سبيلا، مع الاستفادة من المراجع الحديثة.
 - ٦ - أبين في الحاشية بعض الكلمات التي أرى أنها في حاجة إلى البيان.
 - ٧ - حرصت على رسم الآيات القرآنية بالرسم العثماني، اتباعا لرسم المصحف الشريف.
 - ٨ - ترجمت لأصحاب المواقف الحكيمة ما عدا المحابة رضي الله عنهم، كما ترجمت لغير المشهورين من الأعلام.
 - ٩ - عملت فهرس تفصيلية للآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والآثار، وقد ميزت الآثار بذكر اسم صاحب الأثر أمامه، وفهرس الأعلام المترجم لهم، والمصادر والمراجع، والموضوعات.
- ولا أدعي الكمال، فالكمال من صفات الله تعالى، والنقص والتقصير واختلاف وجهات النظر من صفات الإنسان، ولكنني قد بذلت قماري جهدي؛ ليخرج هذا البحث المتواضع على الوجه المطلوب، فما كان من صواب وسداد فمن الواحد المنان، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله بربيء منه ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأستغفر الله من ذنبي كله، هزلي وجدي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، إنه سميع مجيب.

٥ - الشكر والتقدير :

هذا، والشكر والممد لله الكريم الحكيم الذي أسبغ علي النعم الظاهرة والباطنة، ووفق عبده الفقير إليه وحده لمعالجة هذا الموضوع، وهو أهل الشناء والمجد.

وفي مقامي هذا امتثل حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث قال:

"لا يشكر الله من لا يشكر الناس". (١)

فأشكر أستاذي الفاضل المشرف على هذه الرسالة، فضيلة الدكتور / فضل إلهي، وكيل قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الذي بذل الكثير من وقته وراحته، ولم يبخل علي بالرأي والمشورة والتوجيهات القييمة لرفع مستوى هذه الرسالة حتى خرجت بهذه الصورة، فقد أفادني كثيرا فجزاه الله خيرا، وأجزل له الثواب، إنه قريب مجيب الدعوات.

وكذلك أتقدم بالشكر والتقدير لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، على ما تقوم به من جهود عظيمة في خدمة الإسلام والمسلمين، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء، كما أتقدم بالشكر والتقدير للمسؤولين في كلية الدعوة والإعلام، وعلى رأسهم فضيلة عميد الكلية الدكتور / زيد بن عبدالكريم الزيد، على ما يبذلونه من جهود في خدمة العلم وطلابه، وعلى إتاحة الفرصة لي بمواصلة الدراسات العليا، فجزاهم الله خير الجزاء، وضاعف ثوابهم إنه سميع الدعاء.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وخيرته من خلقه نبينا وإمامنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف ٢٥٥/٤، والترمذي بنحوه، كتاب

البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ٢٢٩/٤، وأحمد ٢٩٥/٢،

٢١١/٥، وانظر: صحيح أبي داود ٩١٢/٣، وصحيح الترمذي ١٨٥/٢ .

الفصل الاول : الحكمة مفهومها وروابطها

- المبحث الاول : مفهوم الحكمة .
- المبحث الثاني : أنواع الحكمة ودرجاتها .
- المبحث الثالث : أركان الحكمة .
- المبحث الرابع : طرق اكتسابها .

المبحث الأول : مفهوم الحكمة

المطلب الأول : تعريفها في اللغة .

المطلب الثاني : تعريفها في الاصطلاح الشرعي .

المطلب الثالث : العلاقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي .

المبحث الأول : مفهوم الحكمة

المطلب الأول : تعريف الحكمة في اللغة :

جاءت الحكمة في اللغة بعدة معانٍ، منها :

١ - تستعمل بمعنى: العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل.

وأحكم الأمر : أتقنه فاستحكم ومنعه عن الفساد. (١)

٢ - والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن

دقائق الصناعات ويتقنها : حكيم. (٢)

٣ - والحكيم : المتقن للأمور، يقال للرجل إذا كان حكيما: قد أحكمته

التجارب. (٣)

٤ - وَالْحَكَمُ والحكيم هما بمعنى: الحاكم والقاضي، والحكيم فاعيل بمعنى

فاعل، أو هو الذي يُحَكِّمُ الأشياء ويتقنها، فهو فاعيل بمعنى: مفاعل. (٤)

(١) القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، المتوفى

١١٧هـ، باب الميم، فصل الحاء، ص١٤١٥، وانظر: لسان العرب لابن منظور،

باب الميم، فصل الحاء ١٢/١٤٣، ومختار الصحاح، مادة: حكم، ص٦٢ .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الحاء مع الكاف، مادة

حكم ١/١١٩، وانظر: لسان العرب لابن منظور، باب الميم، فصل الحاء،

١٢/١٤٠، والمعجم الوسيط، مادة: حكم ١/١٩٠ .

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور، باب الميم، فصل الحاء، ١٢/١٤٣، ومختار

الصحاح، مادة: حكم، ص٦٢ .

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الحاء مع الكاف،

مادة: حكم ١/٤١٩ .

٥ - والحكمة : إصابة الحق بالعلم والعقل. (١)

٦ - والحكيم : المانع من الفساد، ومنه سُمِّيَتْ حَكَمَةُ اللِّجَامِ؛ لأنها تمنع الفرس من الجري والذهاب في غير قصد، والسورة المحكّمة: الممنوعة من التغيير وكل التبديل، وأن يلحق بها ما يخرج عنها، ويزاد عليها ما ليس منها.

والحكمة من هذا؛ لأنها تمنع صاحبها من الجهل، ويقال: أحكم الشيء إذا

أتقنه ومنعه من الخروج عما يريد، فهو محكم وحكيم على التكثير. (٢)

٧ - والحكّمةُ : ما أحاط بحنكي الفرس، سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنها تمنعه من الجري

الشديد، وتدخل الدابة لراكبها، حتى تمنعها من الجماع، ومن كثير من الجهل،

ومن اشتقاق الحكمة؛ لأنها تمنع صاحبها من إطلاق الأرادل. (٣)

٨ - والحكم: هو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة، لأنها تمنعها، يقال:

حكمت الدابة وأحكمتها، ويقال: حكمت السفينة وأحكمتها إذا أخذت على يديه،

والحكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل، وتقول: حكمت فلانا تحكيما: منعه

عما يريد. (٤)

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأمفهانسي، كتاب الحاء، مادة: حكم

ص١٢٧.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٨٨/١ بتمرف يسير.

(٣) انظر: المصباح المنير، لأحمد بن محمد الفيومي، المتوفى سنة ٧٧٠هـ، مادة:

الحكم، ١٤٥/١، وتاج العروس ٢٥٢/٨ .

(٤) مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس ٩١/٢، باب الحاء والكاف، مادة:

حكم .

ومما تقدم يتضح ويتبين أن الحكمة يظهر فيها معنى المنع، فقد استعملت في

عدة معان تتضمن معنى المنع :

فالعذل : يمنع صاحبه من الوقوع في الظلم .

والطم : يمنع صاحبه من الوقوع في الغضب .

والعلم : يمنع صاحبه من الوقوع في الجهل .

والنبوة، والقرآن، والإنجيل : فالنبي إنما بعث لمنع من بعث إليهم من عبادة غير الله، ومن الوقوع في المعاصي والآثام، والقرآن والإنجيل وجميع الكتب السماوية أنزلها الله تتضمن ما يمنع الناس من الوقوع في الشرك وكل منكر وقبيح.

ومن فسر الحكمة بالمعرفة فهو مبني على أن المعرفة الصحيحة فيها معنى المنع، والتحديد، والفصل بين الأشياء، وكذلك الإتقان، فيه منع للشئ المتقن من تطرق الظل والفساد إليه، وفي هذا المعنى قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الإحكام هو الفصل والتمييز والفرق والتحديد الذي به يتحقق الشئ ويحصل إتقانه، ولهذا دخل فيه معنى المنع كما دخل في الحد بالمنع جزء معناه لاجميع معناه". (١)

(١) مجموع الرسائل الكبرى، لابن تيمية ٧/٢ .

المطلب الثاني : تعريف الحكمة في الاصطلاح الشرعي :

ذكر العلماء مفهوم الحكمة، واختلفوا على أقوال كثيرة، ف قيل: الحكمة: النبوة، وقيل: القرآن والفقہ به: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله. وقيل: الإجابة في القول والفعل، وقيل: معرفة الحق والعمل به، وقيل: العلم النافع والعمل الصالح، وقيل: الخشية للذ، وقيل: السنة، وقيل: الورع في دين الله، وقيل: العلم والعمل به، ولا يسمى الرجل حكيماً إلا إذا جمع بينهما، وقيل: وضع كل شيء في موضعه. (١)

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ٤٣٦/١، ٦١، ٦٠/٣، وتفسير غرائب القرآن للنيسابوري المطبوع بهامش تفسير الطبري ٤١٢/١، وتفسير البغوي ١١٦/١، ٢٥٦/١، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١٤٦/١، ٣٢٤/١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣١/٢، ٦١، ٦٠/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٨٤/١، ٣٢٣/١، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ٣٨٧/١، ٤١/٣، وفتح القدير للشوكاني ٢٨٩/١، ١٤٤/١، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٤٧٢/١، ٢٩/٢، ٧٥/٣، ٢٦٣/٣، وتفسير المراغي ٢١٤/١، ١٩/٢، ٤١/٣، وتفسير السعدي ١٧٣/١، ٢٩٠/١، ١٥٤/٦، وفي ظلال القرآن لسيد قطب ٣١٢/١، ٣٩٩، ١٣٩/١، ٩٩٧/٢، وصفوة المفاهيم والآثار لعبدالرحمن الدوسري ٤١٦، ٣٦٠/٢، ٤٩٩، ٤٩٨/٣، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٦٧، ٦٦/٦، ٢٣، ٢٢/٩، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٧٠/١٩، ومدارج السالكين لابن القيم ٤٧٩، ٤٧٨/٢، والتفسير القيم لابن القيم ص ٢٢٢، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١٠٠/٧، ١٧٠/١.

وقد ذكر بعضهم تسعة وعشرين قولاً في تعريف الحكمة. (١)

"وهذه الأقوال كلها قريب بعضها من بعض؛ لأن الحكمة مصدر من الإحكام، وهو الإتقان في قول أو فعل، فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة التي هي الجنس، فكتاب الله حكمة، وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - حكمة، وكل ما ذكر من التفصيل فهو حكمة، وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه، فليل للعلم حكمة؛ لأنه يمتنع به من السفه، وبه يعلم الامتناع من السفه الذي هو كل فعل قبيح..". (٢)

وعند التأمل والنظر نجد أن التعريف الشامل الذي يجمع ويضم جميع هذه الأقوال في تعريف الحكمة هو: "الإمابة في الأقوال والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه".

فجميع الأقوال تدخل في هذا التعريف؛ لأن الحكمة مأخوذة من الحكم وفعل القضاء الذي هو بمعنى الفصل بين الحق والباطل، يقال: إن فلاناً لحكيم بين الحكمة، يعني: أنه لبيّن الإصابتة في القول والفعل، فجميع التعاريف داخلة في هذا القول؛ لأن الإصابتة في الأمور إنما تكون عن فهم بها، وعلم، ومعرفة، والمصيب عن فهم منه بمواضع الصواب يكون في جميع أموره: فهما، خاشياً لله، فقيهاً عالماً، عاملاً بعلمه، ورعاً في دينه... والحكمة أعم من النبوة، والنبوة بعض معانيها وأعلى أقسامها؛ لأن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - مسددون، مفهمون، وموفقون لإمابة الصواب في الأقوال، والأفعال، والاعتقادات، وفي جميع الأمور. (٣)

(١) انظر: تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف، أبو حيان الأندلسي ٣٢٠/٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٢٠/٣، وانظر: البحر المحيط ٣٢٠/٢ .

(٣) انظر: تفسير الطبري ٤٣٦/١، ٦١/٣ .

والحكمة في كتاب الله نوعان(١): مفردة، ومقرونة بالكتاب.

فالمفردة كقوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)(٢)، وقوله تعالى: (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتيَ خيراً كثيراً)(٣)، وقوله سبحانه: (ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد). (٤)

وهذه الحكمة فسرت بما تقدم من أقوال العلماء في تعريف الحكمة، وهذا النوع كثير في كتاب الله تعالى.

وأما الحكمة المقرونة بالكتاب، فهي السنة من : أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأفعاله، وتقريراته، وسيرته، كقوله تعالى: (ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم)(٥)، وقوله: (وانكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم)(٦)، (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم

(١) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم ٤٧٨/٢، والتفسير القيم لابن القيم

(٢) سورة النحل، الآية ١٢٥ .

(٣) سورة البقرة، الآية ١٢٩ .

(٤) سورة لقمان، الآية ١٢ .

(٥) سورة البقرة، الآية ١٢٩ .

(٦) سورة البقرة، الآية ٢٣١ .

ويعلمهم الكتب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلُّ مبين(١)، (هو الذي بعث في
الأميكن رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتب والحكمة وإن
كانوا من قبل لفي ضلُّ مبين)(٢)، وغير ذلك من الآيات.

وممن فسر الحكمة المقرونة بالكتاب بالسنة الإمام الشافعي والإمام ابن

القيم، وغيرهما من الأئمة. (٣)

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٤ .

(٢) سورة الجمعة، الآية ٢ .

(٣) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ٤٧٨/٢، والتفسير القيم ص ٢٢٧ .

المطلب الثالث : العلاقة بين التعريف اللغوي والشرعي :

عند التأمل والنظر نجد علاقة قوية بين المعنى اللغوي والشرعي، فكلامهما يجعل العلم النافع، والعمل الصالح المواب المحكم المتقن أصلاً من أصول الحكمة، وعلى هذا فيكون التعريف الجامع المانع للحكمة هو : "الإصابة في القول والعمل والاعتقاد ووضع كل شيء في موضعه بإحكام وإتقان"، والله أعلم.

وبهذا التعريف يتبين ويتضح أن الحكمة في الدعوة إلى الله لا تقتصر على الكلام اللين، أو الترغيب، أو الحلم، أو الرفق، أو العفو ... بل هي إتقان الأمور وإحكامها بأن تنزل جميع الأمور منازلها، فيوضع القول الحكيم والتعليم والتربية في مواضعها، وتوضع الموعظة في موضعها، والمجادلة بالتي هي أحسن في موضعها، ومجادلة الظالم المعاند في موضعها، كما قال عز وجل: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم) (١)، والزجر، والقوة، والغلظة، والشدة، والسيف في مواضعها، وهذا من أحكام الحكمة، وقد قال أحكم الحاكمين لسيد الحكماء والناس أجمعين: (يا أيها النبي جهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم). (٢)

كل ذلك بإحكام وإتقان، ومراعاة لأحوال المدعويين، والأزمان، والأماكن في مختلف العصور والبلدان، وبإحسان القصد والرغبة فيما عند الكريم المنان. (٣)

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٦ .

(٢) سورة التوبة، الآية ٧٣، وانظر: سورة التحريم، الآية ٩ .

(٣) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ١٦٤/١٩، ومفتاح دار السعادة لابن القيم ١٩٤/١، والتفسير القيم ص ٣٤٤، وتفسير ابن كثير ٤١٦/٣، وزاد الداعية إلى الله

للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص ١٥ .

ومن أراد البرهان العملي على ذلك فعليه أن ينظر إلى ما كان عليه رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - ومعاملته لأصناف الناس، وهو الذي أعطاه الله
من الحكمة ما لم يعط أحدا من العالمين. (١)

(١) انظر: التفسير القيم لابن القيم ص٢٤٤، الهامش .

المبحث الثاني : انواع الحكمة ودرجاتها

المطلب الأول : انواع الحكمة :

الحكمة نوعان :

النوع الأول: حكمة علمية نظرية، وهي الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها، خلقاً وأمرأ، قدراً وشرعاً.

النوع الثاني : حكمة عملية، وهي وضع الشيء في موضعه. (١)

فالحكمة النظرية مرجعها إلى العلم والإدراك، والحكمة العملية مرجعها إلى فعل العدل والمواب، ولا يمكن خروج الحكمة عن هذين المعنيين؛ لأن كمال الإنسان في أمرين: أن يعرف الحق لذاته، وأن يعمل به، وهذا هو العلم النافع والعمل الصالح.

وقد أعطى الله - عز وجل - أنبياءه ورسله ومن شاء من عباده الصالحين هذين النوعين، قال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: (رب هب لي حكماً) وهو الحكمة النظرية، (والحقني بالظالمين) (٢)، وهو الحكمة العملية.

وقال تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام: (إنني أنا الله لا إله إلا أنا)، وهو الحكمة النظرية (فاعبدني) (٣)، وهو الحكمة العملية.

وقال عن عيسى عليه الصلاة والسلام: (إنني عبد الله أتتني الكتب وجعلني نبياً)، وهو الحكمة النظرية، (وأوصيتني بالصلوة والزكوة ما دمت حياً) (٤)، وهو الحكمة العملية.

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ٤٧٨/٢ .

(٢) سورة الشعراء، الآية ٨٢ .

(٣) سورة طه، الآية ١٤ .

(٤) سورة مريم، الآية ٣٠-٣١ .

وقال في شأن محمد صلى الله عليه وسلم: (فاعلم انه لا إله إلا الله)، وهو

الحكمة النظرية، (واستغفر لذنبك)(١)، وهو الحكمة العملية.

وقال في جميع الأنبياء: (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من

عباده ان انذروا انه لا إله إلا أنا) وهو الحكمة النظرية، ثم قال:

(فاتقون)(٢)، وهو الحكمة العملية.(٣)

المطلب الثاني : درجات الحكمة العملية :

الحكمة العملية لها ثلاث درجات :

الدرجة الأولى: "أن تعطي كل شيء حقه، ولا تعديه حده، ولا تعجله عن وقته،

ولا تؤخره عنه".

لما كانت الأشياء لها مراتب وحقوق تقتضيها، ولها حدود ونهايات تصل إليها

ولا تتعداها، ولها أوقات لا تتقدم عنها ولا تتأخر، كانت الحكمة مراعاة هذه

الجهات الثلاث بأن تعطي كل مرتبة حقه الذي أحقه الله لها بشرعه وقدره، ولا

تتعدى بها حدها، فتكون متعديا مخالفا للحكمة، ولا تطلب تعجيلها عن وقتها

فتخالف الحكمة، ولا تؤخرها عنه فتفوتها، وهذا حكم عام لجميع الأسباب مع

مسبباتها شرعا وقدرًا، فإضاعته تعطيل للحكمة بمنزلة إضاعة البذر وسقي

الأرض، وتعدى الحق كسقيها فوق حاجتها، بحيث يفرق البذر والزرع ويفسد،

وتعجيلها قبل وقتها كحصاده قبل إدراكه وكماله، وهذا يكون فعل ما ينبغي على

الوجه الأكمل في الوقت المناسب.(٤)

(١) سورة محمد، الآية ١٩ .

(٢) سورة النحل، الآية ٢ .

(٣) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٦٨/٧ .

(٤) انظر: مدارج السالكين ٤٧٩/٢ .

الدرجة الثانية : معرفة عدل الله في وعيده، وإحسانه في وعده، وعدله في أحكامه الشرعية والكونية الجارية على الخلائق، فإنه لا ظلم فيها ولا جور، قال تعالى: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً)(١)، وكذلك معرفة بره في منعه، فإنه سبحانه هو الجواد الذي لا ينقص خزائنه الإنفاق ولا يغيظ ما في يمينه سعة عطائه، فهو سبحانه لا يضيع بره وفضله إلا في موضعه ووقته بقدر ما تقتضيه حكمته، فما أعطى إلا بحكمته ولا منع إلا بحكمته، ولا أضل إلا بحكمته.

الدرجة الثالثة : البصيرة، وهي قوة الإدراك والفطنة والعلم والخبرة.(٢)

والبصيرة هي أعلى درجات العلم التي تكون نسبة العلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر، وهذه الخصيمة التي اختص بها المحابة عن سائر الأمة وهي أعلى درجات العلماء(٣)، قال تعالى: (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحن الله وما أنا من المشركين)(٤)، فقد أمر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يخبر الناس أن هذه طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله على بصيرة من ذلك، ويقين، وبرهان، وعلم، وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، على بصيرة، ويقين، وبرهان عقلي وشرعي(٥)، والبصيرة في الدعوة إلى الله في ثلاثة أمور:

(١) سورة النساء، الآية ٤٠، وانظر: مدارج السالكين ٤٨١/٢ .

(٢) المعجم الوسيط، مادة: بصر ٥٩/١ .

(٣) انظر: مدارج السالكين ٤٨٢/٢ .

(٤) سورة يوسف، الآية ١٠٨ .

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ٤٩٦/٢، وتفسير السعدي ٦٣/٤ .

الأمر الأول : أن يدعو الداعية على بصيرة فيما يدعو إليه بأن يكون عالماً بالمحكم الشرعي فيما يدعو إليه؛ لأنه قد يدعو إلى شيء يظنه واجباً وهو في شرع الله غير واجب فيلزم عباد الله بما لم يلزمهم الله به، وقد يدعو إلى ترك شيء يظنه محرماً وهو في دين الله غير محرم، فيحرم على عباد الله ما أحله الله لهم.

الأمر الثاني : أن يكون على بصيرة في حال المدعو، فلا بد من معرفة حال المدعو: الدينية، والاجتماعية، والاعتقادية، والنفسية، والعلمية، والاقتصادية حتى يقدم له ما يناسبه.

الأمر الثالث : أن يكون على بصيرة في كيفية الدعوة (١)، وقد رسم الله عز وجل طرق الدعوة ومسالكها في آيات كثيرة، منها: (قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة...)(٢)، وهذه الآية قاعدة قوية متينة في الدعوة إلى الله تعالى، ثم تكون هذه القاعدة متفرعة إلى ثلاثة أبواب: وهي الدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن(٣)، قال تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجدلهم بالتي هي أحسن)(٤) ولا شك أن أحسن الطرق في دعوة الناس طريقته القرآن، ومخاطبته لهم ودعوته، ومجادلتهم.(٥)

(١) انظر: زاد الداعية إلى الله للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ٧ .

(٢) سورة يوسف، الآية ١٠٨ .

(٣) هذا التقسيم الجيد للقاعدة والثلاثة الأبواب، للشيخ عبدالقادر شيبه الحمد

في محاضرة بعنوان: طرق الدعوة إلى الله، أُلقيت بجامع الراجحي بالربوة،

بالرياض، عام ١٤٠٨هـ.

(٥) انظر: فتاوى ابن تيمية ١٥٨/١٩-١٧٣ .

(٤) سورة النحل، الآية ١٢٥ .

المبحث الثالث : أركان الحكمة

للحكمة أركان ودعائم تقوم عليها، وكل خلل في الداعية إلى الله فسيببه الإضلال بالحكمة، فأكمل الناس: أوفرهم منها نصيبا، وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال أقلهم منها ميراثا.

وأركان الحكمة التي تقوم عليها، ثلاثة هي: العلم، والحلم، والأناة. وآفتها وأضدادها، ومعاول هدمها: الجهل، والطيش، والعجلة، فلا حكمة لجاهل، وطاشش، ولا عجول. (١)

وسأتحدث عن هذه الأركان بالتفصيل - إن شاء الله تعالى - في المطالب الآتية:

- . المطلب الأول : العلم .
- . المطلب الثاني : الحلم .
- . المطلب الثالث : الأناة .

(١) انظر : مدارج السالكين لابن القيم ٤٨٠/٢ .

المطلب الأول : العلم :

العلم من أعظم أركان الحكمة، ولهذا أمر الله به، وأوجبه قبل القول والعمل، فقال تعالى: (فاعلم انه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثولكم). (١)

وقد بوب الإمام البخاري - رحمه الله - لهذه الآية بقوله: "باب: العلم قبل القول والعمل". (٢)

وذلك أن الله أمر نبيه بأمرين : بالعلم، ثم العمل، والمبدوء به العلم في قوله تعالى: (فاعلم انه لا إله إلا الله)، ثم أعقبه بالعمل في قوله: (واستغفر لذنبك)، فدل ذلك على أن مرتبة العلم مقدمة على مرتبة العمل، وأن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو مقدم عليهما؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل. (٣)

والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد يكون علم من غير الرسول، لكن في أمور دنيوية، مثل: الطب، والحساب، والفلاحة، والتجارة. (٤)

ولا يكون الداعية إلى الله حكيماً إلا بالعلم الشرعي، وإن لم يصب الداعية

(١) سورة محمد، الآية ١٩ .

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل ١٥٩/١ .

(٣) انظر: فتح الباري ١/١٦٠، وحاشية ثلاثة الأصول لمحمد بن عبد الوهاب، جمع

عبدالرحمن بن قاسم الحنبلي ص ١٥ .

(٤) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/١٣٦، ٦/٢٨٨ .

من أول قدم يضعه في الطريق إلى آخر قدم ينتهي إليه، فسلوكه على غير طريق، وهو مقطوع عليه طريق الوصول، ومسدود عليه سبيل الهدى والفلاح، وهذا إجماع من العارفين.

ولا شك أنه لا ينهى عن العلم إلا قُطَاع الطريق، ونَوَابِ إبليس وشرطه. (١)
وقد قسم الإمام ابن تيمية - رحمه الله - العلم - النافع الذي هو أحد دعائم الحكمة وأسسها - إلى ثلاثة أقسام، فقال رحمه الله: "والعلم الممدوح الذي دل عليه الكتاب والسنة هو العلم الذي ورثه الأنبياء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر". (٢)

وهذا العلم ثلاثة أقسام:

علم بالله، وأسمائه، وصفاته، وما يتبع ذلك، وفي مثله أنزل الله سورة الإخلاص وآية الكرسي ونحوهما.

القسم الثاني: علم بما أخبر الله به مما كان من الأمور الماضية، وما يكون من الأمور المستقبلية، وما هو كائن من الأمور الحاضرة، وفي مثل هذا أنزل الله آيات القصص، والوعد، والوعيد، وصفة الجنة والنار، ونحو ذلك.

(١) انظر: مدارج السالكين، للإمام ابن القيم ٤٦٤/٢ .

(٢) سنن أبي داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم ٣/٢١٧، والترمذي،

كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٥/٤٩، وابن ماجه في

المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١/٨٠، وانظر: صحيح ابن

القسم الثالث : العلم بما أمر الله به من العلوم المتعلقة بالقلوب والجوارح من الإيمان بالله من معارف القلوب وأحوالها، وأقوال الجوارح وأعمالها، وهذا يندرج فيه : العلم بأصول الإيمان وقواعد الإسلام، ويندرج فيه العلم بالأقوال والأفعال الظاهرة، ويندرج فيه ما وجد في كتب الفقهاء من العلم بأحكام الأفعال الظاهرة، فإن ذلك جزء من جزء من علم الدين.

والناس إنما يغلطون في هذه المسائل؛ لأنهم يفهمون مسميات الأسماء الواردة في الكتاب والسنة، ولا يعرفون حقائق الأمور الموجودة، فرب رجل يحفظ حروف العلم التي أعظمها حفظ حروف القرآن ولا يكون له من الفهم، بل ولا من الإيمان ما يتميز به على من أوتي القرآن ولم يؤت حفظ حروف العلم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظل ليس لها ريح وطعمها مر". (١)

فقد يكون الرجل حافظا لحروف القرآن وسوره، ولا يكون مؤمنا، بل يكون منافقا، فالمؤمن الذي لا يحفظ حروفه وسوره خير منه، وإن كان ذلك المنافق ينتفع به الغير كما ينتفع بالريحان، وأما الذي أُوتي العلم والإيمان فهو مؤمن حكيم وعليم، فهو أفضل من المؤمن الذي ليس مثله في العلم مثل اشتراكهما في

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأئمة، باب ذكر الطعام ٥٥٥/٩، ومسلم في صلاة

المسافرين، باب فضيلة حافظ القرآن ٥٤٩/١ .

الإيمان، فهذا أصل تجب معرفته. (١)

والعلم لا يبد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه، فإن العلم النافع - الذي هو أعظم أركان الحكمة التي من أوتيتها فقد أوتي خيرا كثيرا - هو ما كان مقرونا بالعمل، أما العلم بلا عمل، فهو حجة على صاحبه يوم القيامة، ولهذا حذر الله المؤمنين من أن يقولوا ما لا يفعلوا، رحمة بهم، وفضلا منه وإحسانا، فقال: (يأيتها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون). (٢)

وحذرهم عن كتمان العلم، وأمرهم بتبليغه للبشرية على حسب الطاقة والجهد، وعلى حسب العلم الذي أعطاهم الله عز وجل، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، قال تعالى: (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللعنون). (٣)

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية ٣٩٧، ٣٩٦/١١ بتصرف، والفتاوى أيضا ٢١/٧-٢٥، وقال ابن تيمية رحمه الله: "العلوم خمسة: فعلم هو حياة الدين، وهو علم التوحيد، وعلم هو غذاء الدين، وهو علم التذكر بمعاني القرآن والحديث، وعلم هو دواء الدين، وهو علم الفتوى إذا نزل بالعبد نازلة احتاج إلى من يشفيه منها كما قال ابن مسعود، وعلم هو داء الدين، وهو الكلام المحدث، وعلم هو هلاك الدين، وهو علم السحر ونحوه". انظر: فتاوى ابن تيمية ١٤٥/١٠ .

(٢) سورة الصف، الآية ٢، ٣ .

(٣) سورة البقرة، الآية ١٥٩ .

وهذه الآية، وإن كانت نازلة في أهل الكتاب وما كتموه من شأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله من البينات الدالات على الحق، المظهرات له، والعلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبين به طريق أهل النعيم من طريق أهل الجحيم، ومن نبذ ذلك وجمع بين المفسدين - كَتَمَ ما أنزل الله، والغش لعباد الله - لعنه الله، ولعنه جميع الخليقة؛ لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم عن رحمة الله، فجوزوا من جنس عملهم، كما أن معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في الماء، والطير في الهواء، لسعيه في مصلحة الخلق وإصلاح أديانهم؛ ولأنه قريبهم من رحمة الله، فَجُوزِيَ من جنس عمله. (١)

وقد بين عليه الصلاة والسلام أن "من سُئِلَ عن علم علمه وكتمه أُجِمَ يوم

القيامة بلجام من نار". (٢)

فتبين بذلك وغيره أن العلم النافع الذي هو أحد أركان الحكمة لا يكون إلا مع العمل به، ولهذا قال سفيان (٣) في العمل بالعلم والحرص عليه: "أجهل

(١) انظر: تفسير عبدالرحمن بن ناصر السعدي ١/١٨٦، وتفسير البغوي ١/١٣٤،

وابن كثير ١/٢٠٠.

(٢) الترمذي، في العلم، باب ما جاء في كتمان العلم ٥/٢٩، وأبو داود في

العلم، باب كراهية منع العلم ٣/٣٢١، وابن ماجه في المقدمة، باب من سئل

عن علم فكتمه ١/٩٨، وأحمد ٢/٢٦٣، ٢٠٥، وانظر: صحيح ابن ماجه ١/٤٩، وصحيح

الترمذي ٢/٣٣٦.

(٣) سفيان بن عيينة بن أبي عمران، الإمام الكبير شيخ الإسلام، ولد سنة ١٠٧هـ

في النصف من شعبان، وعاش (٩١) سنة. انظر: سير أعلام النبلاء ٨/٤٥٤-٤٧٤.

الناس من ترك ما يعلم، وأعلم الناس من عمل بما يعلم، وأفضل الناس أخشعهم لله". (١)

وقال رحمه الله: "يُرَادُ للعلم: الحفظ، والعمل، والاستماع، والانصات، والنشر". (٢)

وقال الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: تعلموا، تعلموا فإذا علمتم فاعملوا. (٣)

وقال رضي الله عنه: إن الناس أحسنوا القول كلهم، فمن وافق فعله قوله فذلك الذي أصاب حظه، ومن خالف قوله فعله فإنما يوبخ نفسه. (٤)

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "يا حملة العلم اعملوا به، فإنما العالم من علم ثم عمل، ووافق علمه عمله، وسيكون أقواما يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يقعدون طلقا فيباهي بعضهم بعضا، حتى أن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تمعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل". (٥)

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: لا تكون تقيا حتى تكون عالما، ولا تكون بالعلم جميلا حتى تكون به عاملا. (٦)

(١) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب في فضل العلم والعالم ٨١/١ .

(٢) المصدر السابق ٨١/١ .

(٣) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١٩٥/١ .

(٤) المرجع السابق ٦/٢ .

(٥) المرجع السابق ٧/٢ .

(٦) المصدر السابق ٧/٢ .

ولهذا قال الشاعر :

إِذِ الْعِلْمِ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ كَانَ حِجَّةً عَلَيْكَ وَلَمْ تَعْزُرْ بِمَا أَنْتَ جَاهِلُهُ
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ عِلْمًا فَاِنَّمَا يَصْدُقُ قَوْلُ الْمُرءِ مَا هُوَ فَاعِلُهُ (١)

وبهذا يتضح أن العلم لا يكون من دعائم الحكمة إلا باقتترانه بالعمل، وقد كان علم السلف الصالح - وعلى رأسهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - مقرونًا بالعمل، ولهذا كانت أقوالهم، وأفعالهم، وسائر تصرفاتهم تزخر بالحكمة، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسطَّ على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها". (٢)

وقد دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - لعبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - بالحكمة، والفقهاء في الدين، فقال عليه الصلاة والسلام: "اللهم علمه الحكمة"، وفي لفظ: "اللهم علمه الكتاب". (٣)

فكان - رضي الله عنهما - حبراً للأمة في علم الكتاب والسنة والعمل بهما استجابة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) جامع بيان العلم وفضله ٧/٢ .

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة ١٦٥/١، ومسلم، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعلم بها وعلمها ٥٥٨/١ .

(٣) البخاري مع الفتح، في كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر ابن عباس رضي الله

عنهما ١٠٠/٧، ٢٤٥/١٢، ١٦٩/١، ٢٤٤/١ .

اسباب وطرق تحصيل العلم :

والعلم النافع له أسباب ينال بها، وطرق تسلك في تحصيله وحفظه، من

أهمها:

١ - أن يسأل العبد ربه العلم النافع، ويستعين به تعالى، ويفتقر إليه، وقد أمر الله نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - بسؤاله أن يزيده علما إلى علمه (١)، فقال تعالى: (وقل رب زدني علما) (٢)، وقد كان - صلى الله عليه وسلم - يقول: "اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علما". (٣)

٢ - ومنها: الاجتهاد في طلب العلم، والشوق إليه، والرغبة الصادقة فيه ابتغاء مرضاة الله تعالى، وبذل جميع الأسباب في طلب علم الكتاب والسنة. (٤)

وقد جاء رجل إلى أبي هريرة - رضي الله عنه - فقال: إني أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه، فقال أبو هريرة رضي الله عنه: "كفى بتركك له تضييعا". (٥)

ولهذا قال بعض الحكماء عندما سُئل: ما السبب الذي ينال به العلم؟ قال: بالحرص عليه يتبع، وبالحب له يستمع، وبالفراغ له يجتمع، علم علمك من جهل، وتعلم ممن يعلم، فإنك إن فعلت ذلك علمت ما جهلت، وحفظت ما علمت. (٦)

(١) انظر: تفسير الإمام البغوي ٢/٢٣٣، وتفسير العلامة السعدي ٥/١٩٤ .

(٢) سورة طه، الآية ١١٤ .

(٣) الترمذي، في الدعوات، باب العفو والعافية ٥/٥٧٨، وابن ماجه، في العلم،

باب الانتفاع بالعلم والعمل به ١/٩٢، وانظر: صحيح ابن ماجه ١/٤٧ .

(٤) انظر : تفسير السعدي ٥/١٩٤ .

(٥) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/١٠٤ .

(٦) المرجع السابق ١/١٠٢، ١٠٣ .

ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله:

أخي لن تنال العلم إلا بسة

سأنبئك عن تفصيلها ببيان

ذكاء، وحرص، واجتهاد، وبلغة

وصحبة أستاذ وطول زمان(١)

٣ - ومنها: اجتناب جميع المعاصي بتقوى الله تعالى، فإن ذلك من أعظم الوسائل إلى حصول العلم، كما قال تعالى: (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم)(٢)، وقال تعالى: (يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)(٣).

وهذا واضح بيين أن من اتقى الله جعل له علما يفرق به بين الحق والباطل(٤)، ولهذا قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "إنني لأحسب أن الرجل ينسى العلم بالذنوب يعمله"(٥).

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: " خمس إذا أخطأ القاضي منهن خطة(٦) كانت فيه وصمة(٧) أن يكون: فهما، حلِيماء، عفيفاء، صليبا(٨)، عالما سؤولا عن

(١) ديوان الشافعي ص١١٦، الطبعة الثالثة، نشر مكتبة المعارف ١٤٠٦هـ تحقيق

محمد عبدالمنعم خفاجي .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٢ .

(٣) سورة الأنفال، الآية ٢٩ .

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٣٣٨/١، وتفسير السعدي ٣٤٩/١ .

(٥) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ١٩٦/١ .

(٦) خطة : أي خصلة . انظر: فتح الباري ١٤٦/١٣ .

(٧) وصمة : عيبا . انظر: فتح الباري ١٤٦/١٣ .

(٨) قويا شديدا، يقف عند الحق ولا يميل مع الهوى. انظر: فتح الباري ١٤٦/١٣ .

العلم". (١)

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

شكوت إلى وكيع (٢) سوء حظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن علم الله نور ونور الله لا يهدى لعاصي (٣)

وقال الإمام مالك للإمام الشافعي رحمهما الله تعالى: "إنني أرى الله قد جعل في قلبك نورا فلا تطفئه بظلمة المعصية". (٤)

٤ - ومنها: عدم الكبر والحياء عن طلب العلم، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: "نعم النساء نساء الأنمار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين". (٥)
وقالت أم سليم رضي الله عنها: يا رسول الله، إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا رأته الماء". (٦)

-
- (١) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب متى يستوجب الرجل القضاء ١٢/١٤٦ .
(٢) وكيع بن الجراح بن مليح، الإمام، الحافظ، محدث العراق، ولد سنة ١٢٩هـ، ومات سنة ١٩٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٩/١٤٠، وتهذيب التهذيب ١١/١٠٩ .
(٣) ديوان الشافعي، ص ٨٨، وانظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص ١٠٤ .
(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص ١٠٤ .
(٥) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب الحياء في العلم ١/٢٢٨ .
(٦) المرجع السابق ١/٢٢٨ .

وقال مجاهد: "لا يتعلم العلم مستحيي ولا مستكبر". (١)

٥ - ومنها، بل أعظمها ولبها: الإخلاص في طلب العلم، قال عليه الصلاة والسلام: "من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عز وجل، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" (٢) يعني ربحها.

٦ - العمل بالعلم (٣):

ومما تقدم يتضح أن العلم لا يكون ركنا من أركان الحكمة ودعائمه إلا بالعمل، والإخلاص، والمتابعة.

(١) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب الحياء في العلم ٢٢٨/١ .

(٢) أبو داود بسلفظه في العلم، باب في طلب العلم لغير الله ٣٢٣/٣، وابن ماجه

في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم ٩٢/١، وانظر: صحيح ابن ماجه ٤٨/١ .

(٣) انظر: ص ٢١، من هذا البحث .

المطلب الثاني : الحطم :

الحلم: بالكسر العقل(١)، وحطم حطما: تأنى وسكن عند غضب أو مكروه مع قدرة، وقوة، وصفح، وعقل(٢)، ومن أسماء الله تعالى: (الطيب)، وهو الذي لا يستخفه شيء من عصيان العباد، ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقدارا فهو منته إليه.(٣)

والحطم: ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب.(٤)

والحلم : هو حالة متوسطة بين رذيلتين: الغضب، والبلادة. فإذا استجاب المرء لغضبه بلا تعقل ولا تبصر كان على رذيلة، وإن تبلى، وضع حقه، ورضي بالهضم والظلم كان على رذيلة، وإن تحلى بالحطم مع القدرة، وكان حطمه مع من يستحقه كان على فضيلة.

وهناك ارتباط بين الحطم وكظم الغيظ، وهو أن ابتداء التلحق بفضيلة الحطم يكون بالتحطم: وهو كظم الغيظ، وهذا يحتاج إلى مجاهدة شديدة، لما في كظم الغيظ من كتمان ومقاومة واحتمال، فإذا أصبح ذلك هيئة راسخة في النفس، وأصبح طبعا من طبائعها كان ذلك هو الحطم، والله أعلم.(٥)

(١) القاموس المحيط، باب الميم، فصل الحاء، ص١٤١٦ .

(٢) المعجم الوسيط، مادة: حطم ١/١٩٤ .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، حرف الحاء مع اللام ١/٤٣٤ .

(٤) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة حطم، ص١٢٩ .

(٥) انظر: مفردات غريب القرآن من ١٢٩، وأخلاق القرآن للشرباصي ١/١٨٢، والأخلاق

الإسلامية لعبدالرحمن الميداني ٢/٣٢٦ .

وقد وصف الله نفسه بصفة الطم في عدة مواضع من القرآن الكريم، كقوله

تعالى: (ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور طيم). (١)

ونلاحظ أن الآيات التي وصفت الله بصفة الطم قد قرنت صفة الحلم - في أغلب هذه الآيات - بصفة المغفرة أو العفو، ويأتي هذا الاقتران في الغالب بعد إشارة سابقة إلى خطأ واقع، أو تفريط في أمر محمود، وهذا أمر يتفق مع الحلم؛ لأنه تأخير عقوبة، قال سبحانه: (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى). (٢)

ونجد أيضا أن عددا من الآيات التي وصفت الله بالحلم قد قرن فيها ذكر الحلم بالعلم، كقوله تعالى: (وإن الله لعليم طيم) (٣)، وهذا يفيد - والله أعلم بمراده - أن كمال الطم يكون مع كمال العلم، وهذا من أعظم أركان الحكمة. (٤)

ومما يؤكد أن الطم من أعظم أركان الحكمة - التي ينبغي للداعية أن يدعو بها إلى الله تعالى - مدح النبي صلى الله عليه وسلم للحلم، وتعظيمه لأمره، وأنه من الخصال التي يحبها الله عز وجل، قال عليه الصلاة والسلام للأشج (٥):

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٥ .

(٢) سورة فاطر، الآية ٤٥ .

(٣) سورة الحج، الآية ٥٩ .

(٤) انظر: أخلاق القرآن للشرباصي ١٨٥/١ .

(٥) المنذر بن عائذ بن المنذر العصري، أشج عبدالقيس، كان سيد قومه، رجع بعد إسلامه إلى البحرين مع قومه، ثم نزل البصرة بعد ذلك ومات بها رضي

الله عنه. انظر: تهذيب التهذيب ٢٦٧/١٠ .

"إن فيك خمتين يجبهما الله: الطم والأناة". (١)

وفي رواية قال الأشج: يا رسول الله، أنا تخلفت بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: "بل الله جبلك عليهما"، قال: الحمد لله الذي جبلني على خطين يجبهما الله ورسوله. (٢)

وسبب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك للأشج ما جاء في حديث الوفد أنهم لما وصلوا المدينة بادروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأقام الأشج عند رحالهم، فجمعها، وعقل ناقته، ولبس أحسن ثيابه، ثم أقبل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقربه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأجلسه إلى جانبه، ثم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: "تبايعون على أنفسكم وقومكم؟" فقال القوم: نعم، فقال الأشج: يا رسول الله، إنك لم تزال الرجل على شيء أشد عليه من دينه، نبايعك على أنفسنا، ونرسل من يدعوه، فمن اتبعنا كان منا، ومن أبى قاتلناه، قال: "صدقت، إن فيك خمتين...". الحديث.

فالأناسة: تربصه حتى نظر في مصالحه، ولم يعجل، والطم: هذا القول الذي قاله، الدال على صحة عقله، وجودة نظره للعواقب.. (٣)

ومما يؤكد أن الطم من أعظم أركان الحكمة ودعائمها العظام أنه خلق عظيم من أخلاق النبوة والرسالة، فالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - هم عظماء البشر، وقدوة أتباعهم من الدعاة إلى الله والمالحين في كافة الأخلاق المحمودة.

(١) مسلم، في كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ٤٨/١ .

(٢) أبو داود، في الأدب، باب في قبلة الجسد ٢٥٧/٤، وأحمد ٢٠٦/٤، ٢٢/٣ .

(٣) شرح النووي على مسلم ١٨٩/١، وتحفة الأحمدي شرح سنن الترمذي ١٥٢/٦ .

وقد واجه كل واحد منهم من قومه ما يثير الغضب، ويغضب منه عظماء الرجال، ولكن حلموا عليهم، ورفقوا بهم، ولانوا لهم حتى جاءهم نصر الله المؤزر، وعلى رأسهم إمامهم، وسيدهم، وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يكن غريباً أن يوجهه الله تعالى إلى قمة هذه السيادة حين يقول له: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين . وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم). (١)، (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) (٢)، (لبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك). (٣)

وقد بلغ صلى الله عليه وسلم في حلمه، وعفوه في دعوته إلى الله تعالى الغاية المثالية، والدلائل على ذلك كثيرة جداً، منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

١ - عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: لما كان يوم حنين آثر النبي - صلى الله عليه وسلم - أناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشرف العرب فأثرهم يومئذ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدلَ فيها، وما أريد بها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم، فأثيته فأخبرته، فقال: "أفمن يعدل

(١) سورة الأعراف، الآية ١٩٩ .

(٢) سورة فصلت، الآية ٣٤ .

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٥٩ .

إذا لم يعدل الله ورسوله؟! رحم الله موسى فقد أؤذي بأكثر من هذا فصبر". (١)

وهذا من أعظم مظاهر الحزم في الدعوة إلى الله تعالى، وقد اقتضت حكمة النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يقسم تلك الغنائم بين هؤلاء المؤلفئة قلوبهم، ويوكل من قلبه ممتلئ بالإيمان إلى إيمانه. (٢)

٢ - وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال بعث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من اليمن بذهيبة (٣) في أديم مقروظ (٤) لم تحصل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة ابن بدر (٥)، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل (٦)، والرابع أما علقمة (٧) وأما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: "ألا تأمنوني وأنا أمين من في

(١) البخاري مع الفتح بلفظه، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعطي المؤلفئة قلوبهم وغيرهم من الخمس ٢٥١/٦، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفئة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه ٧٣٩/٢ .

- (٢) انظر: فتح الباري، شرح صحيح البخاري ٤٩/٨ .
- (٣) أي : ذهب . انظر: فتح الباري ٦٨/٨ .
- (٤) مدبوغ بالقرض. انظر: فتح الباري ٦٨/٨ .
- (٥) وهو عيينة بن حصن بن حذيفة، نسب لجدته الأعلى. الفتح ٦٨/٨ .
- (٦) زيد الخيل بن مهلهل الطائي، وسماه النبي - صلى الله عليه وسلم - زيد الخير، بالراء بدل اللام. انظر: فتح الباري ٦٨/٨ .
- (٧) ابن ثلاثة العامري، أسلم وحسن إسلامه، واستعمله عمر على حوران، فمات بها في خلافته. انظر: فتح الباري ٦٨/٨ .

السماء، يأتيني خبر السماء صباحا ومساءً؟" قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، مطوق الرأس، مشمر الأزار، فقال: يا رسول الله! اتق الله، قال: "ويلك، أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟" قال: ثم ولى الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول الله! ألا أضرب عنقه؟ قال: "لا، لعله أن يكون يصلي" فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انني لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم". قال: ثم نظر اليه وهو مقف، فقال: "انه يخرج من ضئضء هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لايجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد". (١)

وهذا من مظاهر طم النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أخذ بالظاهر ولم يؤمر أن ينقب قلوب الناس، ولا أن يشق بطونهم، والرجل قد استحق القتل واستوجبه، ولكن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يقتله. (٢)

٣ - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كنت أمشي مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت صفحة عاتق النبي - صلى الله عليه وسلم - قد

(١) البخاري، مع الفتح، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب، وخالد بن

الوليد - رضي الله عنهما - الى اليمن ٦٧/٨، ومسلم في كتاب الزكاة، باب

ذكر الخوارج وصفاتهم ٧٤١/٢ .

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦٩/٨ .

أثرت به حاشية الرداء من شدة جبحته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فضحك، ثم أمر له بعطاء". (١)

وهذا من روائع حلمه - صلى الله عليه وسلم - وكماله، وحسن خلقه، وصفحه الجميل، وصبره على الأذى في النفس، والمال، والتجاوز على جفاء من يريد تألفه على الإسلام، وليتأسى به الدعاة إلى الله، والولاة بعده في حلمه، وخلقه الجميل من الصفح، والإغضاء، والعفو، والدفع بالتي هي أحسن. (٢)

٤ - وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنه غزا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل نجد، فلما قفل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة، فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت شجرة، وعلق بها سيفه، ونمنا نومة، فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعو، وإذا عنده أعرابي، فقال: "إن هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاء، فقال: من يمنك مني؟ فقلت: الله (ثلاثاً) ولم يعاقبه، وجلس". (٣)

(١) البخاري مع الفتح، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعطي المؤلفه قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ٢٥١/٦، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفضح وغلظة ٧٢٠/٢ .

(٢) انظر: فتح الباري ٥٠٦/١٠، وشرح النووي على مسلم ١٤٦/٧، ١٤٧ .

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب من علق سيفه بالشجر بالسفر عند القائلة ٩٦/٦، ومسلم، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف ١٧٨٦/٤، ٥٧٦/١ .

وفي هذا دلالة واضحة على قوة يقيننه، وصبره على الأذى، وطمه عن الجهال،
وشدة رغبته في استئلاف الكفار، ليدخلوا في الإسلام، ولهذا ذكر أن هذا الأعرابي
رجع إلى قومه وأسلم، واهتدى به خلق كثير. (١)

وهذا مما يؤكد أن الطم من أعظم أركان الحكمة ودعائمه.

٥ - ومن عظيم طمه عدم دعائه على من آذاه من قومه، وقد كان باستطاعته
أن يدعو عليهم، فيهلكهم الله، ويدمرهم، ولكنه - صلى الله عليه وسلم - طيم
حكيم يهدف إلى الغاية العظمى، وهي رجاء إسلامهم، أو إسلام ذرياتهم، ولهذا قال
عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: كأني أنظر إلى رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - يحكي نبيا من الأنبياء - ملوات الله وسلامه عليهم - ضربه قومه فأدموه
وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون". (٢)

ومما يدل على أن الطم ركن من أركان الحكمة ملازمة صفة الطم للأنبياء
قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - في دعوتهم إلى الله تعالى.

فهذا إبراهيم أبو الأنبياء - عليه وعليهم الصلاة والسلام - قد بلغ من
الطم مبلغا عظيما حتى وصفه الله بقوله: (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا
عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه
طيم) (٣)، فقد كان إبراهيم كثير الدعاء، طيما عن ظلمه، وإناله مكروها،

(١) انظر: فتح الباري ٧/٤٢٧، ٤٢٨ .

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان ٥١٤/٦،

ومسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد ١٤١٧/٢ .

(٣) سورة التوبة، الآية ١١٤ .

ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه له في قوله: (أراغب أنت عن الهتّى يا إبراهيم
لين لم تنته لأرجمنك وأهجرنى مليا . قال سلم عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى
حفايا . واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى
شقيا). (١)

فحلم عنه مع أذاه له، ودعا له، واستغفر(٢)، ولهذا قال تعالى: (إن
إبراهيم لأواه حليم). (٣)

وهكذا جميع الأنبياء والمرسلين، كانوا من أعظم الناس طمعا مع أقوامهم
في دعوتهم إلى الله تعالى. (٤)

ومن وراء الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - يأتي الدعاء إلى الله
والصالحون من أتباعهم، وإذا كان الله عز وجل قد جعل محمدا - صلى الله عليه
وسلم - مثلا عاليا في الطم، فقد أراد لأتباعه أن يسيروا على نهجه وسنته،
ولذلك يقول تعالى عن الأخيار من هؤلاء: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض
هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلما). (٥)

فمن صفاتهم أنهم أصحاب طم، فإذا سفه عليهم الجاهل بالقول السيء لم

(١) سورة مريم، الآيات ٤٦-٤٨ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٣٩٦، والبغوي ٢/٢٢٢، والأخلاق الإسلامية للميداني

. ٢٢٢/٢

(٣) سورة التوبة، الآية ١١٤ .

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٢٢٤، وموسوعة أخلاق القرآن للشرباصي ١/١٨٥ .

(٥) سورة الفرقان، الآية ٦٣ .

يقابلوهم عليه بمثلته، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيرا، كما كان رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - لا تزيد شدة الجاهل عليه إلا طما. (١)

فعن النعمان بن مقرن المرزني، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم -

وسب رجل رجلا عنده، فجعل المسبوب يقول: عليك السلام، فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: "أما إن ملكا بينكما يذب عنك كلما يشتمك هذا، قال له: بل أنت

وأنت أحق به، وإذا قال له: عليك السلام قال: بل لك، أنت أحق به". (٢)

فهؤلاء الدعاة إلى الله والمالحون إذا خاطبهم الجاهلون قالوا صوابا وسدادا،

ويردون المعروف من القول على من جهل عليهم (٣)؛ لأن من أطلاقهم العفو والمفح

عمن أساء إليهم، فقد تخلقوا بمكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، فصار الطم لهم

سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة، حتى إذا أغضبهم أحد بمقالة أو فعالة كظموا ذلك

الغضب فلم ينفذوه (والذين يجتنبون كثير الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم

يففرون) (٤)، فترتب على هذا الطم، والعفو، والصفح من المصالح ودفع المفساد

في أنفسهم وغيرهم شيء كثير (٥)، كما قال تعالى: (ادفع بالتى هي أحسن فإذا

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٣/٢١٠، والإصابة في تمييز الصحابة

٥٦٦/١، ومجمع الزوائد ٨/٢٤٠.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/٤٤٥، وقال ابن كثير في تفسيره: إسناده حسن

٣/٢٢٦.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٢٢٦.

(٤) سورة الشورى، الآية ٢٧.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ٤/١١٨، وتفسير العلامة السعدي ٦/٦٢١.

الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم). (١)

ومما يبين طم أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - من بعده وإن كانوا خلفاء وأمراء، ما رواه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قدم عيينة بن حمن بن حذيفة فنزل على أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يحنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه، قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) (٢)، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقفا عند كتاب الله. (٣)

وهذا الرجل قد جفا عمر أمير المؤمنين بعدة أمور تشير الغضب، وتجعله عرضة للانتقام والتأديب.

أول هذه الأمور، قوله: هي يا ابن الخطاب، ولم يقل: يا أمير المؤمنين.

والثاني: قوله: والله ما تعطينا الجزل، يعني العطاء الكثير.

(١) سورة فصلت، الآية ٣٤ .

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٩٩ .

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة الأعراف، باب: "خذ العفو وأمر

بالعرف وأعرض عن الجاهلين" ٢٠٤/٨ .

والثالث: وهو أقبح الأمور الثلاثة، قوله: ولا تحكم بيننا بالعدل.

ومع هذا كله ظم عنه عمر وعفا عنه، وصفح عندما سمع الآية، وسمع قول
الحر: إن هذا من الجاهلين، ووقف عند الآية، ولم يعمل بغير ما دلت عليه، بل
عمل بمقتضاها رضي الله عنه وأرضاه(١)، وهذا يدل على كمال حلمه وحكمته التي
استفادها من هدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرسخت في ذهنه حتى كانت
هيئة راسخة ثابتة في نفسه وخلقه.

وهذا يحتاج في بداية الأمر إلى جهاد وقوة، ولهذا قال صلى الله عليه
وسلم: "ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب".(٢)

ولا شك أن الغضب يهدم الطم وينأفیه، وصاحب الغضب لا يكون طيماً، ولهذا
قال عليه الصلاة والسلام لمن قال أوصني: "لا تغضب".(٣)

والداعية إلى الله يستطيع أن يتمف بالطم؛ ليكون حكيماً، وذلك بعلاج
الغضب إذا حل به ونزل، ولا يكون العلاج النافع إلا بما شرعه الله، وشرعه رسوله
صلى الله عليه وسلم، فقد عمل على تربية المسلمين تربية قولية وفعلية عملية
حتى يكونوا طمءاء، حكماء.

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٥٩/١٢، ٣٠٥/٨، ٢٥٠/١٢ .

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب ٥١٨/١٠، ومسلم، كتاب

البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب

. ٢٠١٤/٤

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب ٥١٩/١، والحديث فيه:

فردد مراراً، قال: "لا تغضب".

وعلاج الغضب بالأدوية المشروعة يكون بطريقتين :

الطريق الأول: الوقاية :

ومعلوم أن الوقاية خير من العلاج، وتحصل الوقاية من الغضب قبل وقوعه
باجتناب أسبابه، واستئصالها قبل وقوعها، ومن هذه الأسباب التي ينبغي لكل
مسلم أن يظهر نفسه منها: الكبر، والإعجاب بالنفس، والافتخار، والتهيب،
والحرص المذموم، والمزاج في غير مناسبة، أو الهزل وما شابه ذلك. (١)

الطريق الثاني : العلاج إذا وقع الغضب، وينحصر في أربعة أنواع كالتالي:

النوع الأول : الاستعاذة بالله من الشيطان. (٢)

النوع الثاني: الوضوء. (٣)

النوع الثالث: تغيير الحالة التي عليها الغضبان، بالجلوس، أو الخروج،

أو غير ذلك. (٤)

(١) انظر: الدعائم الخلقية والقوانين الشرعية، للدكتور صبحي محماني ص٢٢٧.

(٢) انظر: سورة الأعراف، الآية ٢٠٠، وسورة المؤمنون، الآية ٩٧، وسورة فصلت،

الآية ٣٦، والبخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب ١٠/٥١٨،

ومسلم، كتاب البر والملة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء

يذهب الغضب ٤/٢٠١٥ .

(٣) انظر: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب ٤/٢٤٩، قال

الشيخ عبدالعزيز بن باز: وإسناده جيد، وانظر: تهذيب السنن ٧/١٦٥-١٦٨،

وعون المعبود ١٢/١٤١ .

(٤) ودليل ذلك ما أخرجه أحمد في مسنده ٥/١٥٢، وأبو داود في الأدب، باب ما

يقال عند الغضب ٤/٢٤٩، وابن حبان ص٤٨٤ (موارد)، وشرح السنة للبغوي

١٢/١٦٢، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رجال أحمد رجال الصحيح ٨/٧٠.

النوع الرابع: استحضر ما ورد في فضل كظم الغيظ من الثواب، وما ورد في

عاقبة الغضب من الخذلان العاجل والأجل. (١)

وهذه الأنواع أدلة ثبوتها واضحة من الكتاب والسنة.

فيأذا راعى الداعية الوقاية من الغضب، والعلاج كان طيما بإذن الله تعالى، وبهذا يحقق ركنا من أركان الحكمة التي من أوتيتها فقد أوتي خيرا كثيرا.

وينبغي أن يعلم أن الغضب لله يكون محمودا، ولا يدخل في الغضب المذموم، فالغضب الم محمود يكون من أجل الله عندما ترتكب حرمات الله، أو تترك أوامره ويستهان بها، وهذا من علامات قوة الإيمان، ولكن بشرط أن لا يخرج هذا الغضب عن حدود الحلم والحكمة، وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يغضب لله إذا انتهكت محارمه، وكان لا ينتقم لنفسه، ولكن إذا انتهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شيء، ولم يضرب بيده خادما، ولا امرأة، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وقد خدمه أنس بن مالك - رضي الله عنه - عشر سنوات، فما قال له: أف، قط، ولا قال

(١) انظر: سنن أبي داود في الأدب، باب من كظم غيظا ٢٤٨/٤، والترمذي، كتاب

صفة القيامة، باب حدثنا عبد بن حميد ٦٥٦/٤، وابن ماجه في كتاب الزهد،

باب الحلم ١٤٠٠/٢، وانظر: صحيح الترمذي ٣٠٥/٢، وصحيح ابن ماجه ٤٠٧/٢،

وصحيح الجامع ٢٥٢/٥ .

له لشيء فعله: لم فعلت كذا، ولا لشيء لم يفعله إلا فعلت كذا؟ (١)
وهذا لا ينافي الحلم والحكمة، بل الغضب لله في حدود الحكمة من صميم
الحلم والحكمة.

(١) انظر: عدة حالات غضب فيها النبي - صلى الله عليه وسلم - لله تعالى، في البخاري مع الفتح، في كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله تعالى ٥١٧/١٠، وانظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ١٢٧، وفتح الباري . ٥١٨/١٠

المطلب الثالث : الإناءة

الإناءة في اللفظة : التثبيت وعدم العجلة، يقال: تأنى في الأمر: مكث ولم

يعجل، والاسم منه: أناءة. (١)

ويقال: تأنى في الأمر: ترفق، وتنظر، وتمهل، واستأنى به: انتظر به

وأمهله. (٢)

وتأتي الإناءة بمعنى التبيين والتثبيت في الأمور، يقال: تبين في الأمر

والرأي: تثبت، وتأنى فيه ولم يعجل. (٣)

ويأتي التبيين بمعنى: التبصر: التعرف والتأمل، يقال: تبصر الشيء، وتأمل

في رأيه: تبين ما يأتيه من خير أو شر. (٤)

وعلى ضوء ما تقدم تكون الإناءة هي: التصرف الحكيم بين العجلة والتباطؤ. (٥)

والإناءة مظهر من مظاهر خلق الصبر، وهي من صفات أصحاب العقل والرزانة،

بخلاف العجلة فإنها من صفات أصحاب الرعونة والطيش، وهي تدل على أن صاحبها

لايملك الإرادة القوية القادرة على ضبط نفسه تجاه انفعالاته العجولة، وبخلاف

التباطؤ والتواني فهما من صفات أصحاب الكسل والتهاون بالأمور، ويدلان على أن

(١) المصباح المنير، مادة: أنى ٢٨/١ .

(٢) انظر: مختار الصحاح، مادة: أنى، ص١٢، والمعجم الوسيط ٣١/١ .

(٣) انظر: المعجم الوسيط، مادة: أبان ٨٠/١، ومادة: ثبت ٩٣/١ .

(٤) انظر: القاموس المحيط، باب الرأء، فصل الباء، ص٤٤٨، ومختار الصحاح،

مادة: بمر ص٢٢، والمعجم الوسيط ٥٩/١ .

(٥) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبدالرحمن الميداني ٣٥٢/٢ .

صاحبهما لا يملك القدرة على دفع همته للقيام بالأعمال التي تحقق له ما يرجو، أو ليس لديه همة عالية تنشد الكمال، فهو يرضى بالدنويات، إيثارا للراحة، وكسلا عن القيام بالواجب.

والأناة عند الداعية إلى الله تعالى تسمح له بأن يُحكم أمره، ويضع الأشياء في مواضعها، فهي ركن من أركان الحكمة، بخلاف العجلة فإنها تعرضه لكثير من الأخطاء، والإخفاق، والتعثر، والارتباك، ثم تعرضه للتخلف من حيث يريد السبق، ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، وبخلاف التباطؤ والكسل فهو أيضا يعرضه للتخلف والحرمان من تحقق النتائج التي يرجوها. (١)

والداعية مطلوب منه أن يتخلق بخلق الأناة، ولكن ما يتطلب من الأمور عملا سريعا فالحكمة السرعة إذن، وهي لا تخرج عن الأناة، فالقضية نسبية، وما يتطلب من الأمور عملا بطيئا فالحكمة البطء إذن، وهو لا يخرج عن الأناة؛ لأن الأمر نسبي، وليس للأناة مقادير زمنية ثابتة؛ ولكنها تختلف باختلاف حاجة الأشياء إلى مقدار السرعة الزمنية التي تحتاجها وتستدعيها النتائج المطلوبة، فالأشياء مربوطة بأوقاتها، والعجلة فيها مع معرفة أوقاتها المطلوبة خلق مضموم يدل على ضعف خلق الصبر، ونقص الحكمة، والتباطؤ فيها خلق مضموم يدل على ضعف الهمة والإخلاق إلى الراحة والكسل، أما الأناة فليست تعجلا ومسابقة لأوقات الأشياء، ولا تباطؤا وكسلا، وكل من العجلة والتباطؤ يضيعان على أصحابهما الجهد والزمن، وما بذلوه، والأناة هي الكفيلة بإذن الله تعالى بتحقيق المطلوب،

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبدالرحمن الميداني ٢/٢٥٢، وأخلاق القرآن

وتفادي الخسارة .

وقد ذم الإسلام الاستعجال ونهى عنه، كما ذم التباطؤ والكسل ونهى عنه، ومدح الأناة وأمر بها، وعمل على تربية المسلمين على الأناة والتثبت الحكيم في القيام بالأعمال وتصريف الأمور. (١)

قال تعالى للنبي - صلى الله عليه وسلم - تربية له وتعلّما: (لا تحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه). (٢)

فأمر سبحانه نبيه بعدم العجلة ومسابقة الملك في قراءته، وتكفل الله له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره. (٣)

وقال تعالى: (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما). (٤)

وأمر سبحانه عباده المؤمنين والدعاة إلى الله تعالى بالتأني في الأمور والتثبت فيها: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (٥)، قرأ الجمهور: (فتبينوا) من

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني ٢/٢٥٣، ٢٥٤ بتصرف.

(٢) سورة القيامة، الآية ١٦-١٩ .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٤/٤٥٠ .

(٤) سورة طه، الآية ١١٤ .

(٥) سورة الحجرات، الآية ٦ .

التبين، وهو التأمل، وقرأ حمزة والكسائي: (فتثبتوا)، والمراد من التبين التعرف والتفحص، ومن التثبيت: الأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر. (١)

والدعاة إلى الله أولى بلمتثال أمر الله تعالى بالتأني والتثبت من الأقوال والأفعال، والاستيثاق من مصدرها قبل الحكم عليها أو لها، وعليهم أن يتدبروا الأمور على مهل، غير متعجلين؛ لتظهر لهم جلية واضحة، لاغموض فيها ولا التباس. (٢)

والداعية إلى الله تعالى إذا أبصر العاقبة أمن الندامة، ولا يكون ذلك إلا إذا تدبر جميع الأمور التي تعرض له، ويواجهها، فإذا كانت رشداً، وحقاً، وصواباً فليمض، وإذا كانت غيياً، وضلالاً، وظناً خاطئاً، فليقف وينتبه حتى يتضح له الحق.

والمشاهد والواقع أن عدم التثبيت وعدم التأني يؤديان إلى كثير من الأضرار والمفاسد، فقد يسمع الإنسان خبراً، أو يقرأ نبأ في صحيفة، أو مجلة، فيسارع بتصديقه، ويعادي ويمادق، ويبني على ذلك التصرفات والأعمال التي يصدرها للمقاومة أو الموافقة، على أساس أنه حق واقع، ثم يظهر أنه كان مكذوباً، أو محرفاً، أو مزوراً، أو مبالغاً فيه، أو مراداً به غير ما فهمه الإنسان، ومن هنا يكتوي المتسرع بلهب الندم والحسرة بسبب استعجاله وعدم تثبته.

وقد يصاب الداعية أو غيره من المسلمين بأذى دون أن يعرف مصدره، فيستعجل

(١) انظر: فتح القدير، للإمام الشوكاني ٦٠/٤ .

(٢) انظر: في ظلال القرآن ٢٢٣٤/٦، وموسوعة أخلاق القرآن للشريبي ١٥/٣ .

ويسارع فيتهم هذا، أو يسب ذلك، فيندم ويحصد ثمرة عجلته وعدم تثبته، ولو أنه تأنى، وتبين، وتثبت؛ لأدرك مصدر الأذى على حقيقته، وحينئذ يصدر التصرف على أساس البينة والبرهان، فلا يفقد أصدقاء له، ولا يضيف إلى أعدائه جديدا منهم.

ويدخل في العجلة وعدم التثبيت تعجل الإنسان في المدح أو الذم، دون دراية أو دون موجب لذلك، أو يتعجل بالكلام قبل أن يديره على عقله، أو بالفتوى قبل أن يعرف دليله وبرهانه الذي اعتمد عليه، وبنى عليه فتواه، وبعد ذلك يحصد الغم والأسف(١)، (ويدع الإنسان بالضر دعاه بالخير وكان الإنسان عجولا). (٢)

ولعظم أمر الأناة والتبين أمر الله بها حتى في جهاد الكفار في سبيل الله الذي هو من أعظم وسائل الدعوة إلى الله تعالى، فقال سبحانه: (يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا). (٣)

ومن المعلوم أن الأمور قسمان: أمور واضحة، وأمور غير واضحة.

فالواضحة البينة لا تحتاج إلى تثبت وتبين، لأن ذلك تحصيل حاصل.

وأما الأمور المشككة غير الواضحة فإن الداعية خاصة والمسلمين عامة بحاجة إلى التثبت فيها والتبين، فإن ذلك يحمل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف عن شرور عظيمة ما يجعل المسلم في سلامة عن الزلل، وبذلك يعرف دين العبد وعقله

(١) انظر: موسوعة أطلاق القرآن الكريم ٢/٢٦، وفي ظلال القرآن ٦/٢٢٤٢ .

(٢) سورة الإسراء، الآية ١١ .

(٣) سورة النساء، الآية ٩٤ .

ورزانتة. (١)

ومما يزيد الآية السابقة وضوحا ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم العلم لست مؤمنا) قال: كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك الى قوله: (عرض الحيوة الدنيا) تلك الغنيمة، وقرا ابن عباس: السلام. (٢)

وعن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال: بعثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الحرقة من جهينة، قال: فصبحنا القوم فهزمنام، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنمار رجلا منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنماري، فطعنته برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: فقال لي: "يا أسامة، أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟ قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذا، قال: فقال: أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله، قال: فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم". (٣)

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٢٢/٢ .

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة النساء، باب: ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا ٢٥٨/٨ .

(٣) البخاري مع الفتح، المغازي، باب بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - أسامة إلى الحرقات ٥١٧/٧، ١٩١/١٢، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ٩٧/١ .

وفي رواية قال: قلت يا رسول الله: إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: "أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا"، فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ. (١)

وفي رواية: "كيف تمنع بلالاً إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟" قال: يارسول الله: استغفر لي، قال: "وكيف تمنع بلالاً إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟". قال: فجعل لا يزيدني على أن يقول: "كيف تمنع بلالاً إلا الله إذا جاءت يوم القيامة". (٢)

ولهذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أعظم الناس أناةً وتشبثاً، فكان لا يقاتل أحداً من الكفار إلا بعد التأكد بأنهم لا يقيمون شعائر الإسلام، فعن أنس ابن مالك - رضي الله عنه - "أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا غزا بنا قوماً لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذاناً كف عنهم، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم". (٣)

وكان - صلى الله عليه وسلم - يعلم ويربي أصحابه على الأناة والتشبث في

(١) مسلم، في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله . ٩٦/١ .

(٢) أخرجه مسلم، في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله . ٩٢/١ .

(٣) البخاري مع الفتح بلفظه مطولاً، في كتاب الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء ٨٩/٢، ومسلم، في الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان ٢٨٨/١ .

دعوتهم إلى الله تعالى، ومن ذلك أنه كان يأمر أمير سريته أن يدعو عدوه قبل القتال إلى إحدى ثلاث خصال:

أ - الإسلام والهجرة، أو إلى الإسلام دون الهجرة، ويكونون كأعراب المسلمين.

ب - فإن أبوا الإسلام دعاهم إلى بذل الجزية.

ج- فإن امتنعوا عن ذلك كله استعان بالله وقائظهم. (١)

ومن تربيته لأصحابه - عليه الصلاة والسلام - على الأناة وعدم العجلة قوله:

"إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، وأتوها تمشون، وعليكم السكينة فما

أدركتم فملوا، وما فاتكم فأتوا". (٢)

وقوله: "إذا أقيمت الصلاة فلا تقوموا حتى تروني قد خرجت". (٣)

ولسمو الأناة أحبها الله عز وجل، قال عليه الصلاة والسلام للأشج: "إن فيك

خصلتين يحبهما الله". (٤)

(١) أخرج الحديث مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على

البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها ١٢٥٧/٣، وانظر: زاد المعاد لابن

القيم ١٠٠/٣ .

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الجمعة، باب المشي إلى الجمعة، وقوله: (فأسعوا

إلى ذكر الله) ٣٩٠/٢ ، ومسلم، في المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة

بسكينة ووقار والنهي عن إتيانها سعيًا ٤٢٠/١ .

(٣) مسلم، في كتاب المساجد، باب متى يقوم الناس للصلاة ٤٢٢/١ .

(٤) مسلم، في الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرائع الدين

والدعاء إليه، ٤٨/١ .

والرسل - عليهم الصلاة والسلام - هم صفوة الخلق وقُدوتهم، وهم أكمل الناس
أناة وحلما، وأعظمهم في ذلك وأوفرهم حظا محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن أمثلة ذلك قصة سليمان مع الهمد وتثبته وعدم عجلته، قال سبحانه عن
ذلك: (وتلفد للطير فقال مالى لا أرى الهمد أم كان من الغائبين . لأعذبنه
عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين). (١)

فهذا الهمد من جنود سليمان - عليه الصلاة والسلام - كان غائبا بغير إذن
سليمان، وحينئذ يتعين أن يؤخذ الأمر بالحزم والجد في تنظيم الجنود حتى لا تكون
فوضى، فإن سليمان إذا لم يأخذ بذلك في تنظيم الجنود ومراقبتهم كان المتأخر
منهم قدوة سيئة لبقية الجنود، ولهذا نجد سليمان النبي الملك الحازم يتهدد
الجندي الغائب المخالف، ولكن سليمان ليس ملكا جبارا في الأرض، ولا متسرعا
عجولا، وهو لم يسمع بعد حجة الهمد الغائب، فلا ينبغي أن يترك الأناة والتثبت
ويقضي في شأنه قضاء نهائيا قبل أن يسمع منه ويتبين عذره، ومن ثم تبرز سمة
النبي العادل المتثبت (أو ليأتينى بسلطان مبين) أي: حجة قوية واضحة توضح
عذره وتنفي المؤاخذه عنه. (٢)

فالأناة صفة جميلة، وتكون أجمل إذا جاءت من القادر على العقاب، ولهذا
قال الشاعر ابن هانيء المغربي:

وكل أناة في المواطن سؤدد ولا كأناة من قدير محكم

(١) سورة النمل، الآية ٢٠، ٢١ .

(٢) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب ٢٦٢٨/٥، وفقه الدعوة في إنكار المنكر،

لعبد الحميد البلابي ص ١٧ .

ومن يتبين أن للصفح موضعا
وما الرأي إلا بعد طول تثبت
وقال الشاعر يمدح عاقلا حكيما :
بصير بأعقاب الأمور كأنما
من السيف يصفح عن كثير ويحطم
ولا الحزم إلا بعد طول تلوم
يخاطبه في كل أمر عواقبه (١)

والداعية إلى الله عز وجل إذا تثبتت، وتأمل في جميع أموره اكتسب ركنا من
أركان الحكمة، وينبغي ألا يقتصر في منهجه المتكامل على التأنى والتثبت في
الأفعال والأقوال فحسب، بل عليه أن يجري ذلك على القلب في خواطره، وتموراته،
وفي مشاعره وأحكامه (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل
أوليئك كان عنه مسولا). (٢)

فلا يقول اللسان كلمة، ولا يروي حادثة، ولا يحكم العقل حكما، ولا يبرم
الداعية أمرا إلا وقد تثبتت من كل جزئية، ومن كل ملابسة، ومن كل نتيجة، حتى
لا يبقى هنالك شك ولا شبهة في صحتها، وحينئذ يمل الداعية المسلم المتمسك بهذه
الضوابط إلى أعلى درجات الأناة والحكمة والسداد. (٣)

ولا شك أن الإنسان قد خلق من عجل (خلق الإنسان من عجل) (٤)، ولكنه بحمد
الله إذا امتثل أمر الله وترك نهيه حسنت أخلاقه وطبائعده.

(١) انظر: موسوعة أخلاق القرآن للدكتور الشرباصي ٢٧/٣ .

(٢) سورة الإسراء، الآية ٣٦ .

(٣) انظر: في ظلال القرآن ٢٢٢٧/٤ .

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٢٧ .

والعجلة لها أسباب ينبغي اجتنابها، منها: عدم النظر في العواقب، وسنن الله في الكون، ومنها الشيطان عدو الإنسان، فإن أساس العجلة من الشيطان؛ لأنه الحامل عليها بوسوسته، فيمنع من التثبيت والنظر في العواقب، فيقع المستعجل في المعاطب والفشل(١)، ولذلك قيل:

يا صاحبي تلوما لا تعجلا إن النجاح رهين أن لا تعجلا

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: لا يزال الرجل يجني من ثمرة العجلة الندامة.(٢)

وينبغي أن يعلم أن العجلة المذمومة ما كان في غير طاعة، ومع عدم التثبيت وعدم خوف الفوت، ولهذا قيل لبعض السلف: لا تعجل، فالعجلة من الشيطان، فقال: لو كان كذلك لما قال موسى: (وعظمت إليك رب لترضى).(٣)

وقد قال بعض السلف: لا تعجل عجلة الأخرق وتحجم أحجام الواني.

والخلاصة: أنه يستثنى من العجلة ما لا شبهة في خيريته، قال تعالى: (انهم

كانوا يسلعون في الخيرات).(٤)

وعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال الأعمش: ولا أعلمه إلا عن

(١) انظر: شرح السنة للبغوي ١٣/١٧٦، وفيض القدير شرح الجامع ٢/١٨٤ .

(٢) انظر: تحفة الأحوذى شرح الترمذي ٦/١٥٢ .

(٣) سورة طه، الآية ٨٤ .

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٩٠ .

النبي صلى الله عليه وسلم : "التَّوَدُّةُ (١) في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة". (٢)
وعن عبدالله بن سرجس المزني، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:
"السَّمَتُ (٣): الحسن، والتَّوَدُّةُ، والاقتصاد (٤) جزء من أربعة وعشرين جزءاً من
النبوة". (٥)
وبهذا يعلم أن الأناة في كل شيء محمودة وخير إلا ما كان من أمر الآخرة،
بشرط مراعاة الضوابط التي شرعها الله حتى تكون المسارعة مما يحبه الله
تعالى. (٦)

-
- (١) التَّوَدُّةُ: التَّائِي. انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٢/٢٧٧،
وعون المعبود ٣/١٦٥ .
- (٢) أبو داود، كتاب الأدب، باب الرفق ٤/٢٥٥، والحاكم بلفظه وقال: صحيح على
شرط الشيخين، ووافقه الذهبي ١/٦٤، وانظر: صحيح سنن أبي داود ٣/٩١٢ .
- وذلك لأن الحزم بذل الجهد في عمل الآخرة؛ لتكثير القربات ورفع الدرجات،
لأن في تأخير الخيرات آفات. انظر فيض القدير ٣/٢٧٧، وعون المعبود ٣/١٦٥
- (٣) السمت الحسن: هو حسن الهيئة والمنظر. انظر فيض القدير للمناوي ٢/٢٧٧ .
- (٤) الاقتصاد: هو التوسط في الأمور والتحرز عن طرفي الإفراط والتفريط. انظر:
المرجع السابق ٣/٢٧٧ .
- (٥) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التائني والعجة ٤/٣٦٦،
وانظر: صحيح سنن الترمذي ٢/١٩٥ .
- (٦) انظر: شرح السنة للبغوي ١٣/١٧٧، وتحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي ٦/١٥٢ .

المبحث الرابع : طرق اكتساب الحكمة

الحكمة موهبة من الله عز وجل يهبها لمن يشاء من عباده وأوليائه، والحكمة ليست كسبية تحصل بمجرد كسب العبد دون تعليم الأنبياء له طرق تحصيلها، فالعبد لا يكون حكيماً إلا إذا سلك طرق تحصيل الحكمة، ولا يمكن أن يحصل على الحكمة إلا إذا كانت طرقها مستقاة من الكتاب والسنة، وإذا وفق الداعية المسلم لطرق الحكمة فلا يخرجها ذلك عن كونها هبة من الله تعالى، لقوله تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) (١)، بل الله الذي وفقه وسدده، وأعطاه خيراً كثيراً، جليلاً قدره، عظيماً نفعه، ولهذا استنبط بعض المحققين من قوله: (خيراً كثيراً) أن إيتاء الحكمة خير من الدنيا وما فيها كلها؛ لأن الله وصف الدنيا في قوله: (قل متع الدنيا قليل) (٢)، فدل ذلك على أن ما يؤتاه الله من حكمته خير من الدنيا وما عليها؛ لأن من أوتيتها خرج من ظلمة الجهل إلى نور الهدى، وحمق الانحراف في الأقول والأفعال إلى إصابة الصواب فيها، وحصول السداد والاعتدال، والبصيرة المتسنيرة، وإتقان الأمور وإحكامها، وتنزيلها منازلها، وهذا كله من أفضل العطايا وأجل الهبات. (٣)

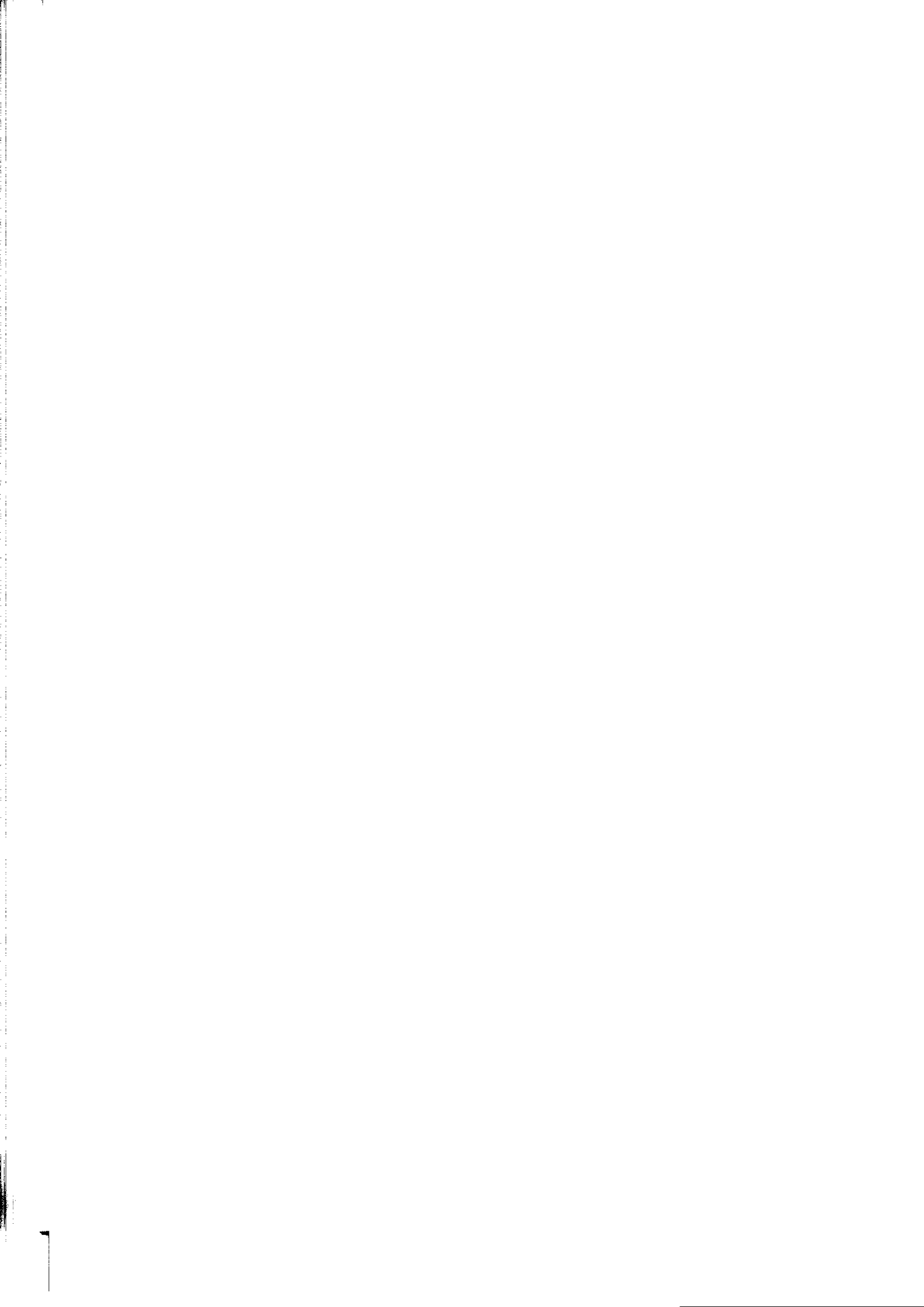
وسأذكر في هذا المبحث الطرق التي إذا سلكها الداعية المسلم كان حكيماً في أقواله وأفعاله، وتمرفاته، وأفكاره، موافقاً للصواب في جميع أموره بإذن

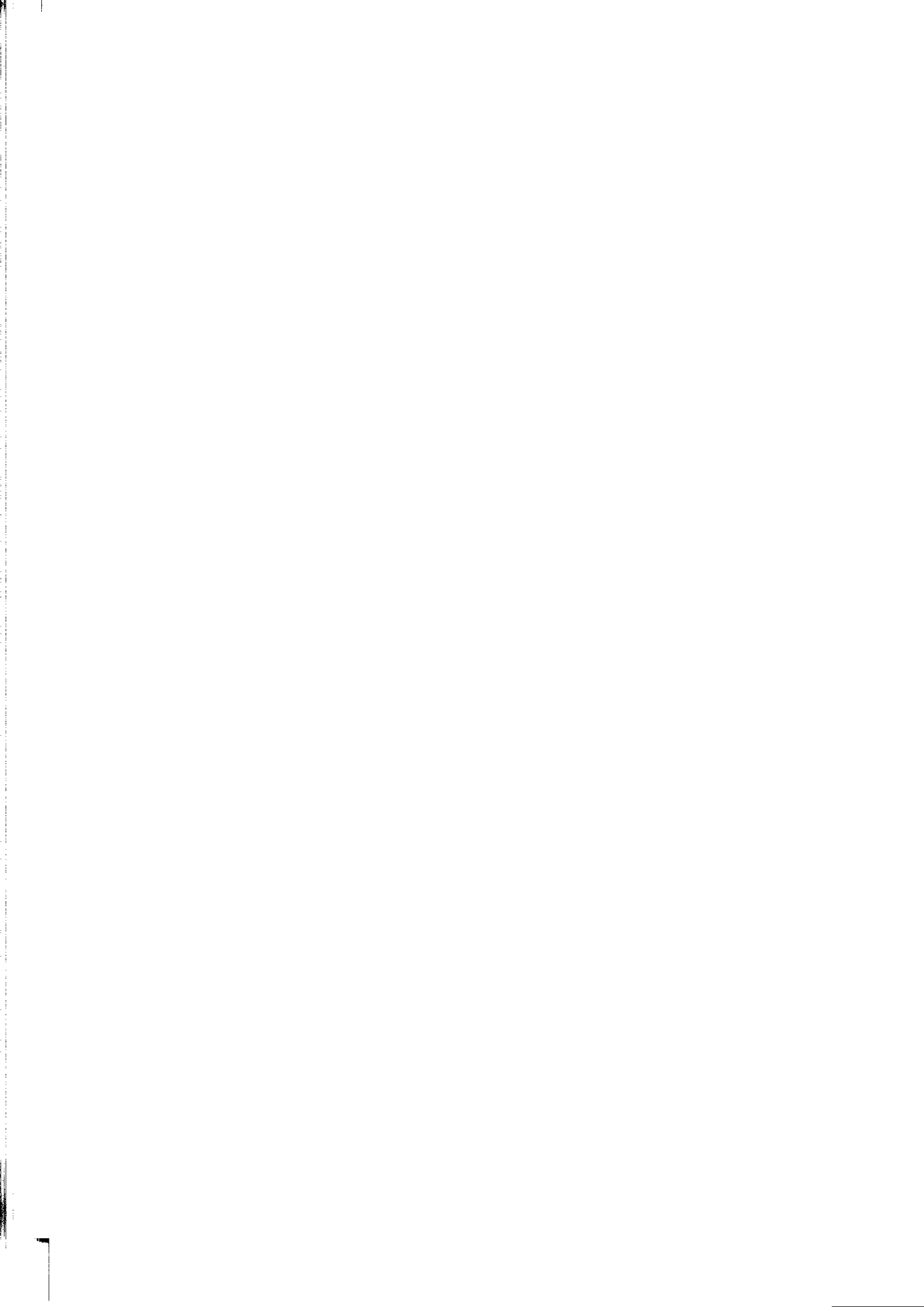
(١) سورة البقرة، الآية ٢٦٩ .

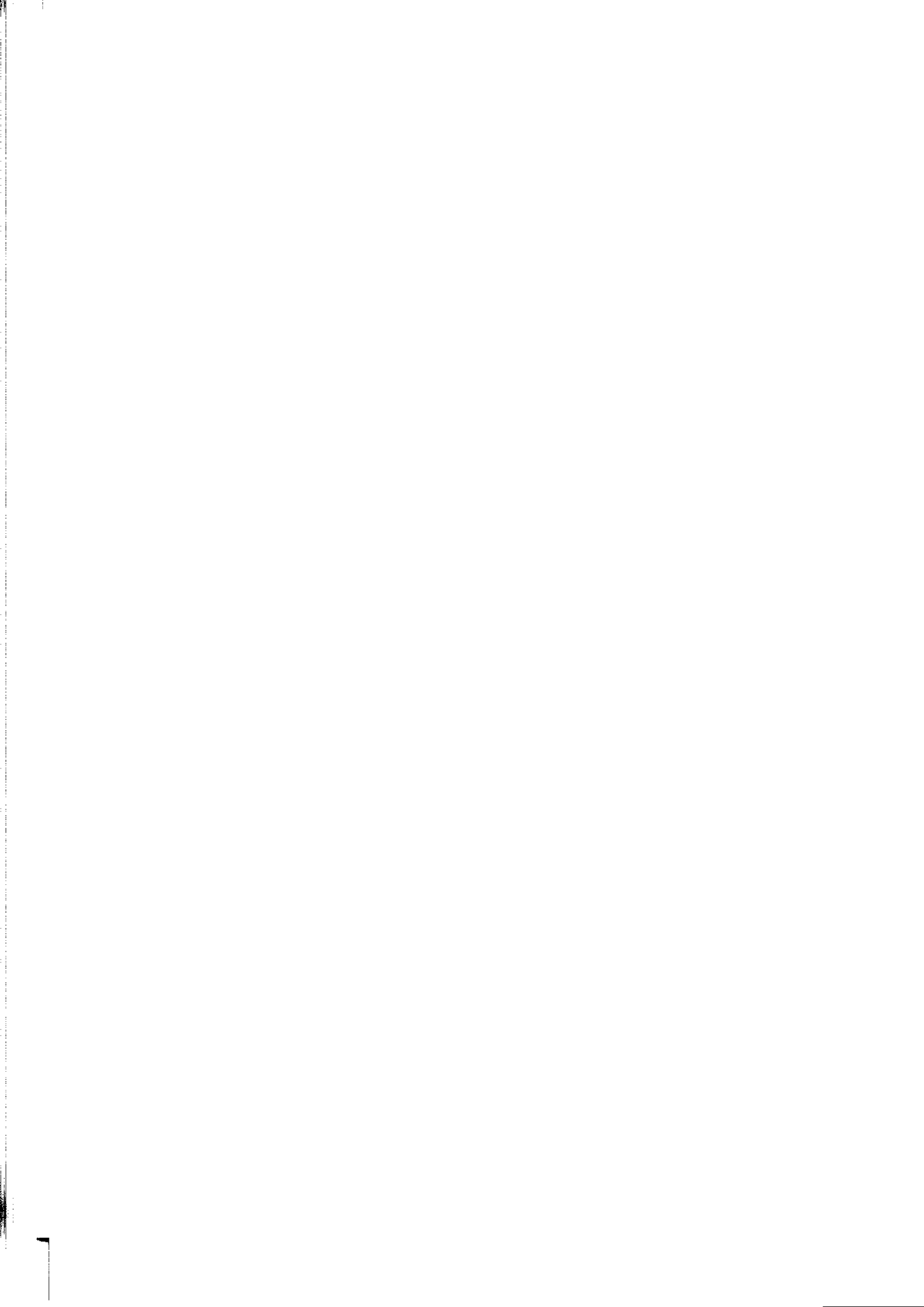
(٢) سورة النساء، الآية ٧٧ .

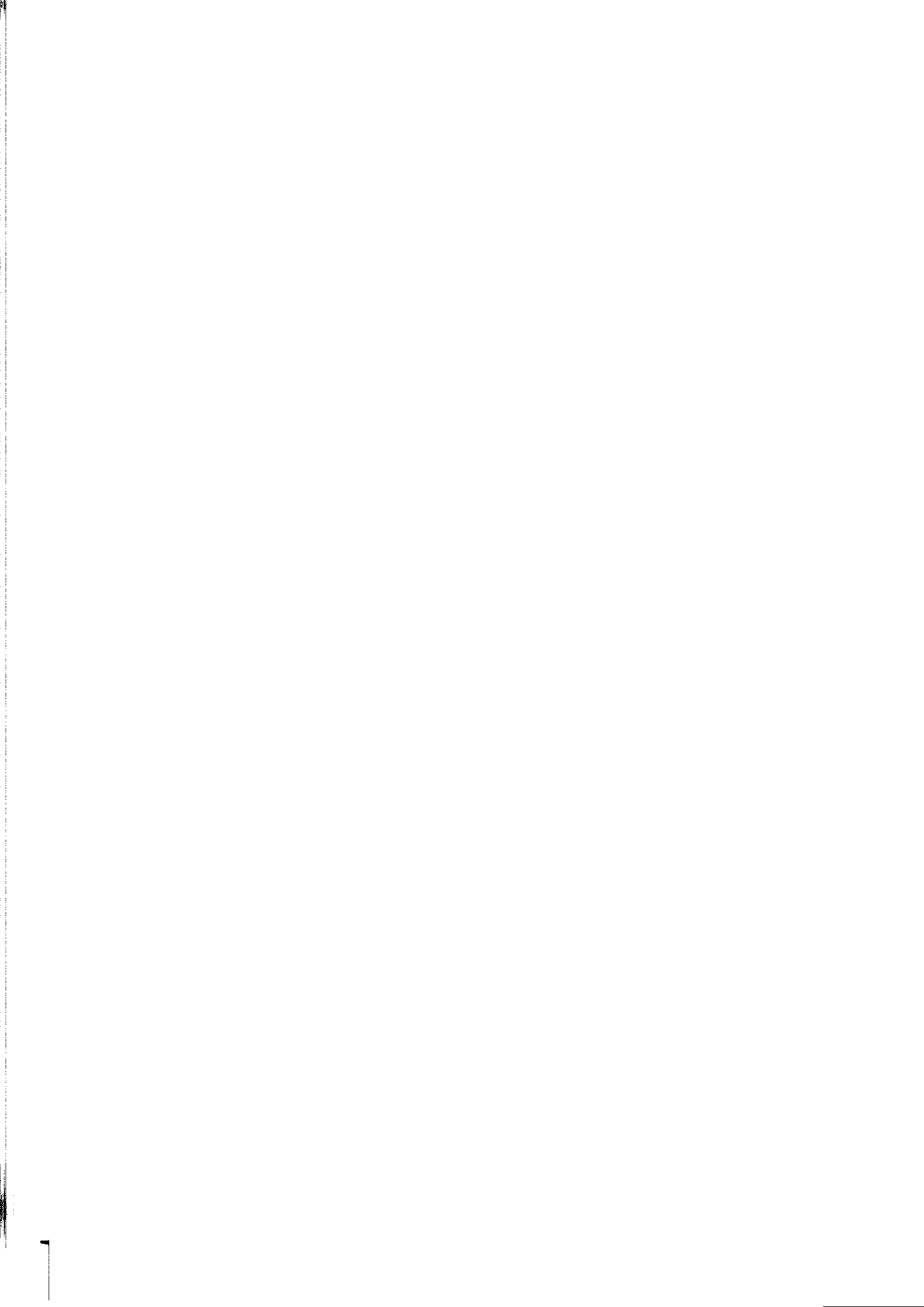
(٣) انظر: صفوة الأشار والمفاهيم للعلامة عبدالرحمن الدوسري ١٣١/٤، وتيسير

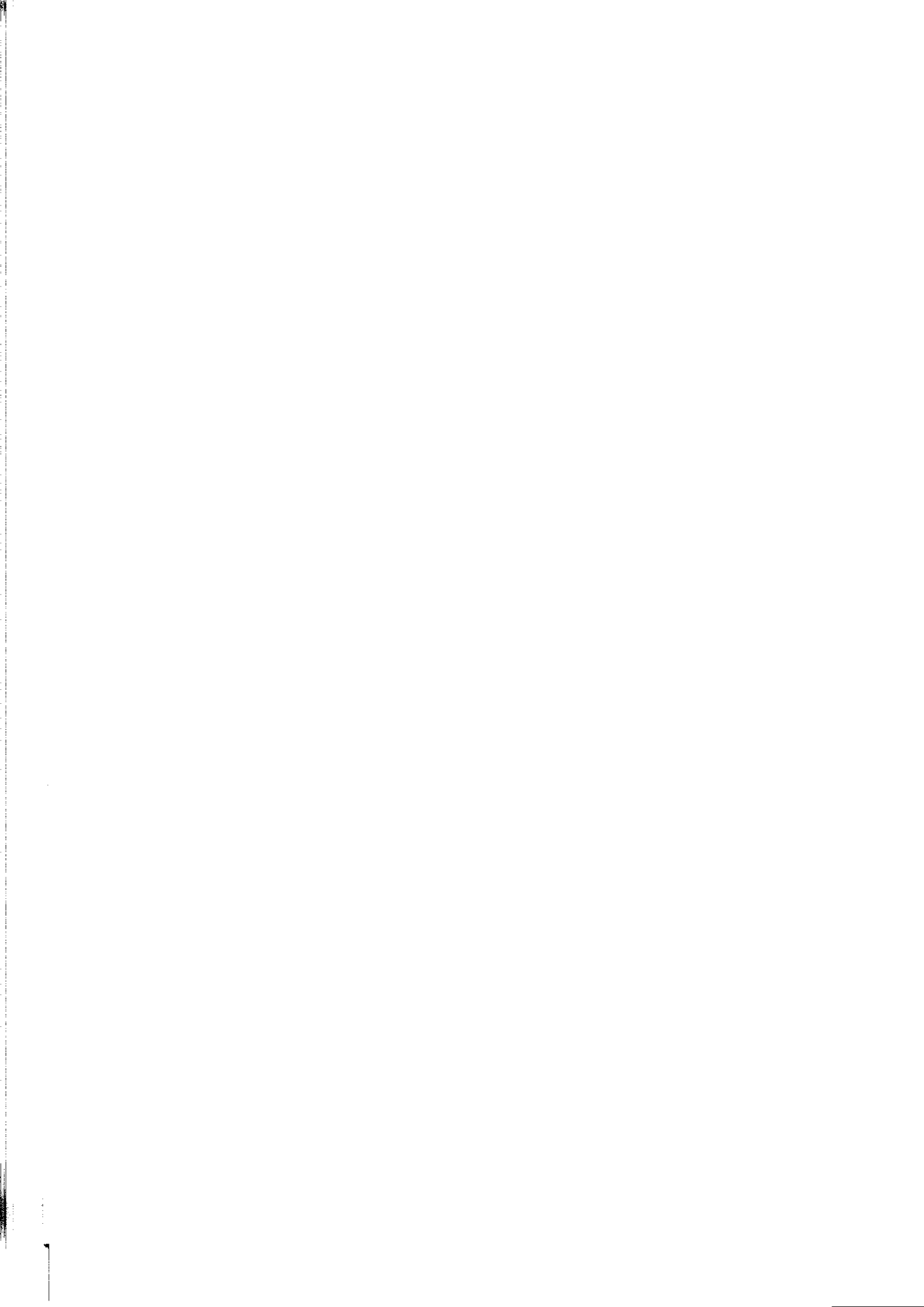
الكريم الرحمن ٣٣٢/١، وفي ظلال القرآن ٣١٢/١، ولقمان الحكيم وحكمه ص ٣٠.

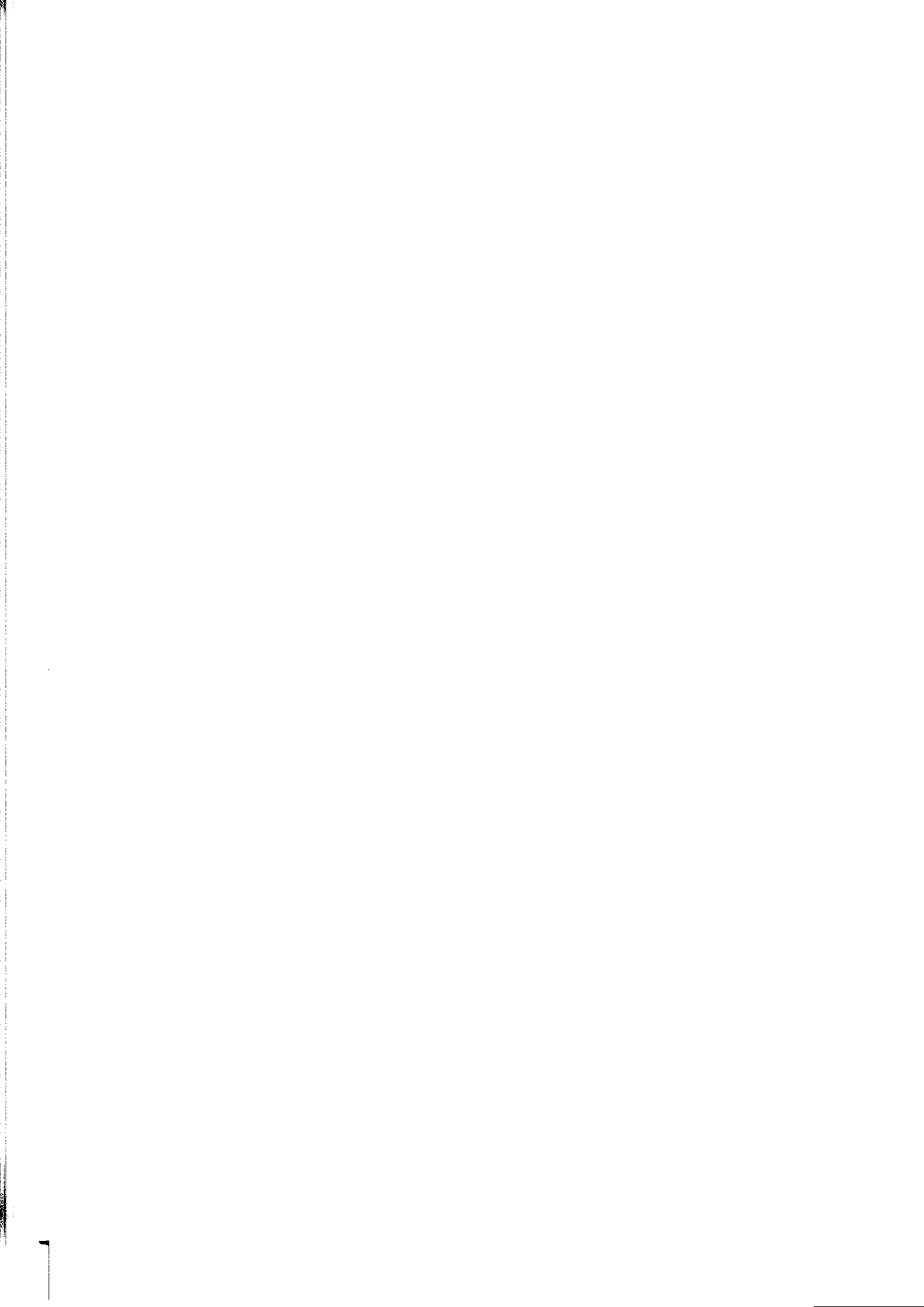


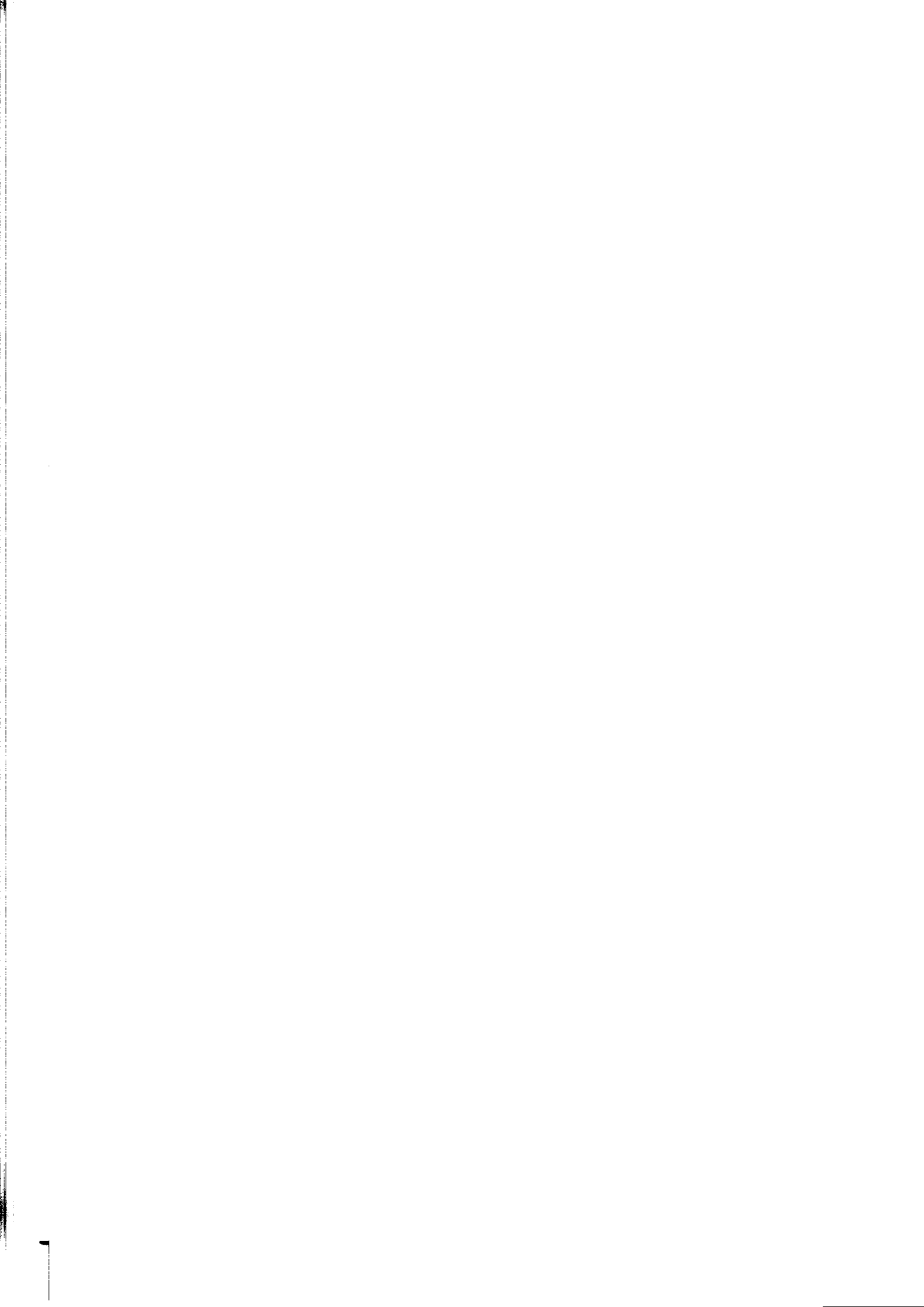


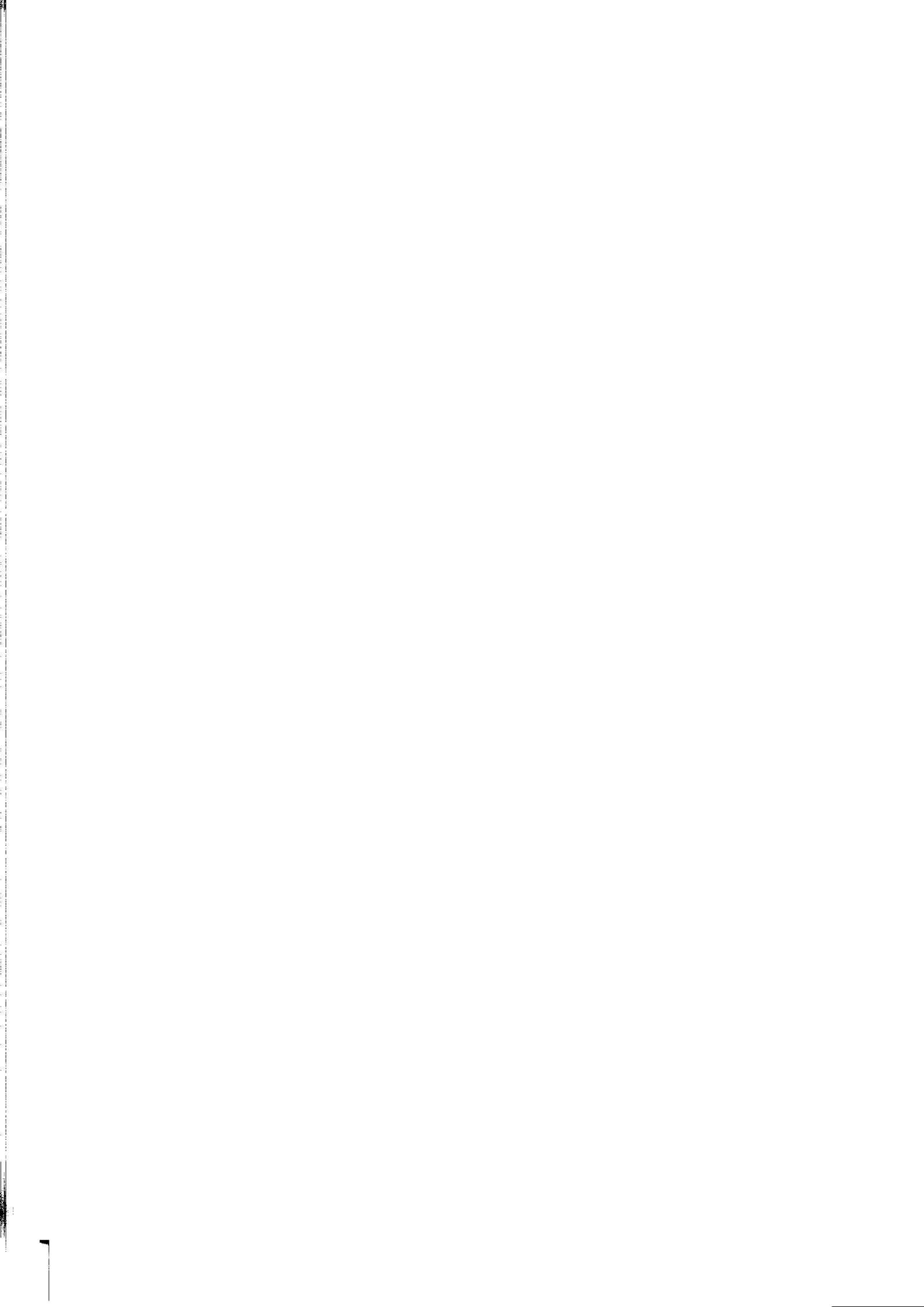


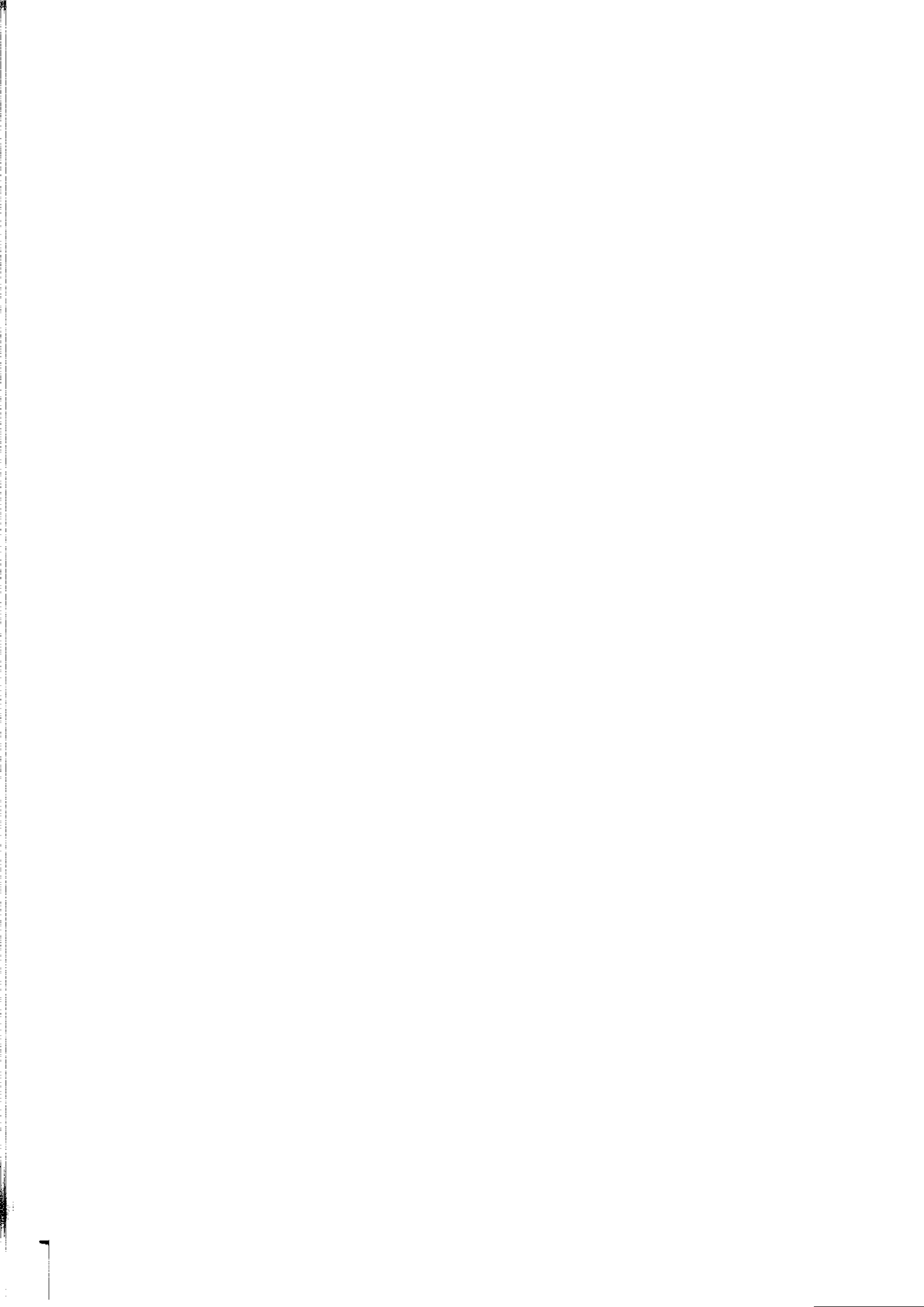


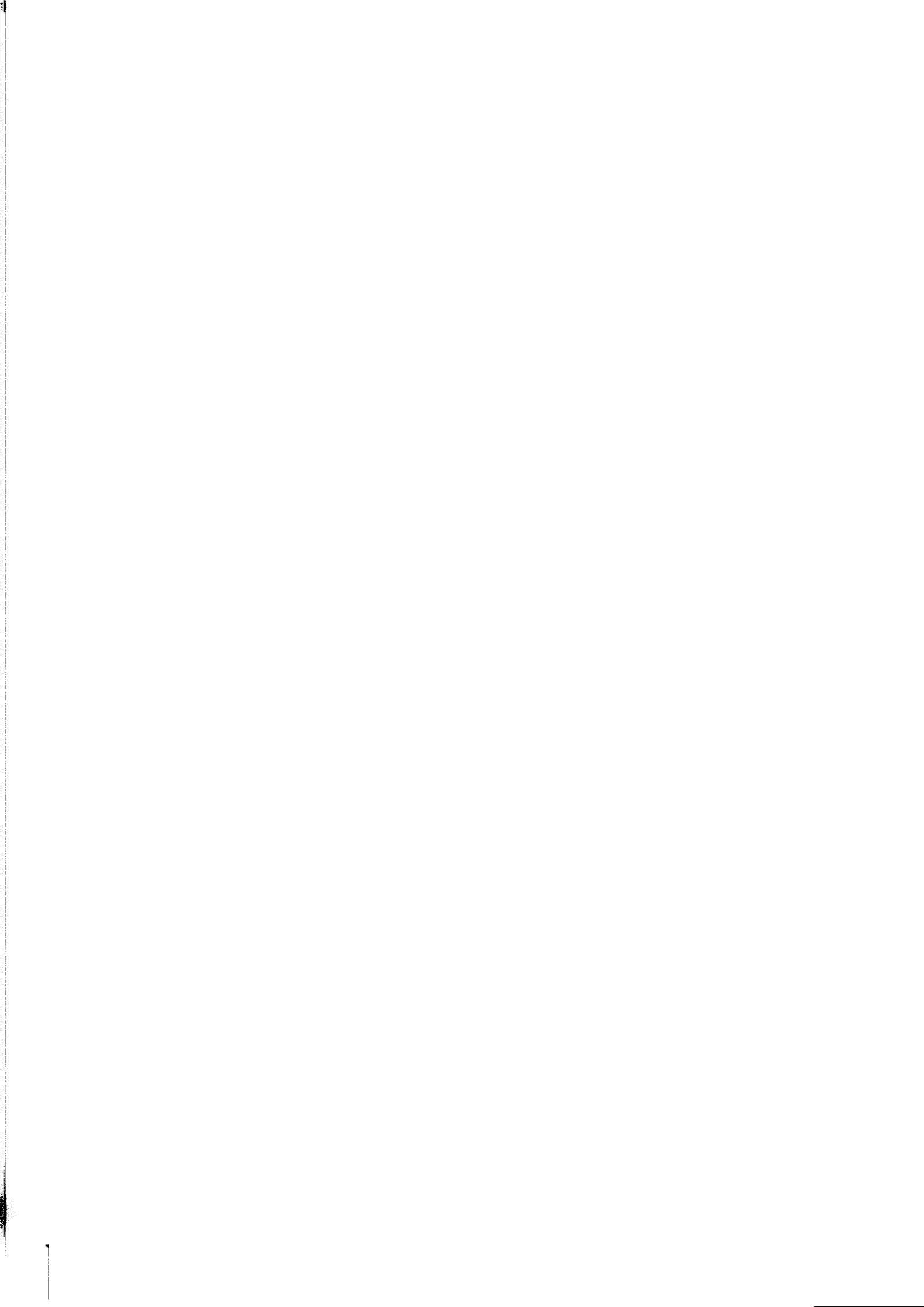


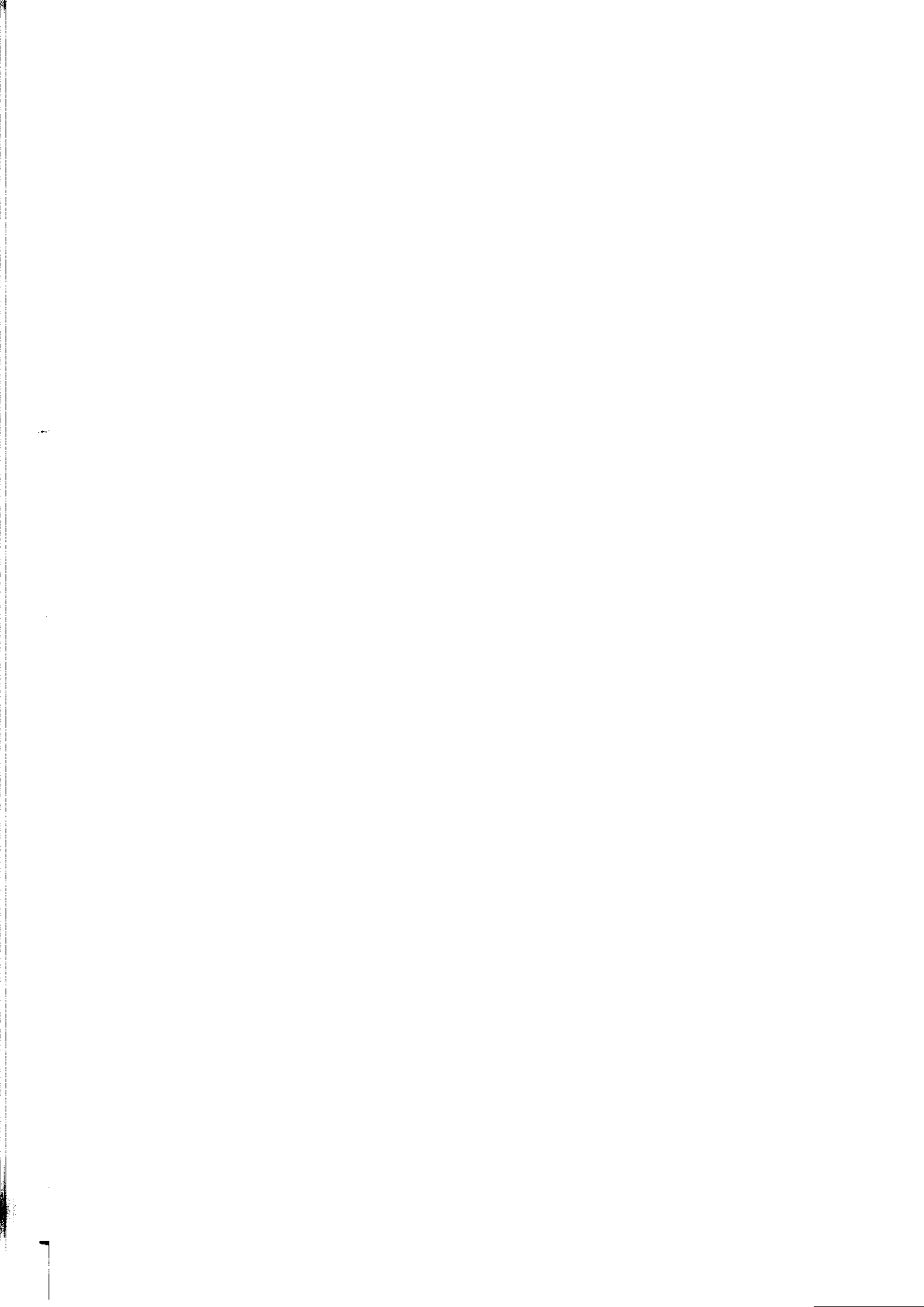


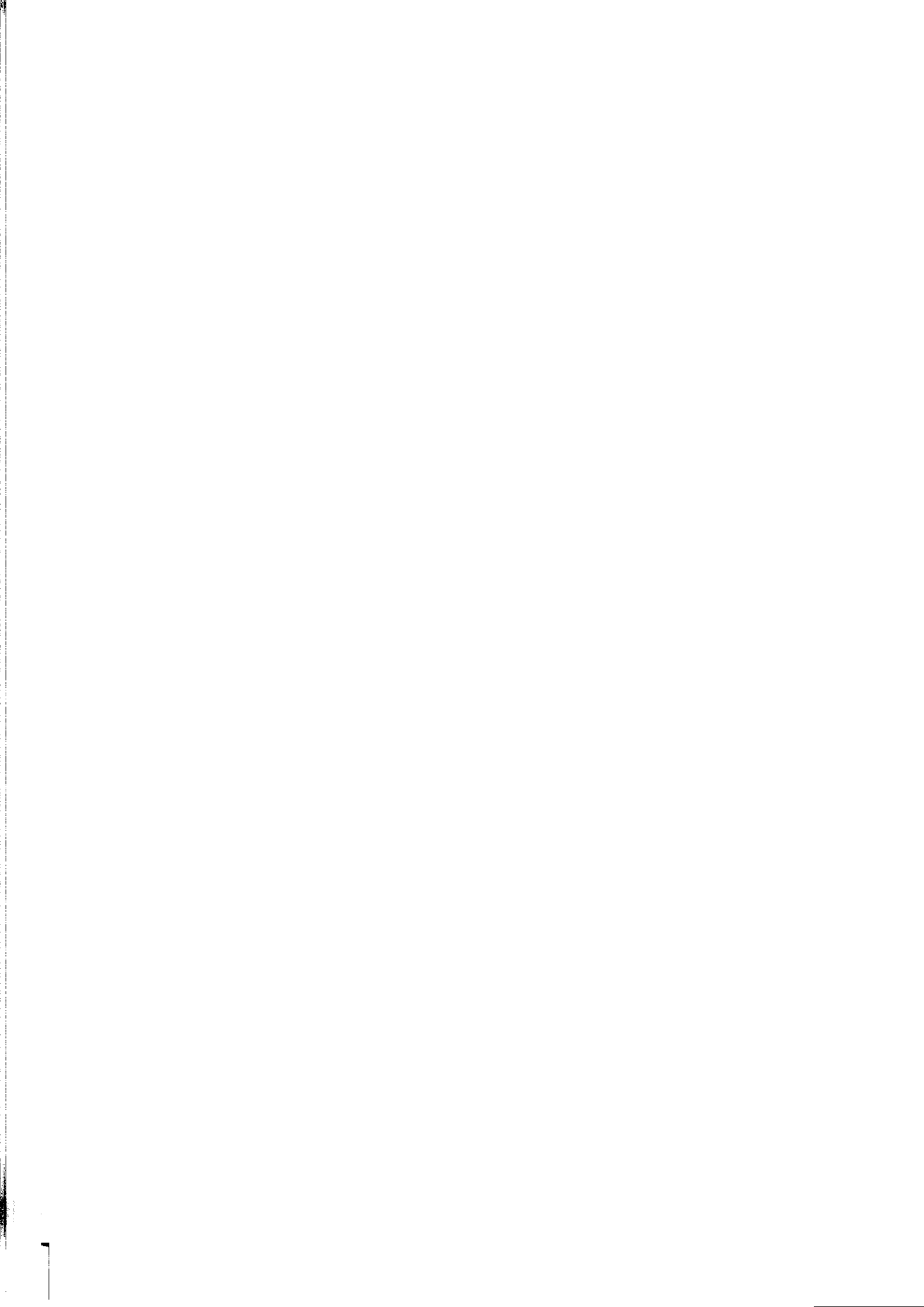


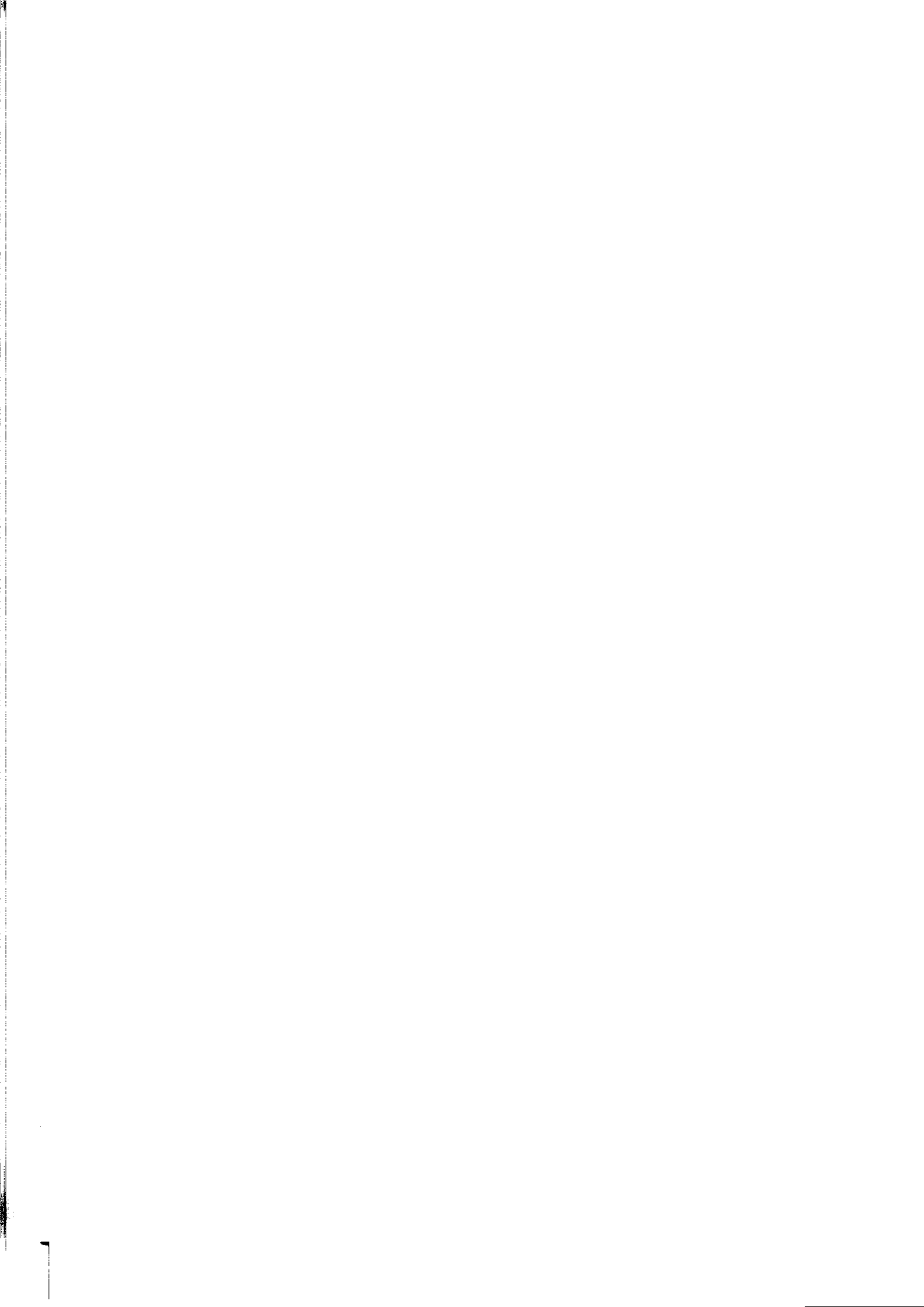


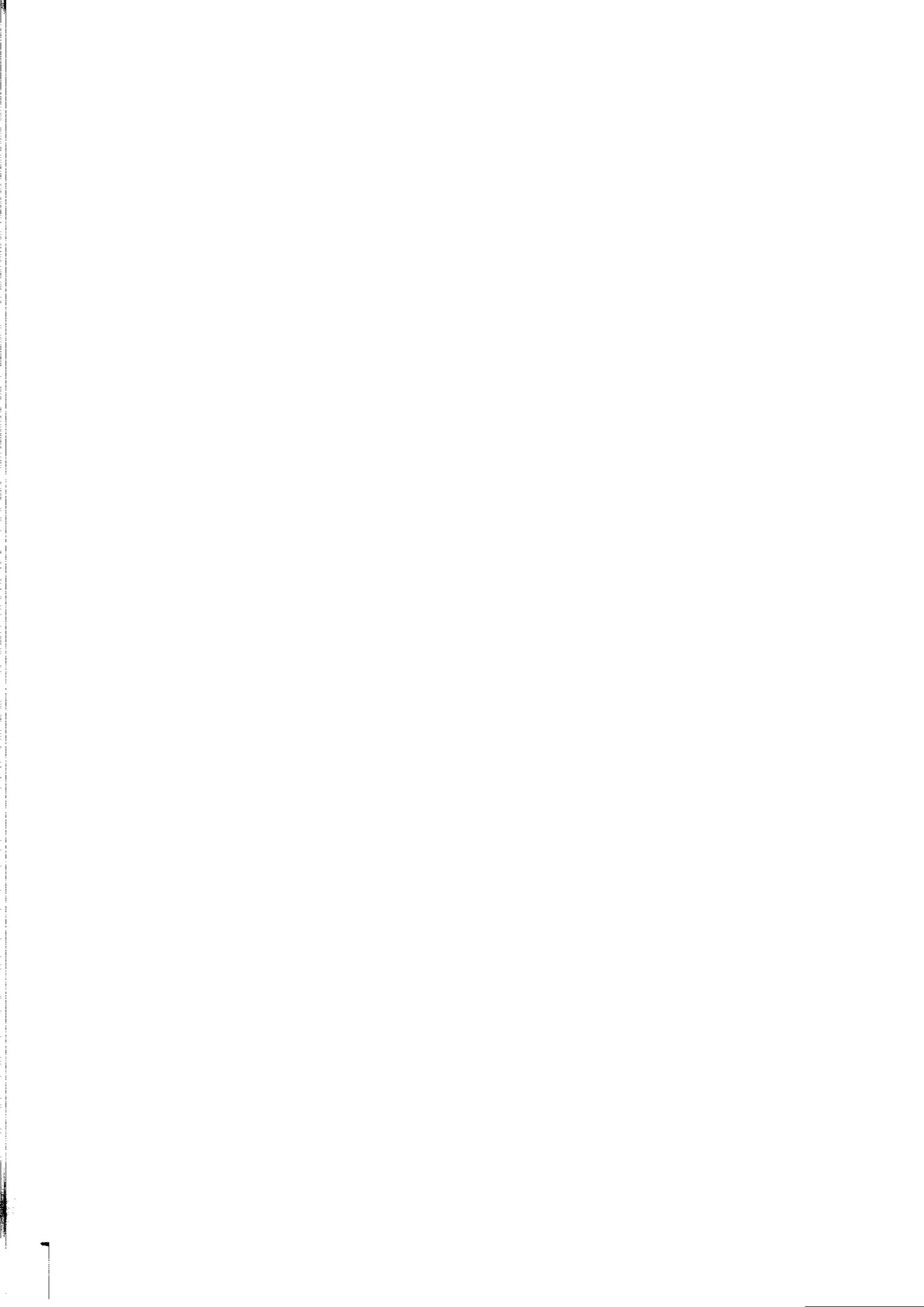


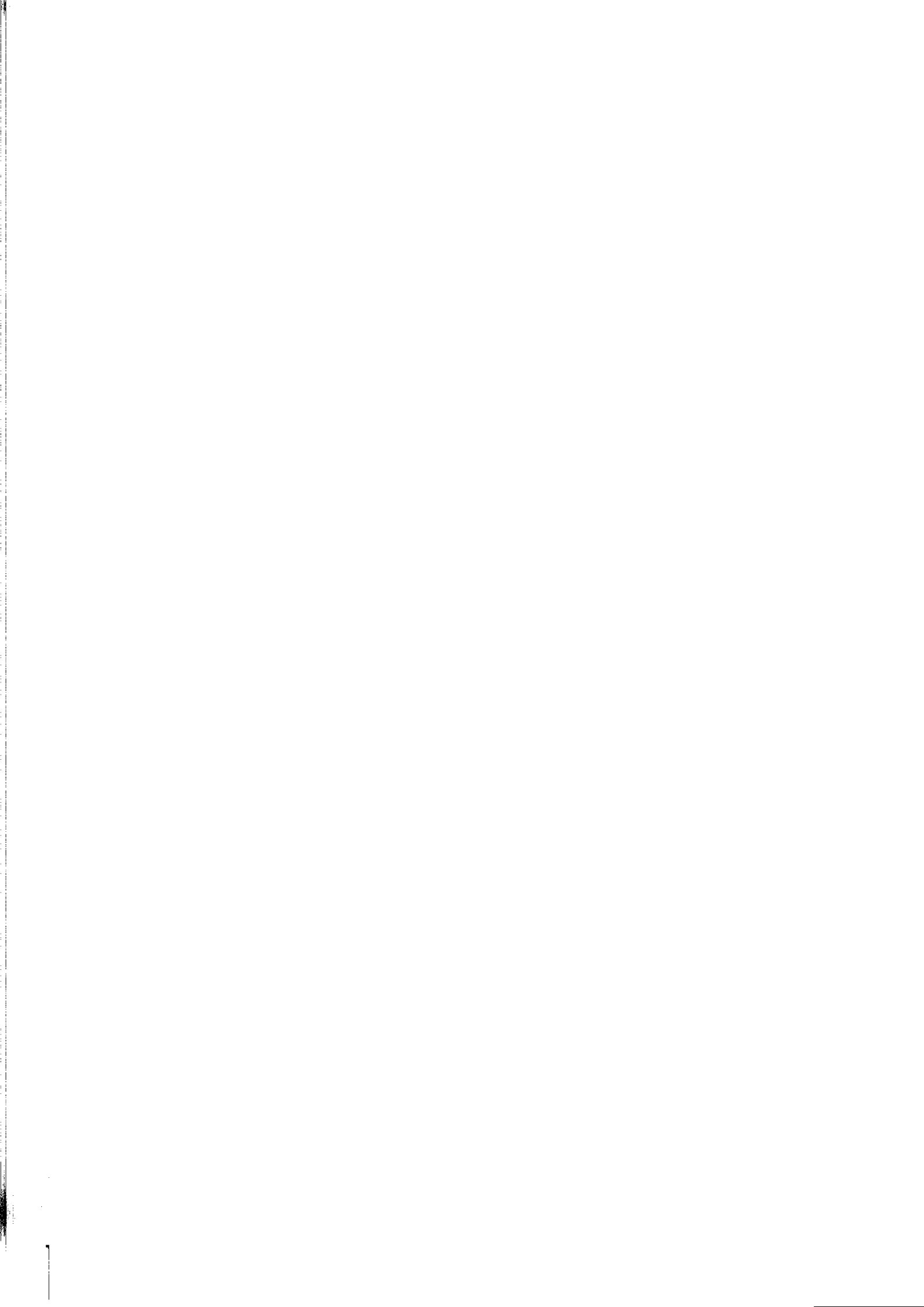


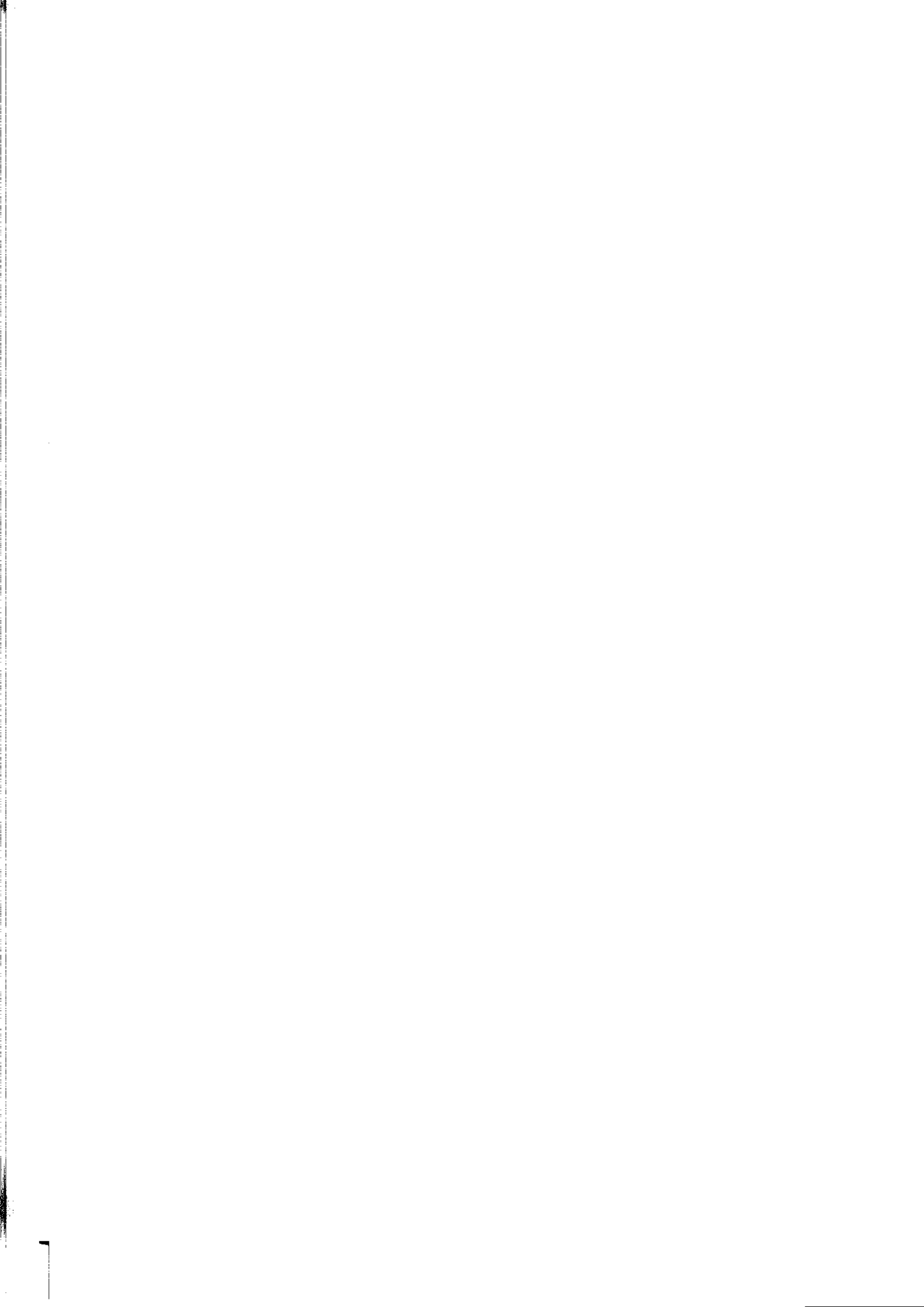


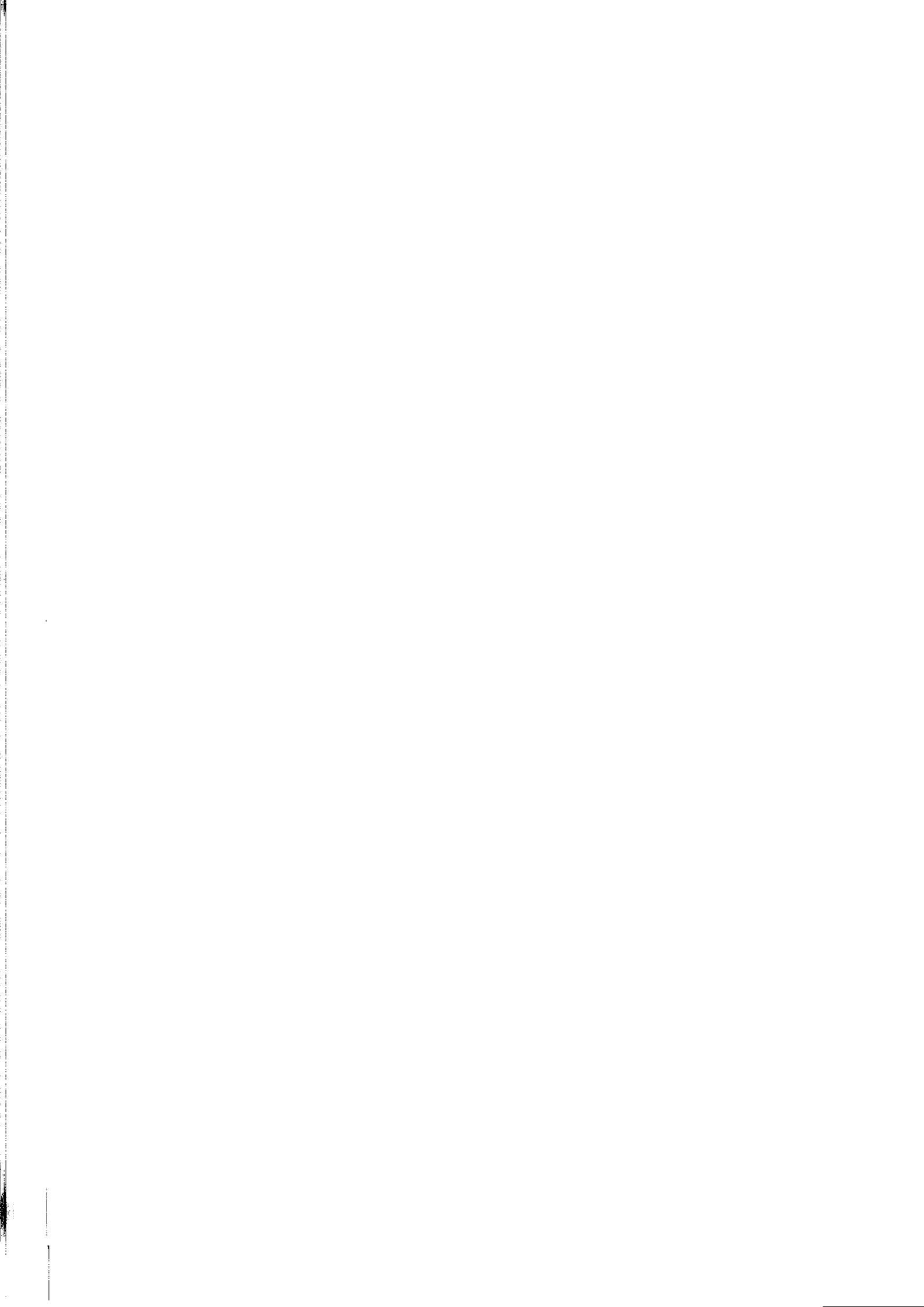




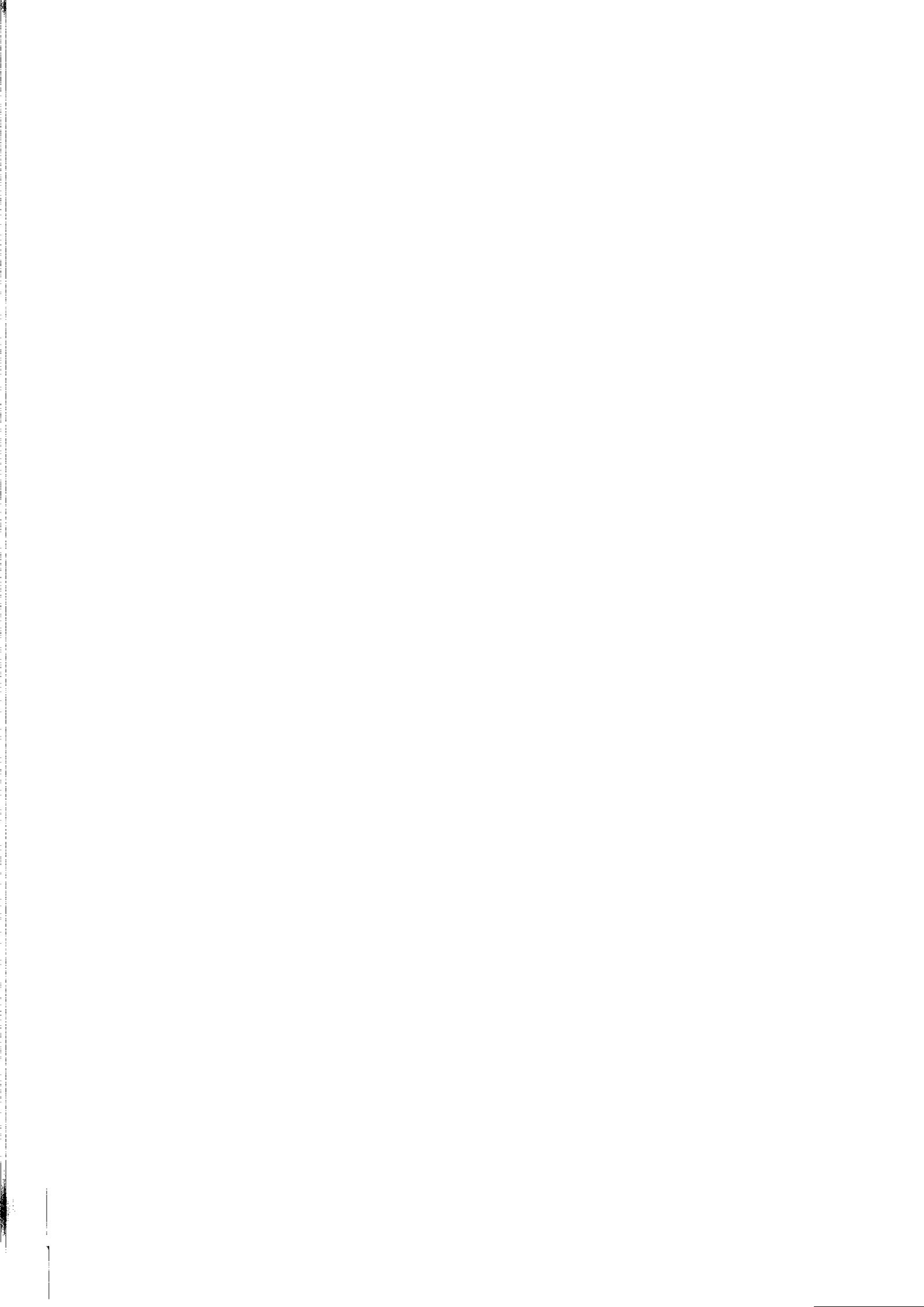


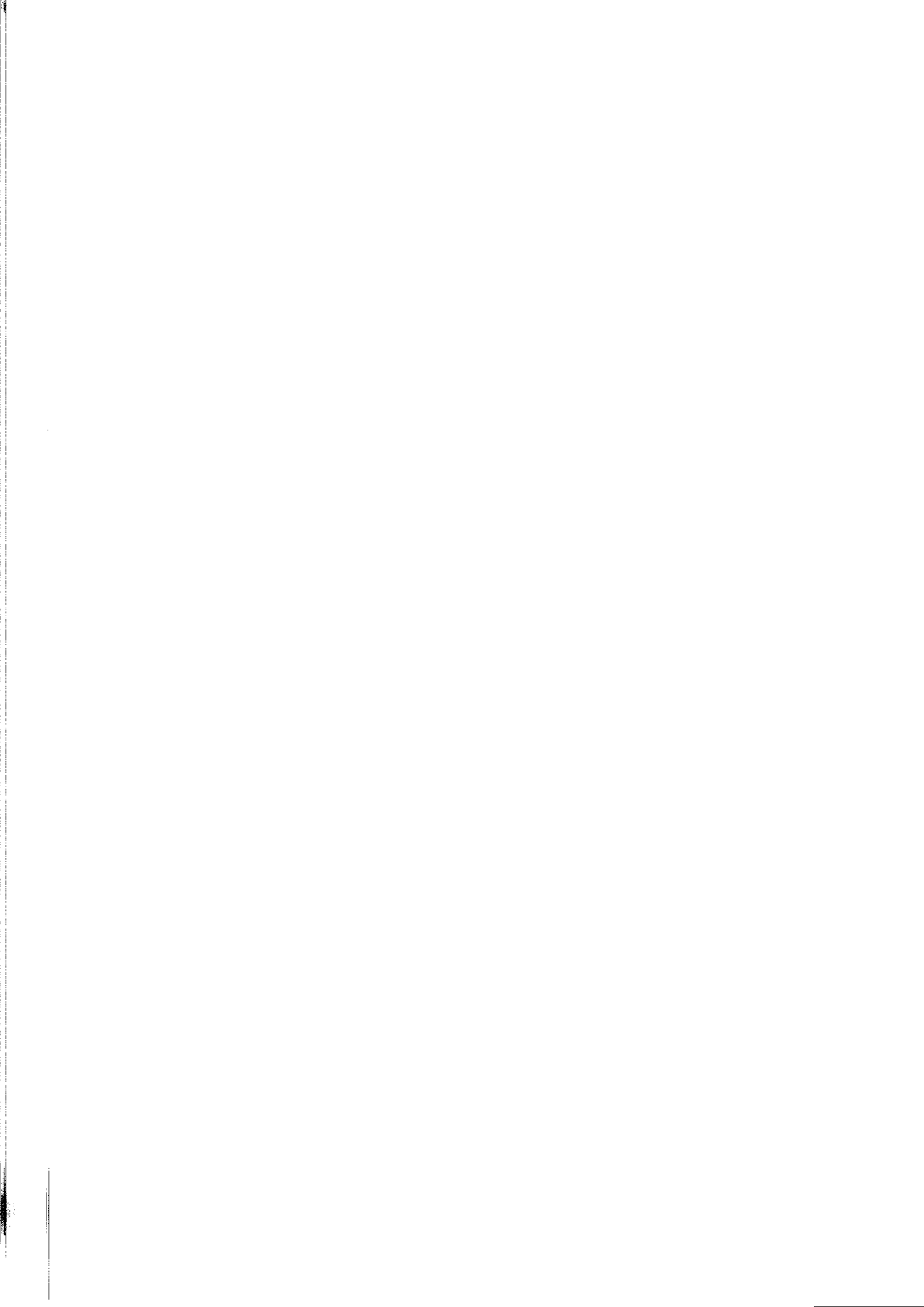


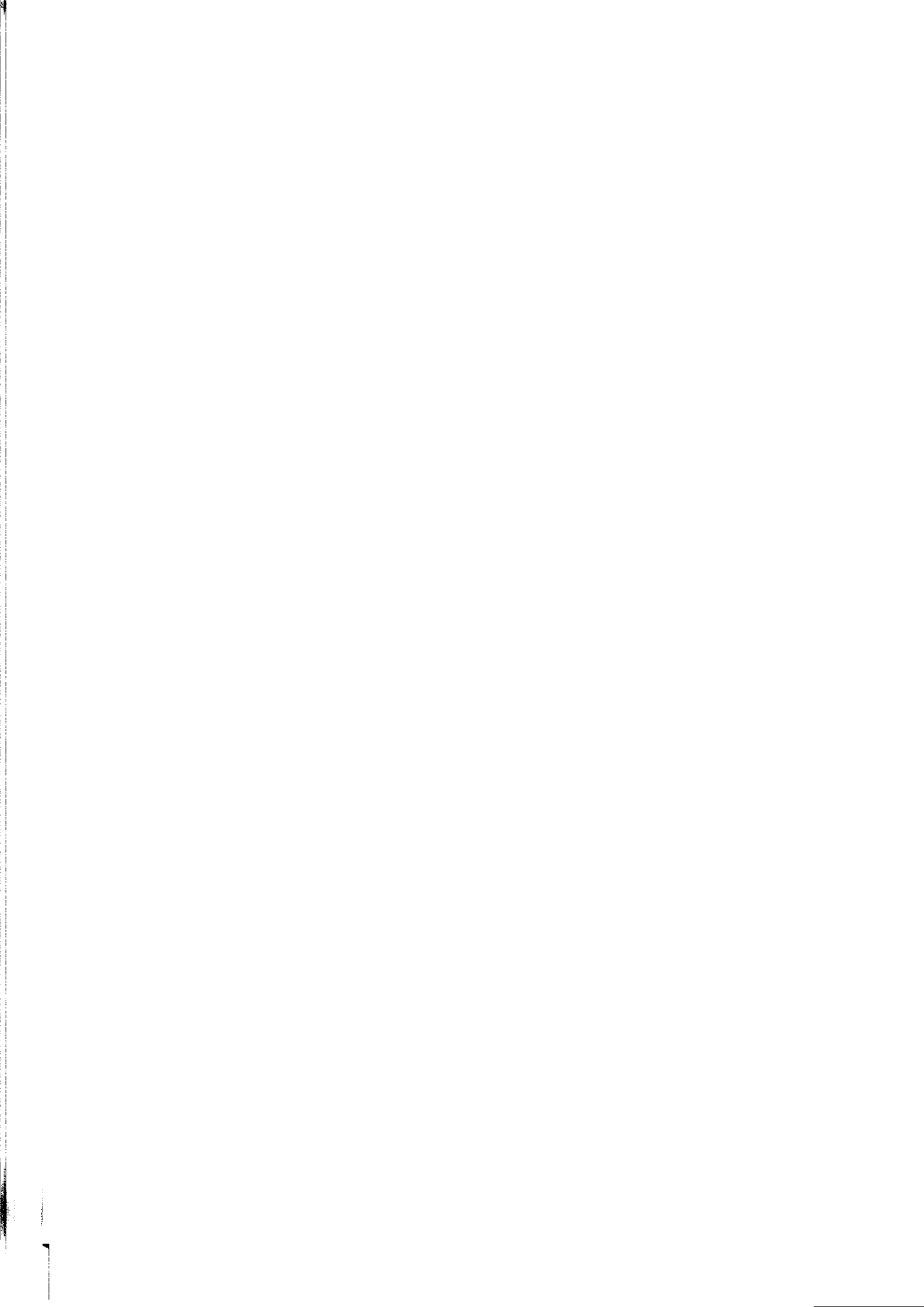


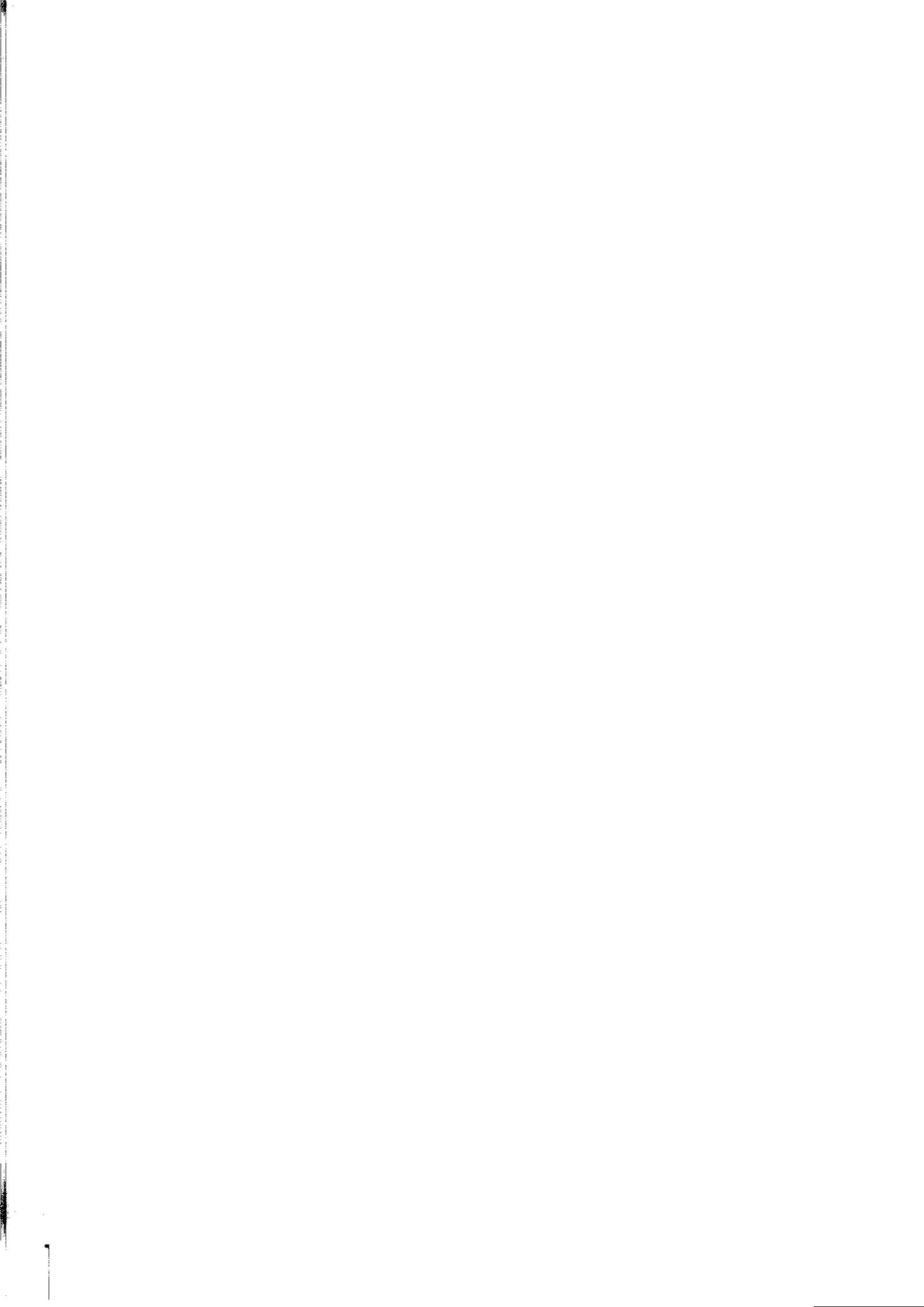


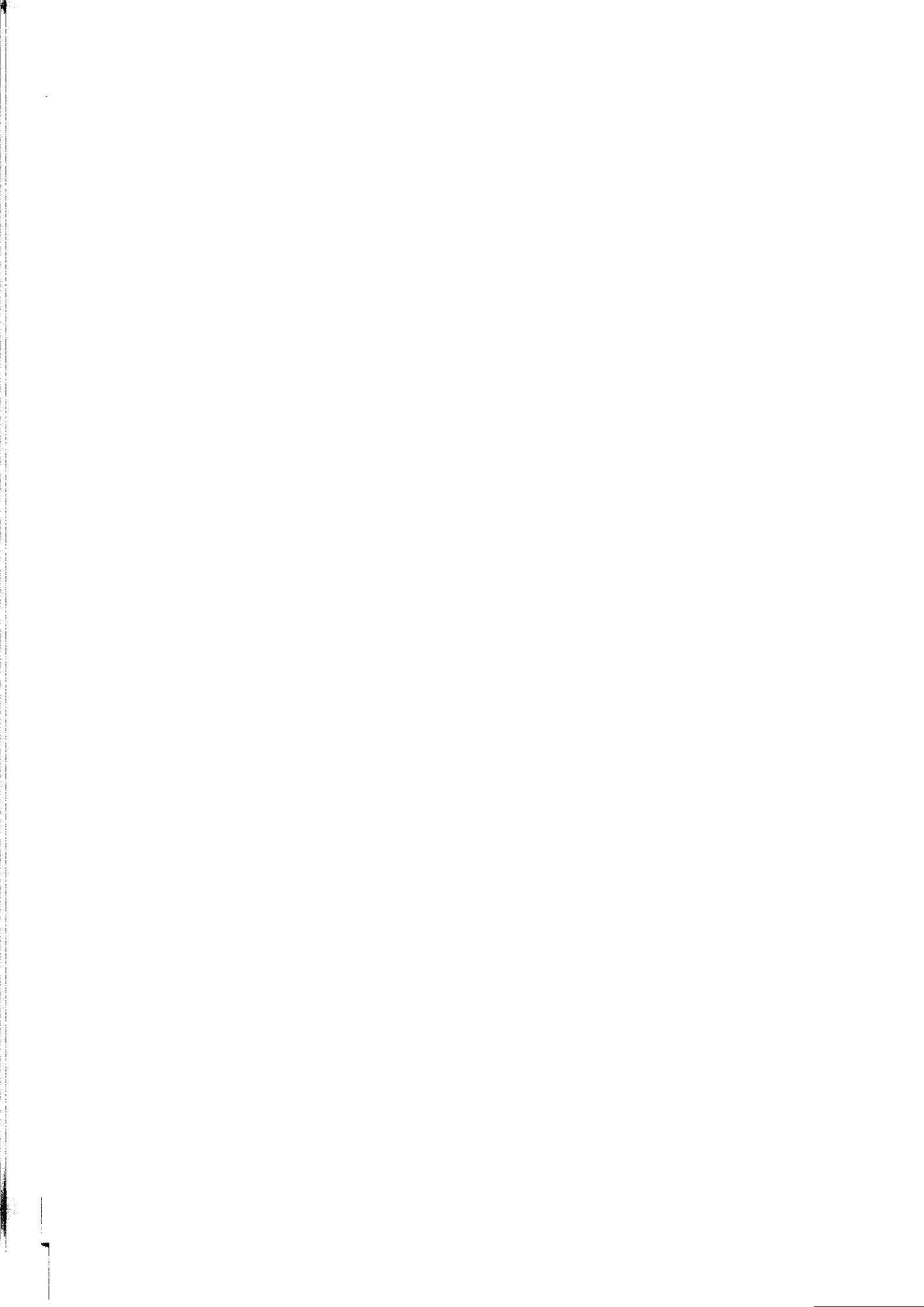


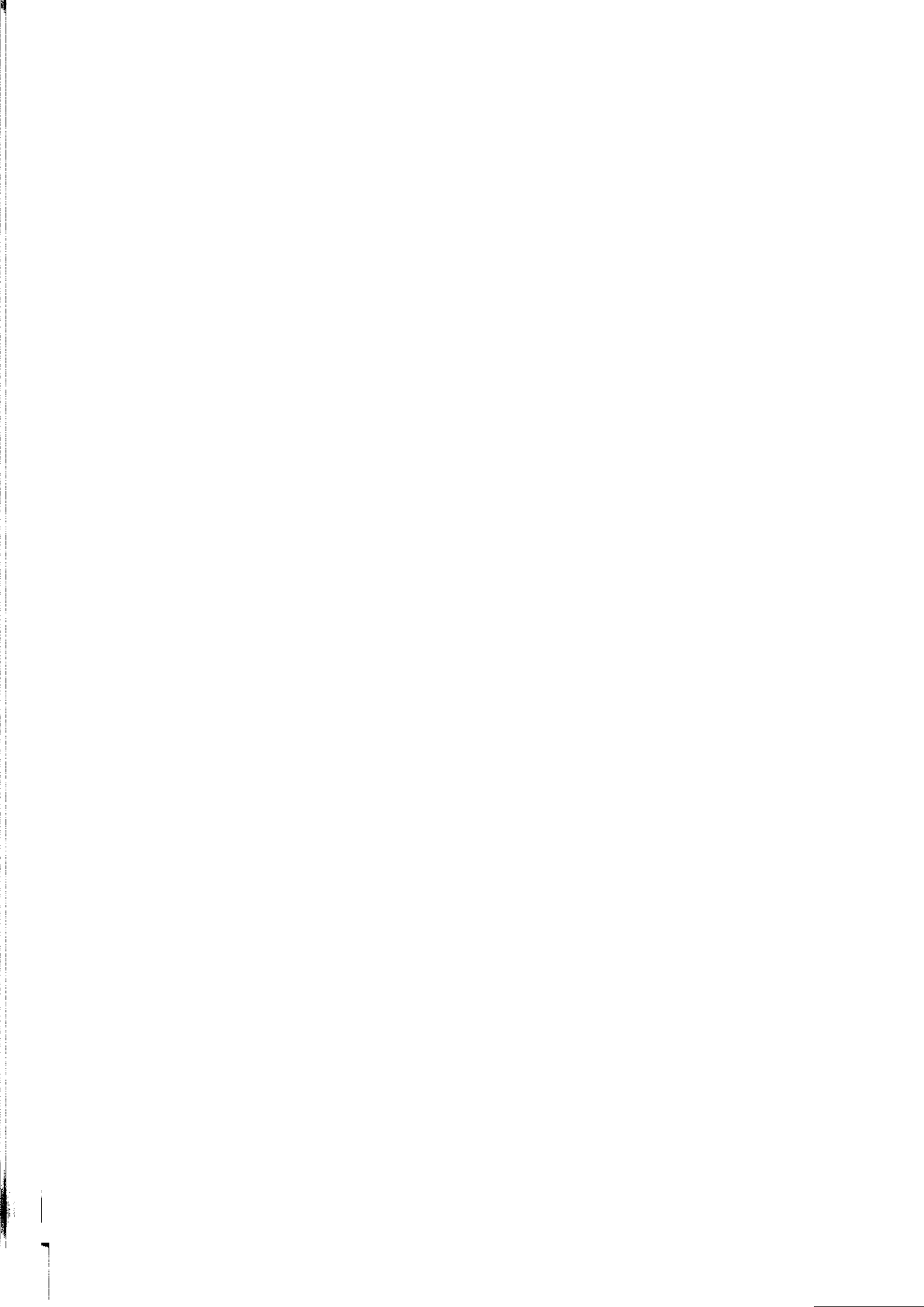


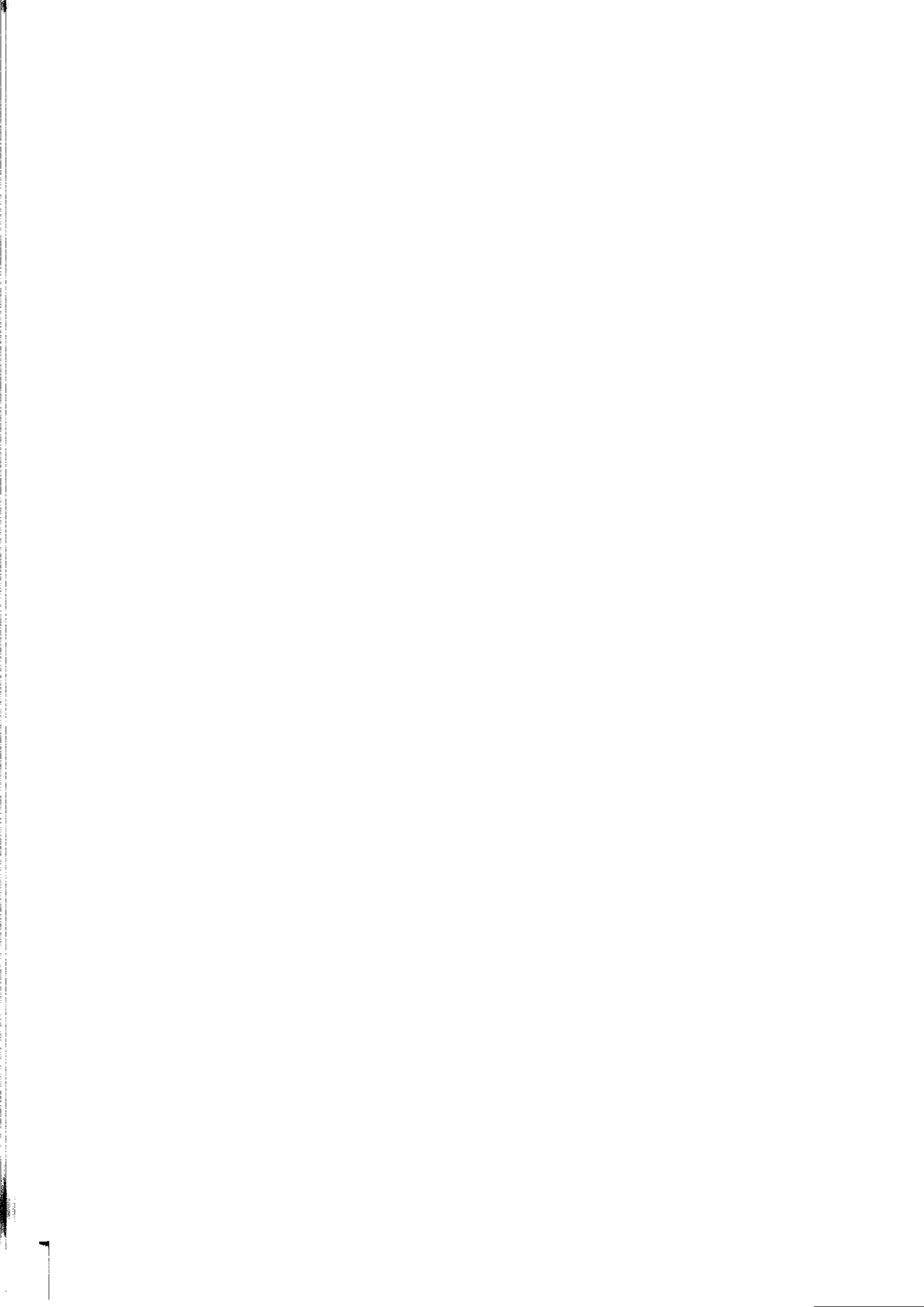


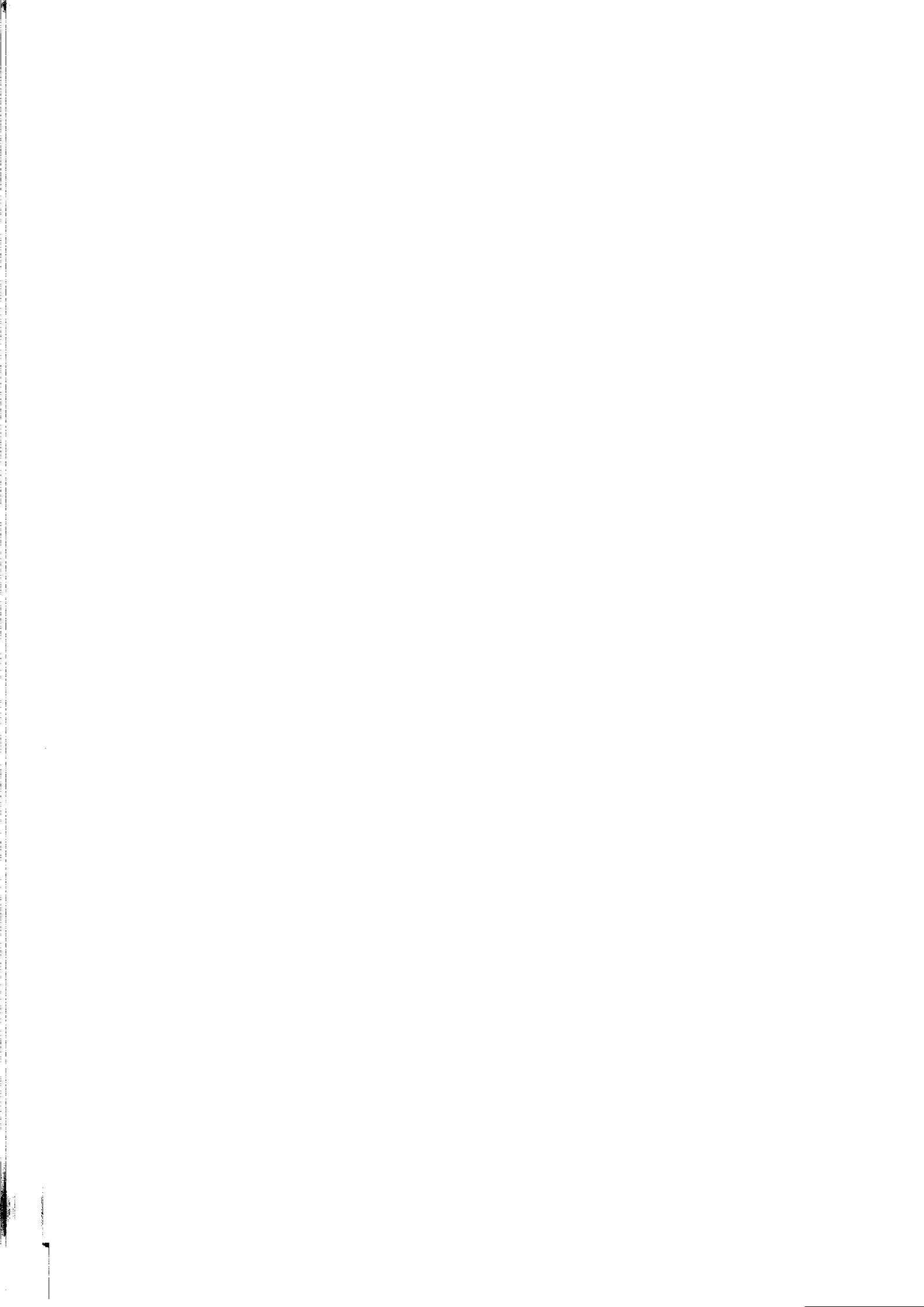


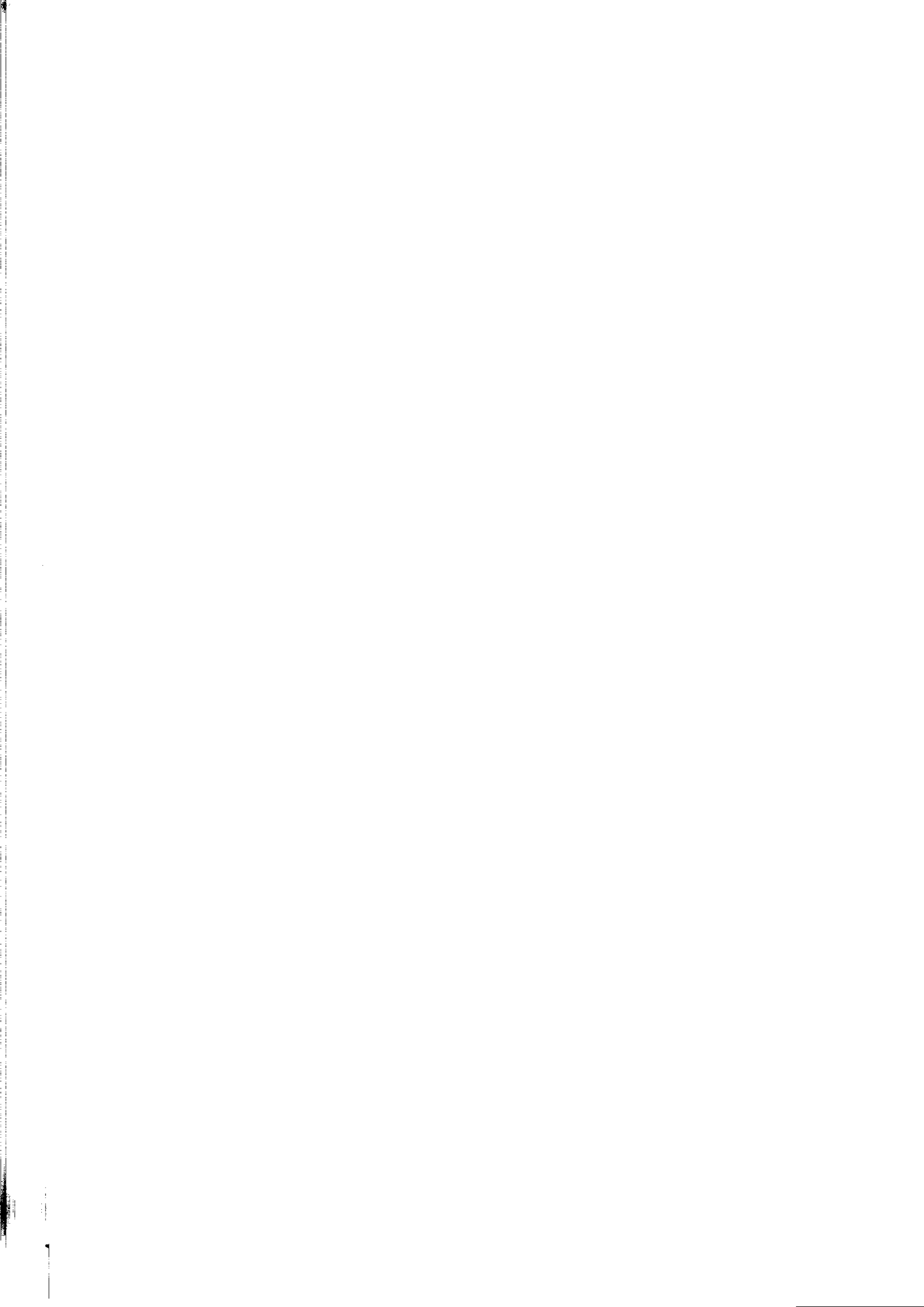


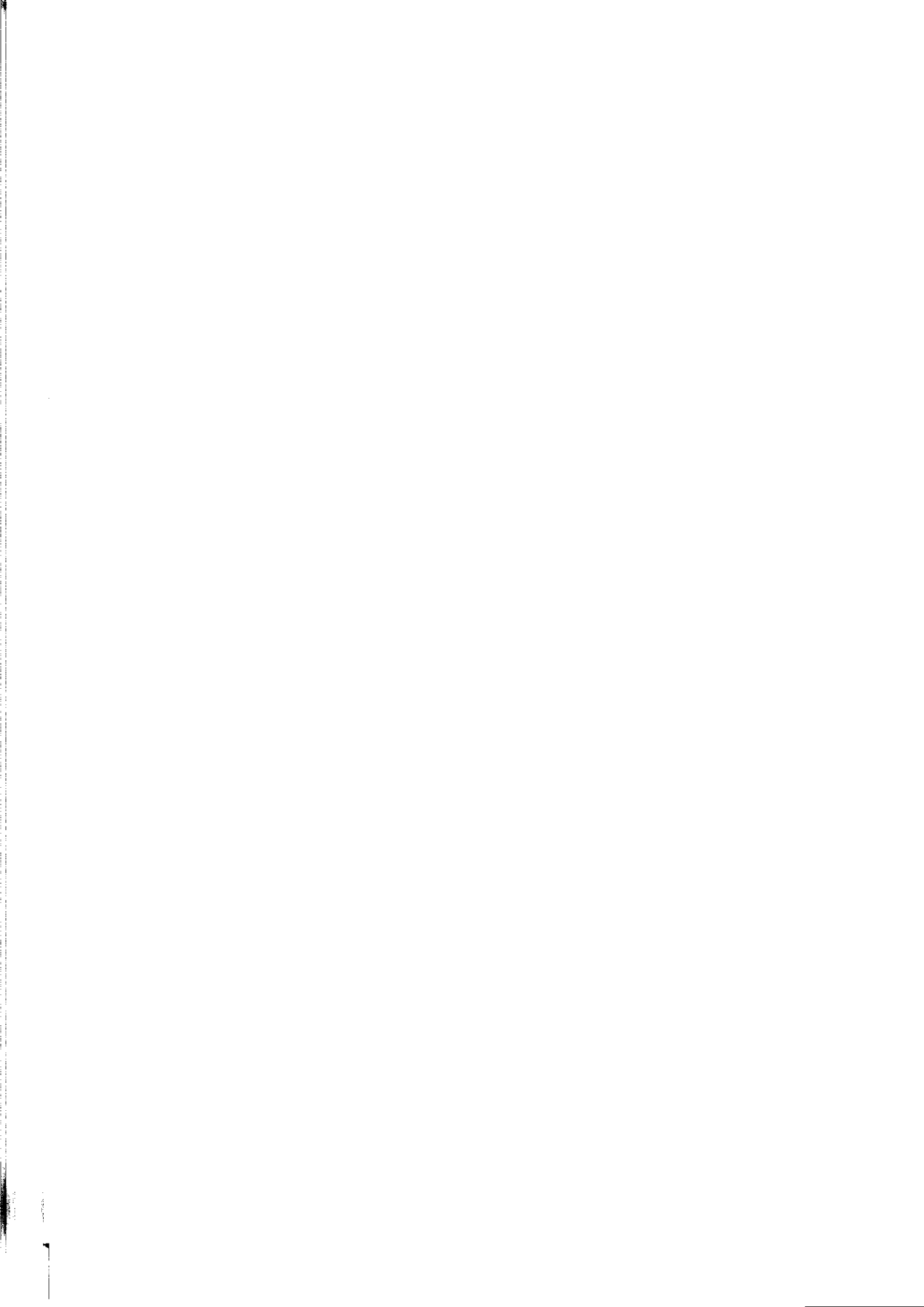


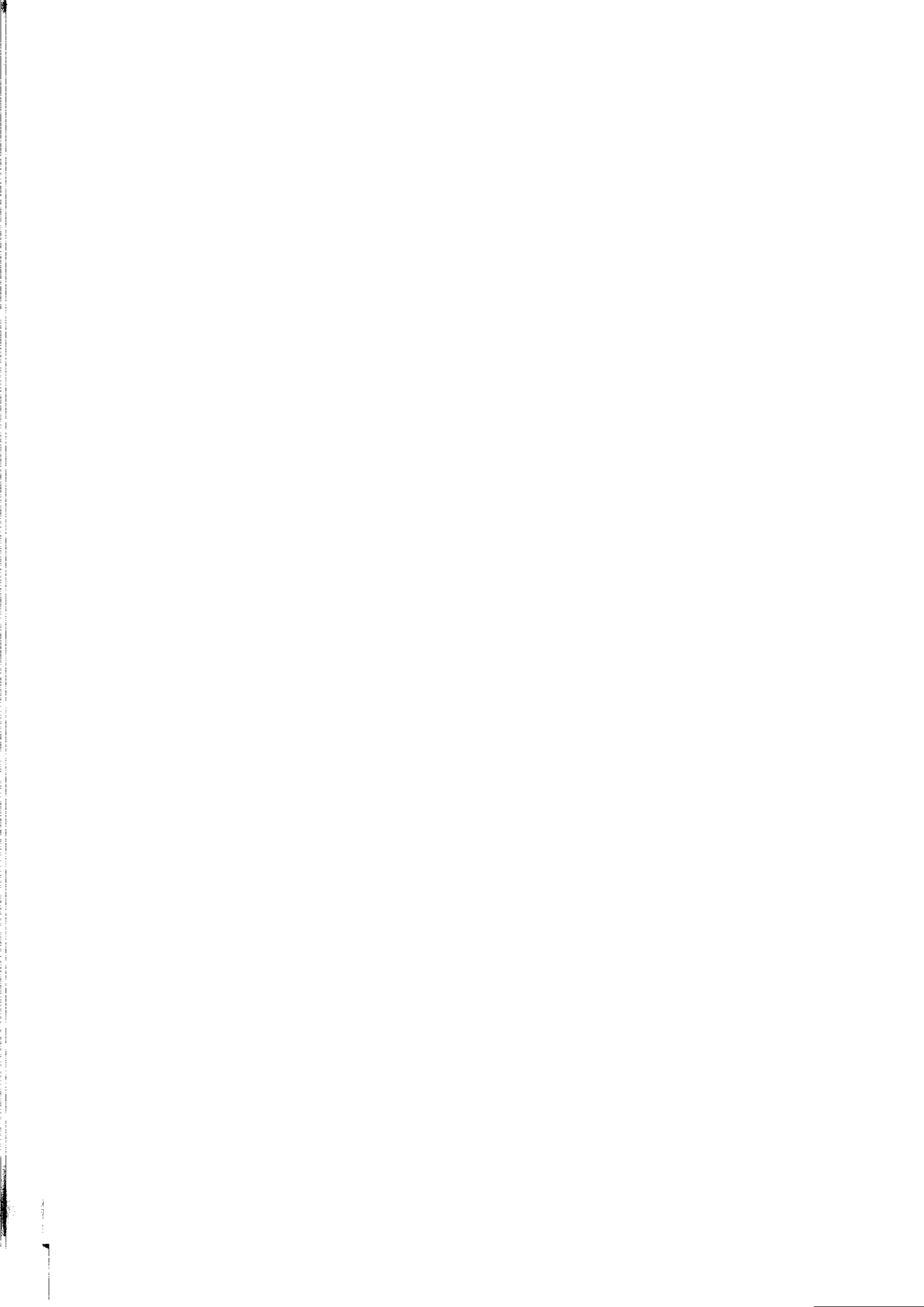


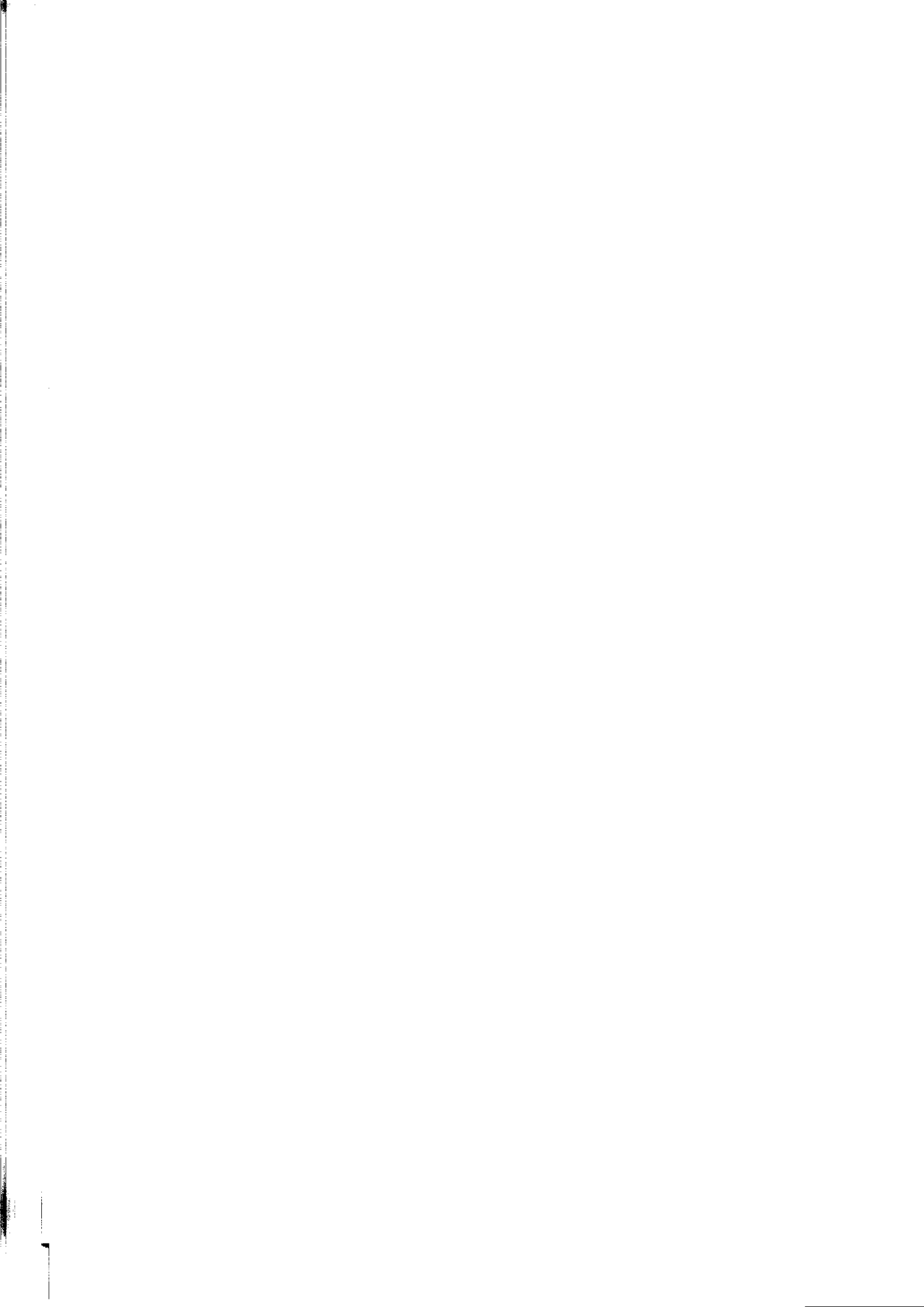


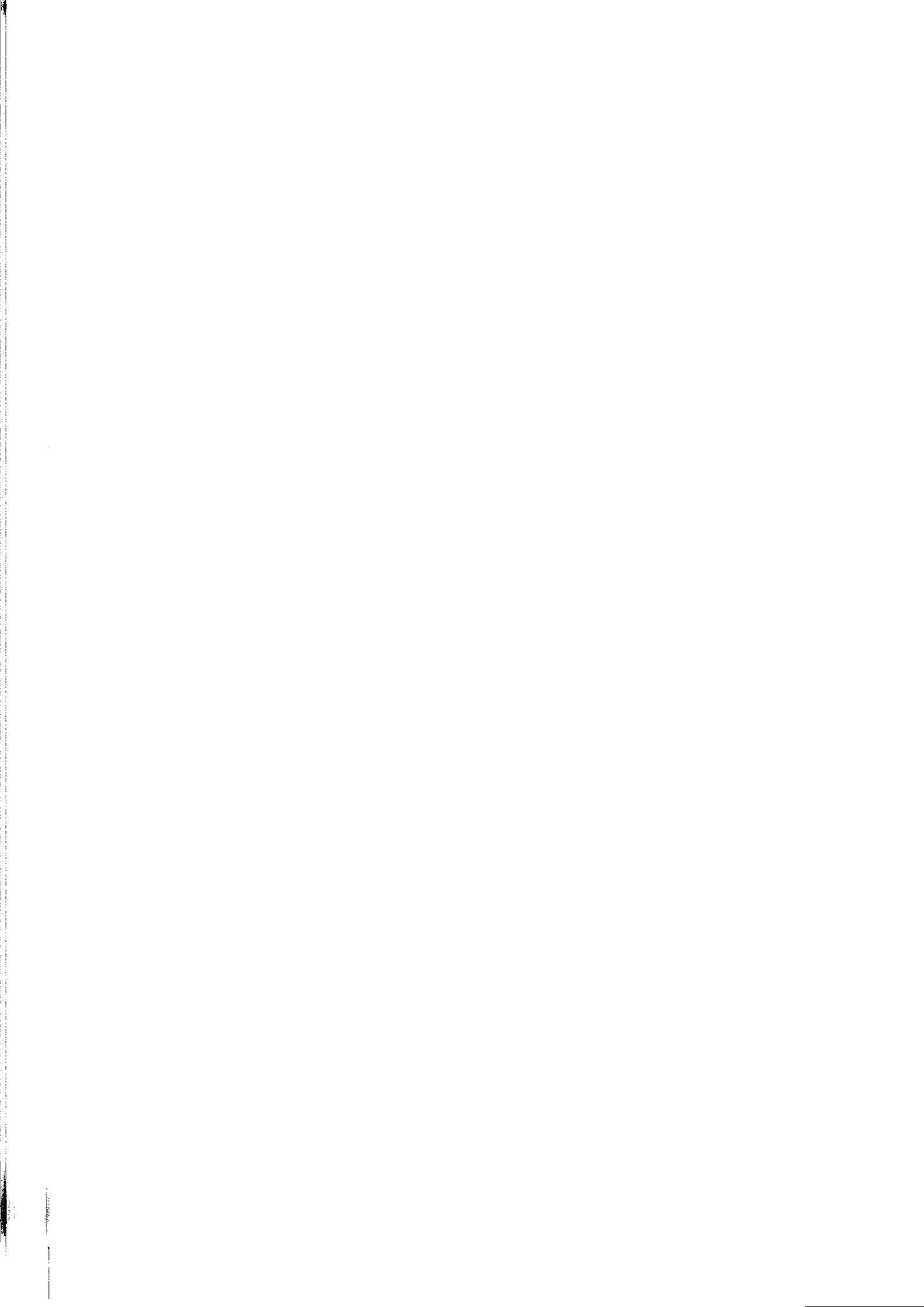


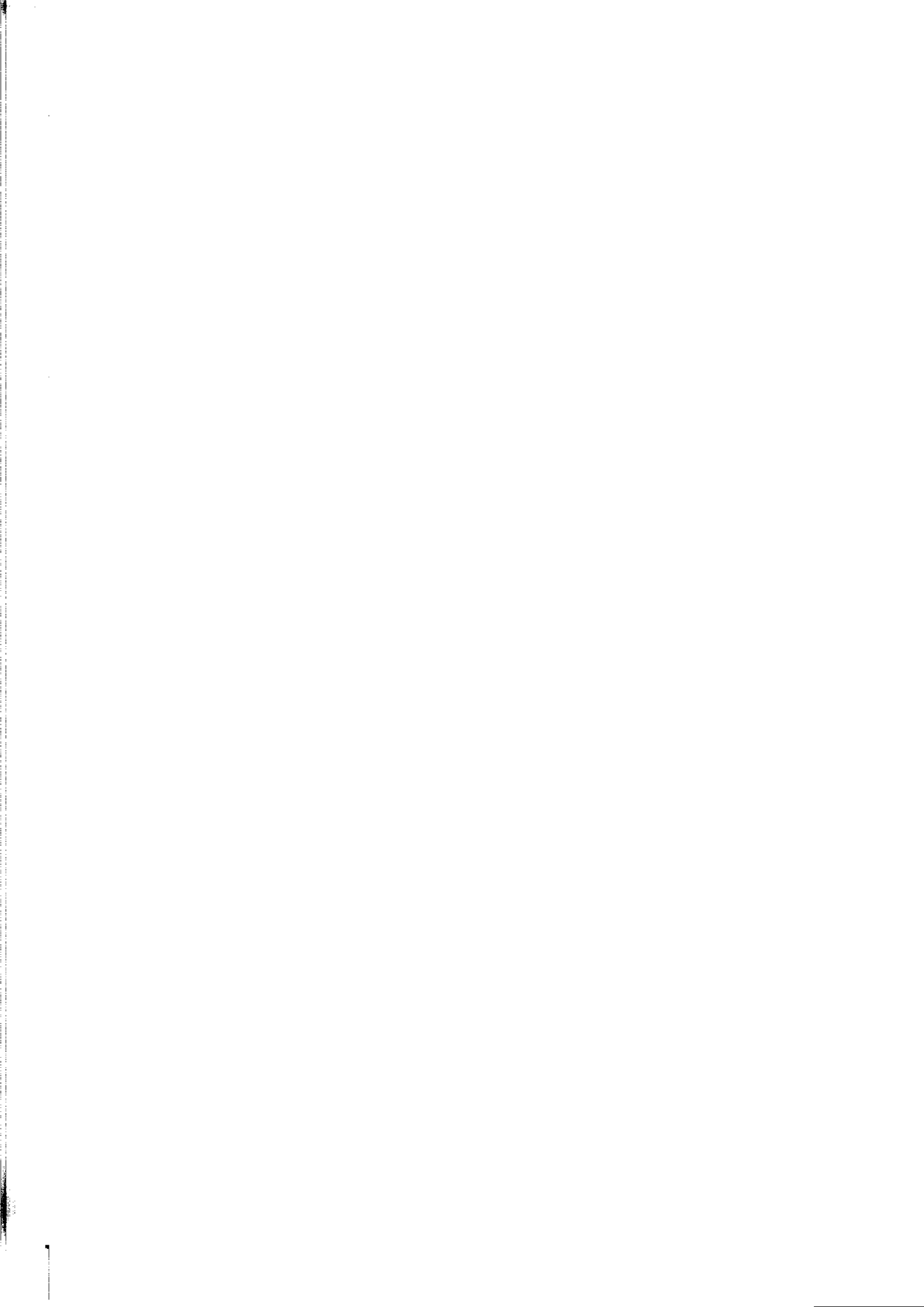


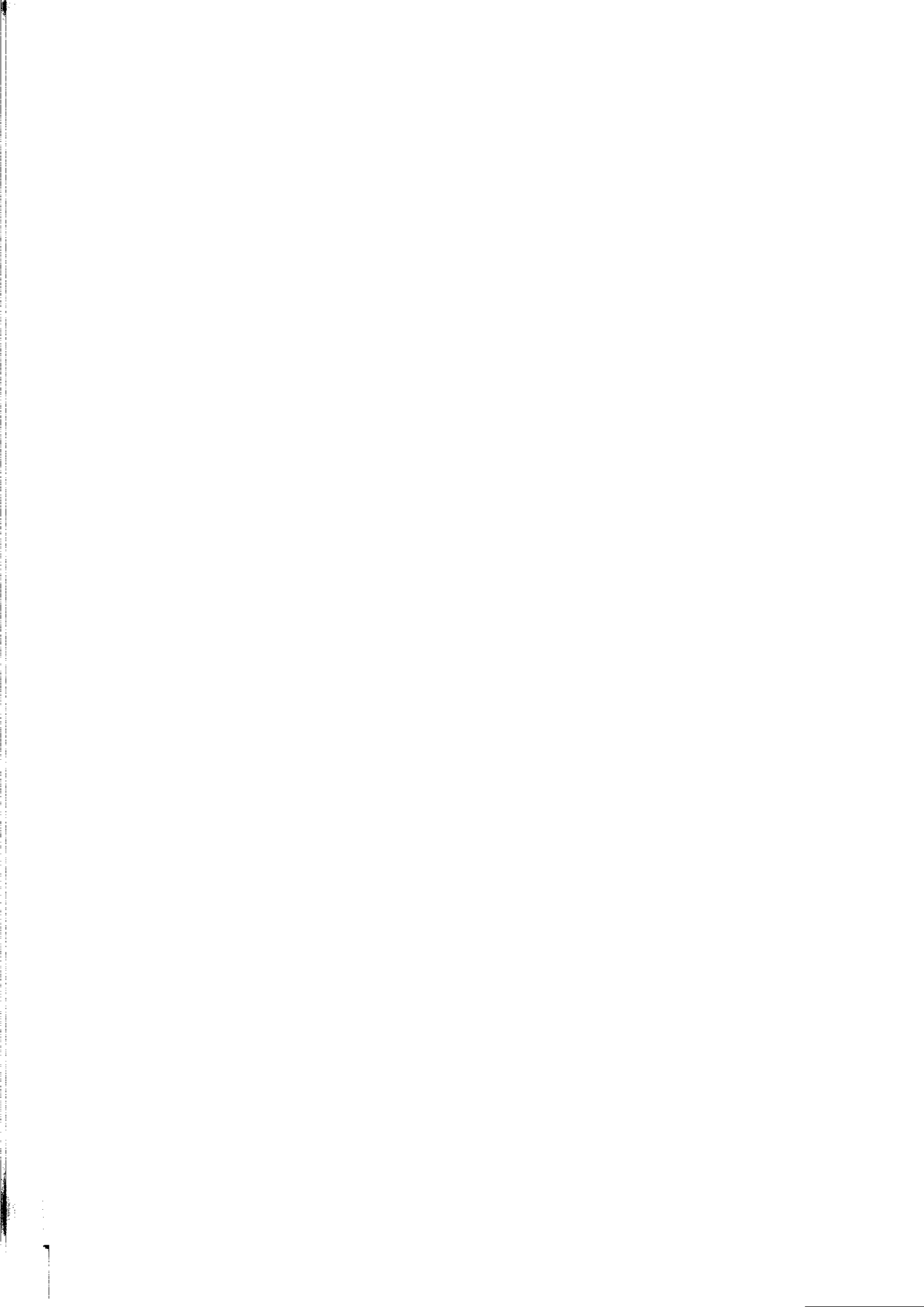














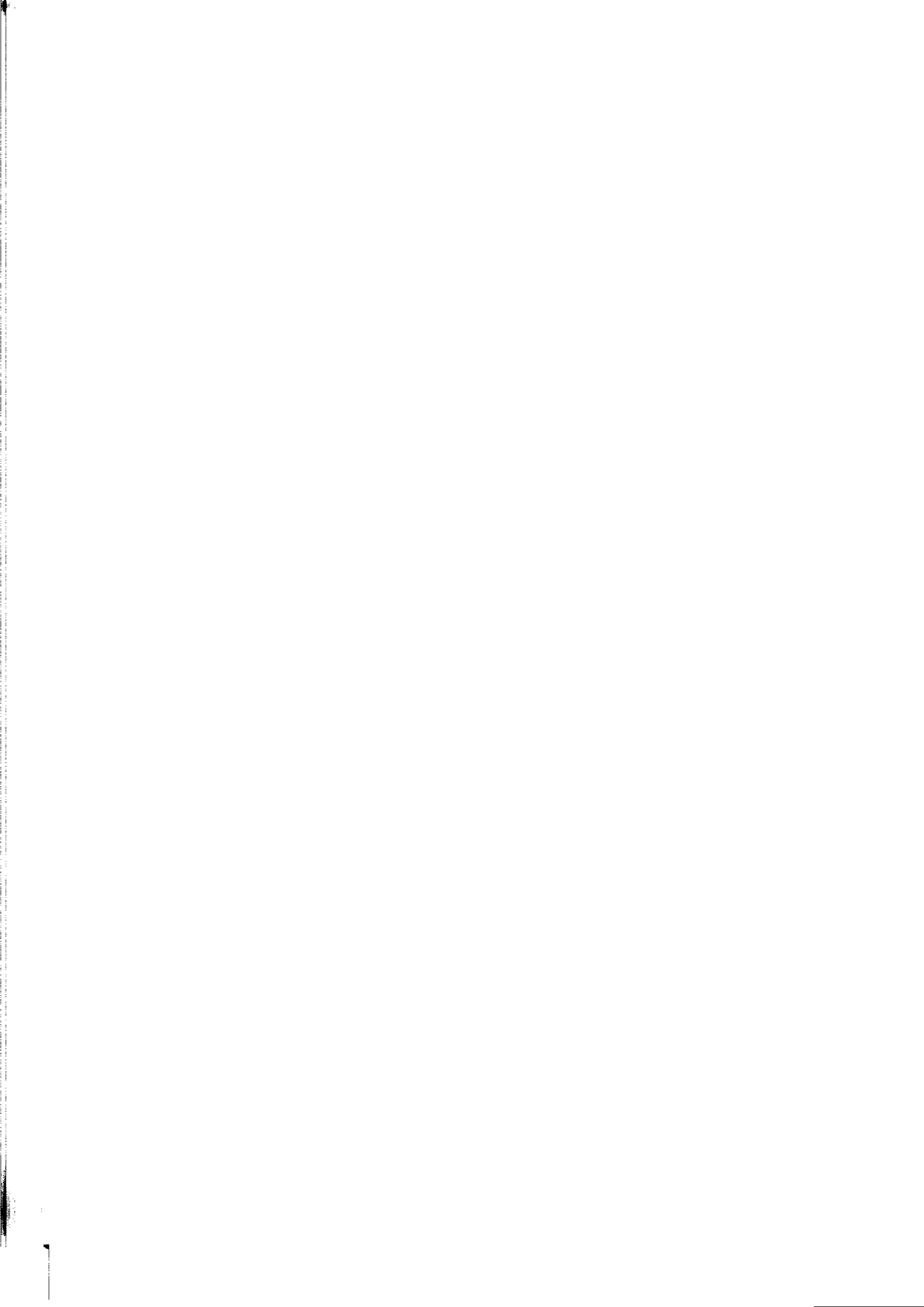




































عليه وسلم - وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنبي - صلى الله عليه وسلم - ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي - صلى الله عليه وسلم - صلاته، رفع موته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثا، وإذا سأل سأل ثلاثا، ثم قال: "اللهم عليك بقريش" ثلاث مرات، فلما سمعوا موته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: "اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأميمة بن خلف، وعقبة بن أبي معيط"، وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمدا - صلى الله عليه وسلم - بالحق لقد رأيت الذين سمى مرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر". (١)

٥ - ومن أشد ما صنع به المشركون - صلى الله عليه وسلم - ما رواه البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير، قال: قلت لعبدالله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمشي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولوى شوبه في عنقه،

(١) البخاري مع الفتح، في كتاب الوضوء، باب إذا أُلقيَ على ظهر المصلي قذر أو

جيفة لم تفسد عليه صلاته ٣٤٩/١، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب

ما لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - من أذى المشركين والمنافقين

فضقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه، ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: (اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم). (١)

وقد اشتد أذى المشركين لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولأصحابه، حتى جاء بعض الصحابة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستنصره، ويسأل منه الدعاء والعون، ولكن النبي الحكيم واثق بنصر الله وتأييده، فإن العاقبة للمتقين.

عن خباب بن الارت - رضي الله عنه - قال: شكونا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، [وقد لقينا من المشركين شدة]، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: "أقد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد [مادون عظامه من لحم أو عصب]، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله

(١) سورة غافر، الآية ٢٨ .

والحديث في البخاري مع الفتح، في كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من المشركين بمكة ١٦٥/٧، وكتاب التفسير، سورة المؤمن ٥٥٢/٨، وكتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ٢٢/٧ .

واللفظ مافق من كتاب المناقب وكتاب التفسير .

والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون". (١)

وهكذا اشتد أذى قريش على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى أصحابه، وما ذلك كله إلا من أجل إعلاء كلمة الله، والمدح بالحق، والشبات عليه، والدعوة إلى التوحيد الخالص، ونبيذ عادات الجاهلية وخرافاتها ووثنياتها.

٦ - لقبي النبي - صلى الله عليه وسلم - أشد الأذى، ووصل الأمر إلى تغيير اسمه - صلى الله عليه وسلم - احتقارا له ولدينه، وحسدا وبغضا له، فقد كان المشركون من قريش من شدة كراهتهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - لا يسمونه باسمه الدال على المدح فيعدلون إلى ضده، فيقولون: منكم، وإذا ذكروه بسوء قالوا: فعل الله بمنكم، ومنكم ليس هو اسمه ولا يعرف به، فكان الذي يقع منهم في ذلك مبروفا إلى غيره بحمد الله تعالى. (٢)

قال صلى الله عليه وسلم: "ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش، ولعنهم! يشتمون مذمما، ويلعنون مذمما، وأنا محمد". (٣)

(١) البخاري مع الفتح في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦/٦١٩، وفي كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقبي النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من المشركين بمكة ٧/١٦٤، وفي كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ١٢/٣١٥، واللفظ من كتاب الإكراه، وما بين المعكوفين من مناقب الأنصار.

(٢) انظر: فتح الباري ٦/٥٥٨ .

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى

الله عليه وسلم ٦/٥٥٤ .

والنبي - عليه الصلاة والسلام - له خمسة أسماء ليس منها مذمما. (١)
جاءت أم جميل زوجة أبي لهب - حين سمعت ما أنزل الله فيها وفي زوجها من القرآن - إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها ملء الكف من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله بصرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر! أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدت لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إنني لشاعرة، ثم قالت:

مذمما عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا. (٢)

استمر المشركون في إلحاق الأذى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبأصحابه الذين أسلموا، وبعد أن زاد عدد المسلمين وكثر عددهم ازداد حنق المشركين على المسلمين، وبسطوا إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء، ولما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك، ورأى أنه في حماية الله ثم عمه أبي طالب، وهو لا يستطيع أن يمنع المسلمين مما هم فيه من العذاب - فقد مات منهم من مات، وعذب من عذب حتى عمي وهو تحت العذاب - فأذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة. (٣)

(١) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥٥٤/٦ .

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٣٧٨/١، ومعنى قولها: قلينا: أي أبغضنا. انظر: المرجع السابق ٣٧٨/١ .

(٣) انظر: زاد المعاد لابن القيم ٢/٢٣، ٢٨، ٣٦، والرحيق المختوم ص ٨٩، وسيرة ابن هشام ٣٤٣/١، والبداية والنهاية ٦٦/٣، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ١٠٩، ٩٨/٢، وتاريخ الإسلام للذهبي - قسم السيرة ص ١٨٢ .

٧ - وعندما رأت قريش انتشار الإسلام، وكثرة من يدخل فيه، وبلغها ما لقي المهاجرون في بلاد الحبشة، من: إكرام وتأمين، مع عودة وفدها خائباً، اشتد حنقها على الإسلام، وأجمعوا على أن يتعاقدوا على بني هاشم، وبني عبدالمطلب، وبني عبد مناف، وأن لا يبايعوهم، ولا يناكحوهم، ولا يكلموهم، ولا يجالسوهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحبس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في شعب أبي طالب ليلة هلال محرم، سنة سبع من البعثة، وبقوا محصورين محبوسين، مضيقاً عليهم جداً، مقطوعاً عليهم الطعام والمادة نحو ثلاث سنين حتى بلغهم الجهد، وسُمِعَ أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشعب.

ومات أبو طالب بعد أن خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن معه من الشعب ستة أشهر، وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام، وقيل غير ذلك. (١)

فاشتد البلاء على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من سفهاء قومه، وتجرؤوا عليه فكاشفوه بالأذى، فازدادوا غماً على غم حتى يئس منهم، فظهرت حكمته بهذا الصبر العظيم، ولم يصدده ذلك عن دعوته إلى الله بل خرج إلى الطائفت رجاء أن يستجيبوا لدعوته أو يؤووه أو ينصروه على قومه، فلم ير من يؤوي، ولم ير ناصرًا، وآذوه مع ذلك أشد الأذى، ونالوا منه ما لم ينله قومه. (٢)

(١) انظر: زاد المعاد ٣/٣٠، وسيرة ابن هشام ١/٣٧١، والبداية والنهاية ٣/٦٤، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاکر ٢/١٠٩، ١٢٧، ١٢٨، وتاريخ الإسلام للذهبي - قسم السيرة من ١٢٦، ١٢٧، والرحيق المختوم من ١١٢ .

(٢) انظر: زاد المعاد ٣/٣١، والرحيق المختوم من ١١٢ .

٢ - مواقف النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد خروجه إلى الطائف :

في شوال، من السنة العاشرة من النبوة، خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الطائف لعله يجد في شقيف حسن الإصغاء لدعوته والانتصار لها، وكان معه زيد بن حارثة مولاه، وكان في طريقه كلما مر على قبيلة دعاهم إلى الإسلام، فلم تجبه واحدة منها، فصبر ولم يعجل.

وقد ظهرت حكمة النبي - صلى الله عليه وسلم - في دعوته إلى الله بعد

خروجه إلى الطائف في عدة مواقف حكيمة منها على سبيل المثال ما يأتي:

١ - موقفه الحكيم في دعوته لأهل الطائف :

عندما وصل الطائف عمد إلى رؤسائها فجلس إليهم، ودعاهم إلى الإسلام، فردوا عليه ردا قبيحا، وأقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحدا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم، فلما أراد الخروج تبعه هؤلاء السفهاء واجتمعوا عليه صفين يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه حتى اختضب نعله بالدماء، وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه، ورجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الطائف إلى مكة محزوناً، كسير القلب، وفي طريقه إلى مكة أرسل الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة، وهما جبالها اللذان هي بينهما. (١)

(١) انظر: زاد المعاد ٣/٣١، والرحميق المختوم ص١٢٢، وهذا الحبيب ص١٣٢،

ب - حكمته العظيمة في جوابه لملك الجبال :

عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: "لقد لقيت من قومك [ما لقيت]، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال(١)، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الشعالب(٢)، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي، ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت(٣)؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً". (٤)

(١) ابن عبد ياليل بن كلال من أكابر أهل الطائف من ثقيف. الفتح ٣١٥/٦ .

(٢) وهو ميقات أهل نجد، ويقال له: قرن المنازل، ويعرف الآن بالسيل الكبير.

انظر: الفتح ١١٥/٦ .

(٣) استفهام، أي: فأمرني بما شئت. انظر: فتح الباري ٣١٦/٦ .

(٤) البخاري مع الفتح في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة

في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ٣١٢/٦، ومسلم

بلفظه في كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي - صلى الله عليه وسلم

من أذى المشركين والمنافقين ١٤٢٠/٣ .

وما بين المعكوفين من البخاري .

وفي هذا الجواب الذي أدلى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تتجلى شخصيته الغدة، وما كان عليه من الخلق العظيم الذي أمده الله به .

وفي ذلك بيان شفقتة على قومه، ومزيد صبره وطمه، وهذا موافق لقوله تعالى: (فبما رحمة من الله لنت لهم)(١)، وقوله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)(٢)، فصلوات الله وسلامه عليه.(٣)

وأقام - صلى الله عليه وسلم - بمنظة أياما، وصمم على الرجوع إلى مكة، وعلى القيام باستئناف خطته الأولى في عرض الإسلام وإبلاغ رسالة الله الخالدة، بنشاط جديد، وجد، وحماس، وحينئذ قال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟ فقال: "يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا، وإن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه".

ج - حكمته في دخوله إلى مكة في جوار المطعم بن عدي :

ثم سار حتى وصل مكة فأرسل رجلا من خزاعة إلى مطعم بن عدي ليدخل في جواره، فقال مطعم: نعم، ودعا بنبيه وقومه فقال: البسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت فيأني قد أجرت محمدا، فدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المطعم بن عدي على راحلته فنادى: يا معشر قريش إنني قد أجرت محمدا فلا يهجه أحد منكم، فانتهى

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧ .

(٣) انظر: البخاري مع الفتح ٣١٦/٦، والرحيق المختوم ص ١٢٤ .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الركن، فاستلمه وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته، والمطعم بن عدي وولده محققون به بالسلاح حتى دخل بيته. (١)

وفي هذه المواقف العظيمة التي وقفها النبي - صلى الله عليه وسلم - في رحلته إلى الطائف دليل واضح على تصميمه الجازم في الاستمرار في دعوته وعدم اليأس من استجابة الناس لها، وبحث عن ميدان جيد للدعوة، بعد أن قامت الحواجز دونها في ميدانها الأول.

وفي ذلك دليل على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان أستاذًا في الحكمة، وذلك لأنه حينما قدم الطائف اختار الرؤساء وسادة شقيف في الطائف، وقد علم أنهم إذا أجابوه أجابت كل قبائل أهل الطائف.

وفي سيل الدماء من قحمي النبي صلى الله عليه وسلم - وهو النبي الكريم - أكبر مثل لما يتحملة الداعية في سبيل الله من أذى واضطهاد؛ ولكن الله عز وجل عوضه بخير من أهل الطائف، فقد استمع الجن القرآن من النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يصلي بنخلة، فأسلموا، وحملوا الإسلام إلى أقوامهم.

وعدم دعائه على قومه، وعلى أهل الطائف، وعدم موافقة ملك الجبال في إطباق الأخشبين على أهل مكة أكبر مثل لما يتحملة الداعية في صبره على من رد دعوته، وعدم اليأس من هدايتهم، فربما يخرج الله من أضلابهم من يعبد الله لايشرك به شيئاً.

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/٢٨، وزاد المعاد ٣/٣٣، والبداية والنهاية ٣/١٣٧،

ومن حكمته - صلى الله عليه وسلم - أنه لم يدخل مكة إلا بعد أن دخل في جوار المطعم بن عدي، وهكذا ينبغي للداعية أن يبحث عن يحميه من أعدائه، ليقوم بدعوته على الوجه المطلوب. (١)

د - من مواقفه الحكيمة في الأسواق والمواسم :

بأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - دعوته في مكة بعد عودته من الطائف في شهر ذي القعدة سنة عشر من النبوة، فكان يذهب إلى المواسم التي تقام في الأسواق مثل عكاظ، ومجنة، وذي مجاز، وغيرها، التي تحضرها القبائل العربية للتجارة والاستماع لما يلقي فيها من الشعر، ويعرض نفسه على هذه القبائل يدعوها إلى الله تعالى، وجاء موسم الحج لهذه السنة فأتاهم قبيلة قبيلة يعرض عليهم الإسلام كما كان يدعوهم منذ السنة الرابعة من النبوة.

وكان - صلى الله عليه وسلم - يرغب جميع الناس بالفلاح، فعن عبدالرحمن ابن أبي الزناد عن أبيه، قال: أخبرني رجل يقال له: ربيعة بن عباد، من بني الدليل، وكان جاهلياً، قال: "رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه، أحول، ذو غديرتين، يقول: إنه صابئ كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه، فذكروا لي نسب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقالوا: هذا عمه أبو لهب". (٢)

(١) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي ص ٥٨، وهذا الحبيب

يامص ص ١٣٤ .

(٢) أخرجه أحمد ٣٤١/٤، ٤٩٢/٣، وسنده حسن، وله شاهد عند ابن حبان برقم ١٦٨٢

(موارد) من حديث طارق بن عبدالله المحاربي.

وفي موسم الحج من السنة الحادية عشرة من النبوة، عرض النبي - صلى الله عليه وسلم - نفسه على القبائل، وبينما الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعرض نفسه، مر بعقبة منى فوجد بها ستة نفر من شباب يثرب، فعرض عليهم الإسلام، فأجابوا دعوته ورجعوا إلى قومهم وقد حملوا معهم رسالة الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم. (١)

ثم استدار العام وأقبل الناس إلى الحج سنة ١٢ من النبوة، وكان بين حجاج يثرب اثنا عشر رجلاً، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد اتصلوا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في العام السابق، والتفوا حسب الموعد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند العقبة بمنى، وأسلموا وبايعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيعة النساء. (٢)

عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال وحوله عصابة من أصحابه: "اتعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا بيهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئاً

(١) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ١٣٧/٢، وهذا الحبيب يا محب ١٤٥/٢،

والرحيق المختوم من ١٣٢، وزاد المعاد ٤٥/٣، وسيرة ابن هشام ٣٨/٢،

والبداية والنهاية ١٤٩/٣ .

(٢) انظر: زاد المعاد ٤٦/٣، والرحيق المختوم من ١٣٩، والتاريخ الإسلامي ١٣٩/٢،

وهذا الحبيب من ١٤٥، وسيرة ابن هشام ٣٨/٢ .

فستره الله عليه فأمره إلى الله: إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه" فبايعناه على ذلك. (١)

وبعد أن انتهت المبايعة، وانتهى الموسم بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - مع هؤلاء مصعب بن عمير - رضي الله عنه - ليعلم المسلمين شرائع الإسلام، وليقوم بنشر الإسلام، وقد قام بذلك - رضي الله عنه - أتم قيام، وفي موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة حضر لأداء الحج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان، وكلهم قد أسلموا.

فلما قدموا مكة واعدوا النبي - صلى الله عليه وسلم - عند العقبة، وجاءهم على موعدهم، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قالوا: يا رسول الله، على ما نبايعك؟ فقال: "تبايعوني على: السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعوا منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة"، فقمنا إليه فبايعناه. (٢)

ويعد عقد هذه البيعة جعل عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اثني

(١) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي - صلى

الله عليه وسلم - في مكة ٢١٩/٧، وكتاب الإيمان، باب حدثنا أبو اليمان

.٦٤/١

(١) أحمد في المسند ٣/٢٢٢، والبيهقي ٩/٩، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي

٦٢٤/٢، وحسن إسناده الحافظ في الفتح ١١٧/٧ .

عشر زعيما، يكونون نقباء على قومهم، وكانوا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، ثم رجعوا إلى يثرب، وعندما وصلوا أظهروا الإسلام فيها، ونفع الله بهم في الدعوة إلى الله تعالى. (١)

بعد أن تمت بيعة العقبة الثانية ونجح النبي - صلى الله عليه وسلم - في تأسيس وطن للإسلام، انتشر الخبر في مكة كثيرا، وشبت لقريش أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد بايع أهل يثرب، فاشتد أذاهم على من أسلم في مكة، فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالهجرة إلى المدينة، فهاجر المسلمون، فاجتمع قريش في يوم ٢٦ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة، وأجمعوا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم، فأوحى الله إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك؛ ولحسن سياسته وحكمته أمر عليا أن يبني في فراشه تلك الليلة، فبقي المشركون ينظرون إلى علي من صير الباب (١)، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومر بأبي بكر، وهاجر إلى المدينة. (٢)

وهذه المواقف العظيمة التي وقفها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دليل واضح على حكمة النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى صبره، وشجاعته، وأنه -

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٤٩/٢، والبدائية والنهاية ١٥٨/٢، والتاريخ الإسلامي

لمحمود شاکر ١٤٢/٢، والرحيق المختوم ص ١٤٣ .

(٢) صير الباب: هو شق الباب. انظر: المعجم الوسيط، مادة: صار ٥٢١/١ .

(٣) انظر: سيرة ابن هشام ٩٥/٢، والبدائية والنهاية ١٧٥/٢، وزاد المعاد ٥٤/٢،

والسيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي ص ٦١، والتاريخ الإسلامي

لمحمود شاکر ١٤٨/٢، وهذا الحبيب يا محب ص ١٥٦ .

صلى الله عليه وسلم - حينما علم بأن قريشا قد طغت، ورفضت الدعوة بحث عن مكان يتخذ قاعدة للدعوة الإسلامية، ولم يكتف بذلك، بل أخذ منهم البيعة والمعاهدة على نصرته الإسلام، وتم ذلك في مؤتمرين: بيعة العقبة الأولى، ثم الثانية، وعندما وجد مكان الدعوة الذي يتخذ قاعدة لها، ووجد أنصار الدعوة أذن بالهجرة لأصحابه، وأخذ هو بالأسباب عندما تأمرت عليه قريش، وهذا لايعتبر جبناً، ولا فرارا من الموت، ولكن يعتبر أخذاً بالأسباب مع التوكل على الله تعالى، وهذه السياسة الحكيمة من أسباب نجاح الدعوة، وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة إلى الله، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - هو قدوتهم وإمامهم. (١)

(١) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر ص ٦٨ .

المطلب الثاني : مواقف النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد الهجرة :

١ - مواقف الحكمة في الإصلاح والتأسيس :

عندما وصل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة كان فيها مجموعات من السكان متباينة في عقيدتها، مختلفة في أهدافها، متفرقة في اجتماعاتها، وكانت لديهم خلافات بعضها قديم موروث، وبعضها حديث موجود، وقد كانت هذه المجموعات على ثلاثة أصناف:

١ - المسلمون، من : الأوس، والخزرج، والمهاجرين.

٢ - المشركون، من : الأوس، والخزرج، الذين لم يدخلوا في الإسلام.

٣ - اليهود، وهم عدة قبائل: بنو قينقاع، وقد كانوا حلفاء الخزرج. وبنو

النضير، وبنو قريظة، وهاتان القبيلتان كانتا حلفاء الأوس.

وقد كان هناك خلاف مستحکم بين الأوس والخزرج، وكانت بينهما حروب في

الجاهلية، وآخرها يوم بعاث ولا يزال في النفوس شيء منها. (١)

لقد قام النبي - صلى الله عليه وسلم - بحل هذه المشكلات كلها، بحكمته

العظيمة، وحسن سياسته، وكان حله وإصلاحه لهذه الأوضاع، وجمعه لشمل المسلمين

كالتالي:

(١) انظر: البخاري مع الفتح، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ

مكانها مساجد ٥٢٤/١، ومسلم، كتاب المساجد، باب بناء مسجد النبي صلى

الله عليه وسلم ٢٧٢/١، ٢٧٤، والبدائية والنهاية ٢١٤/٣، وسيرة ابن هشام

١١٤/٢، وزاد المعاد ٦٢/٣، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ١٥٩/٢، والرحيق

المختوم ص ١٧١، وهذا الحبيب يا محب ص ١٧٤، وفقه السيرة لمحمد الغزالي

ص ١٨٨ .

١ - كان أول عمل قام به - صلى الله عليه وسلم - في الإصلاح والتأسيس ببناء المسجد النبوي، واشترك المسلمون جميعاً في البناء، وعلى رأسهم إمامهم محمد صلى الله عليه وسلم، وكان أول عمل تعاوني عام، وحد بين القلوب، وأظهر الهدف العام للعمل، وقد كان لكل حي في المدينة - قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم - مكان يلتقون فيه، فيسمرون ويسهرن، وينشدون الأشعار، فكانت هذه الحال تدل على التفرقة والاختلاف، فعندما بُني المسجد كان مركز المسلمين جميعاً، ومكان تجمعهم، يلتفون به في كل وقت، ويسألون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيعلمهم ويرشدهم ويوجههم. (١)

وبهذا تجمعت الأنديّة، والتفت الأحياء، واقتربت القبائل، وتحابت البطون، وانقلبت التفرقة إلى وحدة، ولم تعد في المدينة جماعات، بل جماعة واحدة، ولم تعد زعامات، بل قائد واحد، هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتلقى من ربه الأوامر والنواهي، ويعلم أمته، فأصبح المسلمون صفاً واحداً، وامتزجت النفوس والعقليّات، وتقوت الوحدة، وتآلفت الأرواح، وتعاونت الأجسام. (٢)

ولم يكن المسجد موضعاً لأداء الملوات الخمس فحسب، بل كان جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، ويجمعون فيه، وتلتقي فيه العناصر القبليّة المختلفة التي طالما نافرت بينها النزعات الجاهليّة وحروبها، وقاعدة لإدارة جميع الشؤون، وبث الانطلاقات، وموضع لعقد المجالس الاستشارية

(١) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي - صلى الله

عليه وسلم - وأصحابه ٢٣٩/٧، ٢٤٠.

(٢) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاکر ١٦١/٢، ١٦٢، والرحيق المختوم ص ١٧٩.

والتنفيذية.

ولهذا ما أقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكان في المدينة إلا كان أول ما يفعله بناء مسجد يجتمع فيه المؤمنون، فقد أقام مسجد قباء حين أقام فيها، وصلى الجمعة في بني سالم بن عوف، بين قباء والمدينة، في بطن وادي (رانوناء) فلما أن وصل إلى المدينة كان أول عمل عمله بناء المسجد فيها. (١)

٢ - ومن قواعد الإصلاح والتأسيس التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم - بعد أن دخل المدينة - الاتمال باليهود بواسطة عبدالله بن سلام - رضي الله عنه - ودعوتهم إلى الإسلام.

فعن أنس - رضي الله عنه - قال: بلغ عبدالله بن سلام مقدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة، فأتاه، فقال: إنني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خبرني بهن آنسفا جبريل"، قال ابن سلام: ذلك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها" [قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنتك رسول الله]، قال:

(١) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر، ص٧٤، وفقه السيرة ص١٨٩، وهذا

يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، إن علموا بـإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، [فأرسل نبي الله - صلى الله عليه وسلم - فأقبلوا فدنظوا عليه، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر اليهود، وياكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنني رسول الله حقاً، وأنني جئتكم بحق، فأسلموا"، قالوا: ما نعلمه، - قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم، قالها ثلاث مرار - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأى رجل فيكم عبدالله بن سلام؟ قالوا: ذلك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: أفرايتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: أفرايتم إن أسلم، قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: يا ابن سلام اخرج عليهم، فخرج، فقال: يا معشر اليهود، اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت، [شرنا، وابن شرنا] ووقعوا فيه. (١)

ومذه أول تجربة تلقاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من اليهود عند دخول المدينة. (٢)

ومن حسن سياسته - صلى الله عليه وسلم - أنه وافق على إخفاء عبدالله بن

(١) البخاري مع الفتح، في كتاب أحاديث الأنبياء ٣٦٢/٦، وفي كتاب مناقب

الأنصار ٢٥٠/٧، ٢٧٢/٧، والألفاظ من المواضع الثلاثة، وانظر أيضاً: البخاري

مع الفتح ١٦٥/٨، والبداية والنهاية ٢١٠/٣ .

(٢) انظر: الرحيق المختوم ص ١٧٥، وهذا الحبيب يا محب ص ١٧٥، وفقه السيرة

لمحمد الغزالي ص ١٩٨، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاکر ١٧٢/٢ .

سلام حتى يسأل اليهود عن مكانته بينهم، وعندما أثنوا عليه، ورفعوا من قدره أمره بالخروج فخرج وأعلن شهادته، وأظهر ما كان يكتمه اليهود من صدق النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم انه - صلى الله عليه وسلم - ضبطهم بالمعاهدة التي ستأتي.

٢ - وكما قام النبي - صلى الله عليه وسلم - بالبداة ببناء المسجد ودعوة اليهود إلى الإسلام، قام - صلى الله عليه وسلم - بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهذا من الرشد، والكمال النبوي، والنضج السياسي، والحكمة المحمدية. (١)

آخى بينهم - صلى الله عليه وسلم - في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلاً، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله عز وجل: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) (٢)، رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة. (٣)

ذابت عصبية الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام، وسقطت فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتقدم أحد أو يتأخر إلا بمروءته وتقواه، وكانت عواطف الأخوة، والإيثار، والمواساة، والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال؛ وفي هذه الأخوة أقوى مظهر من مظاهر عدالة الإسلام الإنسانية والأخلاقية. (٤)

(١) انظر: هذا الصبيب يا محب، لأبي بكر الجزائري من ١٧٨ .

(٢) سورة الأنفال، الآية ٧٥ .

(٣) انظر: زاد المعاد ٦٢/٢، والرحيق المختوم من ١٨٠ .

(٤) انظر: فقه السيرة ٦٢/٣، والرحيق المختوم من ١٨٠ .

ولم تكن هذه المؤاخاة معاهدة دونت على الورق فحسب، ولا كلمات قيلت باللسان فقط؛ وإنما كانت مؤاخاة سجلت على صفحات القلوب، وعملا يرتبط بالدماء والأموال، لا كلاما يثرثر به اللسان، إنها مؤاخاة في القول والعمل، والنفس والمتاع والأموال، في العسر واليسر. (١)

ومن أروع الأمثلة لذلك ما رواه البخاري في صحيحه "آخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين عبدالرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع، فقال سعد: قد علمت الأنصار أنني من أكثرها مالا، فسأقسم مالي بيني وبينك نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، فقال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدوة ثم جاء يوما وبه أثر صفرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "مهيم؟" (٢)، قال: تزوجت امرأة من الأنصار، فقال: "ما سقت فيها؟" قال: وزن نواة من ذهب، أو نواة من ذهب، فقال: "أولم ولو بشاة". (٣)

(١) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاکر ١٦٥/٢، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ص ١٩٢ .

(٢) مهيم: كلمة استفهام، أي: ما حالك، وما شأنك؟ انظر: القاموس المحيط، باب الميم، فصل الميم ص ١٤٩٩ .

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي - صلى الله عليه وسلم - بين المهاجرين والأنصار، ١١٢/٧ حديث رقم ٢٧٨٠، ٢٧٨١، واللفظ من الموضوعين، وانظر: باب كيف آخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه، في نفس الكتاب السابق.

وهذه المؤاخاة حكمة فذة، وسياسة صائبة، وحلا رائعا لكثير من المشاكل التي كان يواجهها المسلمون.

٤ - وقد كان - صلى الله عليه وسلم - يتعهد أصحابه بالتعليم والتربية وتزكية النفوس، والحث على مكارم الأخلاق، ويؤدبهم بآداب الود والاخاء والمجد والشرف والعبادة والطاعة. (١)

فقد كان يحثهم على الإنفاق، ويذكر من فضائله ما يشوق النفوس والقلوب، وكان يحث على الاستعفاف عن المسألة، ويذكر لهم فضل الصبر والقناعة، وكان يرغبهم في العبادات بما فيها من الفضائل والأجر والثواب، وكان يربطهم بالوحي النازل من السماء ربطا موثقا يقرؤه عليهم ويقرؤونه، لتكون هذه الدراسة إشعارا بما عليهم من حقوق الدعوة، فضلا عن ضرورة الفهم والتدبير.

وهكذا رفع - صلى الله عليه وسلم - معنوياتهم، ودربهم على أعلى القيم والمثل حتى صاروا صورة لأعلى قمة من الكمال الإنساني.

بمثل هذا استطاع النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يبني مجتمعا مسلما أروع وأشرف مجتمع عرفه التاريخ، وأن يضع لمشاكل هذا المجتمع حلا بعد أن كان يعيش في ظلمات الجهل والخرافات، فأصبح مجتمعا يضرب به المثل في جميع الكمال الإنساني، وهذا بفضل الله وحده، ثم بفضل هذا النبي الحكيم، فحري بالدعاة أن يسلكوا مسلكه، ويهتدوا بهديه صلوات الله وسلامه عليه. (٢)

(١) انظر: الرحيق المختوم ص١٧٩، ١٨١، والتاريخ الإسلامي، لمحمود شاکر ١٦٥/٢ .

(٢) انظر: الرحيق المختوم ص١٨٢ .

٥ - وبعد أن قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، عقد معاهدة أزاح بها كل ما كان من حزازات الجاهلية والنزعات القبيلية، ولم يترك مجالاً لتقاليد الجاهلية، وقد وضع في هذه المعاهدة ميثاقاً للمهاجرين والأنصار، متضمناً موادعة اليهود بالمدينة، وهذا من أبرز الجهود التي بذلها - صلى الله عليه وسلم - في الإصلاح والتأسيس.

كتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود، وعاهدهم، وأقرهم على أموالهم، واشترط عليهم، وشرط لهم. (١)

وهذا الميثاق في غاية الدقة، وحسن السياسة، وكمال الحكمة من النبي صلى الله عليه وسلم، فقد ربط بين جميع المسلمين في المدينة وبين اليهود، فأصبحوا كتلة واحدة، يستطيعون أن يقفوا في وجه كل من يريد أهل المدينة بسوء.

وهذه الخطوات الخمس: بناء المسجد، ودعوة اليهود إلى الإسلام، والمؤاخاة بين المؤمنين، وتربيتهم، وكتابة الميثاق، هي التي حل بها النبي - صلى الله عليه وسلم - بفضل الله تعالى الخلاف المستحكم بين سكان المدينة، وأزال بها جميع آثار الماضي، ووجد بها قلوب المسلمين، وطبق بها النظام المتقن داخل المدينة، ومن ثم انتشر هذا النظام، والدعوة إلى الله من هذه المدينة إلى جميع أقطار العالم. (٢)

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٣/٢٢٤-٢٢٦، وزاد المعاد ٢/٦٥، وانظر:

كتابة الميثاق بين المسلمين ويهود المدينة في سيرة ابن هشام ٢/١١٩-١٢٣.

(١) انظر: الرحيق المختوم ص ١٧٨، ١٨٥، ١٧١، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر

٢/١٦٦، ٢/٦٩، ١٦٠، وهذا الحبيب يا محب ص ١٧٦، ١٧٤.

ب - مواقف الحكمة في حسن الإعداد للقتال، والشجاعة والبطولة:

بعد أن كون النبي - صلى الله عليه وسلم - مجتمعاً متماسكاً بالمدينة، وأصبح هذا المجتمع كتلة واحدة أمام من يريد العاصمة الإسلامية بسوء - وما ذلك إلا بفضل الله ثم بحكمة المصطفى صلى الله عليه وسلم - قام - صلى الله عليه وسلم - بالجهاد في سبيل الله، بالقلب واللسان، والدعوة والبيان، والسيف والسنان، فقد أرسل ستاً وخمسين سرية، وقاد بنفسه سبعا وعشرين غزوة. (١)

ومن مواقفه الحكيمة في ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١ - ما فعله في غزوة بدر الكبرى :

من مواقفه التي تزخر بالحكمة في هذه الغزوة أنه - عليه الصلاة والسلام - استشار الناس قبل بدء المعركة؛ لأنه - عليه الصلاة والسلام - يريد أن يعرف مدى رغبة الأنصار في القتال؛ لأنه شرط له في البيعة أن يمنعوه في المدينة مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم وأبنائهم وأزواجهم، أما خارج المدينة فلم يحمل أي شرط، فأراد - صلى الله عليه وسلم - أن يستشيرهم، فجمعهم - عليه الصلاة والسلام - واستشارهم، فقام أبو بكر - رضي الله عنه - فقال وأحسن، ثم عمر بن

(١) انظر تلك البطولات الحكيمة في: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب

غزوة العشيرة ٢٧٩/٧، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب عدد غزوات النبي

صلى الله عليه وسلم ١٤٤٧/٣، وشرح النووي على مسلم ١٩٥/١٢، وفتح الباري

٢٨٠/٧، ٢٨١، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٤١/٣، ٢١٦/٥، ٢١٧، وزاد المعاد

لابن القيم ٥/٣ .

الخطاب - رضي الله عنه - فقال وأحسن، ثم استشارهم ثانياً، فقام المقداد فقال: "يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، [نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، ومن بين يديك، ومن خلفك]"، ثم استشار الناس ثالثاً، ففهمت الأنصار أنه يعنيهم، فبادر سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله كأنك تريدنا]، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعنيهم، لأنهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم، فلما عزم على الخروج استشارهم ليعلم ما عندهم، فقال له سعد: لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليها أن لا ينمروك إلا في ديارها، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فاطعن حيث شئت، وصل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرتنا فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سرت حتى تبلغ برك من غمدان لنسيرن معك، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، ولعل الله أن يرريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فأشرق وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسراً بما سمع، ونشطه ذلك، ثم قال: "سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، ولكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم". (١)

(١) سقت هذه القصة بالمعنى، وانظر: سيرة ابن هشام ٢/٢٥٢، وفتح الباري ٧/٢٨٧، وزاد المعاد ٣/١٧٢، والرحيق المختوم ص ٢٠٠، وقد أخرج البخاري =

- ومن مواقفه العظيمة في بدر: اعتماده على ربه تبارك وتعالى، لأنه قد علم أن النصر لا يكون بكثرة العدد ولا العدة، وإنما يكون بنصر الله عز وجل مع الأخذ بالأسباب والاعتماد على الله.

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله - صلى الله عليه وسلم - القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه (١): "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض"، فما زال يهتف بربه، ماداً يديه، مستقبلاً القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداؤه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّم بِالْفِئْتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ) (٢) فأمده الله بالملائكة. (٣)

= مواضع منها. انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب إذ تستغيثون ربكم ٢٨٧/٧، وكتاب التفسير ٢٧٣/٨، وأخرج مسلم بعض المواضع من القصة. انظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر ١٤٠٣/٣، وانظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاکر ١٩٤/٢ .

- (١) يهتف بربه، أي: يصيح ويستغيث بالله بالدعاء. انظر: شرح النووي ٨٤/١٢ .
- (٢) سورة الأنفال، الآية ٩ .
- (٣) أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الجهاد والسير والمغازي، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ١٣٨٢/٣، والبخاري مع الفتح بمعناه مختصراً، في كتاب المغازي، باب قوله تعالى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ) ٢٨٧/٧، وانظر: الرحيق المختوم ص ٢٠٨ .

وقد خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من العريش وهو يقول: (سيهزم الجمع ويولون الدبر)(١).

وقاتل - عليه الصلاة والسلام - في المعركة، وكان من أشد الخلق وأقوامهم وأشجعهم، ومعه أبو بكر - رضي الله عنه - كما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع، ثم نزلا فحرضا، وحشا على القتال، وقاتلا بالأبدان جمعا بين المقامين الشريفين".(٢)

وكان أشجع الناس الرسول عليه الصلاة والسلام، فعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: "لقد رأيتنا يوم بدر، ونحن نلوذ برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا".(٣)

وعنه - رضي الله عنه - قال: "كنا إذا حمي البأس، ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فلا يكون أحدنا أدنى إلى القوم منه".(٤)

(١) سورة القمر، الآية ٤٥ .

والحديث في البخاري مع الفتح ٢٨٧/٧ .

(٢) انظر: البداية والنهاية ٢٧٨/٣ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٨٦/١، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي ١٤٢/٢ .

(٤) الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي ١٤٢/٢، وعزاه ابن كثير في البداية

والنهاية ٢٧٩/٣ إلى النسائي.

٢ - مواقف الحكيمة في غزوة أحد :

من مواقفها في الشجاعة أيضا، وصبره على أذى قومه ما فعله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة أحد، فقد كان يقاتل - صلى الله عليه وسلم - قتالا عظيما.

وخلص المشركون إلى رسول الله فجرحوا وجهه، وكسروا رباعيته اليمنى، وكانت السفلى، وهشموا البيضة على رأسه، وقاتل الصحابة دفاعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. (١)

وعندما اجتمع المسلمون، ونهضوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الشعب الذي نزل فيه، وفيهم أبو بكر، وعمر، وعلي، والحارث بن الصمة الأنصاري وغيرهم، فلما استندوا إلى الجبل أدرك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبي ابن خلف، وهو على جواد له، ويقول: أين محمد، لا نجوت إن نجا؟ فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجل منا، فأمرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتركه، فلما دنا منه تناول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحارث بن الصمة، فلما أخذها منه انتفض انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله وأبصر ترقوته من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه فيها طعنة تدحرج منها عن فرسه مرارا، فلما رجع عدو الله إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشا غير كبير... قال: قتلني والله محمد، فقالوا له: ذهب والله فؤادك، والله إن بك من بأس، قال: إنه قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق علي لقتلني، فمات عدو الله بسرف، وهم

(١) انظر: زاد المعاد ١٩٦/٢، ١٩٩، والرحيق المختوم ص ٢٥٥، ٢٥٦ .

قافلون إلى مكة". (١)

وعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - أنه سُئِلَ عن جرح النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد فقال: جُرِحَ وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - وكُسِرَت ربايعيته، وهُشِمَت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة - عليها السلام - تغسل الدم، وعلي يمسك، فلما رأت أن الدم لا يرتد إلا كثرة أخذت حصيرا فأحرقته حتى صار رمادا، ثم ألزقته فاستمسك الدم". (٢)

وقد حصل له هذا الأذى العظيم الذي ترتج لعظمته الجبال، وهو نبي الله عليه الصلاة والسلام، ولم يدع على قومه، بل دعا لهم بالمغفرة، لأنهم لا يعلمون. فعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: كأني أنظر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون". (٣)

(١) انظر: زاد المعاد، لابن القيم ١٩٩/٣، والرحيق المختوم من ٢٦٢، وروى قصة قتل النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبي بن خلف: أبو الأسود عن عروة بن الزبير، والزهرى عن سعيد بن المسيب. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٣٢/٤، وكلامهما مرسل، والطبري ٦٧/٢، وانظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي من ٢٢٦.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب لبس البيضة ٩٦/٦، ومسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة أحد ١٤١٦/٣ .

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان ٥١٤/٦، ٢٨٢/١٢، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب غزوة أحد ١٤١٧/٣، وانظر: شرحه في الفتح ٥٢١/٦، وشرح النووي لمصحيح مسلم ١٤٨/١٢ .

فالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وعلى رأسهم محمد - صلى الله عليه وسلم - قد كانوا (١) على جانب عظيم من الطم والتصبر، والعفو والشفقة على قومهم ودعائهم لهم بالهداية والغفران، وعذرم في جنایاتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون (٢)، قال عليه الصلاة والسلام: "اشتد غضب الله على قوم فعلوا هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم"، وهو حينئذ يشير إلى ربايعيته، "اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله عز وجل". (٣)

وفي إصابة النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد عزاء للدعاة فيما ينالهم في سبيل الله من أذى في أجسامهم، أو اضهاد لحرياتهم، أو قضاء على حياتهم، فالنبي - عليه الصلاة والسلام - هو القدوة قد أُوذِيَ وصبر. (٤)

٣ - ومن مواقفه التي تزخر بالحكمة والشجاعة ما فعله في معركة حنين. بعد أن دارت معركة حنين والتقى المسلمون والكفار، ولَّى المسلمون مدبرين (٥)، فطفق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يركض بغلته قبل الكفار

(١) انظر: شرح النووي لمسلم ١٤٨/١٢ .

(٢) شرح النووي على مسلم ١٥٠/١٢ بتمرف .

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي - صلى الله عليه

وسلم - من الجراح يوم أحد ٣٧٢/٧، ومسلم، كتاب الجهاد، باب اشتداد غضب

الله على من قتله رسول الله ١٤١٧/٣ .

(٤) السيرة النبوية دروس وعبر، ص ١١٦ .

(٥) كان مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذه الغزوة ألفان من أهل مكة

مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه من المدينة ففتح بهم، وكانوا

اثني عشر ألفاً. انظر: زاد المعاد ٤٦٨/٣ .

... ثم قال: "أي عباس، ناد أصحاب السمرة" فقال عباس: - وكان رجلا صيات - فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار... فنظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو على بغلته كالمطاول عليها إلى قتالهم، فقال صلى الله عليه وسلم: "الآن حمي الوطيس". (١)

وظهرت شجاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - التي لا نظير لها في هذا الموقف الذي يعجز عنه عظماء الرجال. (٢)

وَسَطَّ البراء، فقال له رجل: يا أبا عمار، أكنتم وليتم يوم حنين؟ قال: لا والله ما ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكننه خرج شأن أصحابه (٣) وأخفاؤهم (٤) حسرا (٥) ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح، فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم، جمع هوازن، وبني نصير، فرشقوهم رشقا (٦)، ما يكادون يخطئون، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو سفيان بن

(١) مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، وقد اختمرت ألفاظه ١٣٩٨/٣.

(٢) انظر: الرحيق المختوم من ٤٠١، وهذا الحبيب يا محب من ٤٠٨.

(٣) جمع شباب. شرح النووي لمسلم ١١٢/١١٧.

(٤) جمع خفيف، وهم المسارعون المستعجبون. شرح النووي لمسلم ١١٢/١١٧.

(٥) حسرا: جمع حاسر، أي: بغير دروع، وقد فسر به بقوله: ليس عليهم سلاح. شرح

النووي لمسلم ١١٢/١١٧.

(٦) رشقا: هو بفتح الراء، وهو مصدر، وأما الرشق بالكسر فهو اسم للسهم

التي ترميها الجماعة دفعة واحدة. انظر: شرح النووي ١١٨/١١٢.

الحارث يقود بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول:

أنا ابن عبد المطلب

أنا النبي لا كذب

اللهم نزل نصرك. (١)

قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس (٢) نتقي به، وإن الشجاع منا

للذي يحاذي به، يعني النبي صلى الله عليه وسلم. (٣)

وفي رواية لمسلم عن سلمة قال: مررت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم

- منهزماً (٤)، وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لقد رأى ابن الأكوع فرعاً".

فلما غشوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نزل عن البغلة، ثم قبض

قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: "شامت الوجوه" (٥)، فما

خلق الله منهم إنساناً إلا ملاً عينيه تراباً بتلك القبضة، فولوا مدبرين،

فهزمهم الله عز وجل، وقسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غنائمهم بين

(١) مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، مع التصرف في بعض

الكلمات ١٤٠٠/٣، والبخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب من صف أصحابه عند

الهيمنة ونزل عن دابته فاستنصر ١٠٥/٦، ٢٨، ٢٧/٨ .

(٢) إذا احمر البأس: كناية عن شدة الحرب، واستعير ذلك لحمرة الدماء

الحاملة فيها في العادة. انظر: شرح النووي ١٢١/١٢ .

(٣) رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين ١٤٠١/٣ .

(٤) قال العلماء: قوله: "منهزماً" حال من ابن الأكوع، وليس النبي صلى الله

عليه وسلم. انظر: شرح النووي ١٢٢/١٢ .

(٥) شامت الوجوه، أي: قبحت. انظر: شرح النووي ١٢٢/١٢ .

المسلمين". (١)

وقد قال العلماء: إن ركوب النبي - صلى الله عليه وسلم - البغلة في موطن الصرب وعند اشتداد البأس هو النهاية في الشجاعة والشبابة، ولأنه أيضا يكون معتمدا يرجع الناس إليه، وتطمئن قلوبهم به وبمكانه، وإنما فعل هذا عمدا، وإلا فقد كانت له - صلى الله عليه وسلم - أفراس معروفة.

ومما يدل على شجاعته تقدمه - صلى الله عليه وسلم - وهو يركض بغلته إلى جمع المشركين، وقد فر الناس عنه، ونزوله إلى الأرض حين غشوه مبالغة في الشجاعة والصبر، وقيل: فعل ذلك مواساة لمن كان نازلا على الأرض من المسلمين، وقد أخطرت الصحابة - رضي الله عنهم - بشجاعته - صلى الله عليه وسلم - في جميع المواطن. (٢)

٤ - ومن مواقف التي تزخر بالحكمة والشجاعة، ما رواه البخاري ومسلم، عن أنس - رضي الله عنه - قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أحسن الناس وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قبيل الصوت، فاستقبلهم النبي - صلى الله عليه وسلم - قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: "لم تراعوا، لم تراعوا"، وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج، في عنقه سيف، فقال: "لقد وجدته بجرا، أو إنه لبحر". (٣)

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين ١٤٠٢/٣ .

(٢) انظر : شرح النووي على مسلم ١١٤/١٢ .

(٣) البخاري مع الفتح ٤٥٥/١٠، ومسلم ١٨٠٢/٤، ويأتي تخريجه بعد صفحات.

وهذا المثل وغيره من الأمثلة السابقة تدل دلالة واضحة على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أشجع إنسان على الإطلاق، فلم يكتحل الوجود بمثله صلى الله عليه وسلم، وقد شهد له بذلك الشجعان الأبطال. (١)

وكانت هذه الشواهد السابقة لشجاعته القلبية، أما شجاعته العقلية فساكتفي بشاهد واحد، فإنه يكفي عن ألف شاهد ويزيد، وهو موقفه من تعنت سهيل ابن عمرو، وهو يملي وثيقة صلح الحديبية، إذ تنازل - صلى الله عليه وسلم - عن كلمة "بسم الله الرحمن الرحيم"، إلى بسمك اللهم، وعن كلمة: "محمد رسول الله" إلى كلمة: محمد بن عبد الله، وقبوله شرط سهيل على أنه لا يأتي النبي - صلى الله عليه وسلم - رجل من قريش حتى ولو كان مسلماً إلا رده إلى أهل مكة، وقد استشاط الصحابة غيظاً، وبلغ الغضب حداً لا مزيد عليه، وهو - صلى الله عليه وسلم - صابر ثابت حتى انتهت الوثيقة، وكان بعد أيام فتحا مبيناً.

فضرب - صلى الله عليه وسلم - بذلك المثل الأعلى في الشجاعتين: القلبية، والعقلية، مع بعد النظر، وأصالة الرأي، وإصابته؛ فإن من الحكمة أن يتنازل الداعية عن أشياء لا تضره بأصل قضيته لتحقيق أشياء أعظم منها. (٢)

(١) انظر: رواية علي بن أبي طالب في شجاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - في مسند أحمد ٨٦/١، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي ١٤٣/٢، وتقدم تخريجه من ١٤٥، ١٤٦.

(٢) انظر وثيقة صلح الحديبية كاملة في البخاري مع الفتح ٣٢٩/٥، وشرح الوثيقة في الفتح ٣٣٣/٥-٣٥٢، ومسند أحمد ٣٢٨/٤-٣٣١، وانظر: هذا الحبيب يا محب من ٥٢٢.

وجميع ما تقدم نماذج من شجاعته - صلى الله عليه وسلم - وشبائته، وهذا نقطة من بحر، وإلا فإنه لو كُتِبَ في شجاعته - صلى الله عليه وسلم - بالاستقصاء لكتب مجلدات، فيجب على كل مسلم، وخاصة الدعوة إلى الله عز وجل أن يتخذوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - قدوة في كل أحوالهم وتصرفاتهم، وبذلك يحصل الفوز والنجاح، والسعادة في الدنيا والآخرة، (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا). (١)

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١ .

ج - مواقف الحكمة الفردية :

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أحكم خلق الله، فقد كان يتألف الناس ليدخلوا في الإسلام، ويصبر على أذاهم، ويعفو عن آسائهم، ويقابلها بالإحسان، وله - صلى الله عليه وسلم - مواقف في الكرم والجود والعفو والطم والرفق والعدل، تظهر في النقاط الآتية:

١ - موقفه - صلى الله عليه وسلم - مع شامة بن أثال، سيد أهل اليمامة:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له: شامة بن أثال، سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: "ماذا عندك يا شامة؟" فقال: عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم (١)، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى كان بعد الغد، فقال: "ما عندك يا شامة؟" فقال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكرك، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى كان من الغد، فقال: "ماذا عندك يا شامة؟" فقال: عندي ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكرك، وإن تقتل تقتل ذام دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله على

(١) معناه: إن تقتل تقتل صاحب دم يدرك قاتله به ثأره لرئاسته وفضيلته، وقيل: معناه تقتل من عليه دم مطلوب به، وهو مستحق عليه فلا عتب عليك في

الله عليه وسلم: "اطلقوا شامة"، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، يا محمد! والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمره أن يعمّر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: [لا والله]، ولكنني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله لا يأتاكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم". (١)

"ثم خرج - رضي الله عنه - إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنك تأمر بملء الرحم، وإنك قد قطعت أرحامنا، وقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى شامة أن يخلي بينهم وبين الحمل". (٢)

وذكر ابن حجر أن ابن مندة روى بإسناده عن ابن عباس قصة إسلام شامة ورجوعه إلى اليمامة، ومنعه عن قريش الميرة، ونزول قوله تعالى: (ولقد

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث شامة بن

أثال ٨٧/٨، ومسلم - واللفظ له إلا ما بين المعكوفين فمن البخاري - في

كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبه وجواز المن عليه ١٢٨٦/٣ .

(٢) سيرة ابن هشام ٣١٧/٤ بتصرف يسير، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨٨/٨ .

أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون). (١)

وقد ثبت شامة على إسلامه لما ارتد أهل اليمامة، وارتحل هو ومن أطاعه من قومه فلحقوا بالعلاء بن الحضرمي فقاتل معه المرتدين من أهل البحرين. (٢)

الله أكبر، ما أحكم النبي محمدا صلى الله عليه وسلم، وما أعظمه من موقف، فقد كان - صلى الله عليه وسلم - يتألف القلوب، ويلاطف من يرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير.

وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله عز وجل أن يعظموأ أمر العفو عن المسيء، لأن شامة أقسم أن بغضه انقلب حبا في ساعة واحدة؛ لما أسداه النبي - صلى الله عليه وسلم - إليه من العفو والمن بغير مقابل، وقد ظهر لهذا العفو الأثر الكبير في حياة شامة، وفي ثباته على الإسلام ودعوته إليه. (٣)

٢ - موقفه صلى الله عليه وسلم مع الأعرابي الذي أخذ سيفه من الشجرة وأراد قتله.

روى البخاري ومسلم، عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - قال: غزونا

(١) سورة المؤمنون، الآية ٧٦ .

وقال ابن حجر عن هذا الأثر: إسناده حسن . انظر: الإصابة في تمييز

المحابة ٢٠٢/١ .

(٢) انظر: الإصابة في تمييز المحابة ٢٠٢/١ .

وهناك أبيات شعرية له - رضي الله عنه - تدل على تأثره بعفوه صلى

الله عليه وسلم.

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم ٨٩/١٢، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨٨/٨.

مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غزوة قبل نجد(١)، فأدركنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في واد كثير العضاة، فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن رجلا أتاني وأنا نائم، فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا بالسيف صلتا(٢) في يده، فقال لي: من يمنك مني؟ قال: قلت: الله، ثم قال في الثانية: من يمنك مني؟ قال: قلت: الله، قال: فشم السيف(٣)، فهامو ذا جالس"، ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم.(٤)

الله أكبر، ما أعظم هذا الخلق! وما أكبر أثره في النفس! أعرابي يريد قتل النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم يعصمه الله منه، ويمكنه من القدرة على قتله، ثم يعفو عنه! إن هذا لخلق عظيم، ومدق الله العظيم إذ يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: (وإنك لعلّ خلق عظيم)(٥)، وهذا الخلق الحكيم قد أشر في

(١) وقع في رواية البخاري التصريح باسمها "ذات الرقاع"، انظر: البخاري مع الفتح ٤٢٦/٧ .

(٢) والسيف صلتا : أي مسلولا . انظر: شرح النووي ٤٥/١٥ .

(٣) شام السيف : أي رده في غمده . انظر: المرجع السابق ٤٥/١٥ .

(٤) البخاري مع الفتح ٩٧، ٩٦/٦، ٤٢٦/٧، ومسلم، واللفظ له ١٧٨٦/٤، ٥٧٦/١،

وأحمد ٣٦٤، ٣١١/٢، وتقدم تخريجه أيضا.

وانظر: الأخلاق الإسلامية وأسماها للميداني فقد ذكر رواية مطولة عزاها

لأبي بكر الإسماعيلي في صحيحه ٢٢٥/٢ .

(٥) سورة القلم، الآية ٤ .

حياة الرجل، وأسلم بعد ذلك، فامتدى به خلق كثير. (١)

٣ - موقفه - صلى الله عليه وسلم - مع اليهودي زيد بن سعدة، أحد أخصار

اليهود.

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعفو عند القدرة، ويطم عند الغضب، ويحسن إلى المسيء، وقد كانت هذه الأخلاق العالية من أعظم الأسباب في إجابة دعوته والإيمان به، واجتماع القلوب عليه، ومن ذلك ما فعله مع زيد بن سعدة، أحد أخصار اليهود وعلمائهم الكبار. (٢)

جاء زيد بن سعدة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يطلبه ديناً له عليه، فأخذ بمجامع قميصه وردائه وجذبه، وأغلق له القول، ونظر إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بوجه غليظ وقال: يا محمد، ألا تقضيني حقي، إنكم يا بني عبدالمطلب قوم مظل، وشدد له في القول، فنظر إليه عمر وعيناه تدوران في رأسه كالفلك المستدير، ثم قال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أسمع، وتفعل ما أرى، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم، ثم قال: "أنا وهو يا عمر كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التقاضي، اذهب به يا عمر فاقضه حقه، وزده عشرين صاعاً من تمر"، فكان هذا سبباً لإسلامه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله،

(١) انظر: فتح الباري ٢/٤٢٨، وشرح النووي على مسلم ٤٤/١٥، وذكر ابن حجر

والنوي في هذا الموضع أن اسم الأعرابي: غورث بن الحارث.

(٢) انظر: هذا الصبيب يا محب ص ٥٢٨، وهداية المرشدين ص ٣٨٤ .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

وكان زيد قبل هذه القصة يقول: لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتھا في وجه محمد - صلى الله عليه وسلم - إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق طمعه جهله، ولا يزيد شدة الجهل عليه إلا طمعا". (١)

فاختبره بهذه الحادثة فوجده كما وصف، فأسلم وآمن وصدق، وشهد مع النبي -

صلى الله عليه وسلم - مشاهده، واستشهد في غزوة تبوك مقبلا غير مدبر. (٢)

فقد أقام محمد - صلى الله عليه وسلم - براهين عديدة من أخلاقه على صدقه،

وأن ما يدعو إليه حق .

٤ - موقفه - عليه الصلاة والسلام - مع الأعرابي الذي بال في المسجد .

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: بينما نحن في المسجد مع رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال

(١) ذكر ابن حجر في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة هذه القصة وعزاها إلى

الطبراني، والحاكم، وأبي الشيخ في كتابه أخلاق النبي صلى الله عليه

وسلم، وابن سعد، وغيرهم، ثم قال ابن حجر: ورجال إسناده موثقون ...

ومحمد بن أبي السري وثقه ابن معين ... والوليد قد صرح بالتحديث ٥٦٦/١ .

وذكره ابن كثير في البداية والنهاية، وعزاه إلى أبي نعيم في الدلائل.

البداية والنهاية ٢/٣١٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٤٠: رواه

الطبراني، ورجاله ثقات.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٥٦٦/١ .

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه مه (١)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزرموه (٢)، دعوه"، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دعاه فقال له: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن"، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشبهه (٣) عليه. (٤)

وقد ثبت في البخاري وغيره أن هذا الرجل هو الذي قال: "اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا"، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في صلاة وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا. فلما سلم النبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) مه : كلمة زجر، وهو اسم مبني على السكون، معناه: اسكت. وقيل: أملاها: ما

هذا؟ انظر: شرح النووي ١٩٢/٣ .

(٢) لا تزرموه : أي لا تقطعوا عليه بوله. والإزرام: القطع. انظر: المرجع

السابق ١٩٠/٢ .

(٣) شبه : أي شبه عليه. انظر: المرجع السابق ١٩٢/٣ .

(٤) أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من

النجاسات إذا حصلت في المسجد وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى

حفرها ٢٣٦/١، والبخاري مع الفتح بمعناه مختصرا في كتاب الوضوء باب ترك

النبي - صلى الله عليه وسلم - والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله في

المسجد ٣٢٢/١، وروايات بول الأعرابي في البخاري في عدة مواضع ٢٢٣/١،

٤٤٩/١٠، ٥٢٥/١٠ .

وسلم - قال للأعرابي: "لقد حجرت واسعا" يريد رحمة الله. (١)

وتفسر هذه الرواية الروايات الأخرى عند غير البخاري، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: دخل رجل أعرابي المسجد فملى ركعتين، ثم قال: اللهم ارحم مني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا! فالتفت إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: "لقد حجرت واسعا، ثم لم يلبث أن بال في المسجد، فأسرع الناس إليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين، أهريقوا عليه دلو من ماء، أو سجلا من ماء". (٢)

قال: يقول الأعرابي بعد أن فقهه، فقام النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أبي وأمي فلم يسب، ولم يؤنب، ولم يضرب". (٣)

النبي - صلى الله عليه وسلم - أحكم خلق الله، فمواقفه وتمرفاته كلها مواقف حكمة مشرفة، ومن وقف على أخلاقه ورفقه وعفوه وطمه، ازداد يقينه وإيمانه بذلك.

وهذا الأعرابي قد عمل أعمالا تشير الغضب، وتسبب عقوبته وتأديبه من

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ٤٣٨/١٠ .

(٢) أخرجه الترمذي بنحوه في كتاب الطهارة، باب ما جاء في البول يصيب الأرض ٢٢٥/١، وأخرجه أحمد في المسند بترتيب أحمد شاکر واللفظ لأحمد ٢٤٤/١٢، برقم ٧٢٥٤، وأخرجه أحمد أيضا مطولا ١٣٤/٢٠ برقم ١٠٥٤٠، وأبو داود مع العون ٣٩/٢ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند بترتيب أحمد شاکر وهو تكملة للحديث السابق من رواية أبي هريرة رضي الله عنه ١٣٤/٢٠، برقم ١٠٥٤٠، وابن ماجه ١٢٥/١ .

الحاضرين؛ ولذلك قام الصحابة إليه، واستنكروا أمره، وزجروه، فنهاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يقطعوا عليه بوله.

وهذا في غاية الرفق والطم والرحمة، ويجمع ذلك كله الحكمة، فقد أنكر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالحكمة على هذا الأعرابي عمله، فقال له حينما قال: "اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا": "لقد حجرت واسعا"، يريد من الله عليه وسلم رحمة الله، فإن رحمة الله قد وسعت كل شيء، قال عز وجل: (ورحمتي وسعت كل شيء) (١)، فقد بخل هذا الأعرابي برحمة الله على خلقه.

وقد أشنى عز وجل على من فعل خلاف ذلك حيث قال: (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان). (٢)

وهذا الأعرابي قد دعا بخلاف ذلك فأنكر عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - بالحكمة. (٣)

وحيثما بال في المسجد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بتركه؛ لأنه قد شرع في المفسدة، فلو منع ذلك لزادت المفسدة، وقد حصل تلويث جزء من المسجد، فلو منعه - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك لدار بين أمرين:

- ١ - أما أن يقطع عليه بوله فيتضرر الأعرابي بحبس البول بعد خروجه.
- ٢ - وأما أن يقطعه فلا يأمن من تنجيس بدنه، أو ثوبه، أو مواضع أخرى من

المسجد.

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٦ .

(٢) سورة الحشر، الآية ١٠ .

(٣) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٤٣٩/١٠ .

فأمر النبي - عليه الصلاة والسلام - بالكف عنه للمصلحة الراجحة، وهي دفع
أعظم المفسدتين أو الضررين باحتمال أيسرهما، وتحصيل أعظم المصلحتين بترك
أيسرهما. (١)

وهذا من أعظم الحكم العالية، فقد راعى النبي - صلى الله عليه وسلم -
هذه المصالح، وما يقابلها من المفساد، ورسم - صلى الله عليه وسلم - لأمته
والدعاة من بعده كيفية الرفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف، ولا
سب ولا إيذاء ولا تشديد، إذا لم يكن ذلك منه عنادا ولا استخفافا، وقد كان لهذا
الاستئلاف والرحمة والرفق الأثر الكبير في حياة هذا الأعرابي وغيره، فقد قال
بعد أن فقه - كما تقدم - في رواية الإمام أحمد: فقام النبي - صلى الله عليه
وسلم - إلي أبي وأمي، فلم يسب، ولم يؤنب، ولم يضرب. (٢)

فقد أثر هذا الخلق العظيم في حياة الرجل. (٣)

٥ - موقفه - عليه الصلاة والسلام - مع معاوية بن الحكم :

عن معاوية بن الحكم السلمي - رضي الله عنه - قال: بينا أنا أصلي مع
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله!
فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واشكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلي، فجعلوا

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٢٥/١، وشرح النووي على مسلم
١٩١/٣.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل
١٧٥/١، وتقدم تخريجه عند أحمد .

(٣) انظر: فتح الباري ٢٢٥/١، وشرح النووي ١٩١/٣، وعون المعبود شرح سنن أبي
داود ٢٩/٢، وتحفة الأحوذى، شرح سنن الترمذى ٤٥٧/١ .

يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني، لكنني سكت، فلما صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله ما كهرني(١) ولا ضربني ولا شتمني، قال: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن"، - أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قلت: يا رسول الله! إنني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجلا يأتون الكهان، قال: "فلا تأتهم".

قال: "ومنا رجال يتطيطرون، قال: "ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصذبهم"(٢)، (قال ابن الملاح: فلا يصذبكم)، قال: قلت: ومنا رجال يخطون. قال: "كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك".

قال: وكانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد والجوانية(٣) فاطلعت ذات يوم فاذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكنني مككتها مكة، فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعظم ذلك علي، قلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها، قال: "أعتني بها"، فأتيتها بها، فقال لها: "أين الله؟" قالت: في السماء، قال: "من أنا؟" قالت: أنت رسول الله. قال:

(١) ما كهرني : أي ما قهرني ولا نهزني. انظر: شرح النووي ٢٠/٥ .

(٢) قال العلماء: معناه أن الطيرة شيء تجدونه في نفوسكم ضرورة، ولا عتب عليكم في ذلك، ولكن لا تمتنعوا بسببه من التصرف في أموركم. انظر: المرجع

السابق ٢٢/٥ .

(٣) الجوانية: موضع في شمال المدينة بقرب جبل أحد. انظر: المرجع السابق

"أعتقها فإنها مؤمنة". (١)

وهذا الموقف من أعظم الحكم البارزة السامية التي أوتيها النبي عليه الصلاة والسلام، وقد ظهر أثر ذلك في حياة ونفس معاوية رضي الله عنه؛ لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، ولهذا قال معاوية رضي الله عنه: ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه.

٦ - موقفه - عليه الصلاة والسلام - مع الطفيل بن عمرو الدوسي :

من مواقف الحكمة ما فعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع الطفيل ابن عمرو الدوسي رضي الله عنه، فقد أسلم الطفيل - رضي الله عنه - قبل الهجرة في مكة، ثم رجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فبدأ بأهل بيته، فأسلم أبوه وزوجته، ثم دعا قومه إلى الله عز وجل فأبى عليه وعمت، وأبطؤوا عليه، فجاء الطفيل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذكر له أن دوسا هلكت وكفرت وعمت وأبى.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: إن دوسا قد عمت وأبى، فادع الله عليهم، فاستقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القبلة ورفع يديه، فقال الناس: هلكوا. فقال: "اللهم اهد دوسا، واغت بهم، اللهم اهد دوسا واغت

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في

الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ٢٨١/١، وانظر شرحه في شرح مسلم للنووي

بهم". (١)

وهذا يدل على طم النبي - صلى الله عليه وسلم - وصبره وتأنيه في الدعوة إلى الله عز وجل، فإنه - صلى الله عليه وسلم - لم يعجل بالعقوبة، أو الدعاء على من رد الدعوة؛ ولكن - صلى الله عليه وسلم - دعا لهم بالهداية، فاستجاب الله دعاءه، وحصل على ثمرة الصبر والتأني وعدم العجلة، فقد رجع الطفيل إلى قومه، ورفق بهم، فأسلم علي يديه خلق كثير، ثم قدم على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو بخيبر، فدخل المدينة بثمانين أو تسعين بيتاً من دوس، ثم لحقوا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - بخيبر، فأسلم لهم مع المسلمين. (٢)

الله أكبر! ما أعظمها من حكمة أسلم بسببها ثمانون أو تسعون أسرة.

وهذا مما يوجب على الدعوة إلى الله عز وجل العناية بالحكمة في دعوتهم، ولا يحصل لهم ذلك إلا بفضل الله ثم معرفة هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - في دعوته.

(١) البخاري مع الفتح، في كتاب الجهاد، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم ١٠٧/٦، وفي كتاب المغازي، باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي ١٠١/٨، وفي كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين ١٩٦/١١، ومسلم، في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع وتميم ودوس وطية ١٩٥٧/٤، وأخرجه أحمد واللفظ له ٤٤٨، ٢٤٣/٢، وانظر: البداية والنهاية ٣٣٧/٦، ٩٩/٣، وسيرة ابن هشام ٤٠٧/١ .

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٤٦/١، وزاد المعاد ٦٢٦/٣، والإصابة في تمييز الصحابة ٢٢٥/٢ .

٧ - موقفه - صلى الله عليه وسلم - مع الشاب الذي استأذنه في الزنا .

عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: إن فتى شابا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، أئذن لي في الزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه! فقال له: "أدنه"، فدنا منه قريبا، قال: "أتحبه لأمك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم" قال: "أفتحبه لابنتك؟" قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم" قال: "أفتحبه لأختك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم". قال: "أفتحبه لعمتك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم". قال: "أفتحبه لخالتك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم" قال: فوضع يده عليه، وقال: "اللهم اغفر ذنبيه، وطهر قلبه، وحسن فرجه"، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. (١)

وهذا الموقف الحكيم مما يؤكد على الدعاة إلى الله عز وجل أن يعتنوا بالرفق والإحسان إلى الناس، ولا سيما من يرغب في استئلافهم، ليدخلوا في الإسلام أو ليزيد إيمانهم ويثبتوا على إسلامهم، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه". (٢)

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢٥٧، ٢٥٦/٥ .

(٢) مسلم، كتاب البر والملة والآداب، باب فضل الرفق، عن عائشة رضي الله عنها

وقال عليه الصلاة والسلام: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه". (١)

ولهذا ينبغي أن يكون تعليم العلم للناس بالتدرّج، كما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتخول أصحابه بالموعظة في الأيام كرامة السامة عليهم. (٢)

فملوات الله وسلامه عليه، فقد دل أمته على كل خير، وحذّروهم عن كل شر، ودعا على من شق على أمته، ودعا لمن رفق بهم، فقال: "اللهم من ولي من أمر أمّتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمّتي شيئاً فرفق بهم فارفق به". (٣)

وهذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس، وأعظم الحث على الرفق بهم. (٤)

٨ - موقفه مع من شفع في ترك إقامة الحد على المرأة المخزومية :

قد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أعدل البشر في جميع أموره وأحكامه، ومما يضرب به المثل في عدله إلى يوم القيامة قصة المخزومية التي سرقت فقطع يدها بعد أن شفع فيها أسامة، ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يحاب في ذلك، ولم يقبل الشفاعة في حد من حدود الله تعالى.

(١) مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق ٢٠٠٤/٤ .

(٢) انظر: فتح الباري ١/١٦٢، ١٦٣ .

(٣) مسلم، كتاب الجهاد، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على

الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم ١٤٥٨/٢ .

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/٢١٣ .

فمن عائشة - رضي الله عنها - أن قريشا أمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزوة الفتح، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلمه فيها أسامة بن زيد، فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "أتشفع في حد من حدود الله؟" فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله! فلما كان العشي قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاخطب فأثنى على الله بما هو أهله، فقال: "أما بعد، أيها الناس: إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".

ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها.

قالت عائشة: فصنعت توبتها بعد، وتزوجت، وكانت تأتيني فأرفع حاجتها إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم. (١)

إن العدل خلاف الجور، وقد أمر الله عز وجل به في القول والحكم، فقال تعالى: (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) (٢)، وقال: (وإذا حكمتم بين

(١) البخاري مع الفتح بنحوه مختصرا في كتاب الحدود، باب إقامة الحد على

الشريف والوضيع ٨٦/١٢، وباب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى

السلطان ٨٧/١٢، ٥١٢/٦، ١٩٢/٥، ورواه مسلم بلفظه في كتاب الحدود، باب

قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود ١٣١٥/٢، وانظر:

شرح النووي ١٨٦/١١، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ٩٦، ٩٥/١٢ .

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٢ .

الناس أن تحكموا بالعدل). (١)

ولا شك أن هذا الموقف الحكيم وغيره من مواقفه - صلى الله عليه وسلم -

مما يوجب على الدعاة تطبيقها أسوة به صلى الله عليه وسلم. (٢)

٩ - موقفه - صلى الله عليه وسلم - الحكيم في الكرم والجود :

عن أنس - رضي الله عنه - قال: ما سُئِلَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم

- على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، قال: فجاء رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى

قومه، فقال: يا قوم، أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة. (٣)

وهذا الموقف الحكيم العظيم يدل على عظم سخاء النبي صلى الله عليه وسلم،

وغزارة جوده. (٤)

(١) سورة النساء، الآية ٥٨ .

(٢) انظر: مواقف حكيمة في هذا الشأن في أبي داود ٢/٢٤٢، والترمذي ٣/١٢٧،

والنسائي ٧/٦٤، وانظر أيضاً: البخاري مع الفتح ٣/٢٩٢، ٢/١٤٢، ١١/٣١٢،

١٢/١١٢، ومسلم ٣/٤٥٨، وهذا الحبيب يا محب من ٥٣٤، ٥٣٥ .

(٣) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً

قط فقال: لا، وكثرة عطائه ٤/١٨٠٦ .

(٤) انظر أمثلة كثيرة من كرمه وجوده في البخاري مع الفتح، كتاب بدء الوحي،

باب حدثنا عبدان ١/٣٠، وكتاب الأدب، باب حسن الخلق وما يكره من البخل

١٠/٤٥٥، وكتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لو أن عندي

مثل أحد ذهبا ١١/٢٦٤، ١١/٣٠٣، وكتاب الكفالة، باب من تكفل عن ميت ديناً

فليس له أن يرجع ٤/٤٧٤، وكتاب التمني، باب تمنى الخير، وقول النبي - =

وكان - صلى الله عليه وسلم - يعطي العطاء ابتغاء مرضاة الله عز وجل، وترغيبا للناس في الإسلام، وتأليفا لقلوبهم، وقد يظهر الرجل إسلامه أولا للدنيا ثم - بفضل الله تعالى، ثم بفضل النبي - صلى الله عليه وسلم - ونور الإسلام - لا يلبث إلا قليلا حتى ينشرح صدره للإسلام بحقيقة الإيمان، ويتمكن من قلبه، فيكون حينئذ أحب إليه من الدنيا وما فيها. (١)

ولهذا شواهد كثيرة، منها: ما رواه مسلم في صحيحه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - غزا غزوة الفتح - فتح مكة - ثم خرج - صلى الله عليه وسلم - بمن معه من المسلمين فاقتتلوا بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ صفوان بن أمية مائة من الغنم، ثم مائة، ثم مائة. قال صفوان: والله لقد أعطاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي. (٢)

وقال أنس رضي الله عنه: "إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها". (٣)

= صلى الله عليه وسلم - لو كان لي أحدا ذهبيا ١٣/١٧، ومسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئا قط فقال لا، وكثرة عطائه ٤/١٨٠٥، ٦/١٨٠٦، وكتاب الزكاة، باب من سأل بفحش وغلظة ٢/٧٣٠، وباب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة ٢/٦٨٧ .

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ١٥/٧٢ .

(٢) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل - صلى الله عليه وسلم - شيئا قط فقال

لا، وكثرة عطائه ٤/١٨٠٦ .

(٣) المرجع السابق في نفس الكتاب والباب ٤/١٨٠٦ .

وإذا رأى - صلى الله عليه وسلم - الرجل ضعيف الإيمان، فقد كان - صلى الله عليه وسلم - يجرل له في العطاء، قال عليه الصلاة والسلام: "إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكب في النار على وجهه". (١)

ولذلك كان صلى الله عليه وسلم "يعطي رجلا من قريش المائة من الإبل". (٢)

ومن مواقفه الحكيمة العظيمة في ذلك ما فعله - صلى الله عليه وسلم - منع المرأة المشركة صاحبة المزدتين، فإنه - عليه الصلاة والسلام - بعد أن أسقى أصحابه من مزدتيها، ورجعت المزدتان أشد ملأة منها حين ابتداء فيها - قال لأصحابه: "اجمعوا لها"، فجمعوا لها - من بين عجوة ودقيقة وسويقة - حتى جمعوا لها طعاما كثيرا وجعلوه في ثوب، وحملوها على بغيرها، ووضعوا الثوب بين يديها، فقال لها: "أذهبى فأطعمي هذا عيالك، تعلمين والله ما رزأناك (٣) من مائك شيئا، ولكن الله هو الذي أسقانا".

وفي القصة أنها رجعت إلى قومها فقالت: لقيت أسحر الناس، أو هو نبي كما زعموا، فهدى الله ذلك المرم (٤) بتلك المرأة، فأسلمت

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الزكاة، باب قوله تعالى: (لايسألون الناس إلحافا) ٢٤٠/٢، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من يخاف على إيمانه ٧٢٢/٢.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعطي المؤلفه قلوبهم ٢٤٩/٦ .

(٣) أي: لم ننقص من مائك شيئا. انظر: فتح الباري ٤٥٢/١ .

(٤) المرم : أبيات مجتمعة من الناس. انظر: فتح الباري ٤٥٢/١ .

وأسلموا. (١)

وفي رواية: فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ولا يميّبون الصرم الذي هي منه، فقالت يوما لقومها: ما أرى أن هؤلاء القوم يدعونكم عمدا، فهل لكم في الإسلام؟ فأطاعوها، فدخلوا في الإسلام. (٢)

وقد كان سبب إسلام هذه المرأة أمران:

ما رآته من أخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من مزادتيها ولم ينقص ذلك من مائها شيئا، وهذا من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.

الأمر الثاني: كرم النبي - صلى الله عليه وسلم - حينما أمر أصحابه أن يجمعوا لها، فجمعوا لها طعاما كثيرا.

أما قومها، فقد أسلموا على يديها، لأن المسلمين صاروا يراعون قومها بإقرار النبي - صلى الله عليه وسلم - على سبيل الاستئلاف لهم، حتى كان ذلك سببا لإسلامهم. (٣)

وهذه الأمثلة التي سقتها ما هي إلا قطرة من بحر من كرم النبي صلى الله عليه وسلم، فما أوجنا، وما أولى جميع الدعاة إلى الله عز وجل إلى الاقتداء

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة ٥٨٠/٦، ومسلم، كتاب

المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها
٤٧٦/١ .

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب التيمم، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من
الماء ٤٤٨/١ .

(٣) انظر: فتح الباري ٤٥٢/١ .

بالنبيي - صلى الله عليه وسلم - والاقْتِباس من نوره وهديه في دعوته وفي أموره كلها، والله المستعان.

١٠ - مواقف النبي - صلى الله عليه وسلم - مع زعيم المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول.

قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة، وقد أجمع الأوس والخزرج على تمليك عبدالله بن أبي، ولم يختلف عليه في شرفه اثنان، ولم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين، وكانوا قد نظموا له الخرز، ليتوجوه ثم يملكوه عليهم، فجاءهم الله تعالى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم على ذلك، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام امتلأ قلبه حقدا وعداوة وبغضا، ورأى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد استلبه ملكه، فلما رأى قومه أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارها، مصرا على النفاق والحقد والعداوة (١)، ولم يبال جهدا في المد عن الإسلام، وتفريق جماعة المسلمين، والذب والمساعدة لليهود.

وقد ظهرت مواقفه الضبيثة في معاداته لدعوة الإسلام، ولكن عن طريق التستر والنفاق، وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقابل عداوته بالعفو والصفح والحلم؛ لأنه يظهر الإسلام، ولأن له أعوانا من المنافقين، هو رئيسهم وهم تبع له، فكان - صلى الله عليه وسلم - يحسن إليه بالمقال والفعال، ويقابل إساءته بالعفو والإحسان في عدة مواقف، منها على سبيل المثال ما يأتي:

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/٢١٦، والبداية والنهاية ٤/١٥٧.

١ - شفاعته لليهود (بنو قينقاع) عندما نقضوا العهد :

نقض بنو قينقاع العهد بعد بدر بكشف عورة امرأة من المسلمين في السوق، وبقتل رجل نصرها من المسلمين(١)، فسار إليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم السبت للنصف من شوال، على رأس عشرين شهرا من الهجرة، وحاصروهم خمسة عشر يوما، وتحصنوا في حصونهم، فحاصروهم أشد الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر بهم فكتفوا، وكانوا سبعمائة مقاتل، فقام إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - عبدالله بن أبي حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في موالي، فأبطل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد، أحسن في موالي، فأعرض عنه، فأدخل يديه في جيب درع النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربع مائة حاسر، وثلاث مائة دارع(٢)، قد منعوني من الأحمر والأسود تحصنهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فوهبهم النبي - صلى الله عليه وسلم - له(٣)، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أذرع من أرض الشام، وقبض منهم أموالهم، وخمس غنائمهم صلوات الله وسلامه عليه.(٤)

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٤٢٧/٢، والبداية والنهاية ٤/٤، والرحيق المختوم

ص ٢٢٨، وهذا الصيب ص ٢٤٦ .

(٢) الحاسر: هو الذي لا درع له، والدارع: هو لابس الدرع. انظر: سيرة ابن

هشام ٤٢٨/٢ .

(٣) انظر: سيرة ابن هشام ٤٢٨/٢، والبداية والنهاية لابن كثير ٤/٤ .

(٤) انظر: زاد المعاد ١٢٦/٣، ١٩٠ .

ب - ما فعله مع النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد :

خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى معركة أحد، فلما صار بين أحد والمدينة انخزل عبدالله بن أبي بنحو ثلث العسكر، ورجع بهم إلى المدينة فتبعهم عبدالله بن عمرو بن حرام - والد جابر رضي الله عنهما - فوبخهم، وحضهم على الرجوع، وقال: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع، فرجع عنهم وسيهم. (١)

فلم يعاقبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على هذا الجرم العظيم، وتخذيل المسلمين.

ج - صده الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن الدعوة إلى الله تعالى :

ركب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى سعد بن عبادة، فمر بعدو الله عبدالله بن أبي وحوله رجال من قومه، فنزل - صلى الله عليه وسلم - فسلم ثم جلس قليلاً، فتلا القرآن، ودعا إلى الله عز وجل، وذكر بالله، وحذر وبشر وأنذر، وعندما فرغ - صلى الله عليه وسلم - من مقالته، قال له عبدالله بن أبي: يا هذا، إنه لا أحسن من حديثك هذا، إن كان حقاً فاجلس في بيتك فمن جاءك له فحدثه إياه، ومن لم يأتك فلا تغته (٢)، ولا تأتته في مجلسه بما يكره منه (٣)، فلم يؤاخذه صلى الله عليه وسلم، وعفى عنه وصفح.

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ١٩٤/٣، وسيرة ابن هشام ٨/٣، ٥٧/٣،

والبداية والنهاية ٥١/٤ .

(٢) أي: لا تكثر عليه به وتتردد به عليه، أو لا تعذبه به. انظر: سيرة ابن

هشام ٢١٩، ٢١٨/٢ .

(٣) انظر: سيرة ابن هشام ٢١٩، ٢١٨/٢ .

د - تشبيته بنى النضير :

عندما نقض يهود بنى النضير العهد بهمهم بقتل النبي صلى الله عليه وسلم، بعث اليهم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده، فبعث اليهم أهل النفاق - وعلى رأسهم عبدالله بن أبي - أن اثبتوا وتمنعوا فاننا لن نسلمكم، ان قوتلتهم قاتلنا معكم، وان أخرجتم خرجنا معكم، فقويت عزيمة اليهود، ونابذوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنقض العهد، فخرج اليهم حتى نزل بهم وحاصرهم، فحذف الله في قلوبهم الرعب، وأجلاههم النبي - صلى الله عليه وسلم - وخرجوا الى خيبر، ومنهم من سار الى الشام. (١)

وترك النبي - صلى الله عليه وسلم - عبدالله بن أبي فلم يعاقبه على ذلك.

هـ - كيدته وغدره للنبي - صلى الله عليه وسلم - ومن معه من المسلمين في

غزوة المريسيع (بنى المصطلق) :

في هذه الغزوة قام عبدالله بن أبي بعدة مواقف مخزية توجب قتله وعقابه،
منها:

١ - دبر المنافقون في هذه الغزوة قصة الإفك، وتولى كبره عبدالله بن أبي

ابن سلول. (٢)

(١) انظر: سيرة ابن هشام ١٩٢/٣، والبدائية والنهاية ٧٥/٤، وزاد المعاد

. ١٢٢/٣

(٢) انظر قصة الإفك في البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب حديث الإفك

٤٣١/٧، وكتاب التفسير، سورة النور، باب (لولا إذ سمعتموه قلت ما يكون

لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم) ٤٥٢/٨، ومسلم، كتاب التوبة،

باب حديث الإفك ٢١٢٩/٤، وزاد المعاد ٢٥٦/٣-٢٦٨.

٢ - وفي هذه الغزوة قال عبدالله بن أبي: (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن

الأعز منها الأذل). (١)

٢ - وفي هذه الغزوة قال عدو الله: (لا تنفكوا على من عند رسول الله حتى

ينفضوا). (٢)

وقد ظهرت الحكمة المحمدية، وتجلت السياسة الرشيدة في إخماد النبي - صلى الله عليه وسلم - نار الفتنة، وقطع دابر الشر - بفضل الله ثم بصبره - على عبدالله بن أبي، وتحمله له، والإحسان إليه، ومقابلة هذه المواقف المخزية من هذا الزعيم المنافق بالعفو؛ لأن هذا الرجل له أعوان، ويخشى من شرمه على الدعوة الإسلامية؛ ولأنه يظهر إسلامه، ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لعمر بن الخطاب - حينما قال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق :-

(١) سورة المنافقون، الآية ٨ .

وانظر: البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين ٦٥٢، ٦٤٨/٨، وفي كتاب المناقب، باب ما ينهى عنه من دعوى الجاهلية ٥٤٦/٦، ومسلم، كتاب البر والصلوة، باب انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ١٩٩٨/٤، وانظر: سيرة ابن هشام ٣٣٤/٣ .

(٢) سورة المنافقون، الآية ٧ .

والحديث في البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب قوله تعالى: (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله) ٦٤٨/٨، ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ٢١٤٠/٤ .

"دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه". (١)

فلو قتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لكان ذلك منفرًا للناس عن الدخول في الإسلام، لأنهم يرون أن عبدالله بن أبي مسلم، ومن ثم سيقول الناس: إن محمدا يقتل المسلمين، فعند ذلك تظهر المفاصد، وتتعمل المصالح.

فظهرت حكمة النبي - صلى الله عليه وسلم - وصبره على بعض المفاصد خوفاً من أن تسترتب على ذلك مفسدة أعظم، ولتقوى شوكة الإسلام، وقد أمر بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.

وقد ظهرت الحكمة في عدم قتل عبدالله بن أبي لعمري بعد ذلك، فقال: "قد

والله علمت، لأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعظم بركة من أمري". (٢)

وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله أن يسلكوا طريق الحكمة في دعوتهم، اقتداء

بأنبيهم صلى الله عليه وسلم.

(١) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب سواء عليهم

أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ٦٤٨/٨، ٦٥٢/٨، ٥٤٦/٦، ومسلم، كتاب البر

والصلة، باب انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ١٩٩٨/٤ .

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم ١٣٩/١٦، والبداية والنهاية ١٥٨/٤، وهذا

الحبيب يا محب ص ٣٣٦ .

المبحث الثاني : مواقف الصحابة رضي الله عنهم

كما كان للنبي - صلى الله عليه وسلم - مواقف حكيمة، فإن للصحابة مواقف مشرفة، تزخر بالحكمة؛ لأنهم تلقوا الحكم العالية من النبي صلى الله عليه وسلم.

وسأشير - إن شاء الله تعالى - إلى مواقف بعض الصحابة على سبيل المثال

لا الحصر في المطالب التالية :

المطلب الأول : مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

المطلب الثاني : مواقف عمر بن الخطاب، الفاروق رضي الله عنه .

المطلب الثالث : مواقف عثمان بن عفان رضي الله عنه .

المطلب الرابع : مواقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

المطلب الخامس: مواقف مصعب بن عمير رضي الله عنه .

المطلب السادس: موقف ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه .

المطلب السابع : موقف سعد بن معاذ رضي الله عنه .

المطلب الثامن : موقف الحسن بن علي رضي الله عنهما .

المطلب الأول : من مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

له - رضي الله عنه - مواقف حكيمة تدل على عظم شأنه وصدقته مع الله عز وجل، ومن هذه المواقف على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١ - دفاعه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - والقيام بنصرته:

عن عروة بن الزبير - رضي الله عنه - قال: قلت لعبدالله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة ابن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولوى شوبه في عنقه، فضنقه ضنقا شديدا، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال: (اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينت من ربكم). (١)

وهو أشجع الصحابة رضي الله عنهم، فقد روي عن علي - رضي الله عنه - أنه خطب، فقال: أيها الناس أخبروني من أشجع الناس؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين! قال: أما إني ما بارزت أحدا إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس! قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر. إنه لما كان يوم بدر، جعلنا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - عريشا، فقلنا: من يكون مع الرسول - صلى

(١) سورة غافر، الآية ٢٨ .

والحديث في البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب ما لقي النبي - صلى

الله عليه وسلم - وأصحابه من المشركين بمكة ١٦٥/٧، ٢٢/٧، ٥٥٢/٨، وتقدم

تخريجه .

الله عليه وسلم - لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر، شاهراً بالسيف على رأس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس.

قال علي رضي الله عنه: ولقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخذته قريش، فهذا يحاده، وهذا يتلته (١)، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا، ويجاهد هذا، ويتلته هذا، وهو يقول: ويلكم، أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، ثم رفع علي بردة كانت عليه، ثم بكى حتى اخضت لحيته، ثم قال علي: أنشدكم الله، أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم. ثم قال: ألا تجيبوني؟ فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مثل مؤمن آل فرعون، ذلك رجل يكرم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه. (٢)

٢ - تصديقه للنبي - صلى الله عليه وسلم - والحرم على حمايته :

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله - صلى الله

(١) يتلته: يزعزعه ويزلزله. انظر: مختار الصحاح، مادة: تل، ص٣٣، والمعجم

الوسيط ٨٧/١ .

(٢) ذكره ابن كثير، وعزاه إلى البزار، انظر: البداية والنهاية ٢٧٢/٣، وقال

الهيثمى في مجمع الزوائد ٤٧/٩: وفيه من لم أعرفه، ولكن لبعض هذا المتن

شواهد في الأحاديث الصحيحة انظرها في صحيح مسلم ١٢٨٢/٢، والبخاري مع

الفتح ٢٨٧/٧، ٢٢/٧، ١٦٥/٧، وانظر: حياة الصحابة للعلامة محمد يوسف

الكاندهلوي ٥٤٠/١، وحلية الأولياء ٢٢/١، وانظر: تاريخ الخلفاء للحافظ

جلال الدين السيوطي ص٢٧ .

عليه وسلم - يقول: "لما كذبني قريش قمت في الحجر، فطلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه". (١)

وقد افتتن ناس كثير عقب الإسراء، ف جاء ناس إلى أبي بكر فذكروا له قصة الإسراء بالنبي - صلى الله عليه وسلم - إلى بيت المقدس، فقال أبو بكر: أشهد أنه صادق، فقالوا: وتمدقه بأنه أتى الشام في ليلة واحدة ثم رجع إلى مكة؟ قال: نعم، إنني أمدقه بأبعد من ذلك، أمدقه بخبر السماء، فسُئِلَ بذلك الصديق. (٢)

وقد كان - رضي الله عنه - يحرص على حماية النبي - صلى الله عليه وسلم - أشد الحرص، فقد ذكر رجال على عهد عمر رضي الله عنه، فكانهم فضلوا عمر على أبي بكر، فبلغ ذلك عمر، فقال: والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر، لقد خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر، فجعل يمشي ساعة بين يديه، وساعة خلفه، حتى فطن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: "يا أبا بكر ما لك تمشي ساعة خلفي، وساعة بين يدي؟" فقال: يا رسول الله، أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك، فقال: "يا أبا بكر، لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني؟" قال: نعم، والذي بعثك بالحق، فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى أستبريء لك الغار، فدخل فاستبرأه، حتى إذا كان ذكر

(١) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء ١٩٦/٧ .

(٢) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٩٩/٧، وعزاه إلى البيهقي في

أنه لم يستبرئ الجحرة (١)، فقال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ، فدخل فاستبرأ، ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل. ثم قال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر. (٢)

وعندما دخل أبو بكر الغار مع النبي - صلى الله عليه وسلم - صار يخاف عليه من قريش حينما رأهم، فقال رضي الله عنه وأرضاه: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا، فقال: "يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن فإن الله معنا". (٣)

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "إن من أمن الناس علي في صحبتي وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته". (٤)

وقال: "لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلاً". (٥)

(١) الجحرة: مفردهما: جحر، وهو المكان الذي تحفره السباع والهوام لأنفسها.

انظر: المعجم الوسيط، مادة (جحر) ١٨٠/١.

(٢) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١٨٠/٢، وعزاه إلى البيهقي، وانظر:

حياة الصحابة ٣٢٩/١، وطيبة الأولياء ٢٢/١.

(٣) البخاري مع الفتح ٢٢٦/٧، ٢٣٠/٧، ٢٥٧/٧، ومسلم ١٨٥٤/٤.

(٤) البخاري مع الفتح ١٢/٧، ومسلم ١٨٥٤/٤.

(٥) البخاري مع الفتح ١٧/٧، ومسلم واللفظ له ١٨٥٥/٤.

٢ - إنفاقه ماله في سبيل الله تعالى :

عندما أسلم أبو بكر - رضي الله عنه - كان من أشرف أثرياء قريش، فكانت عنده أموال كثيرة، وقد كان في منزله يوم أسلم أربعون ألف درهم أو دينار، فاستخدم أمواله كلها في طاعة الله، ومن ذلك ما يأتي:

١ - إنفاق المال في إعتاق الرقاب :

أعتق - رضي الله عنه - رقابا كثيرة، حفظ منهم سبع رقاب: بلال، وعامر بن فهيرة، وزنيرة، والهندية وبناتها، وكانتا لامرأة من بني عبدالدار، وجارية بني مؤمل، وأم عبيس، رضي الله عن الجميع.

وقد كانت هذه الرقاب يعذب معظمها على إسلامها، فأنقذها الله بأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأخذ - رضي الله عنه - ينفق أمواله في خدمة الإسلام والمسلمين. (١)

ب - أخذ جميع ماله يوم الهجرة لانفاقه على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

حمل الباقي من ماله عندما هاجر مع النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، ولم يبق لأهله شيئا، فعن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - قالت: لما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر معه ماله كله، خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم، فانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إنني لأراه قد

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٢٤٠)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/٢٤٢)، والكامل

في التاريخ لابن الأثير (٢/٢٩٠)، والبداية والنهاية (٣/٥٨)، وتاريخ الخلفاء

فجمعكم بماله مع نفسه، قالت: قلت: كلا يا أبت، قد ترك لنا خيرا كثيرا، قالت:
فأخذت أحجارا فجعلتها في كوة (١) في البيت - كان أبي يجعل فيها ماله - ثم
جعلت عليها ثوبا، ثم أخذت بيده فقلت: ضع يا أبت يدك على هذا المال، قالت:
فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إن ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا لكم بلاغ،
قالت: ولا والله ما ترك لنا شيئا، ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك". (٢)

ج - تصدقه بماله كله في غزوة تبوك :

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: أمرنا رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - أن نتمدق، فوافق ذلك مالا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن
سبقته يوما، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أبقيت
لأهلك؟" قلت: مثله. قال: وأتى أبو بكر - رضي الله عنه - بكل ما عنده، فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أبقيت لأهلك؟" قال: أبقيت لهم الله
ورسوله، قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبدا". (٣)

(١) الكوة : ثقب في الحائط . انظر: القاموس المحيط، باب الواو، فصل الكاف
ص١٧١٣ .

(٢) أخرجه أحمد ٢٥٠/٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٩/٦: ورجال أحمد رجال
الصحيح غير ابن إسحاق، وقد مرح بالسماع، وعزاه للطبراني أيضا، وانظر
أيضا: البداية والنهاية ١٢٩/٣، وتاريخ الخلفاء للإمام السيوطي ص٣٩،
وحياة الصحابة للكاندهلوي ١٦٤/٢ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله
عنهما ٦١٤/٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود في الزكاة، باب
الرخصة في ذلك - أي الرخصة في إخراج المال كله - ١٢٩/٢، والدارمي في =

وأبو بكر - رضي الله عنه - أولى الأمة بقوله تعالى: (وسيجزيها الاتقن) .
الذي يؤتى ماله يتزكى . وما لاحد عنده من نعمة تجزى . إلا ابتغاء وجه ربه
الاعلى . (لسوف يرضى) . (١)

٤ - موقف أبي بكر عقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (٢):

أصيب المسلمون يوم وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بمصيبة عظيمة
وهزة عنيفة، أفقدت الكثير منهم صوابهم، حتى أن عمر أنكر موت النبي - صلى
الله عليه وسلم - وخرج إلى الناس وخطبهم، وقال: والله ما مات رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - وليبعثه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم.
وأقبل أبو بكر - رضي الله عنه - على فرس من مسكنه بالسبح حتى نزل فدخل

= الزكاة، باب الرجل يتصدق بجميع ما عنده ٢٢٩/١، والحاكم وصححه على شرط
مسلم ووافقه الذهبي ٤١٤/١، وأبو نعيم في الحلية ٢٢/١ .

(١) سورة الليل، الآية ١٧-٢١ .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق
- رضي الله عنه - حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك. انظر:
تفسير ابن كثير ٥٢٢/٤ .

(٢) انظر له مواقف حكيمة في البخاري مع الفتح في كتاب مناقب الأنصار، باب
أيام الجاهلية ١٤٩/٧، وأبي نعيم في الحلية ٣١/١، وأحمد في الزهد بمعناه
ص ١٦٤، وانظر: حياة الصحابة ٦١١/٢، ٦١٢، وأعلام المسلمين لخالد البيطار
٣٠/١، وصحيح الجامع الصغير للألباني ١٧٢/٤، برقم ٤٣٩٥، وانظر أيضا: فتح
الباري ١٤/٧، فقد ذكر لأبي بكر عجائب في الورع.

المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة - رضي الله عنها - فتييم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو مغشى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بابي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها(١)، ثم خرج أبو بكر - وعمر يكلم الناس - فقال: أيها الحالف على رسلك، وقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فلما تكلم أبو بكر أقبل الناس إليه وتركوا عمر، فجلس عمر - رضي الله عنه - فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمدا - صلى الله عليه وسلم - فإن محمدا - صلى الله عليه وسلم - قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)(٢)، وقال: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فأين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين). (٣)

فوالله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه، وقال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد مات.

قال الراوي: فتلقاها الناس كلهم، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها،

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا

أدرج في أكفانه ١١٣/٢ .

(٢) سورة الزمر، الآية ٢٠ .

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٤٤ .

ونشج الناس بيبكون". (١)

إن المصيبة عظيمة، والأمر كبير، والحادث جليل، والخلاف واقع؛ ولكن أبا بكر - رضي الله عنه - بفضل الله تعالى حل الخلاف، وألف بين القلوب وثبتتها، ولا يقدر على هذا إلا من أوتي قلباً ثابتاً، وشجاعة فائقة، وعقلاً راجحاً، وحكمة بالغة، رضي الله عنه وأرضاه.

وفي اليوم الثاني - يوم الثلاثاء - خطب أبو بكر الناس، وبين لهم ما عليهم، وما لهم، فقام - رضي الله عنه وأرضاه - فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه (٢) حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فيكم، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم

(١) انظر: البخاري مع الفتح، وقد صغت هذه الألفاظ من مواضع متفرقة منه، من

كتاب الجنائر ١١٣/٢، وكتاب فضائل الصحابة ١٩/٧، وكتاب المغازي ١٤٥/٨،

وانظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢٤٢، ٢٤١/٥، وطيبة الأولياء ٢٩/١ .

(٢) هكذا في أصل سيرة ابن هشام ٣٤٠/٤، ولعلها مصحفة، والأصل: أرد عليه حقه.

وانظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٥٧/٣، وفي البداية والنهاية قال:

حتى أريح عنته إن شاء الله. ٢٤٨/٥ .

يرحمكم الله. (١)

وقوله رضي الله عنه: وليت عليكم ولست بخيركم: من باب التواضع، وإلا فإن

المصاحبة كلهم مجتمعون على أنه أفضلهم وخيرهم، رضي الله عنهم أجمعين. (٢)

٥ - موقفه - رضي الله عنه - في إنفاذ جيش أسامة بن زيد رضي الله

عنهما:

ظهرت حكمة الصديق - رضي الله عنه - أثناء تنفيذ جيش أسامة بن زيد -

رضي الله عنهما - من عدة وجوه:

١ - تنفيذ بعث أسامة - رضي الله عنه - رغم شدة الأحوال ومعارضة بعض

المصاحبة، وذلك امتثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم.

بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - في

مرضه الذي توفي فيه (٣)، وندب الناس إلى غزو الروم، وكان تجهيز جيش أسامة

قبل وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - بيومين، وكان ذلك يوم السبت، وقد

كان ابتداء ذلك قبل مرض النبي صلى الله عليه وسلم، ثم اشتد به مرضه، فأمر

بإنفاذ جيش أسامة، وتوفي - صلى الله عليه وسلم - فعظم الخطب، واشتد الحال،

وظهر النفاق بالمدينة، وارتدت أحياء من العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢٤٠/٤، وابن كثير في البداية والنهاية ٢٤٨/٥، قال:

وهذا إسناد صحيح.

(٢) انظر: البداية والنهاية ٢٤٨/٥ .

(٣) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب بعث النبي - صلى الله عليه

وسلم - أسامة بن زيد رضي الله عنهما ١٥٢، ١٥١/٨ .

دفع الزكاة، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة، وكانت جواثا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق؛ وشببت شقيف بالطائف على الإسلام لم يرتدوا.

عندما وقعت هذه الأمور أشار كثير من الناس على أبي بكر الصديق ألا ينفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم؛ لأن ما جهز بسببه في حال السلامة.

وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فامتنع الصديق من ذلك، وأبى أشد الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال كلمته العظيمة الحكيمية: والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين، لأجهز جيش أسامة، وأمر الحرس أن يكونوا حول المدينة.

ب - ثم إن بعض الناس أشار على أبي بكر أن يولي أمر الجيش رجلا أقدم سنا من أسامة؛ فغضب - رضي الله عنه - لذلك، لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو الذي أمر أسامة على هذا الجيش، فلا يريد - رضي الله عنه - أن يغير شيئا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ج - وخرج أبو بكر - رضي الله عنه - يشيع الجيش ويودع أسامة وجيشه، وأبو بكر يسير على قدميه، وأسامة راكبا، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله، أما أن تركب، وأما أن أنزل، فقال أبو بكر: والله لست براكب ولست بنازل، وما علي أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله.

د - واستأذن أبو بكر - رضي الله عنه - من أسامة لعمر بن الخطاب، وقد كان عمر من ضمن الجنود في جيش أسامة، فأذن أسامة لعمر بن الخطاب - رضي الله عن الجميع - وأرضاهم.

فكان خروج أسامة إلى الروم بأرض الشام في ذلك الوقت من أكبر المصالح، فساروا لا يَمرون بحي من أحياء العرب إلا أُرعبوا منهم وأخذهم الخوف والفرع، وقالوا: ما خرج هؤلاء القوم إلا وبهم منعة شديدة، وسنتركهم حتى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم، وبقوا أربعين يوماً - وقيل سبعين يوماً - ثم أتوا سالمين غانمين، وعندما رجعوا جهزهم أبو بكر مع الجيش لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة. (١)

الله أكبر ما أعظم هذا الموقف، وما أحكمه! فقد ظهرت حكيمته وشجاعته وطاعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي سبب النصر والفلاح، وبتنفيذ هذا الجيش أدخل الله الرعب في قلوب المرتدين، واليهود، والنماری، وهذا كله بفضل الله، ثم بامتثال أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بإنفاذ جيش أسامة بن زيد (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم). (٢)

وهذا مما يؤكد على كل مسلم أن يعتني بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويبتعد عن نهيه، وذلك كله هو مدار السعادة والفلاح، والفوز والنجاح في الدنيا والآخرة.

(١) انظر: تاريخ الإمام الطبري ٢/٢٤٦، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٢٢٦، وتاريخ الإسلام للإمام الذهبي - عهد الخلفاء الراشدين ص ١٩، والبداية والنهاية ٦/٢٠٤، ٢٠٥، وفتح الباري ٨/١٥٢، وتاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ص ٧٤، وحياة الصحابة للعلامة محمد يوسف الكاندهلوي ١/٤٢٣، ٤٢٥، ٤٢٧، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاکر ٢/٦٤.

(٢) سورة النور، الآية ٦٢ .

٦ - موقف أبي بكر - رضي الله عنه - مع أهل الردة ومانعي الزكاة :

عندما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ارتدت أحياء كثيرة من العرب، وظهر النفاق، وقد كان أهل الردة على قسمين:

القسم الأول: ارتدوا عن الدين، وناذبوا الملة، وهذه الفرقة طائفتان:

أ - مدعو النبوة وأتباعهم .

ب - والطائفة الأخرى ارتدوا عن الدين، وتركوا الصلاة والزكاة، وعادوا

إلى ما كانوا عليه في الجاهلية.

القسم الثاني: هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة، فأنكروا فرض الزكاة

ووجوب أدائها.

وهذا القسم هو الذي وقع فيه الخلاف، فثبت أبو بكر رضي الله عنه، ثم

وافقه جميع الصحابة على قتال جميع المرتدين ومانعي الزكاة. (١)

فمن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: لما توفي رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن

الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله

فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله"، فقال أبو بكر: والله

لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ٢٠٢/١، والبداية والنهاية ٢١١/٦، وتاريخ

الإسلام للذهبي - عهد الخلفاء الراشدين ص ٢٧، والتاريخ الإسلامي لمحمود

عقالاً (١) كانوا يؤذونه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق. (٢)

وفي رواية: أن أبا بكر - رضي الله عنه - قال: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً (٣) كانوا يؤذونها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقاتلتهم على منعها..". (٤)

(١) العِقال: هو الحبل الذي يعقل به البعير، والعنّاق: هي السطة من الغنم.

انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/٢٨٠، ٣/٣١١.

(٢) مسلم بلفظه في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا

الله ١/٥١، والبخاري مع الفتوح في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة ٣/٢٦٢،

١٢/٢٧٥، ١٣/٢٥٠، ٣/٣٢١، ٣٢٢.

(٣) انظر: هامش (١) من هذه الصفحة.

(٤) البخاري مع الفتوح، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة ٣/٢٦٢، ١٢/٢٧٥،

١٣/٢٥٠، ورواية العنّاق عند البخاري دون مسلم.

وما ذهب إليه أبو بكر رضي الله عنه قد ثبت عن النبي - صلى الله عليه

وسلم - من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، حيث جاء فيه ذكر

الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.

وقد أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا:

لا إله إلا الله ... ١/٥٣، وأبو داود في كتاب الزكاة ٢/٩٣، والترمذي في

الإيمان، باب ما جاء بنبي الإسلام على خمس ٥/٣، والنسائي في الزكاة، باب

عقوبة مانع الزكاة ٥/١٤.

وفي هذا الموقف الحكيم لأبي بكر أدل دليل على شجاعته - رضي الله عنه -
وتقدمه في الشجاعة والعلم على غيره، فإنه ثبت للقتال في هذا الموطن العظيم
الذي هو أكبر نعمة أنعم الله تعالى بها على المسلمين بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم، واستنبط - رضي الله عنه - من العلم بحكمته، ودقيق نظره،
ورصانة فكره، ما لم يشاركه في الابتداء به غيره، فهذا وغيره مما أكرمه
الله به، أجمع أهل العلم بالحق على أنه أفضل أمة محمد صلى الله عليه
وسلم. (١)

فرضي الله عن أبي بكر وأرضاه، وجزاه عن أمة محمد خير الجزاء، فإنه قد
قام بما يجب عليه نحوها، من ترسيخ معاني الإسلام في قلوب ونفوس وحياة أمة
محمد صلى الله عليه وسلم، وأمرها بالثبات على دين الله الذي جاء به النبي -
صلى الله عليه وسلم - من غير زيادة ولا نقص، وطبق ذلك تطبيقاً عملياً على
نفسه، وعلى جميع من بايعه، وقاتل من أنكر شيئاً من ذلك، فقد أعز الله به
الإسلام والمسلمين، وخذل به أعداء الله وأعداء الدين، ولهذا لم ينقمم الدين
في حياته كما قال - رضي الله عنه - لعمر بن الخطاب حينما أشكل عليه قتال
مانعي الزكاة: إنه قد انقطع الوحي وتم الدين، أفينقمم وأنا حي؟ والله
لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: "إلا بحقها"، ومن حقها: إيتاء الزكاة، والله لو خذلني الناس كلهم
لجامدتهم بنفسي". (٢)

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ٢١١/١ .

(٢) انظر: تاريخ الطبري ٢٤٥/٢، ٢٤٦، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاکر ٦٨/٣،

وأعلام المسلمين لخالد البيطار ص٧٥، وحياة الصحابة ٤٢٤/١ .

وصدق - رضي الله عنه - فقد حفظ الله به الدين، ولم ينقص وهو حي، ولهذا كانت خلافته مليئة بالأعمال الجليلة التي تحتاج إلى السنوات الطوال لإنجازها على الرغم من قصر مدة خلافته - رضي الله عنه - فهي لم تزد على سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، وهذا يدل على حكمة أبي بكر العظيمة ووعيه التام بالإسلام، وعزيمته الشابتة الراسخة كالجبال الرواسي، وإيمانه الذي لو وُزِنَ وإيمان الأمة كلها (١) لرجح إيمان أبي بكر بإيمان أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولهذا يعد - رضي الله عنه - هو الذي أرسى الدعائم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وأثبت المفاهيم، فرضي الله عنه وأرضاه. (٢)

(١) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٥٩ .

(٢) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٢، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاکر ٦١/٣ .

المطلب الثاني : من مواقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

لعمر - رضي الله عنه - مواقف مشرفة حكيمة كثيرة جدا، منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١ - موقفه في إظهار إسلامه وهجرته :

عندما أسلم عمر - رضي الله عنه - على يد النبي - صلى الله عليه وسلم - أراد أن يعلم قريش بإسلامه، فسأل عن أنقلهم للحديث، لينقل خبر إسلامه إلى قريش، فقبل له: جميل بن معمر الجمحي، فذهب عمر - رضي الله عنه - إلى جميل، وقال له: أعلمت يا جميل أنني قد أسلمت ودخلت في دين محمد؟ فقام جميل بن معمر يجر رداءه مسرعا حتى قام على باب المسجد، ثم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، ألا إن عمر بن الخطاب قد صبا، فقال عمر وهو واقف خلفه: كذب، ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، فثار عليه قريش من أنديتهم حول باب الكعبة، وقاتلهم وقاتلوه، واستمر القتال بينهم وبينه في هذا الموقف حتى قامت الشمس على رؤوسهم، وقد تعب عمر - رضي الله عنه - فقعده وقاموا على رأسه، وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لتركناها لكم، أو لتركتموها لنا، وبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه طة حبرة، وقميص موشح، حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبا عمر، فقال: فمه، رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ ظلوا عن الرجل! قال عبدالله بن عمر: فوالله لكأنما كانوا شوبا كشط عنه، قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك، جزاه الله خيرا؟ قال: يا بني ذاك العاص بن وائل لاجزاه

الله خيرا. (١)

وبإسلام عمر وأظهاره إسلامه - رضي الله عنه - أعز الله به الإسلام، وفرق به بين الحق والباطل، فسمي الفاروق رضي الله عنه، وأظهر الصحابة صلاتهم حول الكعبة، وقريش ينظرون إليهم. (٢)

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "مازلنا أعرزة منذ أسلم عمر". (٣)

وقال رضي الله عنه أيضا: "كان إسلام عمر فتحا، ومجرتة نصرا، وإمارته رحمة، والله ما استطعنا أن ننجلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا ننجلي". (٤)

(١) انظر: سيرة ابن هشام ١/٣٧٠، والبداية والنهاية لابن كثير، وقال: هذا إسناد جيد قوي ٣/٨٢، وانظر بعض القصة في البخاري مع الفتح ٧/١٧٢، وانظر قصة إسلام عمر في البداية والنهاية ٣/٨١٧٩، وسيرة ابن هشام ١/٣٦٤-٣٧١، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٠٩-١١٥، وفتح الباري ٧/٤٨، ومناقب عمر لابن الجوزي من ١٢-١٨، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاکر ٣/١٢١-١٢٥.

(٢) انظر: مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي من ١٨، ١٩، وتاريخ الخلفاء للسيوطي من ١١٢-١١٥، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاکر ٣/١٢٤، وفتح الباري شرح صحيح البخاري ٧/٤٤.

(٣) البخاري مع الفتح، في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر ٧/٤١، ومناقب الأنصار ٧/١٧٢.

(٤) أخرجه الطبراني، وابن أبي شيبة، وابن سعد. وانظر: فتح الباري ٧/٤٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي من ١١٥، والبداية والنهاية ٣/٧٩، ومجمع الزوائد

وقد كان عمر - رضي الله عنه - يتعرض لرؤوس الكفر، ويعلن أمامهم إسلامه، بل يذهب إلى بيوتهم ويطرق أبوابهم ليخبرهم بأنه قد أسلم، لعلهم يقومون بشيء ضده فيصيبه ما يصيب إخوانه المسلمين، ويستطيع في الوقت نفسه أن ينتقم من تلك الرؤوس، ولم يرد عمر أن يكون هو في نعمة وعافية وراحة، والمسلمون في إيذاء وتعذيب، فعندما أعلن إسلامه، وبدأت قريش تقاتله وشب على عتبة بن ربيعة فبرك عليه، وأدخل أصبعه في عينيه، فجعل عتبة يصيح: فتنحى الناس عن عمر، وقام عمر، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ شريف من دنا منه، حتى تراجع الناس عنه. (١)

وعندما اشتد أذى المشركين على المسلمين، وأذن لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالهجرة من مكة إلى المدينة، وابتدأت وفود المسلمين متجهة إلى المدينة وكلها مختفية في هجرتها وانتقالها، إلا هجرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد روي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال: ما علمت أن أحدا من المهاجرين هاجر إلا مختفيا، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يده أسهما، وأتى الكعبة، وأشراف قريش بفنائها، فطاف سبعا متمكنا، ثم أتى المقام فملى ركعتين، ثم أتى طقهم، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة، فقال: شامت الوجوه، من أراد أن تشكله أمه، ويبتم ولده، وترمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي، فما تبعه منهم أحد. (٢)

(١) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ١٢٥/٢، وأعلام المسلمين لخالد البيطار

. ٢٢، ٢٢/٢

(٢) انظر: تاريخ الظفء للإمام السيوطي ص ١١٥، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر

. ٢٥/٢، وأعلام المسلمين ٢٥/٢

٢ - ومن مواقف عمر الحكيمة تثبيته الناس على بيعة أبي بكر رضي الله

عنه .

عقب وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أنني قد هيات كلاما قد أعجبتني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكننا الأمراء، وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب دارا، وأعربهم أصابا، فبايعوا عمر، أو أبا عبيدة. فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا، وأجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس". (١)

فرضي الله عن عمر وأرضاه، فإنه عندما ارتفعت الأصوات في السقيفة وكثر اللغظ، وخشي عمر الاختلاف، ومن أخطر الأمور التي خشىها عمر أن يبدأ بالبيعة لأحد الأنصار فتحدث الفتنة العظيمة؛ لأنه ليس من اليسير أن يبايع أحد بعد البداء بالبيعة لأحد الأنصار، فأسرع عمر - رضي الله عنه - إخمادا للفتنة، فقال لأبي بكر: ابسط يدك، فيسط يده فبايعه، وبايعه المهاجرون، ثم الأنصار. (٢)

(١) البخاري مع الفتح، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي - صلى الله عليه

وسلم - لو كنت متخذا خليلا ٢٠/٧ .

(٢) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣٢/٧، وسيرة ابن هشام ٣٣٩/٤،

والبداية والنهاية ٢٤٦/٥، ٣٠١/٦، وحياة الصحابة ١١/٢، وتاريخ الخلفاء

وعندما كان يوم الثلاثاء جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت، وما وجدت في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهداً علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنني قد كنت أرى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سيدبر أمرنا، يقول: يكون آخرنا، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن اعتمستم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة بعد بيعة السقيفة. (١)

فكان عمر - رضي الله عنه - يذود ويقوي، ويشجع الناس على بيعة أبي بكر حتى جمعهم الله عليه، وأنقذهم الله من الاختلاف والفرقة والفتنة. فهذا الموقف الذي وقفه عمر مع الناس من أجل جمعهم على إمامة أبي بكر، موقف عظيم من أعظم مواقف الحكمة التي ينبغي أن تسجل بماء الذهب من مواقف عمر الحكيم.

٣ - موقفه الحكيم في إصلاح الأهل قبل الناس :

كان عمر - رضي الله عنه - مع أهله قويا، فكان إذا أراد أن يأمر المسلمين بشيء أو ينههم عن شيء مما فيه صلاحهم ونجاحهم وفلاحهم، بدأ بأهله، وتقدم إليهم بالوعظ لهم، والوعيد على خلافهم أمره، فعن سالم بن عبدالله بن

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢٤٠/٤، والبداية والنهاية ٢٤٨/٥، ٢٠١/٦، والتاريخ

عمر، قال: "كان عمر إذا سعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله، فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأقسم بالله لا أجد أحدا منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة". (١)

وهذا من أعظم مواقف الحكمة؛ لأن الناس ينظرون إلى الداعية ومدى تطبيقه العملي والقولي لما يدعو إليه، كما ينظرون إلى تطبيقه ذلك على أهله ومن تحت يده.

٤ - من مواقف عمر الحكمة في دعوته بتواضعه لله تعالى:

كان عمر - رضي الله عنه وأرضاه - مع قوته في دين الله، وشجاعته، وشدته، على أعداء الله، وهيبة الناس له، وفرار الشياطين منه، كان مع ذلك كله متواضعا، وقافا عند حدود الله، وقد كان يقول: أحب الناس إلي من أهدى إلي عيوبي(٢)، ومن ذلك ما يلي:

١ - عندما مر بالجابية على طريق إيلياء وجلس عندهم، قيل له: أنت ملك العرب، وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل، فلو لبست شيئا غير هذا - يعنون قميصه المرقع - وركبت برذونا(٣)، لكان ذلك أعظم في أعين الروم، فقال: نحن قوم

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك للإمام الطبري ٦٨/٢، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٣١/٢، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٤٠٤/٣، وأعلام المسلمين للبيطار ٥٤/٢ .

(٢) انظر: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٥٤، وأعلام المسلمين لخالد البيطار ص ٥٩ .

(٣) البرذون: الدابة، ويطلق على غير العربي من الخيل والبغال. انظر: القاموس المحيط، باب النون، فصل الباء ص ١٥٢٢، المعجم الوسيط، مادة: برذن ٤٨/١، ومختار الصحاح، مادة (برذن) ص ١٨ .

أعزنا الله بالإسلام، فلا نطلب بغير الله بديلا.

ثم سار عمر من الجابية إلى بيت المقدس، وقد تعبت دابته، فأتوه ببرذون فجعل يهملج به، فقال لمن معه: احبسوا، احبسوا، فنزل عنه، وضرب وجهه، وقال: لا علم الله من علمك، هذا من الخيلاء، ما كنت أظن الناس يركبون الشياطين، ماتوا جملي، ثم نزل وركب الجمل، ثم لم يركب برذونا قبله ولا بعده. (١)

ب - ولما قدم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الشام عرضت له مخاضة، فنزل عن بعيره، ونزع خفيه، وأمسكها بيده، وخاض الماء ومعه بعيره، فقال له أبو عبيدة: قد صنعت اليوم صنعا عظيما عند أهل الأرض، صنعت كذا وكذا، فمك عمر في صدره، وقال: آؤه، لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، إنكم كنتم أذل الناس، وأحقر الناس، وأقل الناس، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله. (٢)

وله مواقف حكيمة في دعوته إلى الله تعالى، لا يتسع المقام لذكرها. (٣)

(١) انظر: البداية والنهاية ٥٧/٧، ٦٠/٧، ١٢٥/٧، ومناقب أمير المؤمنين عمر

ابن الخطاب لابن الجوزي ص ١٥٠، ١٥١ .

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٦٠/٧، وأعلام المسلمين لخالد البيطار

ص ٥٩، ومناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٥٠ .

(٣) ومن حرصه على التواضع أنه كان يدرب نفسه عليه، ولذلك إذا أنكر نفسه

أدبها وجازأها وخاطبها يخوقها بالله، فعن أنس - رضي الله عنه - قال:

كنت مع عمر، فدخل حائطا لحاجته فسمعته يقول - وبينني وبينه جدار الحائط

-: "عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، بخ بخ، والله لتتقين الله يا ابن

الخطاب، أو ليعذبك".

وقيل: إنه حمل قربة على عاتقه فليل له في ذلك، فقال: إن نفسي أعجبتني =

وهذه المواقف العظيمة يبين فيها للناس بقوله وفعله أن العزة والرفعة والتمكين لا تأتي عن طريق الكبر، والفطسة، والإعجاب بالنفس أو الجاه أو السلطان، وإنما يأتي ذلك كله لمن تمسك بالإسلام، ولهذا قال لأبي عبيدة في الخبر السابق: "إنكم كنتم أذل الناس، وأقبر الناس، وأقل الناس، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العزة من غيره يدلکم الله".

رضي الله عن الفاروق وأرضاه، وجزاه عن أمة محمد خير الجزاء، فقد قام بالأعمال العظيمة، وسلك مسلك الحكمة التي من أوتيتها فقد أوتي خيرا كثيرا، ونفذ وصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المشركين، من: يهود، ونصارى، ومجوس، وغيرهم من المشركين، حيث قال - عليه الصلاة والسلام - قبيل موته: "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب". (١)

فطهر - رضي الله عنه - جزيرة العرب من المشركين، ولم يترك أحدا منهم فيها، طبقا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

= فأردت أن أدلها.

وكان يسمع الآية من القرآن فيغشى عليه فيحمل صريعا إلى منزله، فيعاد أياما ليس به مرض إلا الخوف من الله عز وجل. انظر: البداية والنهاية . ١٣٥/٧ .

وانظر مواقف له أخرى: تاريخ الطبري ٥٦٧/٢، ٥٦٨، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٣٠/٣، ومناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٦٩، والبداية والنهاية ١٣٥/٣، وحياة المحابة للعلامة الكاندهلوي ٩٧/٢ .

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الجزية والموادعة، باب إخراج اليهود من جزيرة

العرب ٢٧١/٦ .

المطلب الثالث : مواقف عثمان بن عفان رضي الله عنه :

لعثمان - رضي الله عنه - مواقف حكيمة كثيرة، منها على سبيل المثال
لاالصر ما يأتي:

١ - إنفاقه الأموال العظيمة الكثيرة في سبيل الله تعالى، فقد كان عثمان
- رضي الله عنه - من الأغنياء الذين أغناهم الله عز وجل، وكان صاحب تجارة
وأموال طائلة؛ ولكنه استخدم هذه الأموال في طاعة الله عز وجل ابتغاء مرضاته
وما عنده، وصار سباقا لكل خير، ينفق ولا يخشى الفقر.

ومما أنفقه - رضي الله عنه - من نفقاته الكثيرة على سبيل المثال
مايأتي:

١ - عندما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة المنورة وجد أن
الماء العذب قليل، وليس بالمدينة ما يستعذب غير بئر رومة، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: "من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير
له منها في الجنة". (١)

وقال عليه الصلاة والسلام: "من حفر بئر رومة فله الجنة". (٢)

(١) النسائي في كتاب الوصايا، باب وقف المساجد ٢٢٥/٦، وانظر: صحيح النسائي
٧٦٦/٢، وأخرجه الترمذي في المناقب، باب مناقب عثمان رضي الله عنه
٦٢٢/٥، وانظر: صحيح الترمذي ٢٠٩/٢، وتحفة الأحمدي ١٩٦/١٠، وفتح الباري
٥٤/٧ .

(٢) البخاري مع الفتح ٤٠٧/٥، ٥٢/٧، ١١١/٨، وانظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي
ص ١٥١ .

وقد كانت رومة قبل قدوم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة لا يشرب منها أحد إلا بثمن، فلما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة، وكان يبيع منها القربة بعد، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "تبيعنيها بعين في الجنة؟" فقال: يا رسول الله! ليس لي ولا لعيالي غيرها، فبلغ ذلك عثمان - رضي الله عنه - فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: أتجعل لي فيها ما جعلت له؟ قال: "نعم"، قال: قد جعلتها للمسلمين. (١)

وقيل: كانت رومة ركية ليهودي يبيع المسلمين ماء، فاشتراها عثمان بن عفان من اليهودي بعشرين ألف درهم، فجعلها للغني والفقير وابن السبيل. (٢)

ب - بعد أن بنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسجده في المدينة فصار المسلمون يجتمعون فيه ليملوا الملوات الخمس، ويحضرُوا خطب النبي - صلى الله عليه وسلم - التي يصدر إليهم فيها أوامره ونواميه، ويتعلمون في المسجد أمور دينهم، وينطلقون منه إلى الغزوات ثم يعودون بعدها، ولذلك ضاق المسجد بالناس، فرغب النبي - صلى الله عليه وسلم - من بعض الصحابة أن يشتري بقعة بجانب المسجد، لكي تزداد في المسجد حتى يتسع لأهله، فقال صلى الله عليه وسلم: "من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة؟"،

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري ٤٠٧/٥، وعزاه بسنده إلى البغوي في الصحابة،

وانظر: تحفة الأهودي بشرح سنن الترمذي ١٩٦/١٠ .

(٢) انظر: تحفة الأهودي بشرح سنن الترمذي ١٩٠/١٠، وأعلام المسلمين لخالد

البيطار ٣٩/٢، وفتح الباري ٤٠٨/٥ .

فاشتراما عثمان بن عفان - رضي الله عنه - من صلب ماله (١) بخمسة وعشرين ألف

درهم، أو بعشرين ألفاً، ثم أضيفت للمسجد. (٢)

ووسع على المسلمين رضي الله عنه وأرضاه. (٣)

ج - عندما أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرحيل إلى غزوة تبوك

حث الصحابة الأغنياء على البذل لتجهيز جيش العسرة الذي أعده رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - لغزو الروم، فأنفق أهل الأموال من صحابة رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - كل على حسب طاقته وجهده.

أما عثمان بن عفان فقد أنفق نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلاً، فقد ثبت أنه

أنفق في هذه الغزوة ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وجاء بألف دينار فنشرها

في حجر النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخذ النبي - صلى الله عليه وسلم -

يقلبها في حجره ويقول: "ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا اليوم" قالها مراراً. (٤)

(١) الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان رضي الله عنه ٦٢٧/٥، وانظر:

صحيح الترمذي ٢٠٩/٣، وأخرجه النسائي، كتاب الوصايا، باب وقف المساجد

. ٢٢٥/٦

(٢) النسائي، كتاب الوصايا، باب وقف المساجد ٢٢٤/٦، وانظر: صحيح النسائي

. ٧٦٦/٢

(٣) انظر: فتح الباري ٤٠٨/٥، وأعلام المسلمين لخالد البيطار ٤١/٣ .

(٤) الترمذي، في كتاب المناقب، باب مناقب عثمان رضي الله عنه ١٩٣/٥،

والحاكم - واللفظ له - وصححه ووافقه الذهبي ١٠٢/٣، وانظر: فتح الباري

بشرح صحيح البخاري ٥٤/٧، ٤٠٨/٥، ١١١/٨، وسيرة ابن هشام ١٧٢/٤، =

وهذه نفقة عظيمة جدا تدل على صدق عثمان وقوة إيمانه، ورغبته فيما عند الله تعالى، وإيثار الآخرة على الدنيا، فرضي الله عنه وأرضاه، فقد حصل على الثواب العظيم والجزاء الذي ليس بعده جزاء : "من جهز جيش العسرة فله الجنة". (١)

٢ - موقف عثمان العظيم في جمع الأمة على قراءة واحدة، وحسم الاختلاف :
كان من أعظم مواقف الحكمة التي وقفها عثمان جمع شمل أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - على قراءة واحدة، وقد كان ذلك من مناقبه الكبار، وحسناته العظيمة، أنه جمع الناس على قراءة واحدة، وكتب المصحف على العرصة الأخيرة التي درسها جبريل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في آخر سني حياته، وكان سبب ذلك أن حنيفة بن اليمان كان في غزوة أهل الشام في فتح أرمينية، وأذربيجان، مع أهل العراق، وقد اجتمع في هذه الغزوة خلق من أهل الشام، ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود، وأبي الدرداء، وأبي بن كعب، وجماعة من أهل العراق ممن يقرأ على عبدالله بن مسعود، وأبي موسى، وجعل من لا يعلم بجواز القراءة على سبعة أحرف يفضل قراءته على قراءة غيره، وربما خطأ الآخر أو كفره، فأدى ذلك إلى اختلاف شديد وانتشار في الكلام السيء بين الناس، فركب حنيفة إلى عثمان وقد أفضعه اختلافهم في القراءة، فقال: يا أمير المؤمنين!

= والبداية والنهاية ٤/٥، ٢٠١/٧، وتأريخ الخلفاء للسيوطي ص١٥١، وحياة الصحابة ٢/٢٦٤، ٢٦٥، وانظر: صحيح الترمذي ٣/٢٠٨-٢١٠، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاکر ٢/٢٢٢، ٢/٢٥٢ .

(١) البخاري مع الفتح ٥/٤٠٧، وتقدم تخريجه، وانظر: البداية والنهاية ٧/٢٠١.

أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى في كتبهم، وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة، فعند ذلك جمع عثمان الصحابة، وشاورهم في ذلك، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به دون ما سواه، لما رأى في ذلك من مصلحة كف المنازعة، ودفعت الاختلاف، فأرسل عثمان إلى حفصة - رضي الله عنها - يستدعي بالمصحف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها، فكانت عند الصديق أيام حياته، ثم كانت عند عمر، فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين.

وعندما جاءت الصحف أمر عثمان زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد ابن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان المصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق من الأفاق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. (١)

وكانت المصاحف الأئمة سبعة كالتالي:

أرسل مصحفا إلى مكة، ومصحفا إلى الشام، ومصحفا إلى اليمن، ومصحفا إلى البحرين، ومصحفا إلى البصرة، ومصحفا إلى الكوفة، وأقر بالمدينة مصحفا، وهذه المصاحف كلها بخط زيد بن ثابت، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبة إلى أمر عثمان وزمانه وإمارته، وحرق ما سوى هذه المصاحف مما بأيدي الناس مما يخالف هذه المصاحف السبعة، وأجمع الصحابة على ذلك عند الشورى بالرسم، وعند

(١) انظر: البخاري مع الفتح ١٠/٩، ١١، ٣٤٤/٨، والبداية والنهاية ٢١٧/٧،

التلقي فاجتمع شمل الأمة على هذه المصاحف ولله الحمد والمنة. (١)
فحمل الاجتماع والاختلاف، وزال الاختلاف والفرقة، واجتمعت القلوب بفضل الله
تعالى، ثم بفضل حكمة عثمان رضي الله عنه وأرضاه.

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢١٧/٧، وفتح الباري ٢٠/٩ .

والفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان، أن جمع أبي بكر كان خشية أن
يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته؛ لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد،
فجمعه في محائف مرتبا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه
وسلم، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القرآن حين قرءوه بلغاتهم
على اتساع اللغات، فأدى ذلك ببعضهم إلى تخطئة بعض، فضي من الفتنة
والهلاك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد.

انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٢١/٩، وتاريخ الخلفاء للإمام جلال
الدين السيوطي من ٧٧ .

المطلب الرابع : مواقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، هو أول من أسلم من الصبيان، كما أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال، وخديجة أول من أسلم من النساء، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالى، فكان علي - رضي الله عنه - من السابقين الأولين إلى الإسلام، وله مواقف كثيرة مشرفة يعتز بها كل مسلم، ويرتفع رأسه بذلك، ولا يتسع المقام لذكرها، وسأقتصر على أربعة مواقف من مواقفه - رضي الله عنه - البطولية الحكيمة، التي وقفها - رضي الله عنه - ابتغاء مرضات الله تعالى والدار الآخرة، وهذه المواقف كالتالي(١):

١ - موقفه - رضي الله عنه - في تقديم نفسه فداء للنبي - صلى الله عليه

وسلم - ودعوته:

عندما اجتمع قريش في دار الندوة، وأجمعوا على قتل النبي - صلى الله عليه وسلم - والتخلص منه، أعلم الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - بذلك، وكان النبي - عليه الصلاة والسلام - أحكم خلق الله، فأراد أن يبقى من أراد قتله ينظر إلى فراشه ينتظرونه يخرج عليهم، فأمر علي بن أبي طالب الشاب البطل أن ينام في فراشه تلك الليلة، ومن يجرؤ على البقاء في فراش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والأعداء قد أحاطوا بالبيت يتربصون به ليقتلوه؟ من يفعل هذا ويستطيع البقاء في هذا البيت وهو يعلم أن الأعداء لا يفرقون بينه وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مضجعه؟ إنه لا يفعل ذلك إلا أبطال الرجال وشجعانهم بفضل الله تعالى، فرضي الله عن علي وأرضاه.

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢٢٢/٧ .

وقد أمره النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يقيم بمكة أياما حتى يؤدي أمانة الودائع والوصايا التي كانت عنده إلى أصحابها من أعدائه كاملة غير منقوصة، وهذا من أعظم العدل، وأداء الأمانة. (١)

٢ - موقفه في بدر مع رؤوس الكفر :

عندما تراجع غزوات النبي - صلى الله عليه وسلم - الكبيرة يوجد ذكر علي ابن أبي طالب مقرونا بها، فتارة يحمل اللواء، وتارة يفرق جموع الأعداء، وتارة يفتح الحصون المستعصية ويهدم الأصنام، فهو بطل معلم.

عندما تواجه الجيشان في معركة بدر الكبرى، والتقى الفريقان، وحضر الضمان بين يدي الرحمن، واستغاث بربه سيد الأنبياء، وضح الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الأرض والسماء، وكاشف البلاء، وقبل اشتباك المعركة والتحامها خرج من جيش المشركين عتبة بن ربيعة - يريد أن يظهر شجاعته - فبرز بين أخيه شيبه وابنه الوليد، فلما توسطوا بين المفين دعوا إلى البراز، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار: عوف بن الحارث، ومعوذ بن الحارث - ابنا عفراء - وعبدالله ابن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، فقالوا: ما لنا بكم من حاجة، ونادى مناديتهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقبل: قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي، فلما دنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ فقال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي. قالوا: أكفاء كرام، فبارز عبيدة - وكان أسن القوم - عتبة، وبارز حمزة شيبه، وبارز علي الوليد بن عتبة.

(١) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٦٦ .

فقتل علي الوليد فورا، وقتل حمزة شيبه في الحال، واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما اثبت صاحبه، فكر حمزة وعلي بأسيفهما على عتبه فأكملا قتله، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابهما رضي الله عنهم.

وكان ذلك - بيّان الله - بداية النصر وتشجيع للمسلمين، وخذلان ورعب في قلوب المشركين. (١)

روى البخاري عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: "أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، وقال قيس بن عباد: وفيهم أنزلت (هذان خصمان اختصموا في ربهم). (٢)

قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، وشيبه بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة". (٣)

فرضى الله عن جميع الصحابة وأرضاهم، فإنهم كانوا لا تأخذهم في الله لومة

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢٧٢/٣، ٢٧٣، بتصرف، وفتح الباري ٢٩٩/٧، وزاد المعاد لابن القيم ١٧٩/٣، وقصة المباراة أخرجها أحمد (١١٧/١)، وأبو داود ٥٢/٣ برقم ٢٦٦٥ في الجهاد، باب المباراة من حديث علي، وإسناده قوي.

(٢) سورة الحج، الآية ١٩ .

وانظر: البخاري مع الفتح ٩٦/٧ .

(٣) البخاري مع الفتح، في كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل ٢٩٦/٧، ٢٩٧/٧، وفي كتاب التفسير، باب هذان خصمان اختصموا في ربهم ٤٤٣/٩، وانظر أيضا: البداية والنهاية ٢٧٢/٣، وأعلام المسلمين لخالد البيطار ص ٦٢ .

لائم، قال الله عز وجل: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا). (١)

٢ - موقف علي - رضي الله عنه - في يوم الأحزاب (يوم الخندق):

في سنة خمس من الهجرة كانت غزوة الخندق في شهر شوال.

وكان سبب هذه الغزوة أن جماعة من اليهود خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعواهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأمله، فتعاهدوا على حرب النبي صلى الله عليه وسلم، ثم خرج هؤلاء الجماعة من اليهود حتى جاءوا قبائل غطفان، فدعواهم لذلك فأجابوهم، ثم طافوا في قبائل العرب فاستجاب لهم من استجاب، ونقضت بنو قريظة العهد امتثالا لأمر حبي بن أخطب عندما حرض كعب بن أسد القرظي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بهم وبما أجمعوا عليه من الأمر ضرب الخندق على المدينة بمشورة سلمان الفارسي فحفروا الخندق بينهم وبين العدو، وجعلوا جبل سلع من خلف ظهورهم، وكان من وافي الخندق من الكفار عشرة آلاف، والمسلمون مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة آلاف، وقد حاصروا النبي - صلى الله عليه وسلم - شهرا، ولم يكن بينهم قتال، لأجل ما حال الله به من الخندق بينهم وبين المسلمين، إلا أن فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد ود العامري أقبلوا فجالت بهم خيولهم، فنظروا إلى مكان ضيق من الخندق فاقتحموه، ثم جالت بهم خيولهم في السبخة بين الخندق و سلع، ودعوا إلى

إلى البراز. (١)

وهذا هو موضع الشاهد لموقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

قال عمرو بن عبد ود في هذا الموقف: من يبارز؟ فقام علي بن أبي طالب، فقال: أنا لها يا رسول الله! فقال: "إنه عمرو، اجلس"، ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنبهم، ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تُبرِزون إليّ رجلاً؟ فقام علي، فقال: أنا يا رسول الله! فقال: "اجلس" ثم نادى الثالثة ... فقام علي رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله أنا. فقال: "إنه عمرو"، فقال: وإن كان عمرا! فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمشى إليه علي حتى أتى إليه، فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي. قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، وقال علي: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل، قال علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لاجبة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النزال، فقال له: لم يا ابن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك. قال له علي: ولكني والله أحب أن أقتلك، فغضب عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي وسل سيفه كأنه شعلة نار، فاستقبله علي بالترس، فشق السيف الترس، فضربه علي على جمل عاتقه، فسقط، وثار الغبار، وسمع المسلمون التكبير، فعرفوا أن عليا قتله.

(١) انظر: زاد المعاد ٢/٢٦٩-٢٧٦، وسيرة ابن هشام ٢/٢٢٩-٢٥٢، والبداية

وقال علي رضي الله عنه:

نصر الحجازة من سفاهة رأيه
ونصرت رب محمد بصوابي
فصدرت حين تركته متجدلا
كالجذع بين دكادك وروابي

وبعد هذه المباراة انهزم الباقون، وخرجت خيولهم حتى اقتحمت الخندق. (١)

وهكذا ظهرت الشجاعة العظيمة الحكيمة، ومن عظم هذه الحكمة أن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - دعا عمرا إلى الله فأبى ذلك، فدعاه إلى النزال فنزل،

فقتله رضي الله عنه، فكان ذلك من أسباب نصر المسلمين بإذن الله تعالى. (٢)

فظهرت حكمة علي - رضي الله عنه - في هذا الموقف من عدة وجوه، منها:

أ - استئذانه النبي - صلى الله عليه وسلم - في المباراة.

ب - تذكيره لعمر بن عبد ود ما عاهد عليه الله من قبول ما يعرض عليه

من الخصال من قريش .

ج - وعند إقرار عمرو بما عاهد اتخذ علي ذلك مدخلا، فقال: إنني أدعوك إلى

الله وإلى رسوله وإلى الإسلام.

د - وعندما امتنع من قبول هذه الدعوة دعاه إلى النزال، فلم ينزل،

فاستفزه ليغضبه، فلما نزل قتله رضي الله عنه، فانهزم المشركون بفضل الله،

ثم بدخول الرعب في قلوبهم بهذا الموقف الحكيم.

(١) انظر: البداية والنهاية ١٠٦/٤، وسيرة ابن هشام ٢٤٠/٣، وزاد المعاد

٢٧٢/٣، وانظر أيضا شجاعة علي - رضي الله عنه - في حياة الصحابة للعلامة

الكاندهلوي ٥٤١/١-٥٤٦ .

(٢) انظر: غزوة الخندق كاملة في زاد المعاد ٢٦٩/٣-٢٧٦، وسيرة ابن هشام

٢٢٩/٣-٢٥٢، والبداية والنهاية ٩٢/٤-١١٦ .

٤ - موقف علي - رضي الله عنه - في غزوة خيبر :

في السنة السابعة للهجرة سار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى خيبر، وكان إذا أتى قوماً بليل لم يقربهم حتى يصبح، فلما أصبح صبح خيبر بكرة، فخرج أهلها بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا: محمد والله والخميس، محمد والخميس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين". (١)

ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم خيبر: "الأعطين هذه الراية غدا رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله"، فبات الناس يدوكون (٢) ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: "أين علي بن أبي طالب؟" قيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: "أرسلوا إليه"، فأتى به فبصق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله! أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن

(١) البخاري مع الفتح، المغازي، باب غزوة خيبر ٤٦٧/٧، ومسلم، كتاب الجهاد

والسير، باب غزوة خيبر ١٤٢٧/٢، وانظر: زاد المعاد لابن القيم ٣١٦/٣ .

(٢) يدوكون: أي يخوضون ويتحدثون في ذلك. انظر: شرح النووي ١٢٨/١٢ .

يكون لك حمر النعم". (١)

وبدا علي - رضي الله عنه - وأخذ الراية، وخرج مرحب فقال:

قد علمت خير أني مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة (٢) كليث غابات كريبه المنظره

أوفيهم بالصاع كيل السندرة (٣)

فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه. (٤)

فرضي الله عن علي وأرضاه، فقد قام بهذه البطولة النادرة بعد حصار النبي - صلى الله عليه وسلم - لأهل خيبر قريبا من عشرين يوما، ثم يسر الله فتحها على يد علي رضي الله عنه، فخرج الناس من حصونهم يسعون في السكك، فقتل

(١) البخاري مع الفتح، في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٤٧٦/٧، وكتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي ٧٠/٧، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل علي ١٨٢١/٤، ١٤٤١/٣ .

(٢) حيدرة: اسم للأسد، وكان علي - رضي الله عنه - قد سمي أسدا في أول ولادته، وكان مرحب قد رأى في المنام أن أسدا يقتله، فذكره علي بذلك ليخيفه ويضعف نفسه. شرح النووي على صحيح مسلم ١٨٥/١٢ .

(٣) معناه: أقتل الأعداء قتلا واسعا ذريعا، وقيل: السندرة: مكيال واسع. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٨٥/١٢ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها مطولا ١٤٤١/٣، وانظر: زاد المعاد ٣٢١/٣، وحياة الصحابة ٥٤٤/١ .

النبي - صلى الله عليه وسلم - المقاتلة، وسبى الذرية، وكان في السبي صفة،
ثم صارت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأعتقها، وجعل عتقها صداقها،
فأصبحت أما للمؤمنين. (١)

وقد ظهرت حكمة علي - رضي الله عنه - في هذا الموقف من عدة وجوه، منها:

أ - قوله: "أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟" فإنه - رضي الله عنه - استفسر
من النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل القتال، إلى أي مدى يستمر القتال،
وهذا من أعظم الحكمة؛ لأن الداعية لا بد له من وضوح الهدف والغاية، وأن يكون
على بصيرة من أمره.

ب - وقوله: "أنا الذي سمتني أمي حيدرة"، وهذا فيه تذكير لمرحب؛ لأنه قد
رأى في المنام أن أسدا يقتله، فذكره علي - رضي الله عنه - بذلك ليخيفه
ويضعف نفسه، حتى يستولي على قتله.

ج - وقوله: "أوفيهم بالصاع كيل السندرة" هذا فيه إرهاب وإخبار لمرحب أن
علي بن أبي طالب يقتل الأعداء قتلا واسعا ذريعا.

د - ثم ختم هذه الحكم بقتل مرحب، فهزم الله به الأعداء، ونصر المسلمين
عليهم نصرا مؤزرا، فله الحمد أولا وآخرا.

(١) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٤٦٩/٧، وانظر:

البداية والنهاية ١٨١/٤-١٩١، وابن هشام ٣٧٨/٣-٣٨٨، وانظر: ترجمة علي بن

أبي طالب - رضي الله عنه - كاملة في الإصابة في تمييز الصحابة

٥١٠-٥٠٧/٢، وفي البداية والنهاية ٢٢٢/٧-٢٢٤، وانظر: شجاعة علي أيضا في

حياة الصحابة للكاندهلوي ٥٤١/١-٥٤٦.

المطلب الخامس : موقف مصعب بن عمير رضي الله عنه :

بعد بيعة العقبة الأولى في سنة إحدى عشرة من البعثة أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع هؤلاء المبايعين أول داعية وأول سفير في يثرب، ليعلم المسلمين فيها شرائع الإسلام، ويفقههم في الدين، وليقوم بنشر الإسلام بين المشركين.

واختار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لهذا العمل العظيم مصعب بن عمير العبدري رضي الله عنه.

وعندما وصل مصعب إلى يثرب نزل على أسعد بن زرارة، ابن خالة سعد بن معاذ، وأخذ مصعب يؤدي مهمته في الدعوة إلى الله تعالى.

ومن أروع ما يروى من نجاحه وحكمته في الدعوة أن أسعد بن زرارة خرج به يوماً إلى دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر، فدخل به حائط بني ظفر على بئر يقال لها: بئر مرق، فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، فسمع بهما أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وهما يومئذ سيدي بني عبد الأشهل، وكانا مشركين، فقال سعد لأسيد: اذهب إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا، ليسفها ضعفاءنا فازجرهما، وانهما عن أن يأتيا دارينا، فإن أسعد بن زرارة ابن خالتي، ولولا ذلك لكفيتك هذا.

فأخذ أسيد حربته، وأقبل إليهما، فلما رآه أسعد قال لمصعب: هذا سيد قومك قد جاءك فاصدق الله فيه، فقال مصعب: إن يجلس أكلمه.

وجاء أسيد فوقف عليهما متشتماً، فقال: ما جاء بكما إلينا، تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة. فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره؟ فقال: أنصفت، ثم ركز حربته، وجلس إليهما.

فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالوا: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تحذوا هذا الدين؟ قالوا له: تغتسل، وتطهر ثيابك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تملي، فقام واغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلا إن يتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، وهو سعد بن معاذ.

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم في ناديهم، فلما نظر إليه سعد ابن معاذ مقبلا قال: أطف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسا، وقد نهيتهما فقالوا: نفعنا ما أصبت، واحتال أسيد على سعد من أجل أن يذهب إلى مصعب؛ لكي يحدث له ما حدث له، فقام سعد بن معاذ مفضبا وأخذ الحربة، فلما رأهما مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف متشتما لهما، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة، والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارنا بما نكره؟ وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب: جاءك والله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك ما تخلف عنك منهم اثنان.

قال مصعب لسعد: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرا ورضيت فيه قبيلته، وإن كرمته عزلنا عنك ما تكره، قال سعد: أنصفت. ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن. قالوا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم؛ لإشراقه وتسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالوا: تغتسل وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تملي ركعتين، فقام واغتسل وطهر ثوبيه، وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل

عائدا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه مقبلا قالوا: نلطف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبدالأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيا، وأيمننا نقيبة. قال: فإن كلام رجالكم ونساءكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله. قالوا: فوالله ما أمسى في دار بني عبدالأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما أو مسلمة.

ورجع مصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بني أمية، وخطمة، وواثل، وواقف، وهم من الأوس بن حارثة، فإنهم أطاعوا أبا قيس الشاعر، وهو ابن الأسلت، واسمه صيفي، فوقف بهم عن الإسلام حتى كان بعد الخندق. (١)

وهذه الاستجابة العظيمة بسبب فضل الله ثم فضل مصعب بن عمير رضي الله عنه، فقد ضرب به المثل في حكمته وحسن دعوته وصبره وطمه ورفقه وأناته عند سماع التهديد من قبل أسيد وسعد رضي الله عنهم، فأثر هذا الموقف الحكيم عليهما وأسلما، وأسلم - بفضل الله ثم بإسلامهما - هذا الجمع الغفير في يوم واحد، فرضي الله عن مصعب، ورضي عن صاحبه أسعد، فقد أنقذ الله بهما مدينة كاملة، ولله الحمد والمنة.

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٥٢/٣، وسيرة ابن هشام ٤٣/٢، والرحيق المختوم من ١٤٠، وهذا الحبيب يا محب من ١٤٥، وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٤٢١/٢، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٤٥/١، وحياة الصحابة للعلامة الكاندهلوي ١٨٧/١-١٨٩.

المطلب السادس : موقف ضمام بن شعلبة مع قبيلة بني سعد :

بعث بنو سعد ضمام بن شعلبة وافدا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فقدم المدينة، وأتاه بعيره على باب المسجد ثم عقله، ثم دخل المسجد ورسول
الله - صلى الله عليه وسلم - جالس في أصحابه، وكان ضمام جذا، فأقبل حتى
وقف على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أصحابه، فقال: أيكم محمد؟
فقال الصحابة: هذا الرجل الأبيض المتكي، فقال له الرجل: ابن عبدالمطلب،
فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أقد أجبتك"، فقال الرجل للنبي صلى الله
عليه وسلم: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك. فقال:
"سل عما بدا لك". فقال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله
أرسلك؟ قال: "صدق". قال: فمن خلق السماء؟ قال: "الله". قال: فمن خلق الأرض؟
قال: "الله". قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: "الله". قال:
فبالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب هذه الجبال، آله أرسلك؟ قال: "نعم".
قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال: "صدق". قال:
فبالذي أرسلك، آله أمرك بهذا؟ قال: "نعم". قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة
في أموالنا. قال: "صدق". قال: فبالذي أرسلك، آله أمرك بهذا؟ قال: "نعم".
قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا. قال: "صدق". قال: فبالذي
أرسلك، آله أمرك بهذا؟ قال: "نعم". قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من
استطاع إليه سبيلا. قال: "صدق". قال: فبالذي أرسلك، آله أمرك بهذا؟ قال:
"نعم". ثم ولى، قال: والذي بعثك بالحق لا أريد عليهن ولا أنقص منهن، فقال

النبي صلى الله عليه وسلم: "لئن صدق ليدخن الجنة". (١)

فاتى ضمّام بغيره فأطلق عقّاله، ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: بيئت اللات والعزى. فقالوا: مه ضمّام! اتق البرص، اتق الجدّام، اتق الجنون. فقال: ويلكم، إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولا، وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وقد جعلتكم من عنده بما أمركم به، وما نهاكم عنه.

قال الراوي: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا

مسلمًا، وما سمع بوفاد قوم كان أفضل من ضمّام بن شعلبة. (٢)

وهذا يدل على حكمة ضمّام بن شعلبة، فإنه سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - أولاً عن صانع المخلوقات من هو؟ ثم أقسم عليه به أن يصدقّه في كونه رسولا لخالق هذه المخلوقات، ثم لما وقف على رسالته وعلمها أقسم عليه بحق مرسله.

وهذا ترتيب يحتاج إلى حكمة عظيمة، وعقل رصين، وهو من حسن سؤال هذا

الرجل وملاحظة سياقه وترتيبه. (٣)

(١) انظر: البخاري مع الفتح في كتاب العلم، باب ما جاء في العلم (١/١٤٨)،

ومسلم في كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام (١/٤١)، وأحمد في

المسند ١٤٣/٣، ١٩٣/٣، والألفاظ من هذه المواضع كلها.

(٢) انظر: البداية والنهاية ٦٠/٥، وسيرة ابن هشام ٣٤٢/٤، والإمامية في تمييز

الصحابة ٢١٠/٢ .

(٣) انظر: شرح مسلم على النووي (١/١٧٠)، وفتح الباري (١/١٤٩) .

ولم يقتصر على هذا، بل جاء بأمر آخر يدل على حكمته وصدقته في قوله، فإنه عرض على قومه الإسلام، وبيّن لهم بطلان اللات والعزى، وأنهما لا يضران ولا ينفعان، وغرس الإيمان في قلوبهم بأن الله هو الضار النافع، وأن ما سواه عاجز عن ذلك، وحمل إليهم جميع ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلموا في لحظة واحدة قبل الليل.

وهذا يدل على حكمة ضام في دعوته قومه إلى الله تعالى، فقد استخدم معهم هذا الموقف الحكيم وهذا الأسلوب الناجح المسدد، وهذا فضل عظيم لضمام ولمن وفقه الله بالدعوة إلى الله بالحكمة التي من أوتيتها فقد أوتي خيرا كثيرا.

المطلب السابع : موثق سعد بن معاذ في حكمه في بني قريظة :

كانت بنو قريظة أشد اليهود عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد نقضوا العهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الأحزاب، وتحزبوا مع الأحزاب، ونالوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالسب ونقض العهد. وبعد أن هزم الأحزاب رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، قالت عائشة رضي الله عنها: فلما رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل عليه السلام - وهو ينفذ رأسه من الغبار - فقال: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعت، أخرج إليهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فأين؟ فأشار إلى بني قريظة. (١)

فخرج إليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحامرهم خمسا وعشرين ليلة، وهم في حصونهم، ثم نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقامت إليه الأوس، فقالوا: يا رسول الله! قد فعلت في بني قينقاع ما قد علمت، وهم حلفاء إخواننا الخزرج، وهؤلاء موالينا فأحسن فيهم، فقال: "ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟" قالوا: بلى. قال: "فذلك إلى سعد بن معاذ". قالوا: قد رضينا. فأرسل إلى سعد بن معاذ (٢)، وكان في المدينة لم يخرج معهم لجرح كان قد أصيب به يوم الخندق، رماه رجل من قريش في الأكل، فضرب النبي

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب مرجع النبي - صلى الله عليه وسلم

- من الأحزاب ٤١١/٧ .

(٢) انظر: زاد المعاد ١٣٤/٣ .

- صلى الله عليه وسلم - له خيمة في المسجد ليعوده من قريب". (١)

وقد قال سعد عندما أصيب بالجرح: "اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها؛ فإنه لا قوم أحب إلي من أن أجاهدهم فيك، آذوا نبيك وكذبوه وأخرجوه، اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة". (٢)

ووصل من أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى سعد، فأركب على حمار، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعل بعض الأوس يقول لسعد وهو في طريقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم. فلما انتهى سعد إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قوموا إلى سيدكم" فلما أنزلوه، قالوا: يا سعد، إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه إن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم. قال: وعلى من ههنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو معرض عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إجلالا له. قال: "نعم". قال سعد: فإني أحكم فيهم: أن تقتل الرجال، وتقسم

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب مرجع النبي - صلى الله عليه وسلم

- من الأحزاب ٤١١/٧، وانظر ترجمة سعد بن معاذ في سير أعلام النبلاء ٢٧٩/١.

(٢) سيرة ابن هشام عن ابن إسحاق، ورجاله ثقات ٢٤٤/٣، وأحمد ١٤١/٦، وانظر:

سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٨٢/١ .

الأموال، وتسببى الخزازي والنساء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد

حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة". (١)

فلما حكم فيهم بذلك أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقتل كل من

جرت عليه موسى منهم، ومن لم ينبت الحق بالذرية (٢)، فحفر لهم خنادق في سوق

المدينة، وضربت أعناقهم، وكانوا ما بين الستمائة إلى السبعمائة. (٣)

وقد سأل الله سعد الشهادة إن كان الله قد وضع الحرب بين النبي - صلى

الله عليه وسلم - وبين قريش، وانفجر جرحه - رضي الله عنه - ومات شهيدا. (٤)

الله أكبر! ما أعظم هذا الرجل وما أحكمه! فقد رغب في الشهادة، ولكنه

سأل الله أن يسبقه إن كان الله لم يضع الحرب بين رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - وبين قريش، وكذلك سأل الله عز وجل أن لا يميته حتى يقر عينه من بني

قريظة، فاستجاب الله له، وجعله الذي يحكم فيهم بحكمه، وعندما قال له بعض

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٥٩، وفي البخاري مع الفتح في كتاب المغازي - باب مرجع

النبي - صلى الله عليه وسلم - من الأحزاب ٧/٤١١، قال: "قضيت فيهم بحكم

الله...". ومسلم ٣/١٣٨٩.

(٢) أبو داود ٤/١٤١، والترمذي ٤/١٤٥، والنسائي ٦/١٥٥، وابن ماجه ٢/٨٤٩،

وسنده حسن.

(٣) زاد المعاد ٣/١٣٥، وانظر: سيرة ابن هشام ٢/٢٥٩، والبداية والنهاية

٤/١٢٢، وفتح الباري ٧/٤١٤.

(٤) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب مرجع النبي - صلى الله عليه

وسلم - من الأحزاب ٧/٤١٢.

الأوس: أحسن في مواليك يا أبا عمرو، قال كلمته الحكيمه: لقد آن لسعد أن لا تأخذ في الله لومة لائم.

وصدق رضي الله عنه، فقد حكم فيهم بحكم الله تعالى فقتلوا، وأمكن الله المسلمين من أموالهم ونسائهم وذرايهم، فكان ذلك فتحاً ونصراً للمسلمين على أعداء الله ورسوله، فرضي الله عنه وأرضاه. (١)

وقد ظهرت حكمته - رضي الله عنه - في هذا الموقف الحكيم في النقاط

التالية:

١ - رغبته في نصره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجهاد أعداء الله

تعالى.

٢ - رده الحكيم المسدد على قومه عندما راجعوه في بني قريظة.

٣ - أخذه عهد الله وميثاقه على قومه أن يقبلوا حكمه، وهذا مما يضبطهم

ويحل الأزمة.

٤ - إعراضه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند أخذ العهد لإجلاله

وإكراماً.

٥ - حكمه بحكم الله من فوق سبع سماوات، ولهذا أمر رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - بإنفاده، فرضي الله عنه وأرضاه، فقد أعز الله بحكمته المسلمين،

وأدل الكافرين.

(١) من فضل الله عليه أن من عليه بالشهادة، وقال النبي - عليه الصلاة والسلام

- يوم موته: "امتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ".

البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه

١٢٣/٧، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل سعد بن معاذ رضي

الله عنه ١٩١٥/٤ .

المطلب الثامن : موقف الحسن بن علي رضي الله عنهما :

الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أحد علماء الصحابة وحلمائهم، وذوي رأيهم، وسيد المسلمين(١)، وهو حبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال لحسن: "اللهم إني أحبه فأحبه، وأحب من يحبه".(٢)

وقال أبو بكر رضي الله عنه: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المنبر - والحسن بن علي إلى جنبه - وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول: "إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين".(٣)

وقد تحقق ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه عندما قتل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وبإيعاد الناس الحسن بن علي رضي الله عنهما، وكانت كتائب الحسن كالجبال - كما ذكره البخاري في صحيحه(٤) - فأراد الحسن

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٦/٨ .

(٢) البخاري مع الفتح في كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق ٣٢٨/٤، ومسلم

في كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل الحسن والحسين ١٨٨٢/٤ .

(٣) البخاري مع الفتح، في كتاب الملح، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم

- للحسن بن علي - رضي الله عنهما - إن ابني هذا سيد ٣٠٧/٥، ٦٢٨/٦،

٩٤/٧، ٦١/١٣، ولفظه من كتاب الملح.

(٤) البخاري مع الفتح في كتاب الملح، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم -

للحسن: ابني هذا سيد ٣٠٦/٥ .

أن يحقن دماء المسلمين، ويجمعهم على إمام واحد يلم شملهم، فتنازل لمعاوية ابن أبي سفيان، خال المؤمنين، وكاتب وحي رب العالمين (١) رضي الله عن جميع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أجمعين، فكان هذا الموقف الذي وقفه الحسن من أعظم مواقف الحكمة، ومن أبرز الأدلة الواضحة على زهد الحسن في الدنيا الفانية، ورغبته في الآخرة الباقية، وحقنه دماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقد ترك الخلافة والملك، لا لقلّة، ولا لدلّة، ولا لعلّة، بل لرغبته فيما عند الله؛ لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصحة الأمة. (٢)

وسمي هذا العام الذي تنازل الحسن - رضي الله عنه - فيه لمعاوية: عام الجماعة، لاجتماع الكلمة فيه على معاوية رضي الله عنهما. (٣)
والمقصود أن موقف الحسن موقف حكيم عظيم سديد؛ لأنه حقن به دماء وأموال وأعراض أمة محمد صلى الله عليه وسلم.
فرضي الله عنه وأرضاه، وجزاه عن أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - خير الجزاء.

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢٠/٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٩٤.

(٢) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٦٦/١٣ .

(٣) انظر: البداية والنهاية ١٦/٨ .

المبحث الثالث : مواقف التابعين

التابعون هم من القرون المفضلة بنص النبي صلى الله عليه وسلم، فعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته". (١)

وللتابعين مواقف حكيمة يستفيد منها الدعاة إلى الله تعالى، وسأذكر -

بعون الله تعالى - نماذج منها على سبيل المثال في المطالب التالية:

المطلب الأول : مواقف سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى.

المطلب الثاني: مواقف الحسن بن يسار البصري رحمه الله تعالى.

المطلب الثالث: مواقف عمر بن العزيز رحمه الله تعالى.

المطلب الرابع: مواقف أبي حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله تعالى.

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد

٢٥٩/٥، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم

... ١٩٦٤/٤، وفي رواية من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه: "ثم يكون

بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون،

ويظهر فيهم السمن". البخاري مع الفتح، كتاب الشهادات، الباب السابق

٢٥٨/٥، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الصحابة ١٩٦٢/٤ .

المطلب الأول : من مواقف سعيد بن المسيب رحمه الله :

لسعيد بن المسيب (١) مواقف حكيمة تدل على علمه وحكمته ورغبته فيما عند

الله تعالى. (٢)

ومن هذه المواقف الحكيمة التي صدع فيها بالحق في دعوته إلى الله ولم تأخذه في الله لومة لائم ما فعله مع الحجاج بن يوسف الثقفي (٣) عندما أساء صلاته.

صلى الحجاج مرة بجانب سعيد بن المسيب - قبل أن يلي شيئاً من أمور المسلمين - فجعل يرفع قبل الإمام، ويقع قبله في السجود، فلما سلم أخذ سعيد بطرف رداءه، وبقي يقول الذكر بعد الصلاة، والحجاج ما زال ينازعه رداءه حتى قضى سعيد ذكره، ثم أقبل عليه يؤنبه ويؤديه بالكلام، فلم يقل له الحجاج شيئاً حتى صار نائباً على الحجاز وعندما أتى المدينة نائباً عليها، فلما دخل المسجد قصد مجلس سعيد بن المسيب حتى جلس بين يديه، فقال له: أنت صاحب الكلمات؟

(١) سعيد بن المسيب، هو سيد التابعين في زمانه، وعالم أهل المدينة، ولد لسنتين من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقيل لأربع مضي مننها، وتوفي سنة ٩٤هـ وله ٧٥ سنة رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء ٢١٧/٤-٢٤٦، والبداية والنهاية لابن كثير ٩٩/٩ .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء ٢٣٣/٤، وطبقات ابن سعد ١٣٨/٥، وولية الأولياء

١٦٧/٢، والبداية والنهاية ١٠٠/٩ .

(٣) الحجاج بن يوسف الثقفي، ولي العراق والمشرق عشرين سنة، وتوفي سنة ٩٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٢٤٣/٤ .

فضرب سعيد صدره بيده وقال: نعم. قال: فجزاك الله من معلم ومؤدب خيراً، ما مليت بعدك صلاة إلا وأنا أذكر قولك، ثم قام ومضى. (١)

٢ - قيل لسعيد بن المسيب: ما شأن الحجاج لا يبعث إليك ولا يحركك ولا يؤذيك؟ قال: والله ما أدري، إلا أنه دخل ذات يوم مع أبيه المسجد فولى صلاة لا يتم ركوعها ولا سجودها، فأخذت كفا من حصي فحصبته بها. قال الحجاج: فما زلت أحسن الصلاة. (٢)

وهذا من أعظم المواقف الحكيمة لسعيد بن المسيب رحمه الله؛ فإن الحكمة وضع كل شيء في موضعه، وقد تنفع الشدة والقوة إذا كانت الحكمة تقتضي ذلك، فسعيد رأى أن من الحكمة استخدام هذا الأسلوب مع الحجاج؛ ليحسن صلاته، فنفع الله بذلك الحجاج كما ذكر هو عن نفسه، وأنه ما زال يحسن الصلاة بعد ذلك، فرحم الله سعيد بن المسيب، وجزاه خير الجزاء.

(١) انظر: البداية والنهاية ١١٩/٩، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢٢٦/٤ .

(٢) انظر: الطبقات لابن سعد ١٢٩/٥، وخطبة الأولياء لأبي نعيم ١٦٥/٢، وسير أعلام

المطلب الثاني : من مواقف الحسن البصري رحمه الله :

للحسن البصري(١) رحمه الله مواقف حكيمة في دعوته إلى الله عز وجل،

ومنها على سبيل المثال ما يلي :

١ - موقفه مع الحجاج بن يوسف الثقفي :

من حكمة الحسن أنه لا يرى الخروج على الأئمة العصابة من المسلمين، فقد جاء جماعة من المسلمين إلى الحسن البصري يستفتونه في الخروج على الحجاج، فقالوا: يا أبا سعيد، ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، ... وفعل وفعل؟ فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه؛ فإنها إن تك عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، وخرجوا من عند الحسن ولم يوافقوه، فخرجوا على الحجاج فقتلوا جميعاً(٢)، ولهذا كان الحسن يقول: لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يفرج عنهم، ولكنهم يجزعون إلى

(١) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد مولى الأنصار، وأمه خيرة مولاة أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها، وأبو الحسن يسار من سبي ميسان - وهي بين البصرة وواسط - سكن المدينة، وأعتق وتزوج بها في خلافة عمر، فولد له بها الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه، وتوفي الحسن سنة ١١٠هـ وكان عمره ٨٨ سنة رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٦٢/٤-٥٨٧، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٢٣١/٢ .

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ١٦٢/٧-١٦٥، والبداية والنهاية لابن كثير

السيف فيوكلون إليه، فوالله ما جاءوا بيوم خير قط. (١)
ومع ذلك كله فقد أراد الحجاج أن يقتل الحسن البصري مرارا، ولكن الله
عصمه منه.

بعث الحجاج إلى الحسن مرة - وقد هم به - فجاء الحسن إليه، فلما قام بين
يديه قال: يا حجاج، كم بينك وبين آدم من أب؟ قال: كثير. قال: فأين هم؟ قال:

ماتوا. فنكس الحجاج رأسه، وخرج الحسن. (٢)
وهذا من حكمة الحسن في دعوته إلى الله، فإن الخروج على الأئمة المسلمين
- ولو كانوا فساقا - يسبب شرا كثيرا، وفتنة عظيمة، وإزهاقا للأرواح، وفسادا
كبيرا، فسد الحسن الباب أمام هذه المفاسد.

٢ - موقف الحسن مع عمر بن هبيرة :

عندما ولي عمر بن هبيرة (٣) العراق أرسل إلى الحسن فقدم إليه، فقال له:
إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك (٤) ينفذ كتبا أعرف أن في إنفاذها
الهلكة، واستفتاه ماذا يصنع أمام هذه الكتب؟ فقال الحسن: يا عمر بن هبيرة،

(١) انظر: طبقات ابن سعد ١٦٤/٧ .

(٢) انظر: البداية والنهاية ١٢٥/٩ .

(٣) هو عمر بن هبيرة بن معاوية بن سكين، الأمير أبو المثنى أمير العراقيين،

مات سنة ١٠٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥٦٢/٤ .

(٤) هو يزيد بن عبد الملك بن مروان الخليفة، استخلف بعهد عقده له أخوه

سليمان، بعد عمر بن عبدالعزيز، ولد سنة ٧١هـ. وكانت خلافته أربعة أعوام،

توفي سنة ١٠٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٥٠/٥-١٥٢ .

يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى فظ غليظ، لا يعصي الله ما أمره، فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، يا عمر بن هبيرة إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبدالمك ولا يعصمك يزيد بن عبدالمك من الله عز وجل، يا عمر بن هبيرة لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبدالمك نظرة مقت، فيفلق بها باب المغفرة دونك، يا عمر بن هبيرة لقد أدركت ناساً من صدر هذه الأمة كانوا والله على الدنيا وهي مقبلة أشد إدياراً من إقبالكم عليها وهي مدبرة، يا عمر بن هبيرة إنني أخوفك مقاماً خوفك الله تعالى، فقال: (ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد) (١)، يا عمر بن هبيرة إن تك مع الله في طاعته كفاك بائقة يزيد بن عبدالمك، وإن تك مع يزيد بن عبدالمك على معاصي الله وكلك الله إليه، فبكى عمر بن هبيرة وقام بعبرته. (٢)

وهذا يدل على حكمة الحسن - رحمه الله - وما له في النفوس من مكانة وتقدير، فقد جهر بالحق في هذا الموقف ولم تأخذه في الله لومة لائم. وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله تعالى، ولكن لا بد من الحكمة، وبالتي هي أحسن، فإن ذلك أدعى لقبول الدعوة، والله المستعان.

٢ - موقفه مع القراء :

خرج الحسن من عند ابن هبيرة يوماً فإذا هو بالقراء على الباب (٣) فقال:

(١) سورة إبراهيم، الآية ١٤ .

(٢) انظر: حلية الأولياء ١٤٩/٢ .

(٣) لسائل أن يسأل: كيف يخرج الحسن من عند ابن هبيرة ويلوم القراء على

ما يجلسكم ها هنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الضيَّاء؟ أما والله ما مجالستهم مجالسة الأبرار، تفرقوا فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم، قد فرطتم (١) نعالكم، وشمزتم ثيابكم، وجززتم شعوركهم، فضتم القراء فضكم الله (٢)، والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندهم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيكم، أبعد الله من أبعد. (٣)

وهذا الموقف حكيم عظيم؛ لأن الداعية إلى الله ينبغي أن يستغني عن الناس وعن أموالهم ومدقاتهم، وخاصة الأكابر والسلاطين، فلا يقف على أبوابهم ولا

= ويجاب على ذلك أن الحسن لم يدخل على ابن هبيرة ليسأله مالا أو شيئاً من أمور الدنيا، إنما ذلك لله ومن أجل الله والدعوة إليه، والذي قبحه الحسن هو الرغبة في الدنيا والطمع في أموال الأمراء والسلاطين، أما من دخل عليهم ليأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويخوفهم بالله، فإن هذا من أعظم الجهاد وأفضله.

(١) كل شيء عرضته فقد فرطته. وفرط الشيء: بسطه ووسعه. ورأس مفرطح:

عريض. انظر: المعجم الوسيط، مادة (فرطح) ٦٨٤/٢ .

(٢) لعل الحسن استخدم أسلوب الشدة مع القراء لأنهم أقدموا على شيء لا ينبغي

لهم الإقدام عليه رغم معرفتهم حقيقته وأنه لا ينبغي لطلاب العلم والدعاة إلى الله فعله.

والحكمة هي وضع الشيء في موضعه، ومن ذلك استخدام أسلوب القوة والشدة

والغلظة في مواضعها.

(٣) انظر: طية الأولياء ١٥٠/٢، وسير أعلام النبلاء ٥٨٦/٤ .

يسألهم، حتى يكون لدعوته ولعلمه الأثر في نفوسهم وفي نفوس غيرهم، ولهذا وجد

الحسن القراء لذلك؛ لأن من استغنى بالله افتقر الناس إليه. (١)

(١) انظر: حلية الأولياء ١٧٢/٢، والبداية والنهاية ١٠٠/٩ .

المطلب الثالث : من مواقف عمر بن عبدالعزيز :

يسرى كثير من العلماء أن عمر بن عبدالعزيز(١) من المجددين على رأس المائة الأولى، لقوله عليه الصلاة والسلام: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها".(٢)

وعلى هذا كان - رحمه الله - أول المجددين(٣)، وله - رحمه الله - مواقف كثيرة حكيمة في دعوته إلى الله، منها ما يلي :

١ - من مواقفه الحكيمة قبل الخلافة :

له - رحمه الله - مواقف كثيرة قبل الخلافة مع الخلفاء منها:

١ - أقبل سليمان بن عبدالمك(٤) إلى جيشه ومعه عمر بن عبدالعزيز، وفي ذلك المعسكر: الخيول والجمال والبغال والأثقال والرجال، فقال سليمان: ماتقول

(١) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم، وأمه أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولد سنة ٦٢هـ، وقيل ٦١هـ، أرسله والده إلى المدينة يتفقه في الدين، فلما توفي والده أخذه عمه عبدالمك بن مروان، وزوجه بنته فاطمة، وعندما ولي الوليد بن عبدالمك ولاة المدينة ومكة والطائف من سنة ٨٦هـ إلى ٩٢هـ، ثم قدم الشام، وبقي بها حتى ولي الخلافة في ٩٩/٢/١٠هـ فأطاح الله به العباد والبلاد، ثم مات مسموما في ١٠١/٧/٢٥هـ.

انظر: البداية والنهاية ٩٢/٩-٩٦، وسير أعلام النبلاء ١٢٢/٥ .

(٢) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة ١٠٩/٤، والحاكم

٥٢٢/٤، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٥٠/٢ برقم ٥٩٩.

(٣) انظر: البداية والنهاية ٢٠٧/٩، وعون المعبود ٣٨٢/١١ .

(٤) سليمان بن عبدالمك بن مروان، بويح بالخلافة بعد أخيه الوليد، له أعمال

جليلة، وتوفي عاشر صفر، سنة ٩٩هـ. سير أعلام النبلاء ١١١/٥ .

يا عمر في هذا؟ فقال: أرى دنيا يأكل بعضها بعضاً، وأنت المسئول عن ذلك كله، فلما اقتربا من المعسكر إذا غراب قد أخذ لقمة في فيه من فسطاط سليمان وهو طائر بها، نعب نعباً، فقال له سليمان: ما هذا يا عمر؟ فقال: لا أدري. فقال: ما ظنك أنه يقول؟ قال عمر: كأنه يقول: من أين جاءت وأين يذهب بها؟ فقال له سليمان: ما أعجبك؟ فقال عمر: أعجب ممن عرف الله فعماه، ومن عرف الشيطان فأطاعه، ومن عرف الدنيا فركن إليها. (١)

وهذه كلمات حكيمة في الدعوة إلى الله موجهة إلى خليفة المسلمين، استغل عمر توجيهها إليه في الفرصة المناسبة، ملتزماً طريق الحكمة في ذلك كله.

٢ - وحج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبدالعزيز فأصابهم برق ورعد، حتى كادت تنقطع قلوبهم، فنظر سليمان إلى عمر وهو يضطك، فقال سليمان: يا أبا حفص، هل رأيت مثل هذه الليلة قط أو سمعت بها؟ فقال: يا أمير المؤمنين، هذا صوت رحمة الله، فكيف لو سمعت صوت عذاب الله؟ فقال: هذه المائة ألف درهم، فتصدق بها. فقال عمر: أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: وما هو؟ قال: قوم صحبوك في مظالم لهم لم يصلوا إليك، فجلس سليمان فرد المظالم. (٢)

الله أكبر! ما أحكم هذا الموقف وأعظمه! فقد استطاع عمر بن عبدالعزيز - بعون الله تعالى - ثم بحكمته أن يؤثر على سليمان حتى جلس ورد المظالم.

٣ - ومن أعظم مواقف الحكيم مع سليمان بن عبد الملك أن سليمان قال له: يا أبا حفص، إنا ولينا ما قد ترى، ولم يكن لنا بتدبيره علم، فما رأيت من

(١) انظر: مناقب عمر، لابن الجوزي، ص ٥٢، والبداية والنهاية ١٩٥/٩ .

(٢) انظر: مناقب عمر، لابن الجوزي، ص ٥٢، ٥٣، وسير أعلام النبلاء ١٢١/٥ .

مصالحة العامة فمر به، فكان من ذلك أن عمر أمر بعزل عمال الحجاج، وأقيمت الصلاة في أوقاتها بعد ما كانت أميئت عن وقتها، مع أمور جلية كان يسمع من عمر فيها، فقد قيل: إن سليمان حج فرأى الخلائق بالموقف فقال لعمر: أما ترى هذا الخلق الذي لا يحمي عددهم إلا الله؟ قال: هؤلاء اليوم رعييتك، وهم غدا خصماؤك، فبكى سليمان بكاء شديدا. (١)

فرحم الله عمر، فقد كان حكيما في مواعظه وترقيقه للقلوب، وربطها بخالقها، وتخويفها من عقابه، وترغيبها في ثوابه، ويستخدم ذلك في الوقت المناسب، في الحال المناسب.

وله - رحمه الله - مواقف كثيرة مع الخلفاء، ولولا الإطالة لذكرتها. (٢)

ب - مواقفه بعد أن ولي الخلافة :

عندما استلم عمر بن عبدالعزيز الخلافة قام بالمواقف الحكيمة لإنقاذ الأمة مما حل بها، فكانت مواقفه الحكيمة لإصلاح ما فسد من أمور الناس كالتالي:

١ - بدأ بالتغيير مع نفسه، فغير طريق حياته حتى أنكره من عرفه من قبل، فعندما رجع من قبر سليمان أُوتِيَ بمراكب الخلافة: البرانيين والخييل والبغال، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مراكب الخلافة. فقال: ما لي ولها، نحوها عني، قربوا

(١) انظر: سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، لابن الجوزي ص ٥٣، وسير أعلام النبلاء ١٢١/٥ .

(٢) انظر بقية مواقفه مع الولاة في مناقب عمر بن عبدالعزيز، لابن الجوزي ص ٤٦-٥٣، والبدائية والنهاية ١٩٥/٩، وسير أعلام النبلاء ١١٤/٥-١٤٢ .

مني بغلتي، فقُرِّبت إليه بغلته، وأمر بمراكب الخلافة أن تباع ويُجعل ثمنها في بيت مال المسلمين، وقال: تكفيني بغلتي هذه الشهباء. (١)

وكان دخله قبل الخلافة أربعين ألف دينار، فترك ذلك كله إلا أربعمائة دينار في كل سنة، ونظر إلى ما في يديه من أرض أو متاع فخرج منه، حتى أنه رد فم خاتم في يده إلى بيت المال، وقال: هذا مما أعطانيه الوليد بن عبدالملك من غير حقه. (٢)

٢ - وبعد أن بدأ بنفسه بدأ بأهله، فسأل زوجته فاطمة بنت عبدالملك عن الجواهر التي عندها، من أين صارت إليها؟ فقالت: أعطانيه أمير المؤمنين، فقال: إما أن ترديه إلى بيت المال، وإما أن تأذنيني في فراقك، فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت، قالت: لا، بل أختارك على أضعافه لو كان لي، فوضعت في بيت المال. (٣)

٣ - بعد أن أصلح عمر نفسه وأهله، بدأ بإصلاح أوضاع بني أمية، فأخذ ما بأيديهم من المظالم وردّها إلى أهلها، وإلى بيت المال إن لم يكن لها أهل،

(١) انظر: مناقب عمر بن عبدالعزيز، لابن الجوزي ص٦٢، ٦٥، وسير أعلام النبلاء ١٢٥/٥، ١٢٦، والبداية والنهاية ١٤٦/٨-٣٤٥، ٢/٩-١٧٧، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٣١ .

(٢) انظر: طبقات ابن سعد ٣٤١/٥-٣٤٤، ومناقب عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي ص١٢٢، والبداية والنهاية ٢٠٨/٩، وسير أعلام النبلاء ١٢٨/٥ .

(٣) انظر: طبقات ابن سعد ٣٩٣/٥، وسيرة عمر لابن الجوزي ص١٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٢٩/٥، والبداية والنهاية ٢٠٨/٩ .

وسمى أموالهم مظالم، وأمر مناديه أن ينادي في الناس: من كانت له مظلمة فليرفعها، وجاء كل من كانت له مظلمة فجعل يرد المظالم مظلمة مظلمة (١)، وأخذ جميع الأموال التي أخذها بنو مروان بغير استحقاق، فوضعها في بيت مال المسلمين. (٢)

٤ - وكتب إلى الولاة على الأعمار الإسلامية يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، ويخوفهم من عقابه، ويرغبهم في ثوابه، ويزهدهم في الدنيا، ويضرب لهم الأمثال بمن مضى ممن كان قبلهم من الخلفاء والولاة، وأنهم قد ذهبوا إلى ما قدموا من أعمال، فمنهم الرابع، ومنهم الخاسر، وأمرهم بالعدل مع الرعية، ونهاهم عن الظلم، وأمرهم ببرد جميع المظالم إلى أهلها، وعزل بعضهم عن الولاية وولى من هو أملك منه، واستدعى بعضهم إلى الحضور لديه ليحاسبه على جوره وظلمه، وحذر الولاة من أخذ الرشوة والهدية من الرعية (٣)، وأمر الولاة بوضع الجزية عن أسلم من اليهود والنصارى حيث كان بنو أمية لا يضعون الجزية عن أسلم، فأسلم بذلك خلق كثير، ومن هؤلاء أهل خراسان، فقد أسلم منه أربعة

(١) انظر: طبقات ابن سعد ٣٤١/٥-٣٤٤، ومناقب عمر لابن الجوزي ص ١٢٥-١٢٧،

والبداية والنهاية ٢٠٠/٩-٢١٣ .

(٢) انظر: مناقب عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي ص ١٣٣-١٤١، وطبقات ابن سعد

٣٤١/٥-٣٤٤، والبداية والنهاية ٢١٢/٩، وسير أعلام النبلاء ١٢٩/٥ .

(٣) انظر: مناقب عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي ص ١٣٣-١٤١، وطبقات ابن سعد

٣٤١/٥-٣٤٤، والبداية والنهاية ٢١٢/٩، وسير أعلام النبلاء ١٢٩/٥ .

آلاف في وقت قصير بسبب هذه الحكمة العظيمة. (١)

٥ - ومن أعظم مواقف الحكمة في إصلاح الأوضاع في الدولة الأموية ما أحياه في النفوس من خوف الله ومراقبته، وغرس ذلك في نفوس الناس، ومن ذلك أنه في يوم الجمعة يخطب الناس، فبكى يوماً، وبكى الناس معه حتى ارتج المسجد بالبكاء، وصار لحيطانه صوت بالبكاء. (٢)

٦ - وفقه الناس في دين الله، وغرس في قلوبهم حب الكتاب والسنة، وكان يرسل المرشدين إلى البادية؛ ليفقهوا الناس في الدين. (٣)

٧ - لم يكتف عمر بن عبدالعزيز بالخطوات الحكمة السابقة في إصلاح أوضاع المسلمين في الدولة الأموية، بل اهتم بأمور غير المسلمين، فأرسل الدعاة إلى الله عز وجل؛ ليبلغوا الناس دعوة الإسلام، ومن ذلك أنه أرسل إلى أفريقيا مجموعة من الدعاة، فأسلم على أيديهم أمم هائلة من البربر وغيرهم.

وبتوفيق الله ثم بهذه الخطوات الحكمة السبع، ظهرت مواقف عمر الحكمة في إصلاح الأمة وتجديد الدين، ونفع الله به البلاد والعباد، وأنقذ الله به من الظلم. (٤)

(١) انظر: طبقات ابن سعد ٢٤١/٥-٢٤٤، وسيرة عمر لابن الجوزي من ١٠٠-١٢٤، ٢٠٦،

٢٢٢، وسير أعلام النبلاء ١٢٦/٥-١٣٧، ١٤٧/٥، والبداية والنهاية ١٨٨/٩ .

(٢) انظر: سيرة عمر لابن الجوزي من ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٥، وسير أعلام النبلاء ١٣٧/٥، ١٣٨،

والبداية والنهاية ٢٠٤/٩ .

(٣) انظر: سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز الخليفة الزاهد، ص ٩٢ .

(٤) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي من ٢٢٨، والتاريخ الإسلامي، لمحمود شاکر

المطلب الرابع : من مواقف أبي حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله :

الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت(١) له مواقف حكيمة كثيرة.(٢)

منها موقفه العظيم الحكيم مع الملحدين في دعوتهم إلى الله تعالى، وأنه رب كل شيء ومليكه.

يذكر أنه اجتمع طائفة من الملاحدة بأبي حنيفة - رحمه الله - فقالوا: ما الدلالة على وجود المانع؟ فقال: دعوني، فخاطري مشغول بأمر غريب. قالوا: ما هو؟ قال: بلغني أن في دجلة سفينة عظيمة مملوءة من أصناف الأمتعة العجيبة، وهي ذاهبة وراجعة من غير أحد يحركها ولا يقوم عليها، فقالوا له: أمجنون أنت؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: إن هذا لا يصدقه عاقل. فقال لهم: فكيف صدقت عقولكم أن هذا العالم بما فيه من الأنواع والأصناف والحوادث العجيبة، وهذا الفلك الدوّار السيّار يجري، وتحدث هذه الحوادث من غير محدث، وتتحرك هذه المتحركات بغير محرك؟ فرجعوا على أنفسهم باللام.(٣)

(١) هو الإمام النعمان بن ثابت بن زوطي التميمي الكوفي، أحد أئمة الإسلام والسادة الأعلام، ولد سنة ٨٠هـ في حياة صغار المحاببة، ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة، توفي رحمه الله سنة ١٥٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٩٠/٦، والبداية والنهاية ١٠٧/١٠ .

(٢) انظر: نماذج من مواقف أبي حنيفة الحكيم في سير أعلام النبلاء ٤٠٢/٦، وأعلام المسلمين - أبو حنيفة، لوهبي سليمان غاوي ٣٥٥/٥، ١٢١/٥، ٣٥٤.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١٢٧/٣، والرياض الناضرة للسعدي ص ٢٥٨ .

وهذا من أعظم مواقف الحكمة في الدعوة إلى الله، فقد استدل على الخالق بوجود المخلوق، فليس هناك من مخلوق إلا وله خالق ومدبر وهو الله عزوجل، كما أنه ليس هناك من صنعة إلا ولها صانع، ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم.

المبحث الرابع : مواقف اتباع التابعين

أُتبع التابعين هم من القرون المفضلة التي امتدحها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...". (١)

ولتابعي التابعين مواقف حكيمة في دعوتهم إلى الله تعالى، وسأذكر منها

- بعون الله - نماذج في المطالب التالية :

المطلب الأول : مواقف الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى .

المطلب الثاني: مواقف الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

المطلب الثالث: مواقف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

(١) البخاري مع الفتح ٢٥٩/٥، ومسلم ١٩٦٤/٤، وتقدم تخريجه.

المطلب الأول : من مواقف الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى :

للإمام مالك(١) - رحمه الله - مواقف حكيمة مشرفة، منها على سبيل المثال ما يلي :

١ - من أعظم مواقف الحكمة التي وقفها: موقفه مع من سألته عن الاستواء. فقد جاء إليه رجل وقال: يا أبا عبدالله: (الرحمن على العرش استوى)(٢) كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرضاء(٣)، ثم رفع رأسه ورمى بالعود، وقال: "الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة" وأمر به فأخرج.(٤)

وهذا موقف حكيم مسدد؛ لأنه أجاب بالإجابة الصحيحة بعد التأمل والتفكير، فكانت هذه الإجابة قاعدة ثابتة لأهل السنة والجماعة، تجرى عليها صفات الله

(١) الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو، إمام دار الهجرة، ولد سنة ٩٢هـ عام موت أنس بن مالك بن النضر، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطلب العلم بصدق وإخلاص، فكان أحد الأئمة الأربعة، فنفع الله به المسلمين، وتوفي عام ١٧٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤٩/٨-١٢٥، والبداية والنهاية ١٧٤/١٠، وتهذيب التهذيب ٥/١٠ .

(٢) سورة طه، الآية ٥ .

(٣) العرق اثر الحمى، أو عرق يغسل الجلد كثرة. انظر: المعجم الوسيط، مادة (رحض) ٢٤٢/١ .

(٤) أبو نعيم في الطيبة ٢٢٥/٦، وانظر: سير أعلام النبلاء ١٠٠/٨، ١٠١، ١٠٦، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٢٦/٥، ١٤٤/٥ .

تعالى كلها، فالكيف للصفة مجهول لنا لا نعرف كيفيتها؛ لأن الله لم يخبرنا
بالكيفية، والصفة معلومة بدليلها من الكتاب والسنة الصحيحة أو بأحدهما،
والإيمان بالصفة - التي تثبت بالدليل - واجب، والسؤال عن كيفية الصفة بدعة،
وليس المراد بنفي الكيفية تفويض المعنى المراد من الصفات، بل كل صفة من
صفات الله تعالى تدل على معنى حقيقي تؤمن به ونشبهه لله كما يليق بجلاله. (١)

٢ - ومن مواقفه الحكيمة ما رد به على بعض العُباد حينما كتب إليه يعظه
ويحضه على الانفراد والعزلة عن الناس، ويحضه على العمل، فكتب إليه مالك:
"إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فُتِحَ له في الصلاة ولم يُفْتَحَ له
في الصوم، وآخر فُتِحَ له في الصدقة ولم يُفْتَحَ له في الصوم، وآخر فُتِحَ له في
الجهاد، فنشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فُتِحَ لي فيه، وما أظن
ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر". (٢)

وهذا الرد الحكيم المسدد مما يدل على فقه الإمام مالك وحكمته، فإن نشر
العلم من خير أعمال البر، وأفضل من نوافل الصلاة والصوم والصدقة وغير ذلك من
نوافل العبادات، لقوله عليه الصلاة والسلام: "من دل على خير فله مثل أجر
فاعله". (٣)

وقوله عليه الصلاة والسلام: "فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من
أن يكون لك حمر النعم". (٤)

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية ٥/٥-١٢١ .

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١١٤/٨ .

(٣) مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله ١٥٠٦/٣ .

(٤) البخاري مع الفتح ٤٧٦/٧، ومسلم ١٨٢١/٤، وتقدم تخريجه.

فرحم الله مالكا فقد نطق بالحكمة، وطبق ما كان يقوله ويرغب فيه الناس، فكان هو أولى به حيث قال: "بلغني أنه ما زهد أحد في الدنيا واتقى إلا نطق بالحكمة". (١)

ولهذا قال الإمام الذهبي (٢): "إلى فقه مالك المنتهى، فعامة آرائه مسددة". (٣)

ولكن الإمام مالكا قد أنصف حينما رسم للناس قاعدة يسيرون عليها، حيث قال: "كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم". (٤)

وهذا كلام حكيم وعظيم يدل على أن جميع الناس ليسوا معصومين من الخطأ، وإنما الذي قد عصم في تبليغ الشريعة هو محمد صلى الله عليه وسلم.

٣ - والإمام مالك كان يصدع بالحق ولا تأخذه في الله لومة لائم، ومن ذلك قول الإمام الشافعي: "كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء، قال: أما إني على

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠٩/٨ .

(٢) هو الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ولد - رحمه الله - في شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٣هـ، بدأ بطلب العلم مبكراً، ورحل في طلبه، وبرع فيه، ثم عمي قبل موته بأربع سنين أو أكثر بماء نزل في عينيه، وتوفي - رحمه الله - ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة قبل نصف الليل سنة ٧٤٨هـ، وله آثار علمية بلغت نحواً من ٢١٥ مؤلفاً، رحمه الله. انظر: البداية والنهاية ٢٢٥/١٤، ومقدمة سير أعلام النبلاء ١٢/١-١٤٠ .

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ٩٢/٨ .

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٩٢/٨ .

بينت من ربي وديني، وأما أنت فشاك، اذهب إلى شاك منك فخاصمه". (١)
وهذا الكلام من الدعوة إلى الله بالحكمة؛ لأن من الناس من يحتاجون إلى
الغلظة أحياناً، ولا يخرج ذلك عن الحكمة؛ لأن الله تعالى - وهو أحكم الحاكمين
- قال لأحكم الناس أجمعين: (يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلق عليهم
...)(٢)، وقال: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا
منهم). (٣)

وللإمام مالك مواقف حكيمة كثيرة لا يتسع المقام لذكرها. (٤)

(١) انظر: طية الأولياء ٣٢٤/٦، وسير أعلام النبلاء ٩٩/٨ .

(٢) سورة التحريم، الآية ٩ .

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٤٦ .

(٤) انظر مواقف له حكيمة في طية الأولياء ٣٢٥/٦، وسير أعلام النبلاء ٩٨، ٩٤،

٩٩، وانظر مواقفه مع بني أمية وحكمه في طلاق المكره وعدم وقوعه في سير

أعلام النبلاء ٥، ٨٠/٨ .

المطلب الثاني : من مواقف الإمام الخافعي رحمه الله :

للإمام الشافعي(١) - رحمه الله - مواقف حكيمة تدل على حكته وصدقه

وأخلاقه، ومن مواقفه رحمه الله تعالى:

- موقفه مع أهل الكلام(٢) ودفاعه عن علم الكتاب والسنة :

(١) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن السائب، يلتقي مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في عبد مناف، ولد في غزة، وقيل: بعسقلان، سنة ١٥٠هـ، ومات أبوه وهو صغير فحملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين، فنشأ بها وقرأ القرآن، ورحل إلى مالك في المدينة وعرض عليه الموطأ بعد حفظه له، ثم رجع إلى مكة، ورحل إلى اليمن، ثم حمل إلى العراق سنة ١٨٤هـ، ثم عاد إلى مكة ثلاث مرات، ثم رحل من العراق إلى مصر، وبقي بها حتى توفي سنة ٢٠٤هـ. انظر: البداية والنهاية ٢٥١/١٠ .

(٢) العلم بالدين علمان: العلم بالأمور الخيرية الاعتقادية، كالعلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم والآخر، وأخبار الأنبياء، وأحوال الملائكة وصفاتهم وأعمالهم، ويدخل في ذلك الجنة والنار... والجدال في هذا القسم بالعقل يسمى: كلاماً.

الثاني: الأمور العلمية من أعمال الجوارح والقلوب كالواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات والمباحات، وهذا من جهة كونه علماً واعتقاداً أو خيراً صادقاً أو كاذباً يدخل في القسم الأول، ومن جهة كونه مأموراً به أو منهيًا عنه يدخل في القسم الثاني. انظر: فتاوى ابن تيمية = ١٣٤/١٩، ٢٢٥/١١.

وقف الشافعي - رحمه الله - موقفاً حكيماً مسدداً مع أهل الكلام، فقال رحمه الله تعالى: "حكمت في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد والنعال، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في الأسواق والعشائر، ينادى عليهم ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام". (١)

وقال: "مذمبي في أهل الكلام تقنيع رؤوسهم بالسياط، وتشريدهم في البلاد". (٢)

وقال: "حكمت في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ". (٣)
وغرس الشافعي في نفوس الناس بغض الكلام وأهله، وحب الكتاب والسنة

= فالجدال في علم العقائد يسمى كلاماً، والسلف الصالح حينما يذمون علماء الكلام فهم يريدون من يتكلم في الدين بغير طريقة المرسلين عليهم الصلاة والسلام، وهذا هو الذي ذمه الشافعي رحمه الله. انظر: فتاوى ابن تيمية ٤٦١، ٤٦٠/١٢ .

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٩/١٠، والبداية والنهاية ٢٥٤/١٠، وفتاوى ابن تيمية ٤٧٣/١٦ .

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٢٩/١٠ .

(٣) قدم صبيغ بن عسل الحنظلي المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر، وقال: من أنت؟ قال: أنا عبدالله صبيغ. قال: وأنا عبدالله عمر، فضربه بعراجين النخل حتى دمي رأسه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد ذهب الذي كنت أجد في رأسي. انظر: الإمابة في تمييز الصحابة لابن حجر ١٩٨/٢ .

والتمسك بهما، قال يونس بن عبدالأعلى الصدفي (١) قلت للشافعي: إن صاحبنا الليث (٢) كان يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة. فقال الشافعي رحمه الله: قصر الليث رحمه الله، بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطيير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره، على الكتاب. (٣)

وجاء رجل من أهل الكلام إلى الشافعي - وهو في مصر - فسأله عن مسألة من الكلام فقال له الشافعي: أتدري أين أنت؟ قال الرجل: نعم. قال: هذا الموضوع الذي أغرق الله فيه فرعون، أبلغك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر بالسؤال عن ذلك؟ قال: لا. قال: هل تكلم فيه الصحابة؟ قال: لا. قال: هل تدري كم نجما في السماء؟ قال: لا. قال: فكوكب منها، تعرف جنسه، طلوعه، أوقوله، مم خلق؟ قال: لا. قال: فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه، تتكلم في علم خالقه؟ ثم سأله الشافعي عن مسألة من الوضوء فأخطأ فيها، ففرعها على أربعة أوجه، فلم يصب في شيء من ذلك، فقال له: شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه، وتتكلف علم الخالق؟ إذا هجس في ضميرك ذلك فارجع إلى الله، وإلى

(١) يونس بن عبدالأعلى بن مسيرة، شيخ البخاري، أبو موسى الصدفي، ولد سنة

١٧٠هـ، وتوفي سنة ٢٦٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/٢٤٨ .

(٢) هو الليث بن عاصم بن كليب، الإمام القدوة العابد المصري، ولد سنة ١١٥هـ

وتوفي سنة ٢١١هـ. انظر: تهذيب التهذيب ٨/٤١٩، وسير أعلام النبلاء للذهبي

. ١٨٨/١٠

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٥١٠، وسير أعلام النبلاء ١٠/٢٢ .

قوله تعالى: (وَالْهَكْمَ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . إِنْ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) الآية (١)، فاستدل بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلف علم
ما لم يبلغه عقلك.

فتاب الرجل (٢) على يد الشافعي من علم الكلام، وأقبل على فقه الكتاب
والسنة (٣)، وكان يقول بعد التوبة: "أنا خلق من أخلاق الشافعي". (٤)
وقد أصبح هذا الرجل "المزني" علم من أعلام الإسلام في فقه الشافعي.
فهذه المواقف الحكيمة في الدفاع عن الكتاب والسنة، وذب الكلام وأهله،
والرد عليهم بأسلوب الحكمة، يدل دلالة واضحة على حكمة الشافعي رحمه الله.
ومما يدل على حكمته أيضا أن الله تفضل عليه وهدى على يديه كثيرا من أهل
الكلام فتركوا باطلهم، وأقبلوا إلى علم الكتاب والسنة، وذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

(١) سورة البقرة، الآية ١٦٢، ١٦٤ .

(٢) وهذا الرجل الذي تاب من علم الكلام على يد الشافعي، هو المزني، الإمام
العلامة علم الزهاد، أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن عمرو بن مسلم
المزني المصري، تلميذ الشافعي، ولد سنة ١٧٥هـ، وله المختصر في الفقه،
وقد شرحه عدة من العلماء، توفي - رحمه الله - سنة ٢٦٤هـ. انظر: سير

أعلام النبلاء للذهبي ٤٩٢/١٢ .

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ٢٦، ٢٥، ٣٢، ٣١/١٠ .

(٤) انظر: المرجع السابق ٤٩٢/١٢ .

المطلب الثالث : من مواقف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله :

للإمام أحمد(١) - رحمه الله - مواقف حكيمة تدل على حكمته ومدقه مع الله، وإخلاصه، ومن مواقفه رحمه الله تعالى:

- موقفه الحكيم الذي حفظ الله به القرآن الحكيم :

لم يكن للخلفاء والملوك والولاة دور في إظهار البدع والدعوة إليها، إلى ظهور المأمون(٢)، فاستجلب كتب الأواظ، وعرب حكمة اليونان، ورفع الجهمية والمعتزلة والشيعة رؤوسهم، وأظهر المأمون عام ٢١٢هـ القول بخلق القرآن، وحمل الأمة على القول بذلك، ثم امتحن العلماء وعذبهم عام ٢١٨هـ.(٣)

(١) الإمام حقا، وشيخ الإسلام صدقا، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أحد الأئمة الأعلام، ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ، وتوفي أبوه وهو ابن ثلاث سنين فكفلته أمه، وبدأ بطلب العلم، وحج سنة ١٨٧هـ ثم رحل إلى صنعاء ليأخذ العلم عن عبدالرزاق صاحب المصنف، ثم عاد إلى بغداد، وواصل طلب العلم والتعليم، وتوفي يوم الجمعة ١٢/٤/٢٤١هـ، وحضر جنازته ألفا ألف وخمسمائة ألف. انظر: سير أعلام النبلاء ١١/١٧٧، ١١/٣٤٠، والبدائية والنهاية ١٠/٣٢٥، ١٠/٢٤٢، وتهذيب التهذيب، لابن حجر ١/٦٢ .

(٢) المأمون، هو عبدالله بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٧٠هـ، وبويع بالخلافة في ٢٥ محرم عام ١٩٨هـ، وكان داعية للقول بخلق القرآن فقصمه الله بدعوة الإمام أحمد، وتوفي في ٢٥ محرم، سنة ٢١٨هـ. انظر: البدائية والنهاية ١٠/٢٧٤ .

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ١١/٢٣٦، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٣٠٦، والتاريخ

الإسلامي لمحمود شاکر ١٩٧/٥-٢٠٠ .

وفي آخر حياته قبل موته بأشهر خرج إلى طرطوس لغزو الروم، وكتب إلى نائبيه بيغداد يأمره أن يدعو الناس ويلزمهم بالقول بخلق القرآن، فألزم الناس بذلك. (١)

وما زال يهدد من امتنع منهم بالضرب وقطع الأرزاق، حتى أجابوه إلى ذلك كلهم أجمعون إلا أحمد ابن حنبل، ومحمد بن نوح(٢)، ولا شك أن أكثر المحدثين الذين أجابوا إلى ذلك تأولوا قوله تعالى: (إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ). (٣)

ومات المأمون فولي الخلافة المعتصم وانضم إليه أحمد بن أبي دؤاد(٤)، وأودع أحمد السجن نحواً من ثمانية وعشرين شهراً، وقيل أكثر من ثلاثين شهراً،

(١) انظر: البداية والنهاية ١٠/٢٧٢، ٣٣١ .

(٢) محمد بن نوح، قال عنه أحمد: ما رأيت أحداً على حداثة سنة وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، قال لي ذات يوم: يا أبا عبدالله، الله الله، إنك لست مثلي، أنت رجل يقتدى بك، قد مد الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك، فاتق الله، واشتت لأمر الله، ... فمات وصليت عليه ودفنته. انظر: سير أعلام النبلاء ١١/٢٤٢ .

(٣) سورة النحل، الآية ١٠٦ .

(٤) أحمد بن أبي دؤاد فرج بن جرير بن مالك المعتزلي، ولد سنة ١٦٠هـ، ولي قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وأعلن مذهب المعتزلة، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن، وأن الله لا يُرَى في الآخرة، وابتلاه الله بالفالج قبل موته بأربع سنين، وحرم لذة الطعام والشراب والنكاح، وغير ذلك، توفي يوم السبت لسبع بقين من محرم سنة ٢٤٠هـ. انظر: البداية والنهاية ١٠/٣١٩-٣٢٢ .

وقد كان في هذه المدة يصلي بأهل السجن والقيود في رجليه (١)، وكان المعتمم يوجه إليه من يناظره في السجن فيفوز عليهم الإمام أحمد بحجته ودليله، فيزداد في قيوده، ثم طلب المعتمم حضوره لديه، فحَمِلَ على دابة وعليه الأقياد، ما معه من يمسكه إلا الله، وكاد أن يسقط على وجهه لثقل القيود، ولكن الله سلم، ثم دخل على المعتمم وأحمد بن أبي دؤاد حاضر عنده، وقد جمع خلقا كثيرا من أصحابه (٢)، ثم قال المعتمم لأعوانه: ناظروه، فقيل له: ما تقول في القرآن؟ فقال أحمد: ما تقول في علم الله؟ فسكت المناظر له، فقال أحمد: من زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله. فقالوا: يا أمير المؤمنين كَفَرَ وَكَفَرْنَا.

فقال بعضهم: أليس قال الله: (الله خلق كل شيء) (٣)، والقرآن أليس شيئا؟ فقال أحمد: قال الله: (تدمر كل شيء) (٤)، فدمرت كل شيء إلا ما أراد الله.

قال أحمد: فكان يتكلم هذا فأرد عليه، ويتكلم هذا فأرد عليه، فإذا انقطع الرجل منهم اعترض ابن أبي دؤاد فيقول: يا أمير المؤمنين: هو والله ضال مضل مبتدع، فيقول المعتمم: كالموه، ناظروه. فيكلمني هذا فأرد عليه، ويكلمني هذا فأرد عليه، فإذا انقطعوا قال المعتمم: ويحك يا أحمد ما تقول؟ فأقول: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئا من كتاب الله أو سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ١١/٢٤٢، ٢٤٣، والبداية والنهاية ١٠/٣٣٢ .

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ١١/٢٤٢، والبداية والنهاية ١٠/٣٣٢ .

(٣) سورة الزمر، الآية ٦٢ .

(٤) سورة الأحقاف، الآية ٢٥ .

- حتى أقول به. فيقول أحمد بن أبي دؤاد: وأنت لا تقول إلا بهذا وهذا؟ (١) فقال

أحمد: وهل يقوم الإسلام إلا بهما؟ وجرت مناظرات طويلة.

قال أحمد: لقد احتجوا علي بشيء ما يقوى قلبي ولا ينطلق لساني أن أحكيه،

أنكروا الآثار، وما ظننتهم على هذا حتى سمعته، وجعلوا يرغون، فاحتجت عليهم

بالقرآن: (يُثَابِتْ لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ) (٢) أفهذا منكر عندكم؟ فقالوا:

شبه يا أمير المؤمنين، شبه. وطال المجلس، وقام المعتمم ورد أحمد إلى حبس

في البيت، ثم وجه إليه من يبئ معه وينظره، ثم أحضر أحمد في اليوم الثاني

ونظروه إلى قرب الزوال، ثم قام المعتمم ورد أحمد إلى مكانه، وفي اليوم

الثالث جيء به فنظروه، وفي هذه الأيام كلها يعلو صوته موتهم، وتغلب حجة

حجتهم، فغلبهم بالحجة والبرهان (٣)، حتى قال عنه صاحب شرطة المعتمم (٤): ما

رأيت أحدا لم يداخل السلطان، ولا خالط الملوك كان أثبت قلبا من أحمد يومئذ،

ما نحن في عينه إلا كأمثال الذبان. (٥)

وطالت المناظرة، فغضب المعتمم وقال لأحمد: لعنك الله طمعت فيك أن تجيبي

(١) يعني القرآن والسنة!!.

(٢) سورة مريم، الآية ٤٢ .

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ١١/٢٤٤-٢٥٠، والبداية والنهاية ١٠/٣٢٢.

(٤) صاحب شرطة المعتمم، هو: محمد بن إبراهيم بن مصعب، وهو أخو إسحاق بن

إبراهيم بن مصعب، نائب المأمون على بغداد. انظر: البداية والنهاية

١٠/٢٧٢، ١٠/٣٢١، وسير أعلام النبلاء ١١/٢٤٠ .

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء ١١/٢٤٠ .

فلم تجبني، ثم قال: خذوه واسحبوه، خلعوه، فأخذَ وسحبَ وخلعَ وجردَ، ووقف به بين الجمهور؛ لجلده وتعذيبه، فقال أحمد: "يا أمير المؤمنين، اذكر وقوفك بين يدي الله كوقوفي بين يديك".

فلما رأى المعتصم ثباته وتصميمه وملايته فكأنه أمسك حتى أغراه أحمد بن أبي دؤاد، وقال: "يا أمير المؤمنين، إن تركته قيل: قد ترك مذهب المأمون، وسخط قوله"، فهاجه ذلك على ضربه، ثم بدأ الجلادون يضربون، فیتقدم الرجل منهم فيجلده سوطين، والمعتصم يقول: شد قطع الله يدك.

وأغميَ على أحمد، وذهب عقله مرارا، ويعيدون الضرب ولم يحس بالضرب، وجاء المعتصم إليه ثلاث مرات وهو يجلد يدعوه إلى القول بخلق القرآن، فيمتنع، ويعيدون الضرب، ثم أمر المعتصم بإطلاقه، بعد أن ضرب نيفا وثلاثين سوطا، وقيل ثمانين سوطا، ولكنه كان ضربا مبرحا، ولم يشعر الإمام أحمد إلا وهو في حجرة من بيت، وقد أطلقت الأقياد من رجليه، ثم أمر المعتصم بإطلاقه إلى أهله، وكان ذلك في ٢٥ رمضان سنة ٢٢١هـ، ووصل إلى بيته (١)، وجاء إليه طبيب في بيته فقال: قد رأيت من ضرب ألف سوط، ما رأيت ضربا مثل هذا، وجعل يعالجه ويقطع اللحم الميت من جسده، وأحمد صابر، ويجهر بحمد الله، وبقي أثر الضرب في ظهره حتى مات رحمه الله (٢)، وجعل كل من آذاه في حل بعد أن شفاه الله إلا أهل البدع، وكان يتلو في ذلك قوله تعالى: (فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين). (٣)

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ١١/٢٥٠-٢٥٤، والبداية والنهاية ١٠/٢٢٢-٢٢٥ .

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ١١/٢٥٦، والبداية والنهاية ١٠/٢٢٥ .

(٣) سورة الشورى، الآية ٤٠ .

وبعد أن توفي المعتمد، وولي الخلافة الواثق (١) فأظهر ما أظهر والده من القول بخلق القرآن، ثم جاءت رسالة إسحاق بن إبراهيم إلى أحمد، يقول فيها: "إن أمير المؤمنين قد ذكرك فلا يجتمعن إليك أحد، ولا تسكنني بأرض ولا مدينة أنا فيها، فإذهب حيث شئت من أرض الله".

فاختفى أحمد - رحمه الله - بقية حياة الواثق في غير منزله، ثم عاد إلى منزله عندما طفيء خبره، ولم يزل مختفياً في البيت لا يخرج إلى صلاة ولا إلى غيرها حتى هلك الواثق (٢)، ثم ولي المتوكل (٣) الخلافة فأظهر الله السنة، وفرج عن الناس، وقمع البدع وأهلها، ونصر أهل السنة. (٤)

وكتب الإمام أحمد رسالة عظيمة إلى المتوكل، وبين فيها الرد على من قال بخلق القرآن، واستدل على أن القرآن كلام الله بالبراهين القاطعة من الكتاب

(١) هو الواثق بالله هارون بن المعتمد بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٩٦هـ، وبويع بالخلافة بعد المعتمد في ربيع الأول ٢٢٧هـ، وتوفي في ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠٦/١٠ .

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٢٦٤/١١ .

(٣) المتوكل على الله، هو جعفر بن محمد المعتمد بن هارون الرشيد، ولد سنة ٢٠٧هـ، وبويع بالخلافة بعد أخيه الواثق في ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ، ونصر الله به الحق وأهل السنة، وقمع به أهل الباطل وبدعهم، ثم قتل ابنه محمد بمعاونة بعض أعداء الإسلام في شوال سنة ٢٤٧هـ، فرحمه الله وغفر له. انظر: البداية والنهاية ٣٤٩/١٠ .

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ٢٦٨/١١-٢٨٠، والبداية والنهاية ٣٣٨/١٠-٣٤٠.

والسنة والآثار عن الصحابة، ودعا للمتوكل بالتوفيق وحسن العاقبة. (١)

الله أكبر! ما أعظم هذه المواقف الحكيمة نحو كتاب الله تعالى؛ فإن الناس كلهم في الظاهر قد وافقوا المأمون على القول بخلق القرآن راغبين وراهبين، ولم يبق منكرا لذلك إلا أحمد ومحمد بن نوح، ثم مات ابن نوح، وبقي أحمد وحده، فثبتت واستعان بالله، فأثبت للناس أن القرآن كلام الله بقوله ومناظرته وفعله، وصبره على العذاب في عهد المأمون، ثم المعتمد (٢)، ثم الواثق، ولولا الله وحده ثم الإمام أحمد لساد القول بخلق القرآن بين المسلمين، وخاصة عامة الناس، ولكن الناس ينظرون إلى أحمد وشبائته وحججه وبراهينه، فثبتوا على القول بأن القرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود، وإن لم يظهروا ذلك للدولة، ولكن يعتقدون ذلك بقلوبهم، فحفظ الله كتابه، وأظهر الحق على يد الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - بهذه المواقف الحكيمة.

(١) انظر نص الرسالة في سير أعلام النبلاء ٢٨١/١١-٢٨٦، وهي من أعظم الرد على من قال بخلق القرآن، والبدائية والنهاية ٣٤٠/١٠، وانظر: سير أعلام النبلاء ١١/١٧٧-٣٥٨، والبدائية والنهاية ٣٢٥/١٠-٣٤٢ .

(٢) المعتمد: هو محمد بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٨٠هـ، وأمه أم ولد، بويغ في عهد المأمون في ١٤/٧/٢١٨هـ، وامتنح الناس بخلق القرآن، وشدد على الإمام أحمد وضربه بالسياط، وكتب إلى الأمصار يأمرهم بالقول بخلق القرآن، وبقي القول بخلق القرآن حتى أزاله المتوكل بعد ١٤ عاما. مات المعتمد في ١١/٣/٢٢٤هـ، وله ٤٧ سنة وسبعة أشهر. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٠٦/١٠ .

المبحث الخامس: نماذج عبر العصور

بعد أن انقضت القرون المفضلة - التي امتدحها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم..." الحديث(١)، بعد ذلك - جاء أناس يشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم الضعف والخور، والبعد والخرافات، والمد عن دين الله، ولكن - ولله الحمد والمنة - لا يزال حفظ الله لهذا الدين قائماً، لقوله تعالى: (إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون)(٢)، وتكفل الله باستمرار الحفاظ إلى قيام الساعة، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس".(٣)

وبين - عليه الصلاة والسلام - أن الله يبعث لأمته على رأس كل قرن من يجدد لها دينها، ويبين لها أحكام الكتاب والسنة، فقال صلوات الله وسلامه عليه: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها".(٤)

وسأتناول - إن شاء الله - في هذا المبحث نماذج من أبطال الرجال وحكمائهم، وأبين بعض مواقفهم التي تظهر فيها الحكمة في الدعوة إلى الله في المطلبين الآتين: المطلب الأول: مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

المطلب الثاني: مواقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

(١) البخاري مع الفتح ٢٥٩/٥، ومسلم ١٩٦٤/٤، وتقدم تخريجه.

(٢) سورة الحجر، الآية ٩ .

(٣) أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: لا تزال

طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ١٥٢٢/٢، والبخاري مع

الفتح - كتاب المناقب، باب حدثنا محمد بن المثنى ٦٣٢/٦ .

(٤) أبو داود ١٠٩/٤، والحاكم ٥٢٢/٤، وتقدم تخريجه ص ٢٤١ .

المطلب الأول : من مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

ظهر شيخ الإسلام (١) في عمر قد اضطربت فيه السياسة والحكم (٢) وظهرت فيه انحرافات في العادات والتقاليد والسلوك والحياة، واشتدت فيه غربة الإسلام، وتفرقت كلمة المسلمين، وظهرت الفرق المخالفة لما كان عليه السلف الصالح في العقائد والفروع، وخيم الجمود الفكري والتقليد الأعمى، فأثر في الجو العلمي، وظهرت فرق الشيعة، والصوفية المنحرفة، والقبورية، ونفاة الصفات، كالجهمية، والمعتزلة، والقدرية، وطغى علم الكلام والفلسفة حتى حلا محل الكتاب والسنة لدى الأكثرية من المتعلمين في الاستدلال، هذا كله في داخل المجتمع الإسلامي في ذلك العصر، مع تكالب أعدائه من الخارج، فحصل من البلاء ما الله به عليم. (٣)

في هذا الجو المعتم عاش شيخ الإسلام، فكيف يعمل حتى يصلح هذه المفاصد ويظهر النور في هذه الظلمات؟ ما هو الموقف الحكيم الذي سلكه حتى أنار الله به الطريق لهذا المجتمع وألزمهم بالكتاب والسنة والإجماع وعقيدة السلف الصالح الصافية النقية؟

(١) هو شيخ الإسلام وحافظ الدنيا المجتهد في الأحكام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحرائي الحنبلي، ولد بحران يوم الإثنين ١٠/٣/٦٦١هـ، وتوفي - رحمه الله - ليلة الإثنين ٢٠ من ذي القعدة ٧٢٨هـ.

(٢) انظر: البداية والنهاية ٣١٧/١٠، ٩٨/١١، ١٥٥/١٢، ١٥٦/١٢-٣٢٢، ١/١٣-٢٢٧، ٢/١٤-١٧٣، والتاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر ٥/٦-٣٤٥، ٧/١١-٣٢١، وشيخ الإسلام

أحمد تقي الدين: جهاده ودعوته، للشيخ أحمد القطان ومحمد الزين ص ٨ .

(٣) انظر: من مشاهير المجددين في الإسلام للدكتور صالح بن فوزان، ص ٥٢ .

وبالنظر في ذلك نجد أن الشيخ - رحمه الله - وقف مواقف حكيمة لإظهار علم الكتاب والسنة، وقمع أهل البدع والأهواء.

ومن مواقفه في رفع وإزالة هذا البلاء الواقع ما يلي :

١ - مواقفه الحكيمة مع قازان وقواته :

لم يقتصر الشيخ تقي الدين على طلب العلم النافع وتعليمه للناس، وترسيخ العقيدة في أذهانهم، وحثهم على الجهاد في سبيل الله تعالى، بل قد قام بتطبيق ما يدعو إليه ويرغب في ثوابه من الجهاد في سبيل الله تعالى، فقد هجم التتار على دمشق، وكانت حينئذ ولاية تابعة لسلطان المماليك في مصر، فجهز السلطان جيشاً ليرد التتار عن بلاد الشام، فكانت الوقعة بين الجيش وقوات "قازان" في ٢٧ ربيع الأول ٦٩٩هـ، ولكن كانت الغلبة لجيش التتار، وعادت عساكر السلطان إلى مصر، ودخل التتار إلى دمشق، وعاشوا في الأرض فساداً، وحينئذ اجتمع الشيخ تقي الدين بأعيان البلد، واتفقوا على السير إلى قازان في يوم الإثنين الثالث من ربيع الثاني سنة ٦٩٩هـ (١) والتحدث إليه، فلما وصلوا إلى قازان قائد التتار في بلدة النيك، المجاورة لدمشق، قابله الشيخ، وطلب منه الأمان لأهل دمشق، ورد الأسرى من المسلمين وأهل الذمة، ثم تكلم معه كلام الأبطال الشجعان، فأنزل الله الرعب في قلب السلطان، وسأل: من هذا الشيخ؟ فإني لم أر مثله، ولا أثبت قلباً منه، ولا أوقع منه حديثاً في قلبي، ولا رأيتني أعظم انقياداً لأحد منه، فأخبر بما له وما هو عليه من العلم والعمل، ثم قال له الشيخ بواسطة الترجمان: "إنك تزعم أنك مسلم، ومعك قاض، وإمام، وشيخ، ومؤذنون، فغزوتنا، وأبوك وجدك كانا كافرين، وما عملاً الذي عملت، عاهداً

(١) انظر: البداية والنهاية ٧/١٤، ١٠/١٤، ١٤/١٤ .

فوفيا، وأنت عامدت فغدرت، وقلت فما وفيت، وجرت".

ثم قَدَّم لهم قازان طعاما فأكلوا، ولم يأكل ابن تيمية، فسئل عن ذلك؟ فقال: كيف آكل من طعامكم، وكله مما نهيتم من أغنام الناس، وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس، فطلب منه قازان الدعاء، فقال في دعائه: "اللهم إن كان عبدك هذا إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا، وليكون الدين كله لك، فانصره وأيده، وملكه البلاد والعباد، وإن كان إنما قام رياء وسمعة وطلبنا للديننا ولتكون كلمته هي العليا، وليدخل الإسلام وأهله، فاخذله وزلزه ودمره واقطع دابره"، وقازان يرفع يديه ويؤمن على دعائه.

وقد خاف الناس على الشيخ القتل في هذا الموقف، ولكن الله أنزل الرعب في قلوب أعدائه. (١)

وقد أجابه قازان إلى حقن دماء المسلمين، وبلغه ما أراد، ورد عليه الأسرى من المسلمين، فلم يقبل الشيخ حتى رد جميع الأسرى من المسلمين ومن أهل الذمة من اليهود والنصارى، ثم رجع الشيخ مكرما معززا، قد وفقه الله ونصره لحسن قصده وإخلاصه في نيته، فنفع الله به المسلمين وأعزهم ونصرهم. (٢)

ولم يكن هذا الموقف هو الوحيد، بل له مواقف حكيمة ظهرت فيها شجاعته، منها حثه السلطان على الجهاد، وذلك أنه ركب إلى مصر يطلب من السلطان أن

(١) البداية والنهاية ١٤/٨٩، وانظر: حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد

البيطار ص ٢٢-٢٥ .

(٢) انظر: الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لعمر بن علي البزار

ص ٧١-٧٤ .

يرسل جيوشاً، أو يتخلى عن الشام ويولي عليه ابن تيمية غيره، فأجابه السلطان وأرسل الجيوش، وذلك سنة ٧٠٠هـ ثم رجع الشيخ من مصر إلى الشام، ووصل في ٢٧ من جمادى الأولى سنة ٧٠٠هـ، وحث جميع الناس على الجهاد في سبيل الله، فوصلت الجيوش، ورجع جيش التتار، وعبر الفرات(١)، وكفى الله المؤمنين القتال.

ولم يقتصر ابن تيمية على ما سبق، بل له مواقف أخرى تدل على بطولته وحكمته، فقد جاء التتار بجموعهم مرة أخرى بعد أن عبروا الفرات، فجاءوا سنة ٧٠٢هـ ومجموا على الديار الشامية، فقام ابن تيمية وحث سلطان مصر على الجهاد ورغب فيه، وحث الناس أيضاً ورغبهم في الجهاد في سبيل الله، ووعدهم بالنصر من الله عز وجل، وكان يطف بالله العظيم: إنكم في هذه الكرة منصورون. فيقول له الأمراء ومن معهم: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً. وكان يتأول قوله تعالى: (ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُغِيََ عليه لينصرته الله إن الله لعفو غفور)(٢)، وقد كان الله عند حسن ظنه به، فإنه كان يطف لهذه الآية، وثقة بالله تعالى وأنه لا يطف وعده، ثم التقى المسلمون بالتتار في يوم السبت الثاني من رمضان سنة ٧٠٢هـ في وقعة "شقحب"، فامتد القتال من عصر يوم السبت إلى الساعة الثانية من يوم الأحد، واشترك ابن تيمية في المعركة بلسانه ويديه وسيفه، وبكل ما يملك من قوة وبلاغة في تثبيت الأمراء والجنود وجميع الجيش، وقد كان السلطان يقول لابن تيمية في هذه المعركة: يا خالد بن الوليد! فيقول ابن تيمية: قل يا (ملك يوم الدين، إياك نعبد وإياك

(١) البداية والنهاية ١٤/١٥، ١٦ .

(٢) سورة الحج، الآية ٦٠ .

نستمع (١)، واشتدت المعركة، وحلف ابن تيمية للناس بالله الذي لا إله إلا هو إنكم لمنصورون، وأمر الناس بالإفطار، وأفطر هو وأمامهم، ثم أنزل الله النصر على المسلمين، ثم هرب التتار، واقتحموا الجبال والتلول وآلاكام، وصاروا يتساقطون في الأودية، وهربوا ليلا، وغرق منهم خلق كثير في الفرات بسبب الظلام، وعاد الشيخ ومن معه إلى دمشق في اليوم الخامس من رمضان سنة ٧٠٢هـ، وقد نصرهم الله تعالى. (٢)

وله مواقف بطولية فذة حكيمة مع السلاطين، تدل على صدقه وإخلاصه وشجاعته في الحق. (٢)

وقد ظهرت حكمة ابن تيمية - رحمه الله تعالى - أثناء لقاءه مع التتار وقائدهم في النقاط الآتية :

١ - طلبه الأمان لأهل دمشق على دمائهم وأعراضهم وأموالهم، فأجابه قازان إلى ذلك.

٢ - إصراره على رد جميع الأسرى من المسلمين وأهل الذمة.

(١) سورة الفاتحة، الآيتان ٥، ٤ .

(٢) انظر: البداية والنهاية ٢٢/١٤-٢٦، وأوراق مجموعة من حياة ابن تيمية ص ٢٢ .

(٣) انظر موقفه مع الملك الناصر لدين الله في حياة ابن تيمية لمحمد بهجة البيطار ص ٢٥، والأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص ٧٤.

وللشيخ مواقف أخرى في جهاده مع الباطنية سنة ٧٠٥هـ في شاني محرم، فقد خرج إليهم مع نائب السلطان، فهزمهم الله، وقتلوا منهم خلقا كثيرا.

انظر: ابن تيمية: جهاده ودعوته، للقطان ص ٥٠ .

- ٣ - جراته وشجاعته في الكلام مع قازان حتى أنزل الله الرعب في قلبه.
 - ٤ - تذكيره لقازان بنقضه للعهد، ولا سيما هو يدعي الإسلام.
 - ٥ - عدم أكله من الطعام الذي قدمه قازان؛ لأنه من أغنام الناس المنتهية، وقد أوقد عليه بما قطع من أشجارهم.
 - ٦ - دعاؤه الذي دل على حكمته وعدله ونصرته لدين الله تعالى.
 - ٧ - حثه سلطان المسلمين على الجهاد في سبيل الله تعالى، أو يتخطى عن الشام، ويولى غيره ممن يحمي حوزة الدين ويذب عن أعراض المسلمين وأموالهم.
 - ٨ - حثه الناس على الجهاد وإقسامه بأن الله سينزل النصر على المسلمين، وهذا يدل على ثقته بالله تعالى وبيوعده وأنه لا يخلف الميعاد، ولهذا ازداد المسلمون شجاعة وإقداما، فأنزل الله النصر، وهزم أعداء المسلمين.
 - ٩ - مشاركته الفعلية في الدفاع عن المسلمين بلسانه ویده وسيفه.
 - ١٠ - قوله لسلطان المسلمين حينما قال له عند اشتداد المعركة: "ياخالد ابن الوليد"، فقال ابن تيمية: قل: يا ما لك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين".
- فرحم الله ابن تيمية وغفر له.
- وهكذا ينبغي لكل داعية إلى الله أن يظهر من عمله ما يصدق قوله، رغبة فيما عند الله والدار الآخرة، وبذلك يفتح الله له قلوب العباد وأسماعهم، وتظهر دعوته إلى الله، ويظهر أثرها، وأثر إخلاص صاحبها مع الله عز وجل.

٤ - ومن مواقفه الحكيمة :

مناظراته التي غلب فيها أخصامه وأعجزهم، وانقادوا له طوعا أو كرها، فقد كان شيخ الإسلام على عقيدة السلف المالح، وبعض على هذه العقيدة بالنواجذ، ويبذل جهده ووقته، وفكره في إرجاع جميع الطوائف المنحرفة إلى هذه العقيدة،

ويرى رأي إمام دار الهجرة مالك بن أنس من أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، وهو رأي كل حكيم عليم ببدء الأمة ودوائها قديما وحديثا.

وكان الشيخ - رحمه الله - شديد الانتمار لمذهب السلف والدفاع عنه بالحجج النقلية والعقلية، وقد عقدت له مناظرات في مصر والشام، كان معظمها يحوم حول هذه القضية (١)، ومن هذه المناظرات على سبيل المثال لا الحصر، ما يأتي:

١ - المناظرة الأولى : في العقيدة الواسطية التي كتبها لرضي الدين الواسطي، من أصحاب الشافعي، حينما طلب منه بإلحاح أن يكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته في مدينة واسط، فكتبها الشيخ، وانتشرت بين الناس، مما أدى إلى ثورة كثير من علماء الجهمية والاتحادية والرافضة، وغيرهم من ذوي الأحقاد، فسعى هؤلاء إلى السلطان في البلاد المصرية، فكتب السلطان إلى نائيه على بلاد الشام يأمره بجمع قضاة المذاهب الأربعة، وغيرهم من نوابهم، والمفتين، والمشايخ، وعندما وصل الكتاب إلى أمير الشام جمع قضاة المذاهب الأربعة والعلماء، والشيخ تقي الدين في قصر الولاية بدمشق، وذلك يوم الاثنين الثامن من رجب سنة ٧٠٥هـ، ثم بدأ المجلس وقراءة العقيدة الواسطية من أولها، ومناقشة الشيخ ومناظراته بحضور الأمير، فناظرهم الشيخ، ورد عليهم، وبين لهم مذهب السلف الصالح، وأن هذه العقيدة هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي التي يدل عليها الكتاب والسنة وإجماع السلف، وصار يناظر أصحاب المذاهب، فكان أعلم بمذاهبهم منهم، وأعجزهم أمام الأمير، ثم انتهى المجلس الأول.

واجتمعوا للمجلس الثاني يوم الجمعة بعد الصلاة، الثاني عشر من رجب سنة ٧٠٥هـ، وقد حضر قضاة المذاهب الأربعة، معهم صفي الدين الهندي، وتكلم مع الشيخ تقي الدين كلاما كثيرا، ولكن ساقيته لاطمت بجرا عميقا، ثم استلم من

(١) انظر: حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد بهجة البيطار ص ٢٧ .

ناظره عقبه، فكان كالبحر الزاخر، حتى ان هؤلاء القضاة والعلماء عجزوا عن مناظرته؛ لأنه كان يرد عليهم بالكتاب والسنة والآثار عن السلف الصالح، وكان يلزمهم بالكتاب والسنة، ويدعوهم إلى التمسك بمذهب السلف الصالح، ويبين لهم أنه لم يضع هذه العقيدة من ذات نفسه، وليس لأحد أن يشرع للناس ما لم يأذن به الله، وإنما العقيدة تؤخذ من كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واجماع سلف هذه الأمة، فما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله - صلى الله عليه وسلم - وجب على كل مسلم أن يثبتته لله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكليف، وما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله - صلى الله عليه وسلم - وجب نفيه عنه؛ لأنه تعالى أعلم بنفسه.

وانتهى هذا المجلس بعجز المجلس أمام الأمير عن ابن تيمية، فخرج الشيخ والناس يحملون له الشمع إلى منزله على عاداتهم في ذلك.

ثم عقد المجلس الثالث في اليوم السابع من شعبان سنة ٧٠٥هـ في القصر، واجتمع الجماعة كلهم على الرضى بالعقيدة الواسطية، وأخذ بعضهم يمدح الشيخ ويثني عليه، وكان هذا كله أمام رئيس المجلس نائب السلطان. (١)

فأظهر الله الحق، وأبطل الباطل، وظهرت حكمة ابن تيمية أمام الجميع بآثاره عقيدة السلف الصالح بالحجج والبراهين العقلية والنقلية؛ ولهذه الحكمة العظيمة أقر المناظرون وأجمعوا على الرضا بالعقيدة الواسطية، فجزاه الله خير الجزاء.

(١) انظر المناظرة مطولة بالتفصيل في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٦٠/٢-٢٠١، وحياة ابن تيمية، لمحمد بهجة البيطار ص٢٧، والبداية والنهاية - بالفاظ

ب - المناظرة الثانية التي أقر الله بها أهل السنة وخذل بها أهل البدع والخرافات، وذلك أن الطائفة الأحمديّة البطائحية (١) كانوا يخالفون الشيخ تقي الدين في عقيدة السلف المالح، وكان يأمرهم باتتباع الكتاب والسنة، وينكر عليهم فعلهم وأحوالهم الشيطانية.

وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى سنة ٧٠٥هـ حضر هؤلاء المبتدعة في جموع هائلة إلى قصر نائب دمشق، يسألون نائب السلطان أن يكف عنهم الشيخ ابن تيمية ومذهبه السلفي، وعندما رآهم الناس اجتمع عليهم جم غفير، ولكن الأمير لم يقبل منهم إلا بحضور الشيخ ومناظرته، فأرسل إليه ووصل، وسأله الأمير، فأخبره ابن تيمية أن هؤلاء من أهل البدع، وقد أفسدوا من دين المسلمين ما الله به عليهم، وذكر له جميع ما يعرف عنهم، وأنه ينهاهم عن البدع وهم يأتون بأحوال شيطانية، ومنها دخولهم النار، واستعد الشيخ أنهم إن دخلوا النار في هذا اليوم فسيدخل معهم، ومن احترق فعليه لعنة الله، ولكن بعد غسل الأجسام بالماء والماء الحار؛ لأنهم يطلون أجسامهم بأدوية يصنعونها من دهن الضفادع وباطن قشر النارج، فإذا غسلت الأجسام بطلت الحيلة، وحضر شيوخهم الأكابر يطلبون

(١) البطائحية: الطائفة المعروفة بالرفاعية، نسبة إلى البطائح التي سكنها الشيخ أحمد الرفاعي، ويقال لها أيضا: الرفاعية والأحمدية، نسبة إلى لقبه أو اسمه: أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد، المعروف بابن الرفاعي، وكان رجلا صالحا فقيها شافعيًا، ولاتباعه أحوال عجيبه من أكل الحيات وهي حية، والنزول في التنانير وهي تشتعل فيطفئونها ... انظر: وفيات الأعيان ٧١/١ .

الأمير الإصلاح، والعفو عن الماضي والتوبة، واتباع الكتاب والسنة، فقبل منهم ابن تيمية، ولكن عارض شيخ آخر من الصوفية، فناظره ابن تيمية فغلبه أمام الجموع الغفيرة.

وتحداهم ابن تيمية في مشارق الأرض ومغاربها بأي شيء يصنعونه في النار من حيلهم فسيصنع مثلهم بشرط الغسل.

ولحكمة ابن تيمية قال: يكفي في ذلك قنديل يوحد داخل أصبع المناظر منهم وابن تيمية بعد الغسل، وعندما سمع الصوفية ذلك انهزموا أمام الجموع، وأقروا بالترجم الكتاب والسنة، وطلب ابن تيمية من الأمير أن يضرب عنق من خالف منهم الكتاب والسنة، فأعلن الأمير ذلك للناس، وأن من خالف الكتاب والسنة ضرب عنقه، وطلب الصوفية من الشيخ الكتب الصحيحة، فبدلت لهم، وتفرق الجميع على التوبة (١)، وسمع الناس يقولون: (فوقع الحق وبطل ماكانوا يعملون . فغلبوا هنالك وانقلبوا صُغرين). (٢)

وهذا موقف حكيم يدل على حكمة الشيخ ابن تيمية وإخلامه ومدقه مع الله، ولهذا تاب على يديه هذا الجم الغفير، جعله الله في موازين حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وهذا ما يطمع فيه الداعية المخلص.

(١) انظر: هذه المناظرة مطولة في مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٤٥/١١-٤٧٥، وقد سقتها اقتباسا بالمعنى، وانظر مناظرات أخرى في مواقف حكيمة أخرى مفيدة جدا، في مجموع الفتاوى ١١٠/١١-١٥٦، ومناظرة في العقيدة الحموية التي كتبها الشيخ سنة ٦٩٨هـ لأهل حماة في البداية والنهاية ٤/١٤ .

(٢) سورة الأعراف، الآيتان ١١٨، ١١٩ .

٣- ومن مواقفه الحكيمة ما فعله في السجون من أعمال حكيمة جبارة، وجهود

مشكورة مسددة، نفع الله بها الناس، وأنقذهم بها من الضلال إلى الهدى. (١)

ومن هذه المواقف الحكيمة ما يأتي :

١ - سجن في قلعة دمشق مرات، وآخر ذلك في ستة عشر من شوال سنة ٧٢٦هـ ففرج بذلك وقال: أنا كنت منتظرا لذلك، وهذا فيه خير كثير ومصلحة كبيرة، وأقبل في هذه المدة على التلاوة وتصنيف الكتب، والرد على المخالفين، وكتب في مسألة زيارة القبور البدعية، وبين الزيارة الشرعية.

وكان - رحمه الله - داعية عظيمًا حكيماً أينما كان؛ ولهذا كان لا يهمه الإفراج عنه من السجن ما دام باستطاعته نشر العلم بقلمه ولسانه، ولهذا كان يقول: "ما يصنع أعدائي بي؟! إن جنتى وبستانى في صدري، أين رحمت فهى لا تفارقنى، إن حبسى خلوة، وقتلى شهادة، وإخراجى من بلدى سياحة".

ب - ومن أعظم ما يدل على حكمة ابن تيمية وقوته في الحق وشبته عليه ما فعله في آخر حياته في سجن قلعة دمشق من كتابته بالفحم.

ففي التاسع من جمادى الآخرة سنة ٧٢٨هـ منع الشيخ من جميع أدوات الكتابة، وأرسلت جميع مسوداته وأوراقه إلى المكتبة العادلية، وكان ذلك في نحو ستين مجلداً، فمار يكتب بالفحم، وقد كان ذلك له صدمة عنيفة ألمته كثيراً، ولكنه

(١) وله مواقف أخرى حكيمة في سجن الإسكندرية، وسجن القضاة بمصر لم تذكر هنا.

انظر: البداية والنهاية ١٤/٢٧-٩٧، ١٢٣-١٤٠، والأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص ٧٣، وحياة شيخ الإسلام لمحمد بهجة البيطار ص ٣٤، ٣٥، وشيخ الإسلام

جهوده ودعوته لأحمد القطان ومحمد الزين ص ٧٠ .

شبت واستخدم الفحم، وهذا يدل على قوة عزمته، مع أنه ختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين مرة، ولكنه بعد هذه الصدمة لم يبق إلا يسيراً، حيث مات - رحمه

الله - يوم الاثنين في ٢٠ من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ. (١)

وبفضل الله تعالى، ثم بهذه الخطوات الحكيمة أنار ابن تيمية الأرض التي مشى عليها أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقد نشر علم الكتاب والسنة، وجاهد بلسانه ويده، وناظر وغلب جميع أخصامه، وعمل أعماله الحكيمة في السجون فحوّلها - بفضل الله - من بيئة فاسدة إلى بيئة صالحة مؤمنة، فجزاه الله عن أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - خير الجزاء.

(١) انظر: البداية والنهاية ١٤/٢٧-٩٧، ١٢٣-١٤٠، والأعلام العلية في مناقب ابن

تيمية ص٧٣، وحياة شيخ الإسلام لمحمد بهجة البيطار ص٣٤، ٣٥، وشيخ الإسلام

جهوده ودعوته لأحمد القطان ومحمد الزين ص٧٠ .

المطلب الثاني : مواقف الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

كانت حالة المسلمين قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١) - رحمه الله - حالة لا يرضاها مؤمن، حيث كان الشرك الأكبر قد انتشر في نجد خاصة، وفي غيرها من بلاد المسلمين عامة.

لقد كان في بلدان نجد من الشرك الأكبر والأصغر ما الله به عليم، حيث عدل الناس إلى عبادة الأولياء والمالحين والمجانين: أحيائهم وأمواتهم، يستغيثون بهم في النوازل والحوادث، ويستعينون بهم على قضاء الحاجات، وتفريج الشدائد والكربات، وعبدوا القباب والأحجار والأشجار والغيران، واشتهر في نجد: السحرة والكهنة والعرافون، وسؤالهم وتمديقهم. (٢)

(١) هو شيخ الإسلام، الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي النجدي الحنبلي، ولد في العيينة سنة ١١١٥هـ، ونشأ بها، وحفظ القرآن قبل العاشرة من عمره، ودرس على والده، ثم حج وأخذ عن بعض علماء الحرم الشريف، ثم زار المدينة، وأخذ عن بعض علمائها، ثم رجع إلى نجد وقصد البصرة، وأخذ عن بعض علمائها، ثم رجع إلى الأحساء، وأخذ عن بعض علمائها، ثم رجع إلى نجد، ودعا إلى التوحيد الخالص فنفع الله به العباد، وأنقذهم به من الشرك. وتوفي - رحمه الله - سنة ١٢٠٦هـ. انظر: تاريخ نجد لحسين بن غنام ص ٧٥، وعلماء نجد خلال ستة قرون ٢٧/١ .

(٢) انظر: تاريخ نجد، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات نوي الإسلام، للعلامة المؤرخ حسين بن غنام ١٠/١-٧٢، وعنوان المجد في تاريخ نجد، للشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر ١٩/١، والإمام محمد بن عبد الوهاب: دعوته وسيرته للعلامة عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز ص ١٢.

وكان الناس يقدّمون قبر زيد بن الخطاب - رضي الله عنه - في قرية الجبيلة، يدعونه لتفريج الكرب، وكشف النوائب، وقضاء الحاجات. وكانوا يزعمون أن في قرية في الدرعية قبور بعض الصحابة، فعكفوا على عبادتها، وصار أهلها أعظم في صدورهم من الله خوفا ورهبة، فتقربوا إليهم وهم يظنون أنهم أسرع إلى تلبية حاجتهم من الله! وكانوا يأتون في شعيب غبيرا من المنكر ما لا يعهد مثله، يزعمون أن فيه قبر ضرار بن الأزور، وذلك كذب محض وبهتان منسوبة لهم إبليس، وفي أسفل الدرعية غار كانوا يرسلون إليه اللحم والخبز، ويبعثون بصنوف الهدايا، وكان عندهم رجل من الأولياء - في زعمهم - اسمه تاج، سلكوا فيه سبيل الطواغيت، فصرفوا إليه النذور، وتوجهوا إليه بالدعاء، واعتقدوا فيه النفع والضر.

وانتشر الشرك في الحرمين الشريفين، وفي الطائف، وجدة، ومصر، واليمن. (١)

فكيف يعمل محمد بن عبدالوهاب في إزالة هذه العظائم، وما هو موقفه

الحكيم لتغيير هذه الشركيات والخرافات؟

مواقف الإمام الحكيم في تبديد هذا الظلام الدامس

عندما رأى الشيخ هذه المنكرات علم أنه لا يزيلها إلا قوة عظيمة، وعلم

مبني على فهم الكتاب والسنة، وعند ذلك عمل الخطوات الحكيمة التالية:

(١) انظر: تاريخ نجد، للعلامة المؤرخ حسين بن غنام ١٠٧١-٧٨، وعنوان المجد في

١ - بدأ بدعوته في عشيرته :

بعد أن تسلح بسلاح العلم النافع ومعرفة أحوال الناس بدأ بدعوته في عشيرته في بلدة العيينة، وواصل طلب العلم، ورحل في طلبه. (١)، ثم رجع إلى حريملاء؛ لأن والده انتقل إليها، وأخذ يسلك طريق الحكمة في إزالة الشركيات في الأقوال، والأفعال، وجلس للتدريس والإفادة وتقرير العقيدة وتثبيتها في نفوس أهل حريملاء، ونشر شرائع الإسلام، وكاتب العلماء والأمراء، فكشّر طلابه؛ ولكنه لم يجد قوة السلطان لدعم دعوة التوحيد. (٢)

٢ - بحثه عن دعم قوة الدعوة بالسلطان:

عندما جرب الشيخ أهل حريملاء، ولم ير هناك من يقتلع أصول الشركيات، ولا من يحمي الداعية والدعوة حتى تنجح، ولا يمكن أن يملح هذه المجتمعات إلا معاول تهدمها، وأيدي سلطة تقلعها؛ لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن (٣)، ولذلك خرج الشيخ من حريملاء إلى العيينة، ونزل على أمير العيينة فأكرمه، وعرض عليه الشيخ دعوة التوحيد فقبلها، ونصر الشيخ ودعوته، وألزم الخاصة

(١) انظر: بحوث الشيخ محمد بن عبدالوهاب لجامعة محمد بن سعود الإسلامية

٢٦٤/١، ١٠٥، ١٠٤/١، والإمام محمد بن عبدالوهاب سيرته ودعوته لعبدالعزیز

ابن عبدالله بن باز ص ١٦، ١٨، وعلماء نجد خلال ستة قرون، للشيخ عبدالرحمن

ابن عبدالله البسام ٣١/١-٣٣ .

(٢) انظر: بحوث الشيخ لجامعة الإمام محمد بن سعود ٢٦٤/١، ١٠٥، ١٠٤/١ .

(٣) انظر: المرجع السابق ٢٦٤، ١٠٥، ١٠٤/١ .

والعامّة بامتنثال أمر الله تعالى، فأعلن الشيخ دعوته، وهدم القباب على القبور، وقطع الأشجار، وكسر الأحجار التي يقصدها الناس بالعبادة، ولم يبق شجر، ولا حجر، ولا قبة على قبر، ولا وثن يعبد في البلاد التي تحت حكم عثمان بن معمر، وأُقيِمَ حد الزنا، وعلت كلمة الحق.

ثم إن عثمان تخطى عن نصرته الشيخ بأمر من أمير الأحساء، فهاجر الشيخ إلى الدرعية، وعرض دعوته على محمد بن سعود فرحب به، وقبل دعوته، واستعد بنصره وما يدعو إليه، وذلك سنة ١١٥٨هـ. (١)

٢ - غرس التوحيد الخالص في قلوب الناس وتصحيح عقيدتهم:

بعد أن حقق الشيخ أمنيته العظيمة من وجود ما يدعمه من قوة السلطان. وبعد أن رأى الأنصار والطلاب يفتنون إليه في الدرعية، أخذ يغرس في نفوسهم أعظم سلاح، وأعظم قوة ينتصر بها على أعدائه: ألا وهي قوة التوحيد الخالص، والإيمان الكامل، لعلمه - رحمه الله - أن نصرته الحق تحتاج إلى إيمان قوي مبني على فهم الكتاب الكريم والسنة المطهرة، كما تحتاج إلى دعم سلطان وسيف وسان، يجمع به كل مارد شيطان. (٢)

وهذا من أعظم مواقف الحكمة؛ فإنه عندما دخل الدرعية وجد أهلها في غاية

(١) انظر: عنوان المجد ٢١/١-٢٤، وتاريخ نجد لابن غنام ٧٨-٨١، والشيخ محمد بن

عبد الوهاب ودعوته لأحمد بن حجر آل بو ظامي ص ٢٢ .

(٢) انظر: بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية ٢١٨/١، ٢٥٨/١ .

الجهل، وقد وقعوا في الشرك الأكبر والأصغر كغيرهم، والتهاون بالصلاة والزكاة ورفض شعائر الإسلام، فجعل يتخولهم بالتعليم والموعظة الحسنة، ويفهمهم معنى لا إله إلا الله، ويعلمهم أصول الدين وقواعد الإسلام.

وأخذ على ذلك ما يقارب سنتين - بعد قدومه إلى الدرعية - وهو يغرس هذه

الدعائم. (١)

ومن أعظم ما غرس في نفوس المهاجرين إلى الدرعية من البلدان المجاورة والأنصار من أهل الدرعية: هو تدريسه لهم جميعاً كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وغرسه في أذهانهم، وكان آل سعود: الأمير محمد وأبناؤه يحضرون دروس الشيخ صباحاً ومساءً، في المسجد، وفي البيت، والمجامع الخاصة، فأثمر ذلك قوة الإيمان في نفوس الدولة الجديدة من الأمير إلى أصغر واحد من

المهاجرين والأنصار. (٢)

وعندما قام الشيخ بهذا الموقف العظيم الحكيم، واستقر في قلوبهم معرفة التوحيد وضده من الشرك، أُشْرِبَ حب الشيخ وما جاء به من التوحيد في قلوبهم، والتحم رابط المحبة في الله بين أهل الدرعية والمهاجرين إليهم فأوؤهم، وأصبحت هذه القوة قوة ضاربة قد رُبِّيَت على التوحيد، والرغبة فيما عند الله، والدار الآخرة، ودُعِمَت بقوة السلطان والسيف، والسنان، والحجة والبرهان، وقوة البيان.

(١) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر ٢٦/١، وتاريخ نجد "روضة

الأفكار والأفهام ... للعلامة المؤرخ حسين بن غنام ٨١/١ .

(١) انظر: إمام التوحيد، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الدعوة والدولة، لأحمد

القطان ومحمد الزين ص ٤٥ .

٤ - الرجوع بالناس إلى الكتاب والسنة :

علم الشيخ أن الناس لا يصلحهم ولا يرددهم إلى الحق الواضح والتوحيد الخالص إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم: (إن هذا القرآن يَهْدِي للتي هيَ أقوم) (١)، وتيقن أن الله سينصره إن هو قام بذلك: (إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد). (٢)

وعند ذلك سلك المسالك الآتية :

١ - جعل القواعد الأربع التي قرر بها توحيد العبادة (توحيد الألوهية)، وهي كالتالي:

القاعدة الأولى: العلم بأن الكفار الذين قاتلهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقرون بتوحيد الربوبية، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام، (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون). (٣)

القاعدة الثانية : أنهم يقولون ما دعوناهم إلا لطلب القرية والشفاعة، ومع ذلك حكم الله بكفرهم (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يَهْدِي من هو كاذب كفار) (٤)، (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم

(١) سورة الإسراء، الآية ٩ .

(٢) سورة غافر، الآية ٥١ .

(٣) سورة يونس، الآية ٣١ .

(٤) سورة الزمر، الآية ٢ .

ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله). (١)

القاعدة الثالثة: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم: فمنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والمالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يفرق بينهم، فدل ذلك على أن عبادة غير الله باطلة مهما تنوعت واختلفت.

القاعدة الرابعة: أن الشيخ حكم على مشركي زمانه أنهم أشد وأغلظ شركا من الأولين؛ لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زمانه شركهم في الرخاء والشدة (فيإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نزلهم إلى البر إذا هم يشركون). (٢)

وهذا من المواقف الحكيمة والاستنباطات السديدة. (٣)

ب - بين للناس وأرشدهم إلى ما به الفلاح والنجاح، وجعل ذلك في أربع مسائل تسهل على كل مسلم فيحفظها، ويفهم معانيها، وفهمها من مقتضى الإسلام، وهي كالتالي:

المسألة الأولى : العلم، ثم بين المراد به بأنه معرفة الله، ومعرفة

(١) سورة يونس، الآية ١٨ .

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٥ .

(٣) انظر القواعد الأربع في القسم الأول من مؤلفات الشيخ في العقائد ص١٩٧،

مطبوعات الجامعة، وانظر: بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بجامعة

الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٣٣١/١ .

النبي صلى الله عليه وسلم، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

المسألة الثانية: العمل بالعلم.

المسألة الثالثة: الدعوة إليه .

المسألة الرابعة: الصبر على الأذى فيه، وساق على ذلك أدلة من الكتاب

الكريم. (١)

ج - أرشد الناس، وبين لهم أنه يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاث

مسائل، ويعمل بهن:

المسألة الأولى: أن الله خلق العباد ورزقهم، ولم يتركهم هملاً؛ بل أرسل

اليهم رسولا، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

المسألة الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته، لا ملك

مقرب، ولا نبي مرسل.

المسألة الثالثة: أن من أطاع الرسول ووجد الله لا تجوز له موالة من حاد

الله ورسوله ولو كان أقرب قريب.

وذكر لكل مسألة دليلاً صريحاً. (٢)

(١) انظر هذه المسائل الأربع مع أدلتها في القسم الأول من مؤلفات الشيخ في

العقيدة والآداب الإسلامية ص ١٨٥، وبحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب

٣١٧/١.

(٢) انظر هذه المسائل الثلاث مع أدلتها في القسم الأول من مؤلفات الشيخ في

العقيدة والآداب الإسلامية ص ٢٨٦، وبحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب

لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٣١٥/١ .

د - بين الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم معرفتها، وهي: معرفة الله، والنبي صلى الله عليه وسلم، ودين الإسلام، بالأدلة من الكتاب والسنة لكل جزئية من هذه الأصول.

وقد جعل الأصل الثالث - وهو معرفة الدين - ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وبين أركان كل مرتبة من هذه المراتب ومعاني ذلك كله، واستدل بالأدلة من الكتاب والسنة. (١)

ثم صاغ هذه الأصول الثلاثة عن طريق السؤال والجواب، لتلقين عامة الناس، لكي يرسخ الإيمان الكامل والعقيدة الصحيحة في قلوبهم. (٢)

هـ- اعتنى بالقواعد الجامعة للأحكام، فوضع أربع قواعد تدور عليها جميع أحكام الإسلام، وهي كالتالي:

- القاعدة الأولى : تحريم القول على الله بلا علم، لقوله تعالى: (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون). (٣)

- القاعدة الثانية: أن كل شيء سكت عنه الشرع فهو عفو، لا يحل لأحد أن

(١) انظر الأصول الثلاثة مدعومة بالأدلة القطعية في القسم الأول من مؤلفات

الشيخ في العقيدة والآداب الإسلامية ص ١٨٧ .

(٢) انظر تلقين العقيدة للعامة في القسم الأول من مؤلفات الشيخ في العقيدة

والآداب الإسلامية ص ٣٧٠، وبحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب لجامعة

الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٣٤٦/١ .

(٣) سورة الأعراف، الآية ٣٣ .

يحرمه أو يوجبه أو يستحبه أو يكرهه، لقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تمثلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تمثلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور طيم). (١)

وقال صلى الله عليه وسلم: "وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها". (٢)

- القاعدة الثالثة: أن ترك الدليل الواضح والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزيغ، كالرافضة والخوارج، قال تعالى: (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشبه منه). (٣)

والواجب على المسلم اتباع المحكم، وإن عرف معنى المتشابه وجده لا يخالف المحكم بل يوافق، وإلا فالواجب عليه اتباع الراسخين في قولهم: (أمننا به كل من عند ربنا).

- القاعدة الرابعة: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكر أن الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات (٤)، فمن لم يفتن لهذه القاعدة، وأراد أن يتكلم على مسألة مشتبهة بكلام فاصل فقد ضل وأضل.

(١) سورة المائدة، الآية ١٠١ .

(٢) أخرجه الدارقطني ٤/٢٩٧، ٢٩٨، وقال النووي في الأربعين: حديث حسن.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٧ .

(٤) البخاري مع الفتح ١/١٢٦، ٤/٢٩٠، ومسلم ٣/١٢١٩، وانظر: شرح النووي

فهذه ثلاث قواعد ذكرها الله في كتابه، والرابعة ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الكلمات مع اختصارهن يدور عليها الدين، سواء كان المتكلم يتكلم في علم التفسير، أو في علم الأصول، أو في علم أعمال القلوب الذي يسمى علم السلوك، أو في علم الحديث، أو في علم الحلال والحرام والأحكام، الذي يسمى علم الفقه، أو في علم الوعد والوعيد، أو في غير ذلك من أنواع علوم الدين. (١)

ومما سبق يتضح للقارئ أن أهم الأصول التي أحيها الشيخ ودعا إليها واهتم بنشرها أكثر من غيرها كالتالي:

أ - الرجوع بالإسلام وأهله إلى ما كان عليه المدر الأول؛ لأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وهو التزام الكتاب والسنة واجماع الأمة.

ب - تظييم التوحيد مما شابه من الشرك، والوثنية. (٢)

ج - إنكار التوسل الممنوع شرعا، بالأنبياء والأولياء والمالحين، وتبيين التوسل المطلوب والمسنون، وهو التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلىا، وبالأعمال الصالحة التي قام بها الداعي نفسه، وبطلب الدعاء من المسلم الصالح الحي القادر الحاضر.

(١) انظر هذه القواعد مع أدلتها بالتفصيل والأمثلة في القسم الثاني من

مؤلفات الشيخ في الفقه، المجلد الثاني من ٣، وبحوث أسبوع الشيخ محمد بن

عبدالوهاب ١/٢٢٦، ٢٧٢ .

(٢) والتوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء

والصفات. والشرك شركان: أكبر يخرج من الملة، وأصغر، وخفي.

د - طرح البدع والخرافات والشعوذة وغيرها من المنكرات. (١)
وبهذا كله أسس الشيخ مجتمعا موحدًا مخلصًا قويًا في إيمانه وعقيدته (٢)،
وما ذلك إلا بفضل الله وحده ثم بحكمة هذا الشيخ الجليل التي نفع الله بها
العباد في هذه الجزيرة وغيرها.

٥ - كتابته الرسائل بأساليب الحكمة والبيان:

لم يغفل الشيخ تبليغ التوحيد بالقلم والرسائل، بل اعتنى بذلك كثيرًا.
فقد قضى السنتين الأوليين من إقامته في الدرعية في مكاتب العلماء والرؤساء
والبسلدان والقبائل المختلفة، بالإضافة إلى العناية بالتربية والتعليم
والتوجيه وغرس الفضائل التي سبق بيانها.

(١) ويمكن التفصيل في الأصول التي اعتنى بها الشيخ ودعا إليها أكثر من غيرها
كالتالي: ١ - توحيد العبادة، ٢ - التوسل الجائز والمحرم، ٣ - منعه شد
الرجال إلا إلى المساجد الثلاثة، ٤ - منع البناء على القبور وإسراجها
وكسوتها، ٥ - توحيد الأسماء والصفات، ٦ - إنكار البدع جميعها.

(٢) انظر: بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لجامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية ٢/٣٠٢، ٢/٣١٧، ١/٣١١، ومؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم
الأول: العقيدة والآداب الإسلامية ص ٩، ٢٦٠، والشيخ محمد عبدالوهاب: عقيدته
ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه، للعلامة أحمد بن حجر آل بو طامي
ص ٤٣-٤٧.

وبدأ بأهل نجد، وكاتب أمراءها وعلماءها، فكاتب علماء الرياض وأميرها
دهام بن دواس، وكاتب علماء الخرج وأمراءها، وعلماء بلاد الجنوب، والقصيم،
وحائل، والوشم، وسدير، والأحساء، وعلماء الحرمين الشريفين، وغير ذلك.

ولم يغفل البلدان الخارجية، فقد كتب لعلماء الشام، ومصر، والعراق،
والهند، واليمن، وغير ذلك من البلدان، ولم يزل يكاتب الناس ويقيم عليهم
الحجج، ويذكرهم ما وقع فيه أكثر الخلق من الشرك والبدع. (١)

واصل الشيخ ليله ونهاره في نشر الدعوة، والوعظ والتدريس، وكتابة
الرسائل العلمية المدعومة بالأدلة من الكتاب والسنة، وبالحجة والبرهان،
والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ولم يبدأ أحدا بالعدوان، ورعاً
منه، وأملا في أن يهدي الله الضالين، إلى أن حكموا عليه وعلى أتباعه بالكفر.
وأباحوا دماءهم وأموالهم، ولم يثببتوا دعواهم بحجة من كتاب ولا سنة، مع رفضهم
لعقيدة التوحيد، وعدم قبولها، ونصرهم الشرك وأهله. (٢)

٦ - آخر مواقف الحكمة : الجهاد بالسيف والسنان :

بعد أن بدأ أعداء التوحيد بتكفير الشيخ وإهدار دمه ومن تبعه، وبعد أن
بيّن لهم الشيخ نواقض الإسلام بأدلتها من الكتاب والسنة (٣)، فأعرضوا عن ذلك

(١) انظر: تاريخ نجد، لابن غنام ٨٢/١، وعنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر

٢٦/١، والإمام محمد بن عبد الوهاب: دعوته وسيرته، لابن باز ص١٩، ٢٤، ٢٧ .

(٢) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية لأحمد بن

حجر ص٢٦، وروضة الأفكار لابن غنام ٨٢/١ .

(٣) انظر: نواقض الإسلام في القسم الخامس من مؤلفات الشيخ في: الرسائل

الشخصية ص١٩٨، ٢٠٤، ٢١٢ .

كله وكذبوا به، ورفضوا التوحيد، وحينئذ يكون آخر الطب الكبي، فأمر الشيخ بالجهاد لمن عادى أهل التوحيد وسبه وسب أهله، ولم ينقذ لشرع الله، ولم تنفع فيه الآيات البينات.

واستمرت الحروب سنين عديدة، وكان النصر - بإذن الله - حليف الشيخ محمد ابن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود، فكانت القرى والعشائر تسقط واحدة تلو الأخرى بيده، فنشر الله الدعوة وأظهرها ونصرها، وقمع الباطل وأذل أهله الذين عارضوا التوحيد.

ثم توفي الشيخ - رحمه الله - يوم الإثنين آخر شهر شوال، سنة ١٢٠٦هـ، وله من العمر نحو ٩٢ سنة، فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء(١)، فقد أنقذ الله بمواقفه الحكيمة هذه الجزيرة وما جاورها من الشرك، وبدد الظلام، وأثار البلاد بنور التوحيد الخالص.

وهكذا ينبغي لكل داعية يرجو الله واليوم الآخر أن يكون حكيما في مواقفه، نامرا لدين الله، صابرا محتسبا مظلما، وبذلك يربح ويفوز في الدنيا والآخرة، والله المستعان.

(١) انظر: روضة الأفكار لابن غنام ٨٤/١، وعنوان المجد لابن بشر ٢٢/١، وعلماء

الفصل الثالث

حكمة القول مع المدعوين

- المبحث الأول : حكمة القول مع الملحدين .
- المبحث الثاني : حكمة القول مع الوثنيين .
- المبحث الثالث : حكمة القول مع أهل الكتاب.
- المبحث الرابع : حكمة القول مع المسلمين .

الفصل الثالث : حكمة القول مع المدعوين

الداعية الحكيم هو الذي يدرس الواقع، وأحوال الناس، ومعتقداتهم، وينزل الناس منازلهم، ثم يدعوهم على قدر عقولهم وأفهامهم وطبائعهم وأخلاقهم ومستواهم العلمي والاجتماعي، والوسائل التي يؤتون من جهتها، وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك للدعاة إلى الله عز وجل، فقال لمعاذ بن جبل حينما بعثه إلى اليمن - داعيا ومعلما وقاضيا - : "إنك تأتي قوما أهل كتاب... الحديث. (١)

فبين - صلى الله عليه وسلم - لمعاذ عقيدة القوم الذين سوف يقدم عليهم حتى يعرف حالهم، ويستعد لهم، ويقدم لهم ما يناسبهم، وما يصلح أحوالهم.

وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها: "يا عائشة، لولا قومك حديث عهدهم بکفر لنقضت الكعبة وجعلت لها بابين: باب يدخل الناس، وباب يخرجون". (٢)

فترك - صلى الله عليه وسلم - هذه المصلحة؛ لأمن الوقوع في المفساد. (٣)

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ٣/٢٢٢، واللفظ له، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله وشرائع الإسلام ١/٥٠.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه ١/٢٢٤ .

(٣) قال ابن حجر رحمه الله تعالى: يستفاد منه ترك المصلحة؛ لأمن الوقوع في المفسدة، وترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه. انظر: فتح الباري

ولهذا قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: "حدثوا الناس بما يعرفون،

أتحبون أن يكذب الله ورسوله". (١)

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه

عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة". (٢)

فدراسة البيئة والمكان الذي تبلغ فيه الدعوة أمر مهم جدا، فإن الداعية يحتاج في دعوته إلى معرفة أحوال المدعوين: الاعتقادية، والنفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، ومعرفة مراكز الضلال ومواطن الانحراف معرفة جيدة، ويحتاج إلى معرفة لغتهم، ولهجتهم، وعاداتهم، والإحاطة بمشكلاتهم ونزعاتهم الخلقية، وثقافتهم، ومستواهم الجدلي، والشبه التي انتشرت في مجتمعهم، ومذاهبهم. (٣)

والداعية الحكيم يكون مدركا لما حوله، مقدرا للظروف التي يدعو فيها، مراعيًا لحاجات الناس ومشاعرهم، وكل أحوالهم.

(١) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية

أن لا يفهموا ٢٢٥/١ .

(٢) مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ١١/١ .

(٣) انظر: شرح الإمام النووي على مسلم ١٩٧، ٧٦/١، وفتح الباري ٢٢٥/١، وكيف

يدعو الداعية لعبدالله ناصح علوان ص ٣٧، ٤٧، ١٥٥، وزاد الداعية إلى

الله للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ٧ .

والداعية إلى الله تعالى لا ينجح في دعوته، ولا يكون موفقا في تبليغه ولا مسددا في قوله وفعله حتى يعرف من يدعوهم، وهل هذا المجتمع من المسلمين العصاة، أو من المسلمين الذين انتشرت فيهم البدع والخرافات؟ هل هذا المجتمع من أهل الكتاب؟ فإذا كانوا منهم، فهل هم من اليهود أم من النصارى؟ هل هذا المجتمع من الملحدين الطبيعيين والماديين والدهريين؟ أم من الوثنيين المشركين؟

فإذا عرف الداعية هذا كله، فكيف يدعو كل فئة من هذه الفئات بالحكمة؟ وماذا يقدم معهم وماذا يؤخر؟ وما القضايا التي يعطيها أهمية وأولوية قبل غيرها؟ وما الأفكار الضرورية التي يطرحها ويبدأ بها؟

وهكذا، فالداعية الحكيم كالطبيب الحكيم الذي يشخص المرض، ويعرف الداء ويحدده، ثم يعطي الدواء المناسب على حسب حال المريض ومرضه، مراعى في ذلك: قوة المريض وضعفه، وتحمله للعلاج، وقد يحتاج المريض إلى عملية جراحية فيشق بطنه، أو يقطع شيئا من أعضائه، من أجل استئصال المرض طلبا لصحة المريض، وهكذا الداعية الحكيم يعرف أمراض المجتمع، ويحدد الداء، ويعرف الدواء، وينظر ما هي الشبه والعوائق فيزيلها، ثم يقدم المادة المناسبة بدءا بأمور العقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية، مع تشويق المدعو إلى القبول والإجابة.

وبناء على ما تقدم يكون من الحكمة تقسيم هذا الفصل إلى مباحث حسب أحوال

الناس، وبيان كيفية دعوتهم بالحكمة القولية كالتالي:

المبحث الأول : حكمة القول مع الملحدين .

المبحث الثاني : حكمة القول مع الوثنيين .

المبحث الثالث : حكمة القول مع أهل الكتاب .

المبحث الرابع : حكمة القول مع المسلمين .

المبحث الأول : حكمة القول مع الملحدين(١)

المراد بالملاحدين في هذا المبحث: هو المعنى المصطلح عليه في هذا العصر، وهم: من أنكروا وجود رب خالق لهذا الكون، متصرف فيه، يدبر أمره بعلمه وحكمته، ويجري أحداثه بإرادته وقدرته، واعتبار الكون أو مادته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار الحياة - وما تستتبع من شعور وفكر حتى قمتها الإنسان - من أثر التطور الذاتي للمادة.(٢)

(١) الإلحاد في الأصل هو: الميل والعدول عن الشيء، والظلم والجور، والجدال والمراء، يقال: لحد في الدين لحداء، وألحد إلحاداً، لمن مال وعدل ومارى وجادل وظلم.

واللحد: الشق الذي يعمل في جانب القبر لموضع الميت؛ لأنه قد أميل عن وسط القبر إلى جانبه.

والإلحاد: هو الميل عن الحق، والانحراف عنه بشتى الاعتقادات، والتأويل الفاسد. والمنحرف عن صراط الله والمعاكس لحكمه يسمى ملحداً.

انظر: القاموس المحيط، فصل اللام، باب الدال ص١٠٤، والمعجم الوسيط مادة "الحد" ٨١٧/٢، ومختار الصحاح، مادة "الحد" ص٢٤٧، وفتح القدير للشوكاني ٥١٨/٤، ٢٦٨/٢، والنهية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٢٣٦/٤، والأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، للشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري ص٤٠.

(٢) انظر: كواشف زیوف المذاهب المعاصرة لعبدالرحمن الميداني ص٤٠٩.

وسأتناول في هذا المبحث - بعون الله تعالى - كيفية حكمة القول في
الدعوة إلى الله مع هؤلاء الملحدين الماديين الطبيعيين والدهريين في المطالب
التالية :

المطلب الأول : الأدلة الفطرية على وجود الله تعالى وربوبيته .

المطلب الثاني : البراهين والأدلة العقلية .

المطلب الثالث : الأدلة الحسية المشاهدة .

المطلب الرابع : الأدلة الشرعية .

المطلب الأول : الأدلة الفطرية :

الفطرة: الخلقة التي خلق عليها المولود في رحم أمه والدين، والطبيعة السليمة التي لم تشب بعيب(١)، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: "أما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء(٢) هل تحسون فيها من جدعاء؟"(٣)، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله). (٤)

(١) الفطر: الشق، والجمع منه فطور، قال تعالى: (فارجع البصر هل ترى من فطور) [الملك، ٣]، وفطر الله العالم: أوجده ابتداءً، وفطر الخلق: ظلم وبدأهم، (إنسى وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض...) [الأنعام، ٧٩]، والفطرة: الخلقة التي خلق عليها كل موجود أول خلقه.

انظر: المعجم الوسيط، مادة: فطر ٦٩٤/٢، ومختار الصحاح مادة: فطر من ٢١٢، والقاموس المحيط، فصل الفاء، باب الراء ص ٥٨٧.

(٢) يعني أن البهيمة تلد الولد كامل الخلقة، فلو ترك كذلك كان بريئاً من العيب، لكنهم تصرفوا فيه بقطع أذنه مثلاً، فخرج عن الأمل وهو تشبيه واقع ووجه واضح. انظر: فتح الباري ٢٤٩/٣ .

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يملأ عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ ٢١٩/٣، وأخرجه في عدة مواضع انظرها: ٢١٩/٣، ٢٤٩، ٥١٢/٨، ٤٩٣/١١، وأخرجه مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ٢٠٤٧/٤ .

(٤) سورة الروم، الآية ٣٠ .

فمن حكمة القول مع الملحدين أن يستخدم الداعية إلى الله في دعوته لهم الأدلة الفطرية، فيبين لهم أن المولود يولد على نوع من الجيلة والطبع المتتهيء لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، وإنما يعدل عنها من يعدل؛ لآفة من آفات البشر والتقليد .. وكل مولود يولد على معرفة الله والإقرار به، فلا تجد أحدا إلا وهو يقر بأن له صنعا وإن سماه بغير اسمه (١)، أو عبد معه غيره. (٢)

قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أطلت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا...". (٣)

ومما يبين ذلك ويوضحه (٤) أن العاقل إذا رجع إلى نفسه وعقله أدنى رجوع

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٤٥٧/٢، وفتح الباري ٢٤٨/٣-٢٥٠.

(٢) المقصود بفطرة الله التي فطر الناس عليها: فطرة الإسلام، والسلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة؛ فإن حقيقة الإسلام هو الاستسلام لله وحده، وقد جزم بذلك البخاري فقال: والفطرة الإسلام. انظر: البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب لا تبديل لخلق الله ٥١٢/٨.

(٣) مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٢١٩٧/٤.

(٤) وقد مثل شيخ الإسلام ابن تيمية الفطرة مع الحق بمثل يوضح ذلك، فقال: "ومثل الفطرة مع الحق مثل ضوء العين مع الشمس، وكل ذي عين لو ترك بغير حجاب لرأى الشمس، والاعتقادات الباطلة العارضة من: تهود، وتسنن، =

عرف افتقاره إلى الخالق تعالى في تكوينه وبقائه وتقلبه في أحواله (١)، وإذا
نظر إلى الخلائق علم فقرهم كلهم إلى الخالق في كل شيء: فقراء إليه في الخلق
والإيجاد، وفي البقاء والرزق والإمداد، وفقراء إليه في جلب المنافع ودفع
المضار.

فانظر إلى حالة الناس إذا كربتهم الشدائد، ووقعوا في المهالك، وأشرفوا
على الأخطار، كيف تجد قلوبهم معلقة بالله، وأصواتهم مرتفعة بسؤاله، وأفئدتهم
تنظر إلى إغاثته، لا تلتفت يمنة ولا يسرة إلا إليه. (٢)

ومما يزيد ذلك وضوحاً أن الخلق متى شاهدوا شيئاً من الحوادث المتجددة
كالرعد والصواعق، والبرق والزلازل، والبراكين المتفجرة الشائرة، والرياح
الشديدة، وانهمار الأمطار الغزيرة، وفيضانات الأنهار، واضطراب الأمواج في
البحار والمحيطات، متى شاهدوا ذلك دعوا الله وسألوه، وافتقروا إليه، لأنهم
يعلمون أن هذه الحوادث المتجددة لم تتجدد بنفسها، بل لها محدث أحدثها، وإن
كانوا يعلمون هذا في سائر المحدثات؛ لكن ما اعتادوا حدوثه صار مألوفاً لهم،

وتمجس، مثل حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس، وكذلك كل ذي حس سليم
يحب الطو، إلا أن يعرض في طبيعته فساد يحرفه حتى يجعل الطو في فمه
مراً". انظر: درء تعارض العقل والنقل ٣/٣٧٥، والفتاوى لابن تيمية
٢٤٥/٤، ٢٤٩، ٢٤٧، ٣٤٤/١٦، وفتح الباري ٢/٢٤٥، ٣/٢٤٨-٢٥٠.

(١) انظر: كتاب الداعي إلى الإسلام لعبدالرحمن الأنباري ص(٢١)، ودرء تعارض
العقل والنقل ٣/١١٣.

(٢) انظر: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة ص(٢٥١، ٢٥٢).

بخلاف المتجدد، ولو لم يكن إلا خلق الإنسان، فإنه من أعظم الآيات، فكل يعلم أنه لم يحدث نفسه، ولا أبواه أحدثاه، ولا أحد من البشر أحدثه، ويعلم أنه لا بد له من خالق خلقه، وأن هذا الخالق موجود، حي، عليم، قدير، سميع، بصير، حكيم، حفيظ(١)، (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)(٢)، وقال سبحانه تذكيرا لهذا الإنسان الجاحد: (وإذا مسكم الضر في البحر قل من تدعون إلا إياه)(٣)، (وما بحكم من نعمه فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون)(٤).

فبين هذا أن الناس إذا غفلوا عن هذه الفطرة في حال السراء فلا شك أنهم يلوذون إليها في حال الضراء، لعلمهم الفطري أن الله الذي يكشف الشائد، ولا ملجأ منه إلا إليه، فيسألونه بلسان المقال ولسان الحال، فهل هذه الأمور تحصل إلا لأن الخليقة مفضولة على الاعتراف بربوبية الله ووحانيته، وأنه النافع الضار، وملكوت كل شيء بيده، إلا من فسدت فطرته بالعقائد الفاسدة.(٥)

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٣/١٢٢، ١٢٩، ١٣١، ١٣٧.

(٢) سورة الذاريات، الآية ٢١ .

(٣) سورة الإسراء، الآية ٦٧ .

(٤) سورة النحل، الآية ٥٢ .

(٥) انظر: الرياض الناضرة من ٢٥٢، وعقيدة المسلمين للبليهي ١/٧٠، وشرح أصول

الإيمان للشيخ محمد بن عثيمين ص ١٥ .

المطلب الثاني : البراهين والأدلة العقلية

﴿

إذا كان الماديون والطبيعيون والدهريون يتظاهرون بإنكار وجود الله تعالى، فإن من الحكمة في دعوة هؤلاء إلى الله تعالى أن تقدم لهم البراهين والأدلة العقلية القطعية في المسالك الآتية :

المسلك الأول : التقسيم العقلي الحكيم .

المسلك الثاني: العدم لا يخلق شيئاً .

المسلك الثالث: الطبيعة الصماء لا تملك قدرة .

المسلك الرابع: مبدأ السببية .

المسلك الخامس: المدفعة العمياء لا تملك حياة .

المسلك السادس: المناظرات العقلية الحكيمة .

المسلك السابع : التفكير في المصنوع يدل على بعض صفات الصانع .

المسلك الأول : التقسيم العقلي الحكيم

يستدل على كل من أنكر وجود الله تعالى وربوبيته بأمر لا يمكنهم إلا التسليم للحق والانقياد له، أو الخروج عن موجب العقل إلى الجنون والفطر المنحرفة، فيقال لكل من أنكر ذلك:

الأمر الممكن تقسيمها في العقل ثلاثة لا رابع لها :

١ - أما أن توجد هذه المخلوقات بنفسها صدفة من غير محدث ولا خالق خلقها، فهذا محال ممتنع تجزم العقول ببطلانه ضرورة، ويعلم يقينا أن من ظن ذلك فهو إلى الجنون أقرب منه إلى العقل؛ لأن كل من له عقل يعرف أنه لا يمكن أن يوجد شيء من غير موجد ولا محدث، فلا بد لكل حادث من محدث، ولا سبيل إلى انكار ذلك، فإن وجود الشيء من غير موجد محال وباطل بالمشاهدة والحس والفطرة السليمة.

٢ - وأما أن تكون هذه المخلوقات الباهرة هي المحدثة الخالقة لنفسها، فهذا أيضا محال ممتنع بضرورة العقل، وكل عاقل يجزم أن الشيء لا يحدث نفسه ولا يخلقه؛ لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقا؟!

فإذا بطل هذان القسمان عقلا وفطرة وبيان استحالتهما، تعين القسم الثالث:

٣ - وهو أن هذه المخلوقات بأجمعها: علويها وسفليها، وهذه الحوادث لا بد لها من محدث ينتهي إليه الخلق والملك والتدبير، وهو الله العظيم الخالق لكل شيء، المتصرف في كل شيء، المدبر للأمور كلها(١)، ولهذا ذكر الله تعالى هذا

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٦٦/١، ودرء تعارض العقل والنقل ١١٢/٢، والرياض الناضرة للسعدي ص ٢٤٧، وتفسير السعدي ١٩٥/٧، وأضواء البيان للشنقيطي ٣٦٨/٤، وشرح أصول الإيمان لمحمد بن صالح بن

الدليل العقلي والبرهان القطعي فقال: (أم خلقوا من غير شيء أم هم
الخلقون) (١)، ولذلك تأثر جبير بن مطعم بسماعها من النبي - صلى الله عليه
وسلم - تأثرا عظيما، قال رضي الله عنه: "سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم -
يقرا في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية (أم خلقوا من غير شيء أم هم
الخلقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون . أم عندهم خزائن ربك أم هم
المصيطرون) كاد قلبي أن يطير" (٢) "وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي". (٣)

فالمخلوق لا بد له من خالق، والمصنوع لا بد له من صانع، والمفعول لا بد له
من فاعل، وهذه قضايا بديهية جلية واضحة، يشترك في العلم بها جميع العقلاء،
وهي أعظم القضايا العقلية، فمن ارتاب فيها أو شك في دلالتها فقد برهن على
ضلاله، واختلال عقله. (٤)

المسلك الثاني : العدم لا يخلق شيئا

من القواعد العقلية التي ينبغي للداعية إلى الله أن لا يغفلها في دعوته
مع الملحدين قاعدة: العدم لا يخلق شيئا، فالعدم الذي لا وجود له لا يستطيع أن

(١) سورة الطور، الآية ٣٥ .

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة الطور، باب حدثنا عبدالله بن

يوسف، ٦٠٣/٨ .

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب حدثني خليفة، حدثنا محمد بن

عبدالله الأنصاري ٣٢٣/٧ .

(٤) انظر: الرياض الناضرة لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، ٢٤٧، ومنهاج الجدل

في القرآن الكريم، للدكتور زاهر بن عواض الألمعي، ١٣٨ .

يصنع شيئاً، لأنه غير موجود.

وإذا تأمل العاقل في المخلوقات التي تولد في كل يرم، من إنسان وحيوان، وتفكر في كل ما يحدث في الوجود من رياح وأمطار، وليل ونهار، وما يجري في كل حين من حركات منتظمة للشمس والقمر والنجوم والكواكب، إذا تأمل العاقل في هذا وغيره من التغيرات المحكمة التي تجري في الوجود في كل لحظة، فإن العقل يجزم بأن هذا كله ليس من صنع العدم، وإنما هو من صنع الخالق الموجود سبحانه وتعالى. (١)

المسك الثالث : الطبيعة الممء لا تملك قدرة، وفاقد الشيء لا يعطيه

من المعلوم عند جميع العقلاء أن الذي لا يملك مالا لا يسأل الناس منه المال، والجاهل لا يأتي منه العلم؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه. فمن زعم أن الطبيعة (٢) خلقتة أو خلقت شيئاً فقد خالف العقل وحارب الحق، لأن الكون يشهد أن خالقه حكيم عليم خبير، هاد رزاق، حافظ رحيم، واحد أحد، والطبيعة الجامدة لا تملك مثقال ذرة من ذلك.

(١) انظر: حاشية ثلاثة الأصول لمحمد بن عبدالوهاب، بقلم عبدالرحمن بن قاسم ص٢٩، والإيمان للزنداني مع مجموعة من العلماء ص٢١، وكتاب التوحيد للزنداني ٢١/١ .

(٢) الطبيعة عند الماديين بمعنى المادة، والمادة بمعنى الطبيعة، وهي هذه المخلوقات بما هي عليه من صفات. انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، لأحمد العوايشه ص١٢٨، والإيمان للزنداني ص٣٦ .

ومن العجيب أن كل من زعم أن الطبيعة تخلق شيئاً فقد خالفوا مقتضى العقول؛ لأن الطبيعة لا تملك خبرة، ولهم خبرة، ولا تملك إرادة، ولهم إرادة، ولا تملك علماء، ولهم علم! أما علموا أن فاقد الشيء لا يعطيه: (يأياها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له...)(١)، فلا بد أن يكون الخالق كاملاً كاملاً مطلقاً، بحيث يكون:

١ - مستغنياً عن غيره.

٢ - ويكون أولاً ليس له بداية.

٣ - وآخرها ليس له نهاية.

٤ - لا يحده زمان.

٥ - لا يحده مكان.

٦ - قادر على كل شيء.

٧ - عالماً بكل شيء، ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وهذه الخصائص لا يمكن أن تكون إلا لله الكامل من كل الوجوه، وبذلك يسقط

- بحمد الله تعالى - قول الماديين؛ لأن المادة لا تتمف بشيء من ذلك. (٢)

المسلك الرابع : الصدفه العمياء لا تملك حياة

يعتقد الملحدون بالصدفة (٣)، وهي أن جميع الأشياء والمخلوقات تم تكوينها

(١) سورة الحج، الآية ٢٢ .

(٢) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، لأحمد العوايشه ص١٢٥، ١٨٢، ١٨٧،

ومذكرة في العقيدة الإسلامية للدكتور ناصر بن عقيل الطريفي ص٩ .

(٣) الصدفه في اللغة: يقال: صادفه مصادفة: لفيه ووجهه من غير موعده ولا توقع.

انظر: المعجم الوسيط مادة : صدف ٥١٠/٢ .

على ما هي عليه بطريق المدفة والمقابلة، وليس ذلك بطريق القصد والإرادة والتدبير.

ومن حكمة القول مع هؤلاء أن يقال لهم: من أين حصل لهذا العالم هذا النظام العجيب، والترتيب الحكيم الذي حارت فيه العقول؟ كيف ينسب ذلك إلى الاتفاق والمصادفة ومجرد البخت؟ وكيف اجتمعت تلك الأجزاء على اختلاف أشكالها، وتباين مواردها وقواعدها، وكيف حفظت وبقيت على تآلفها، وكيف تجددت المرة بعد المرة؟! بعد المرة؟! بعد المرة!؟

إن مثل من يقول أو يعتقد أن هذا النظام والإبداع والإتقان وجد بطريق المدفة لا غير، كمثل من وضع حروف الهجاء: أ، ب، ت... في صندوق، ثم جعل يحركه ظمعا منه أن تتألف هذه الحروف من تلقاء نفسها، فيتركب منها قصيدة بليغة، أو كتاب دقيق في الهندسة، أليس ذلك من السفه المبين ونقص العقل؟! فإنه لو داوم على تحريك هذا الصندوق السنين والدمور لم يحصل إلا على حروف.

ومثله كمن يقول: إن رجلا أعمى غرزت له إبرة في لوحة، وأعطى ألف إبرة، وقيل له: ارم هذه الإبر واحدة بعد الثانية، لتدخل الإبرة الأولى في شقب الإبرة المغروسة في اللوحة، وتدخل الإبرة الثانية في شقب الأولى، والثالثة في شقب الثانية، وهكذا بطريق المدفة، حتى دخلت كل الإبر في بعضها بطريق المدفة، فهل عاقل يصدق بهذه العملية والتي قبلها؟ لا يمكن أن يصدق عاقل بهذا، لأنه من قبيل المستحيل الذي لا تقبله العقول ولا تقره، فكيف يصدق عاقل أن الكون كله بما فيه من إبداع وتنظيم في كل ذرة من ذراته وجد بطريق المدفة؟.

إن مخلوقا يصدق بهذه التخيلات لمجنون قطعاً، لا تلح نسبته إلى العقلاء، ولا

يذكر في عدادهم أبداً (إلى الله شك فاطر السموات والأرض). (١)
وهذا فيه دلالة عقلية قاطعة على أن الله هو الخالق لكل شيء، وأن الصدفة
لا وجود لها ولا تصرف في مخلوقات الله تعالى، وبهذا تبطل شبه أهل الإلحاد
والعناد الذين قالوا بالصدفة، والله الحمد. (٢)

المسلك الخامس : المناظرات العقلية الحكيمة

من الحكمة في دعوة الملحدين والطبعيين الماديين أن يناظروا بالمناظرات
العقلية الحكيمة التي توضح لهم الحق، وتجعلهم يسلمون ويقررون بأن الله هو
الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل.
ومن المناظرات التي أفحم بها المسلمون الملحدين ما ذكر عن أبي حنيفة -
رحمه الله تعالى - أنه اجتمع بطائفة من الملحدين وناظرهم فغلبهم، ورجعوا
على أنفسهم بالملام، وقيل: إنهم رجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه. (٣)

(١) سورة إبراهيم، الآية ١٠ .

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل والنقل ١٢٩/٢، والإسلام يتحدى، لوحي الدين خان
ص٦٥، وعقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص٢٤، ومنهاج الجدل في القرآن
الكريم للدكتور زاهر بن عواض الألمعي ص١٤٢ .

(٣) سبقت هذه المناظرة بتمامها في مواقف أبي حنيفة، ص٣٣٩، وانظر: درء
تعارض العقل والنقل والنقل ١٢٧/٢، والرياض الناضرة لسعدي ص٢٥٨، وعقيدة
المسلمين للبليهي ١٢٣/١، ومنهاج الجدل ص١٢٩ .

المسلك السادس : مبدأ السببية

إن الواقع والعقول السليمة تشهد أن الإنسان منذ فتح عينيه لم يشاهد أن حادثاً حدث من غير سبب، أو أن شيئاً وجد من غير موجود، حتى أصبح هذا المعنى بحكم الواقع لا يتمور العقل خلافه، ولا يابى الإقرار به إلا عقل مفقود أو مريض كشأن المعتوهين، أو عقل قاصر كشأن الطفل الذي يكسر الإناء ثم يقول: إنه انكسر بنفسه. (١)

ولذلك أدرك الأعرابي هذه السببية عندما سئل: ما الدليل على وجود الرب؟ فقال: سبحان الله، إن البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ليل داغ، ونهار ساج، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير. (٢)

فكل مطوق لا بد له من خالق، وكل أثر لا بد له من مؤثر، وكل مُحَدَّث لا بد له من مُحَدِّثٍ، وهذا هو قياس الشمول.

أما قياس التمثيل فكقول: هذا مُحَدَّث فيحتاج إلى مُحَدِّثٍ. (٣)

وبناء على هذه القاعدة فعالمنا هذا، من أرض وسموات، وإنسان وحيوان، وليل ونهار، وشمس وقمر، لا بد له من محدث، ثم إن هذا العالم لا يبقى إلا بسبب يحفظه ويبقيه، كما أنه لم يحدث إلا بسبب أحدثه، وهذا لا يقدر عليه إلا الله

(١) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس ص ٢٨٤-٢٨٨ .

(٢) انظر: الرياض الناضرة ص ٢٥٨، ومنهاج الجدل في القرآن الكريم ص ١٢٩،

وموقف الإسلام من نظرية ماركس ص ٢٨٨ .

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٧٢/٣، ١٢١-١٢٧ .

الواحد القهار. (١)

المسلك السابع : التفكير في المصنوع يدل على بعض صفات المانع

من القواعد التي يرد بها على الملحدين قاعدة التفكير في المصنوع يدل على بعض صفات المانع؛ لأن كل شيء يوجد في المصنوع يدل على قدرة أو علم أو خبرة، أو حكمة عند الصانع.

ومن هنا نعلم أن التفكير في المخلوق يدل على بعض صفات الخالق.

إذا علم هذا فإنه يقال لمن أنكر وجود الله تعالى وربوبيته: تفكر في خلقك ونفسك، وانظر مبدأ خلقك من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاما، فكسيت العظام لحما، حتى صرت بشرا كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة، أما يضطرك هذا التفكير والنظر إلى الاعتراف بالرب القادر على كل شيء، وأحاط علمه بكل شيء، الحكيم في كل ما خلقه وصنعه وأتقننه؟ فلو اجتمع الخلق كلهم على النطفة التي جعلها الله مبدأ خلق الإنسان على أن ينقلوها في تلك الأطوار المتنوعة، أو يحفظوها في ذلك القرار المكين، ويجعلوا لها سمعا وبصرا وعقلا وقوى باطنة وظاهرة، وينموها هذه التنميمة العجيبة، ويركبوها هذا التركيب المنظم، ويرتبوا الأعضاء هذا الترتيب المحكم، فهل في اقتدارهم وفي استطاعتهم وعلومهم أن يملوا إلى ذلك؟ (أفرعيتم ما تمنون . أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون). (٢)

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٢١/٣، ومذكورة في العقيدة الإسلامية

للدكتور ناصر الطريفي ص ٩ .

(٢) سورة الواقعة، الايتان ٥٨، ٥٩ .

ولا شك أن العاقل المنصف إذا تفكر في ذلك دله وأوصله إلى الاعتراف بعظمة الخالق، وقدرة القادر، وحكمة الحكيم، وخبرة الخبير، وعلم العليم.

وهذا دليل عقلي تضطر فيه العقول الصحيحة إلى معرفة ربها وعبوديته (١)،

(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفةعلقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظم لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبورك الله أحسن الخالقين) (٢)، (وفي أنفسكم أفلا تبصرون). (٣)

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٣٠٥/٧، ٣٠٦، ٧٣-٧٠/٨، ٢٢٢/٣، ٢٥٩/١، والرياض الناضرة للسعدي ص ٢٤٨-٢٥٧، والإيمان لعبد المجيد الزنداني مع مجموعة من العلماء ص ٢٢، وعقيدة المسلمين ١٠٩/١ .

(٢) سورة المؤمنون، الآية ١٢-١٤ .

(٣) سورة الذاريات، الآية ٢١ .

المطلب الثالث : الأدلة الحسية المشاهدة

من الأدلة التي تدل على وجود الله تعالى وربوبيته وأنه الخالق لكل شيء المستحق للعبادة، الأدلة التي يسمعها الناس ويشاهدونها ويلمسونها، وهي على نوعين :

النوع الأول : إجابة الله تعالى للدعوات في جميع الأوقات، فلا يحمي الخلق ما يعطيه الله للسائلين، وما يجيب به أدعية الداعين، ويرفع به كرب المكروبين، فتحمل المطالب الكثيرة بأسباب دعاء بعض العباد لربهم، والطمع في فضله، والرجاء لرحمته، وهذا برهان مشاهد محسوس، لا ينكره إلا مكابر. (١)

فكم خرج المؤمنون يطلبون - بقلوب وجلة تائبة - من ربهم أن يسقيهم الغيث، فكانت الإجابة على الفور في كثير من الأحيان، فيأتي الغيث إلى المدينة أو القرية التي خرجت تدعو ربها، والقرى أو المدن التي بجوارها لا يأتيها شيء، وكم رأى المضطرون تفريجا لحالة الكرب بدعائهم (٢)، (أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء...) (٣)، وعلى هذا يشهد مئات الملايين من المسلمين، ومن رأى هذه الإجابات من المنصفين في مشارق الأرض ومغاربها.

فمن الذي سمع دعاء المستغيثين فأجابهم فأنشأ السحاب وأنزل المطر؟ هل هو

(١) انظر: الرياض الناضرة ص ٢٥٢، وشرح أصول الإيمان للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ١٧ .

(٢) انظر: الإيمان، لعبدالمجيد الزندانى مع مجموعة من العلماء ص ٤٠، والرياض الناضرة ص ٢٥١ .

(٣) سورة النمل، الآية ٦٢ .

وثن لا يقدر على فعل شيء؟ أم طبيعة صماء لا تملك إرادة ولا تدبيرا؟ أم أن
العدم الذي أنشأ وصمم، وأوجد وكوّن، وقدر وأتقن، وسمع فأجاب، وهو العدم الذي
لا وجود له؟

والحقيقة أن ذلك كله شاهد يتحدث إلى العقول البشرية أن لها ربا حكيما
قادرا سميعا بصيرا مجيبا(١)، فعن أنس - رضي الله عنه - أن رجلا دخل المسجد
يوم الجمعة، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخطب، ثم قال: يا رسول الله
هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله أن يغيثنا، فرفع رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - يديه، ثم قال: "اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا"
قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحب ولا قزعة، وما بيننا وبين سع
من بيت ولا دار، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت
ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس سبتا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في
الجمعة المقبلة، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائم يخطب، فقال: يا
رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا، فرفع رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - يديه، ثم قال: "اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم
على الآكام والظراب ويطون الأودية ومنابت الشجر"، فأقلعت وخرجنا نمشي في
الشمس".(٢)

(١) انظر: كتاب التوحيد، لعبدالمجيد الزندانى (٤٢/١) .

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير

مستقبل القبلة ٥٠٧/٢، وانظر: البخاري مع الفتح ٥٠١/٢، ٥٠٨/٢، وأخرجه

مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء ٦١٢/٢ .

وهذا الحديث آية من آيات الله تدل على وجوده، وأنه القادر على كل شيء،

وقد حصل هذا للمسلمين كثيرا، ولهذا قال الشاعر:

وكم أصاب المسلمين من جفاف فنفروا ثقالهم مع الخفاف

وطلبوا من الإله الفرجا فحققوا الفوز ونالوا المخرجا

فهل طبيعة أجابت أم وثن أم أنه السميع كشاف المحسن(١)

وما زالت إجابة الداعين أمرا مشهودا إلى يومنا هذا لمن صدق مع الله،

وأتى بشروط الإجابة.

النوع الثاني : معجزات الأنبياء الحسية، وهي آيات يشاهدها الناس أو

يسمعون بها، وهي من أعظم البراهين القاطعة على وجود مرسلهم؛ لأنها أمور

خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييدا لرسله، ونصرا لهم.

ومن أمثلة ذلك: آية موسى - صلى الله عليه وسلم - حين أمره الله تعالى

أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق اثني عشر طريقا يابسًا، والماء بينها

كالجبال، قال تعالى: (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل

فرق كالطود العظيم). (٢)

ومن آيات عيسى - عليه الصلاة والسلام - أنه كان يحيى الموتى ويخرجهم من

قبورهم بإذن الله، قال تعالى: (وأحيى الموتى بإذن الله) (٣)، (وإذ تخرج

الموتى بإذنى). (٤)

(١) هذه الأبيات لعبدالرحمن قاضى، انظر: الإيمان لعبدالمجيد الزنداني ص ٤٠.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٦٣ .

(٣) سورة آل عمران، الآية ٤٩ .

(٤) سورة المائدة، الآية ١١٠ .

ومن آيات محمد - صلى الله عليه وسلم - انشقاق القمر، فقد طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر، فانفلق فرقتين، فرآه الناس حقيقة في عهد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: (الترتيب الساعة وانشق القمر . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر). (١)

وهذه الآيات المحسوسة تدل دلالة قاطعة على وجود الله تعالى. (٢)

(١) سورة القمر، الآية ٢،١ .

(٢) انظر: شرح أصول الإيمان، للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ١٨ .

المطلب الرابع : الأدلة الشرعية :

طريق الهداية الكاملة هو ما جاء عن الله تعالى، أو عن رسله عليهم الصلاة والسلام، وهي تجمع بين الأدلة النقلية والعقلية، وهي من أعظم الأدلة التي تهدي لمعرفة الله تعالى والإيمان به عز وجل، وتبعث المهتدي بها إلى العمل المركزي للنفس، والمهيء له إلى سعادة الدارين، بخلاف الهداية العقلية وحدها فإنها - وإن أنقذت صاحبها من القلق النفسي والحيرة الفكرية - لا تركي نفسه، ولا تقوم أخلاقه، ولا تهينه لسعادة الدارين، ولا تخرجه من دائرة الكفر حتى يؤمن بالأدلة الشرعية ويعمل بمقتضاها. (١)

والكتب السماوية كلها تنطق بأن الله هو الخالق لكل شيء، المستحق للعبادة، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح العباد، دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها، دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به. (٢)

ودلالة القرآن الكريم نوعان :

١ - خبر الله الصادق، فما أخبر الله تعالى به، أو أخبر به رسوله - صلى الله عليه وسلم - فهو حق وصدق (٣)، ولا يمكن أن يكون في ذلك شيء مناقض لدليل عقلي ولا سمعي (٤)، لأن ما أثبتته السمع الصحيح لم ينهه العقل

(١) انظر: عقيدة المؤمن، لأبي بكر جابر الجزائري ص٣٩، ٤٩، ٦٣ .

(٢) انظر: شرح أصول الإيمان، لمحمد بن صالح العثيمين ص١٧ .

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/٧١ .

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل (موافقة مريح المعقول لصحيح المنقول)

المريح(١)، والمعقول المريح يوافق ما جاءت به الرسل ولا يناقضه(٢)، وكل ما عارض الشرع من العقليات فليس دليلا صحيحا.(٣)

ب - دلالة القرآن بضرب الامثال، وبيان الأدلة العقلية الدالة على المطلوب، فهذه دلالة شرعية عقلية، فهي شرعية لأن الشرع دل عليها وأرشد إليها وأثبتها، وعقلية لأنها تعلم صحتها بالعقل(٤)، كقوله تعالى: (يأياها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون).(٥)

ويمكن أن اقتصر في الأدلة الشرعية التي تثبت وجود الله تعالى، وأنه رب كل شيء ومليكه ومدبره، ويستلزم ذلك أنه المستحق للعبادة وحده دون ماسواه على ذكر طريقين:(٦)

الطريق الأول : توجيه الله تعالى الأنظار والقلوب إلى ما في هذا الكون من

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٣٩/٧ .

(٢) انظر: المرجع السابق ٥/٦ .

(٣) انظر: المرجع السابق ٢٧٩/٥ .

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢،٧١/٦ .

(٥) سورة البقرة، الآية ٢١، ٢٢ .

(٦) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٣٥٤/٨، ٣٠٧، ٣٠٢/٧، ٤٠/٩، ومجموع فتاوى

شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٧٧/١١-٣٨٠، وعقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص٦٢،

والرياض الناضرة للسعدي ص٢٥٣-٢٦٧ .

مخلوقات عجيبة تبهر العقول، فقد بين سبحانه في كتابه الآيات الكونية الباهرة الدالة على وجوده سبحانه، وكمال قدرته، وعظيم تدبيره، وإتقان صنعه، ومن ذلك عجائب خلق الإنسان وعناية الله به، وبيانه سبحانه ما في عالم الحيوان من خلقه وتكوينه، وأجهزته، وتنويعه، وعالم النبات، وما فيه من غرائب وعجائب وسنن تحار فيها العقول، والرياح السيارة، وأعظم من ذلك كله توجيه الأنظار إلى خلق السموات والأرض، والليل والنهار، وما في ذلك من آيات تدل على عظمة الخالق (١) قال سبحانه: (إِن فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ). (٢)

والقرآن الكريم يزخر بالأدلة على هذا النوع.

الطريق الثاني : معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد أيد الله الرسل - عليهم الصلاة والسلام - بالمعجزات الباهرة للعقول، والخرقة لسنن الكون وقوانين الحياة، ليستدلوا بها على صدق نبوتهم، وإثبات رسالتهم، فإذا ثبتت نبوة الرسل بقيام المعجزات علم أن هناك مرسلًا أرسلهم؛ لأن ثبوت الرسالة يستلزم ثبوت المرسل، والعلم بالإضافة يستلزم العلم بالمضاف إليه، فنفس المعجزات يعلم بها صدق الرسول المتضمن لإثبات من أرسله، والآيات الباهرات

(١) انظر: معالم الدعوة في القمص القرآني، للدكتور عبدالوهاب بن لطف

الدليمي ٢٥١/١، ومناهج الجدل ص ١٤٨ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٤ .

التي يستدل بها على إثبات الخالق تدل المعجزة كدلالتها وأعظم. (١)

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٩/٤٠، ٤١، ٤٢، ٣٠٢/٧-٣٠٧، وفتاوى شيخ

الإسلام ١١/٣٧٧ .

وخلامة ما ذكر ابن تيمية في إثبات وجود الله تعالى كالتالي:

١ - الاستدلال بآيات الله في الكون.

٢ - أدلة الفطرة، فإن الخلق مفلطرون على الإقرار بالخالق.

٣ - الاستدلال على الله بالله، فإنه عرفنا نفسه فعرفناه.

٤ - الاستدلال بمعجزات الرسل.

٥ - إجماع الأمم وأصحاب العقول والفطر السليمة.

٦ - المقاييس العقلية .

انظر: فتاوى شيخ الإسلام ٣٦/٢١-٢٣، وستجد جميع الإحالات إلى المواضع التي

ذكرها ابن تيمية في فتاواه .

المبحث الثاني : حكمة القول مع الوثنيين

الوثني: من يتدين بعبادة الوثن(١)، يقال: رجل وثني، وقوم وثنيون، وامرأة وثنية، ونساء وثنيات(٢)، واسم الوثن يتناول كل معبود من دون الله،

(١) الوثن: الصنم، والجمع وُثْنٌ وأوثان: وهو التمثال يعبد، سواء كان من خشب أو حجر أو نحاس أو فضة أو غير ذلك. وقد كان الوثنيون يزعمون أن عبادته تقربهم إلى الله تعالى، كما بين سبحانه ذلك عنهم بقوله: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) - الزمر ٢. انظر: القاموس المحيط، باب النون، فصل الواو، ص١٥٩٧، وباب الميم فصل الصاد ص١٤٦٠، والمعجم الوسيط مادة (وثن) ١٠١٢/٢، ومادة (صنم) ٥٢٦/١، والمصباح المنير، مادة (وثن) ص٦٤٧، ٦٤٨، ومادة (صنم) ص٣٤٩، ومختار الصحاح، مادة (وثن) ص٢٩٥، ومادة (صنم) ص١٥٦.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مادة (وثن) ١٠١٢/٢، والمصباح المنير، مادة (وثن) ص٦٤٨.

قال ابن الأثير: الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض، أو من خشب، أو حجارة كصورة الآدمي تعمل وتنصب فتعبد. والصنم: الصورة بلا جثة، ومنهم من لم يفرق بينهما، وأطلقهما على المعنيين. انظر: النهاية في غريب الحديث ١٥١/٥، ٥٦/٣.

ثم قال: وقد يطلق الوثن على غير الصورة، ومنه حديث عدي بن حاتم قال: أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وفي عنقي صليب من ذهب، فقال لي: "يا عدي اطرح عنك هذا الوثن". أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب سورة التوبة، ٢٧٨/٥، برقم ٣٠٩٥، وانظر: صحيح الترمذي ٥٦/٣.

سواء كان ذلك المعبود قبرا، أو مشهدا، أو صورة، أو غير ذلك. (١)
وكل من دعا نبيا أو وليا أو ملكا أو جنيا، أو صرف له شيئا من العبادة
فقد اتخذها إلها من دون الله (٢)، وهذا هو حقيقة الشرك الأكبر الذي قال الله
تعالى فيه: (إن الله لا يفرق أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك
بالله فقد افتري آثما عظيما). (٣)
والمشركون يُدعَوْنَ إلى الله تعالى بالحكمة القولية على حسب عقولهم
وأفهامهم.

وسأبين ذلك بإذن الله تعالى في المطالب التالية:

المطلب الأول : الحجج والبراهين العقلية القطعية على إثبات ألوهية الله
تعالى.

المطلب الثاني: ضعف جميع المعبودات من دون الله من كل الوجوه.

المطلب الثالث: ضرب الأمثال .

المطلب الرابع: الكمال المطلق للإله المستحق للعبادة وحده.

المطلب الخامس: التوحيد دعوة جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

المطلب السادس: الغلو في الصالحين سبب كفر بني آدم.

المطلب السابع : الشفاعة المثبتة والمنفية .

المطلب الثامن : الإله الحق سخر جميع ما في الكون لعباده.

المطلب التاسع : البعث بعد الموت.

(١) انظر: فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد

ابن عبد الوهاب ص ٢٤٤ .

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٢٤٢.

(٣) سورة النساء، الآية ٤٨ .

المطلب الأول : الحجج والبراهين العقلية القطعية على إثبات الوهية الله

تعالى :

من البراهين القطعية التي ينبغي للدعاة إلى الله تبیینها وتوضيحها لمن اتخذ من دون الله آلهة أخرى، قوله تعالى: (إم اتَّخَذُوا ٱللَّهَ مِنَ ٱلْأَرْضِ هُم يُنشُرُونَ . لو كان فيهما ٱللَّهَ ٱللهة لفسدتا فسبحن ٱللَّه رب العرش عما يصفون . لا يسئل عما يفعل وهم يُسألون). (١)

فقد أنكر سبحانه على من اتخذ من دونه آلهة من الأرض، سواء كانت أحجارا أو خشبا، أو غير ذلك من الأوثان التي تعبد من دون الله! فهل هم يحيون الأموات ويبعثونهم؟ والجواب: كلا، لا يقدرُونَ على شيء من ذلك، ولو كان في السموات والأرض آلهة تستحق العبادة غير الله لفسدتا وفسد ما فيهما من المخلوقات؛ لأن تعدد الآلهة يقتضي التمانع والتنازع والاختلاف، فيحدث بسببه الهلاك، فلو فرض وجود إلهين، وأراد أحدهما أن يخلق شيئا والآخر لا يريد ذلك، أو أراد أن يعطي والآخر أراد أن يمنع، أو أراد أحدهما تحريك جسم والآخر يريد تسكينه، فحينئذ يختل نظام العالم، وتفسد الحياة!؛ وذلك:

- لأنه يستحيل وجود مرادهما معا، وهو من أبطل الباطل؛ فإنه لو وجد مرادهما جميعا للزم اجتماع الضدين، وأن يكون الشيء الواحد حيا ميتا، متحركا ساكنا.

- وإذا لم يحصل مراد واحد منهما لزم عجز كل منهما، وذلك يناقض الربوبية.

(١) سورة الأنبياء، الآيات ٢١-٢٢ .

- وإن وجد مراد أحدهما ونفذ دون مراد الآخر، كان النافذ مراده هو الإله القادر، والآخر عاجز ضعيف مخذول.

- واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور غير ممكن.

وحينئذ يتعين أن القاهر الغالب على أمره هو الذي يوجد مراده وحده من غير ممانع ولا مدافع، ولا منازع ولا مخالف ولا شريك، هو الله الخالق الإله الواحد، لا إله إلا هو، ولا رب سواه؛ ولهذا ذكر سبحانه دليل التمانع في قوله عز وجل: (ماتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون . علم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون). (١)

واتقان العالم العلوي والسفلي، وانتظامه منذ خلقه، واتساقه، وارتباط بعضه ببعض في غاية الدقة والكمال: (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) (٢) - وكل ذلك مسخر، ومدبر بالحكمة لمصالح الخلق كلهم - يدل على أن مدبره واحد، وربّه واحد، وإلهه واحد، لا معبود غيره، ولا خالق سواه. (٣)

(١) سورة المؤمنون، الآيات ٩١، ٩٢ .

(٢) سورة الملك، الآية ٣ .

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٢٥٢/٩، ٢٥٤، ٢٢٧-٢٨٢، ٣٧-٣٥/١، وتفسير البغوي ٢٤١/٣، ٢١٦، وابن كثير ٢٥٥/٣، ١٧٦، وفتح القدير للشوكاني ٤٠٢/٣، ٤٩٦، وتفسير عبدالرحمن السعدي ٢٢٠/٥، ٣٧٤، وأيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري ٩٩/٣، ومنهاج الجدل في القرآن الكريم للدكتور زاهر بن عواض الألمعي ص ١٥٨-١٦١ .

المطلب الثاني: ضعف جميع المعبودات من دون الله من كل الوجوه :

من المعلوم عند جميع العقلاء أن كل ما عبد من دون الله من الآلهة ضعيف من كل الوجوه، وعاجز ومخول، وهذه الآلهة لا تملك لنفسها ولا لغيرها شيئاً من ضر أو نفع، أو حياة أو موت، أو إعطاء أو منع، أو خفض أو رفع، أو عز أو ذل، وأنها لا تتمف بأي صفة من الصفات التي يتصف بها الإله الحق، فكيف يعبد من هذه حاله؟ وكيف يُرجى أو يُخاف من هذه صفاته؟ وكيف يُسأل من لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئاً. (١)

وقد بين الله عز وجل ضعف وعجز كل ما عبد من دونه أكمل بيان، فقال سبحانه: (قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم) (٢)، (أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون . ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون. وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتهم أم أنتم صمّتون . إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صدّقين . لهم أرجل يمشون بها أم لهم أيدي يبسطون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنتظرون . إن وليّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصّالحين . والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون . وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٨٢، ٢١٩، ٢٧٧، ٤١٧، ٤٧٣/٣، ٢١١، ٣١٠، وتفسير السعدي

٢/٣٢٧، ٤٢٠، ٢٩٠/٣، ٥١٠، ٢٧٩/٥، ٤٥٧، ١٥٣/٦، وأضواء البيان للشنقيطي

٢/٤٨٢، ١٠١/٣، ٥٩٨، ٣٢٢، ٤٤/٥، ٢٦٨/٦ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٦ .

وترتلهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون). (١)

وهي مع هذه الصفات لا تملك كشف الضر عن عابديها ولا تحويله إلى غيرهم (قل

ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا). (٢)

ومن المعلوم يقينا أن ما يعبده المشركون من دون الله من: الأنبياء أو

الصالحين أو الملائكة أو الجن الذين أسلموا، أنهم في شغل شاغل عنهم

بإهتمامهم بالافتقار إلى الله بالعمل الصالح، والتنافس في القرب من ربهم،

يرجون رحمته ويخافون عذابه، فكيف يعبد من هذه حاله؟ (٣) قال تعالى: (أولئك

الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه

إن عذاب ربك كان محذورا). (٤)

وقد أوضح وبين سبحانه أن ما عُبدَ من دونه قد توفرت فيهم جميع أسباب

العجز وعدم إجابة الدعاء من كل وجه، فإنهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا

في الأرض لا على وجه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك، وليس لله من هذه

المعبودات من ظهير يساعده على ملكه وتحبيره، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن

أذن له (٥)، قال عز وجل: (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال

ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا

تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ..). (٦)

(١) سورة الأعراف، الآيات ١٩١-١٩٨ .

(٢) سورة الإسراء، الآية ٥٦ .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٤٨/٣، وتفسير السعدي ٢٩١/٤ .

(٤) سورة الإسراء، الآية ٥٧ .

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ٣٧/٣، وتفسير السعدي ٢٧٤/٦ .

(٦) سورة سبأ، الآيتان ٢٢، ٢٢ .

المطلب الثالث : ضرب الأمثال الحكيمه :

ضرب الأمثال من أوضح وأقوى أساليب الإيضاح والبيان في إبراز الحقائق المعقولة في صورة الأمر المحسوس، وهذا من أعظم ما يرد به على الوثنيين في إبطال عقيدتهم وتسويتهم المخلوق بالخالق في العبادة والتعظيم؛ ولكثرة هذا النوع في القرآن فسأقتصر على ثلاثة أمثلة توضح المقصود كالتالي :

١ - قال عز وجل: (يأيتها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز). (١)

حق على كل عبد أن يستمع لهذا المثل، ويتدبره حق تدبره، فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه، فالآلهة التي تعبد من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لظقه، فكيف بما هو أكبر منه، بل لا يقدر على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئا مما عليهم من طيب ونحوه، فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو أضعف المخلوقات، ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة الباطلة، ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله؟!

وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله تعالى في بطلان الشرك وتجهيل أهله. (٢)

(١) سورة الحج، الآية ٧٣، ٧٤ .

(٢) انظر: أمثال القرآن لابن القيم ص٤٧، والتفسير القيم لابن القيم ص٣٦٨،

وتفسير البغوي ٢/٢٩٨، وابن كثير ٣/٢٣٦، وفتح القدير للشوكاني ٣/٤٧٠،

وتفسير السعدي ٥/٢٢٦ .

٢ - ومن أحسن الأمثال وأدلها على بطلان الشرك، وخسارة صاحبه، وحصوله على ضد مقصوده، قوله تعالى: (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم . وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العُلمون). (١)

فهذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره يقصد به التعزز والتقوي والنفع، فبين سبحانه أن هؤلاء ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياء من دون الله أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت التي هي من أضعف الحيوانات، اتخذت بيتا وهو من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذها إلا ضعفا، وكذلك من اتخذ من دون الله أولياء؛ فإنهم ضعفاء، وازدادوا باتخاذهم ضعفا إلى ضعفهم. (٢)

٣ - ومن أبلغ الأمثال التي تبين أن المشرك قد تشتت شمله واحترق في أمره، ما بينه تعالى بقوله: (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون). (٣)

فهذا مثل ضربه الله تعالى للمشرك والموحد، فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شُبّهَ بعبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون، سيئة أخلاقهم، يتنافسون في خدمته، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، فهو في عذاب.

(١) سورة العنكبوت، الآيتان ٤١-٤٣ .

(٢) انظر: تفسير البغوي ٤٦٨/٣، وأمثال القرآن لابن القيم ص٢١، وفتح القدير

للشوكاني ٢٠٤/٤ .

(٣) سورة الزمر، الآية ٢٩ .

والموحد لما كان يعبد الله وحده لا شريك له، فمثله كمثل عبد لرجل واحد،
قد سلم له، وعلم مقاصده، وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن
الظطاء فيه واختلافهم، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه، مع رافة مالكه
به، ورحمته له، وشفقته عليه، وإحسانه إليه، وتولييه لماله، فهل يستوي هذان
العبدان؟ والجواب: كلا، لا يستويان أبدا. (١)

(١) انظر: تفسير البغوي ٧٨/٤، وابن كثير ٥٢/٤، والتفسير القيم ص ٤٢٣، وفتح
القدير للشوكاني ٤٦٢/٤، وتفسير السعدي ٤٦٨/٦، وتفسير الجزائري ٤٢/٤ .

المطلب الرابع : الكمال المطلق للإله الحق المستحق للعبادة وحده :

بعد أن عرفنا صفة الآلهة الباطلة، وأنها لا تملك لنفسها ولا لغيرها ضرا ولا نفعاً، فهي لا تستحق العبادة، وإنما الذي يستحق العبادة وحده من يملك القدرة على كل شيء، والإحاطة بكل شيء، وكمال السلطان والغلبة والقهر، والهيمنة على كل شيء، والعلم بكل شيء، ويملك الدنيا والآخرة، والنفع والضر، والعطاء والمنع بيده وحده، فمن كان هذا شأنه فإنه حقيق بأن يذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ويطاع فلا يعصى، ولا يشرك معه غيره. (١)

وصفات الكمال المطلق لله تعالى، لا يحيط بها أحد، ولكن منها على سبيل

المثال:

١ - المتفرد بالالوهية : لا يستحق الألوهية إلا الله وحده، الحي الذي لا يموت أبداً، القيوم الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع المخلوقات، وهي مفترقة إليه في كل شيء، ومن كمال حياته وقيوميته أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، وجميع ما في السموات والأرض عبيده، وتحت قهره وسلطانه: (إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً . لقد أحصاهم وعدهم عداً). (٢)

ومن تمام ملكه وعظمته وكبريائه أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فكل

(١) انظر: تفسير البغوي (١/٢٣٧، ٣/٧١، ٢/٨٨٨، ٣٧٢، وابن كثير (١/٣٠٩، ٢/٥٧٢،

٣/٤٢، ٢/١٢٧، ٤٣٥، ٥٧٠، ١/٣٤٤، ٢/١٣٨، وتفسير السعدي (١/٣١٣، ٧/٦٨٦،

٢/٢٨١، ٣/٣٩٧، ٤/٢٠٤، ٦/٣٦٤، ١/٣٥٦، ٢/٣٧٢، وأضواء البيان (٢/١٨٧،

٢/٢٧١).

(٢) سورة مريم، الآية ٩٢، ٩٤ .

الوجهاء والشفعاء عبيد له، لا يقدمون على شفاعته حتى يأذن لهم، ولا يأذن إلا لمن ارتضى، وعلمه تعالى محيط بجميع الكائنات، ولا يطلع أحد على شيء من علمه إلا ما أطلعهم عليه، ومن عظمته أن كرسيه وسع السموات والأرض، وأنه قد حفظهما وما فيهما من مخلوقات، ولا يثقله حفظهما، بل ذلك سهل عليه يسير لديه، وهو القاهر لكل شيء، العلي بذاته على جميع مخلوقاته، والعلي بعظمته وصفاته، العلي الذي قهر المخلوقات، ودانت له الموجودات، العظيم الجامع لمفات العظمة والكبرياء، وقد دل على هذه الصفات العظيمة قوله تعالى: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) الآية. (١)

٢ - وهو الإله الذى خضع كل شيء لسلطانه، فانقادت له المخلوقات بأسرها: جماداتها وحيواناتها، وإنسها وجننها وملائكتها (وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون). (٢)

٣ - وهو الإله الذى بيده النفع والضر، فلو اجتمع الخلق على أن ينفعوا مخلوقا لم ينفعوه إلا بما كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضره بشيء لم يضره إذا لم يرد الله ذلك، (وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم). (٣)

٤ - وهو القادر على كل شيء، ولا يعجزه شيء، (إنما أمره إذا أراد شيئا أن

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ٨٣ .

(٣) سورة يونس، الآية ١٠٧ .

يقول له كن فيكون). (١)

٥ - إحاطة علمه بكل شيء، شامل للغيوب كلها: يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون(٢)، (إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء)(٣)، (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين)(٤)، (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمت الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين)(٥)، (إن الله بكل شيء عليم). (٦)

ولا شك أن من عرف هذه الصفات وغيرها من صفات الكمال والعظمة، فإنه سيعبد الله وحده؛ لأنه الإله المستحق للعبادة.

(١) سورة يس، الآية ٨٢ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/٣٤٤، ٢/١٢٨، والسعدي ٢/٣٥٦، ٢/٣٧٢ .

(٣) سورة آل عمران، الآية ٥ .

(٤) سورة يونس، الآية ٦١ .

(٥) سورة الأنعام، الآية ٥٩ .

(٦) سورة الأنفال، الآية ٧٥ .

المطلب الخامس : التوحيد دعوة جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام :

يجب أن يبلغ كل من أشرك بالله تعالى أن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كلهم دعوا أقوامهم إلى عبادة الله وحده دون ما سواه، وأن الحجة قد قامت على جميع الأمم، وما من أمة إلا بعث الله فيهم رسولا، وكلهم يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له (١)، قال تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عقبة المكذابين) (٢)، (وما أرسلنا من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (٣)، وقال تعالى: (وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أبعثنا من دون الرحمن آلهة يعبدون). (٤)

فبين سبحانه في هذه الآيات عن طريق العموم أن جميع الرسل دعوا إلى "إلا إله إلا الله"، وخلع جميع المعبودات من دون الله (٥)، وفصل ذلك في مواضع أخرى من كتابه، كقوله تعالى: (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ..) (٦)، (والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٣٤٤/٩، وتفسير ابن كثير

٥٦٧/٢، والسعدي ٢٠٢/٤، وأضواء البيان للشنقيطي ٢٦٨/٣ .

(٢) سورة النحل، الآية ٣٦ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٢٥ .

(٤) سورة الزخرف، الآية ٤٥ .

(٥) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢٦٨/٣ .

(٦) سورة الأعراف، الآية ٥٩ .

مالككم من إله غيره) (١)، (وإلى شعور أخاهم ملحا قال يقوم اعبدوا الله مالككم من إله غيره) (٢)، (وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) (٣)، (وقال المسيح يلبنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماؤه النار وما للظالمين من انعام). (٤)

وهذا بلاغ مبين من الله لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.
فالداعية إلى الله تعالى يقوم بإيصال هذه الحكم القولية إلى الناس،
ويبين لهم ذلك، فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها، وما ربك بظلام للعبيد.

(١) سورة الاعراف، الآية ٦٥ .

(٢) سورة الاعراف، الآية ٧٢ .

(٣) سورة الاعراف، الآية ٨٥ .

(٤) سورة المائدة، الآية ٧٢ .

المطلب السادس : الغلو في الصالحين سبب شرك البهر :

من أعظم الحكم القولية في دعوة من تعلق بغير الله تعالى أن يبين لهم أن الغلو في الصالحين هو سبب الشرك بالله تعالى، فقد كان الناس منذ أُهبط آدم - عليه الصلاة والسلام - إلى الأرض على الإسلام، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام". (١)

وبعد ذلك تعلق الناس بالصالحين، ودب الشرك في الأرض، فبعث الله نوحا - عليه الصلاة والسلام - يدعو إلى عبادة الله وحده، وينهى عن عبادة ما سواه (٢)، ورد عليه قومه: (وقالوا لا تخرن أهتكم و لاتخرن ودا ولا سواها ولا يفوث ويعوق ونعرا). (٣)

وهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتَّسَّى العلم عبثت". (٤)

وهذا سببه الغلو في الصالحين، فإن الشيطان يدعو إلى الغلو في الصالحين، وإلى عبادة القبور، ويلقي في قلوب الناس أن البناء والعكوف عليها من محبة أهلها من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١/١٠١)، وعزاه إلى البخاري، وانظر:

فتح الباري ٣٧٢/٦ .

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١/١٠٦) .

(٣) سورة نوح، الآية ٢٣ .

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة نوح، ٦٦٧/٨، برقم ٤٩٢٠ .

المرتبة إلى الدعاء بها والإقسام على الله بها، وشأن الله أعظم من أن يُسأل بأحد من خلقه، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم إلى دعاء صاحب القبر وعبادته وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وشنا تعلق عليه الستور، ويظاف به، ويستلم ويقبل، ويذبح عنده، ثم ينقلهم من ذلك إلى مرتبة رابعة: وهي دعاء الناس إلى عبادته واتخاذ عياد، ثم ينقلهم إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل هذه الرتب العالية من الأنبياء والصالحين، وعند ذلك يغضبون. (١)

ولهذا حذر الله عباده من الغلو في الدين، والإفراط بالتعظيم بالقول أو الفعل أو الاعتقاد، ورفع المخلوق عن منزلته التي أنزله الله تعالى، كما قال تعالى: (يأهل الكتب لاتفلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته أنزلها إلى مريم وروح منه) (٢)، ولهذا حذر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الإفراط فقال: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبدالله ورسوله" (٣)، وقال: "إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلك الغلو في الدين". (٤)

وحذر عليه الصلاة والسلام عن اتخاذ المساجد على القبور؛ لأن عبادة الله

(١) انظر: تفسير الطبري ٦٢/٢٩، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٢٤٦ .

(٢) سورة النساء، الآية ١٧١ .

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: "وأذكر في الكتاب

مريم ... ، ٤٧٨/٦ ، ١٤٤/١٢ ، وانظر شرحه في الفتح ١٤٩/١٢ .

(٤) النسائي، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى ٢٦٨/٥ ، وابن ماجه، كتاب

المناسك، باب قدر حصى الرمي ١٠٠٨/٢ ، وأحمد ٣٤٧/١ .

عند قبور الصالحين وسيلة إلى عبادتهم، ولهذا قال - عليه الصلاة والسلام - قبل أن يموت بخمس: "ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك". (١)

وقد بين - عليه الصلاة والسلام - أن من صلى عليه وسلم فستبلغه صلاته سواء كان بعيداً عن قبره أو قريباً، فلا حاجة لاتخاذ قبره عيداً: "لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبوري عيداً، وملوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم". (٢)

وإذا كان قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عيداً، فغيره أولى بالنهي كأننا ما كان. (٣)

وقد كان - صلى الله عليه وسلم - يطهر الأرض من وسائل الشرك، فيبعث بعض أصحابه إلى هدم القباب المشرفة على القبور، وطمس الصور، فعن أبي الهياج

(١) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ٣٧٧/١ .

وللفائدة انظر: البخاري مع الفتح ٥٢٣/١، ٥٢٢، ٢٠٨/٣، ١٨٧/٧، ٢٠٠، وصحيح مسلم ٣٧٥/١، ٦٦٨/٢، والموطأ للإمام مالك ١٧٢/١، ومهنا أحمد ٤٥٢/١، ٢٤٦/٢، والنسائي ٤٣/٢، ٩٤/٤، وفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، لإسماعيل القاضي برقم ٢١، ص ٢٤، وأبي داود ٢١٨/٣، وفتح المجيد ص ١٥٠، ٢٨١.

(٢) أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور ٢١٨/٢ بإسناد حسن، وأحمد ٣٥٧/٢ .

(٣) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعبدالرحمن بن قاسم ١٦٥/٦-١٧٤.

الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله

صلى الله عليه وسلم؟ أن لا تدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته". (١)

وكما سد - صلى الله عليه وسلم - كل باب يوصل إلى الشرك فقد حصى التوحيد

عما يقرب منه ويخالطه من الشرك وأسبابه، فقال عليه الصلاة والسلام: "لا تشدوا

الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى". (٢)

فدخل في هذا النهي شد الرحال لزيارة القبور والمشاهد، وهو الذي فهمه

الصحابية - رضي الله عنهم - من قول النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا عندما

ذهب أبو هريرة - رضي الله عنه - إلى الطور، فلقية بصرة بن أبي بصرة

الغفاري، فقال: من أين جئت؟ قال: من الطور. فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج

إليه ما خرجت إليه، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "لا تعمل

المطي إلا إلى ثلاثة مساجد...". (٣)

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد اتفق الأئمة على أنه لو نذر أن

يسافر إلى قبره - صلى الله عليه وسلم - أو غيره من الأنبياء والصالحين لم

يكن عليه أن يوفي بندره، بل ينهى عن ذلك". (٤)

(١) مسلم، كتاب الجنائز، الأمر بتسوية القبر ٦٦٦/١ .

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٦٣/٣، ومسلم

بلفظه، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ٩٧٦/٢ .

(٣) النسائي، كتاب الجمعة، باب الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة

١١٤/٣، ومالك في الموطأ، كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة

١٠٩/١، وأحمد في المسند ٣٩٧، ٧/٦، وانظر: فتح المجيد ص ٢٨٩ .

(٤) انظر: فتاوى ابن تيمية ٢٣٤/١ .

فتبين أن زيارة القبور نوعان:

النوع الأول : زيارة شرعية يقصد بها السلام عليهم كما يقصد الصلاة على

أحدهم إذا مات صلاة الجنائز، ولتذكر الموت، بشرط عدم شد الرجال.

النوع الثاني: زيارة شركية وبدعية(١)، وهذا النوع ثلاثة أنواع:

١ - من يسأل الميت حاجته، وهوّلاء من جنس عباد الأصنام.

٢ - من سأل الله تعالى بالميت، كمن يقول: أتوسل اليك بنبيك، أو بحق

الشيخ فلان، وهذا من البدع المحدثّة في الإسلام، ولا يصل إلى الشرك الأكبر، فهو

لايُخْرِجُ عن الإسلام كما يُخْرِجُ الأول.

٣ - من يظن أن الدعاء عند القبور مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في

المسجد، وهذا من المنكرات بالإجماع.(٢)

فإذا سلك الداعية هذه المسالك في دعوة الوثنيين بالحكمة القولية وفق

بإذن الله تعالى.

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية ٢٣٢/١، والبداية والنهاية ١٤/١٢٣ .

(٢) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٦/١٦٥-١٧٤ .

المطلب السابع : الشفاعة المثبتة والمنفية :

الشفاعة لغة: يقال: شفع الشيء: ضم مثله إليه، فجعل الوتر شفعا. (١)

واصطلاحا: التوسط للغير بطلب منفعة أو دفع مضرة. (٢)

من الحكمة القولية في دعوة من يتعلق بغير الله تعالى ويطلب الشفاعة مند أن يببين له أن الشفاعة ملك لله وحده (قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون). (٣)

ويمكن أن يرد على من طلب الشفاعة من غير الله تعالى بالأقوال الحكيمة

الآتية:

أولا : ليس المخلوق كخالق، فكل من قال: إن الأنبياء والمالحين والملائكة أو غيرهم من المظوقين لهم عند الله جاه عظيم ومقامات عالية فهم يشفعون لنا عنده كما يتقرب إلى الوجهاء والوزراء عند الملوك والسلاطين، ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم، فهذا القول من أبطل الباطل؛ لأنه شبه الله العظيم ملك الملوك بالملوك الفقراء المحتاجين للوزراء والوجهاء في تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم، فإن الوسائط بين الملوك والناس على أحد وجوه ثلاثة:

١ - إما لإخبارهم عن أحوال الناس بما لا يعرفونه.

٢ - أو يكون الملك عاجزا عن تحبير رعيته فلا بد له من أعوان؛ لئله

وعجزه.

(١) انظر: القاموس المحيط، باب العين، فصل الشين من ٩٤٧، والنهاية في غريب

الحديث ٤٨٥/٢، والمعجم الوسيط ٤٨٧/١ .

(٢) انظر: شرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد صالح العثيمين من ٨٠ .

(٣) سورة الزمر، الآية ٤٤ .

٣ - أو يكون الملك لا يريد نفع رعيته والإحسان إليهم، فإذا خاطبه من ينمحه ويعظه تحركت إرادته وهمته في قضاء حوائج رعيته.

والله عز وجل ليس كخلقه الضعفاء، فهو تعالى لا تخفى عليه خافية، وغني عن كل ما سواه، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها.

ومعلوم أن الشافع عند ملوك الدنيا قد يكون له ملك مستقل، وقد يكون شريكا لهم، وقد يكون معاونا لهم، فالملوك يقبلون شفاعته لأحد ثلاثة أمور:

أ - تارة لحاجتهم إليه .

ب - وتارة لخوفهم منه .

ج - وتارة لجزاء إحسانه إليهم.

وشفاعة العباد بعضهم عند بعض من هذا الجنس، فلا يقبل أحد شفاعة أحد إلا لرغبة أو رهبة، والله عز وجل لا يرجو أحدا ولا يخافه، ولا يحتاج إليه (١)، ولهذا قطع الله جميع أنواع التعلقات بغيره، وبين بطلانها، فقال تعالى: (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ...). (٢).

فقد سدت هذه الآية على المشركين جميع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك أبلغ سد وأحكمه، فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود لما يرجو من نفعه، وحينئذ فلا بد أن يكون المعبود مالكا للأسباب التي ينتفع بها عابده، أو يكون شريكا

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية ١/١٢٦-١٢٩ .

(٢) سورة سباء، الآية ٢٣ .

لمالكها، أو ظهيرا أو وزيراً أو معاوناً له، أو وجيهاً ذا حرمة وقدر يشفع عنده، فإذا انتفعت هذه الأمور الأربعة من كل وجه انتفعت أسباب الشرك وانقطعت مواده. (١)

ثانياً: الشفاعة شفاعتان:

أ - شفاعة مشبته: وهي التي تطلب من الله، ولها شرطان .

الشرط الأول : إذن الله للشافع أن يشفع، لقوله تعالى: (من ذا الذي يشفع عنده، إلا بإذنه). (٢)

الشرط الثاني: رضا الله عن الشافع والمشفوع له، لقوله تعالى: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) (٣)، (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من إذن له الرحمن ورضي له قولاً). (٤)

ب - الشفاعة المنفية، وهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والشفاعة بغير إذنه ورضاه، والشفاعة للكفار: (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) (٥)، ويستثنى شفاعته - صلى الله عليه وسلم - في تخفيف عذاب أبي طالب. (٦)

(١) انظر: التفسير القيم، لابن القيم ص٤٠٨ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٤ .

(٣) سورة الانبياء، الآية ٢٨ .

(٤) سورة طه، الآية ١٠٩ .

(٥) سورة المدثر، الآية ٤٨ .

(٦) انظر: البخاري مع الفتح، مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب ١٧٣/٧، ومسلم،

كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً، برقم ٢١١، ١٩٥/١ .

ثالثا : الاحتجاج على من طلب الشفاعة من غير الله بالنص والإجماع، فلم يكن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا الأنبياء من قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة، أو الأنبياء، أو الصالحين، ولا يطلبوا منهم الشفاعة، ولم يفعل ذلك أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولم يستحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا مجتهد يعتمد على قوله في الدين، ولا من يعتبر قوله في مسائل الإجماع، فالحمد لله رب العالمين. (١)

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية ١/١١٢، ١٥٨، ١٤/٣٩٩-٤١٤، ١/١٠٨-١٦٥، ١٤/٣٨٠، ٤٠٩، ١/١٦٠-١٦٦، ١٩٥، ٢٢٩، ٢٢٨، ٢٤١، ودرء تعارض العقل والنقل ٥/١٤٧، وأضواء البيان ١/١٢٧ .

المطلب الثامن : الإله الحق سخر جميع ما في الكون لعباده :

من الحكمة في دعوة المشركين إلى الله تعالى لفت أنظارهم وقلوبهم إلى نعم الله العظيمة: الظاهرة والباطنة، الدنيوية والدينيوية. فقد أسبغ على عباده جميع النعم (وما بكم من نعمة فمن الله) (١)، وسخر هذا الكون وما فيه من مخلوقات لهذا الإنسان.

وقد بين سبحانه هذه النعم، وامتن بها على عباده، وأنه المستحق للعبادة وحده، ومما امتن به عليهم ما يأتي :

أولا : على وجه الإجمال :

قال تعالى: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ...)(٢)، (الم تر أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظهرا وباطنا) الآية. (٣) (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون). (٤)

فقد شمل هذا الامتنان جميع النعم: الظاهرة والباطنة، الحسية والمعنوية، فجميع ما في السموات والأرض قد سخر لهذا الإنسان، وهو شامل لأجرام السموات والأرض، وما أودع فيهما من: الشمس والقمر والكواكب والشوايبت والسيارات، والجبال والبحار والأنهار، وأنواع الحيوانات، وأصناف الأشجار والشمار،

(١) سورة النحل، الآية ٥٢ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٩ .

(٣) سورة لقمان، الآية ٢٠ .

(٤) سورة الجاثية، الآية ١٢ .

وأجناس المعادن، وغير ذلك مما هو من مصالح بني آدم، ومصالح ما هو من ضروراتهم للانتفاع والاستمتاع والاعتبار.

وكل ذلك دال على أن الله وحده هو المعبود الذي لاتنبي في العبادة والذل والمحبة إلا له، وهذه أدلة عقلية لا تقبل ريبا ولا شكاً على أن الله هو الحق، وأن ما يدعى من دونه هو الباطل(١)، (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العليُّ الكبير). (٢)

ثانياً : على وجه التفصيل :

ومن ذلك قوله تعالى: (الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . واتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار). (٣)

وقال عز وجل بعد أن نكر نعماً كثيرة: (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . والقي في الأرض رؤساً أن تميد بكم وأنهرا وسبلا

(١) انظر: تفسير البغوي ١/٥٩، ٣/٧٢، وابن كثير ٣/٤٥١، ٤/١٤٩، والشوكاني

١/٦٠، ٤/٤٢٠، والسعدي ١/٦٩، ٦/١٦١، ٧/٢١، وفي ظلال القرآن ١/٥٢، ٥/٢٧٩٢،

وأضواء البيان للشنقيطي ٢/٢٢٥-٢٥٢ .

(٢) سورة الحج، الآية ٦٢، وانظر: سورة لقمان، الآية ٣٠ .

(٣) سورة إبراهيم، الآية ٢٢، ٢٤ .

لعلكم تهتدون . وعلمت وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون
. وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لَغفور رحيم). (١)

أفمن يخلق هذه النعم وهذه المخلوقات العجيبة كمن لا يخلق شيئاً منها؟
ومن المعلوم قطعاً أنه لا يستطيع فرد من أفراد العباد أن يحصي ما أنعم
الله به عليه في خلق عضو من أعضائه، أو حاسة من حواسه، فكيف بما عدا ذلك من
النعم في جميع ما خلقه في بدنه؟ وكيف بما عدا ذلك من النعم الواصلة إليه في
كل وقت على تنوعها واختلاف أجناسها؟. (٢)
ولا يسع العاقل بعد ذلك إلا أن يعبد الله الذي أسدى لعباده هذه النعم ولا
يشرك به شيئاً، لأنه المستحق للعبادة.

(١) سورة النحل، الآيات ١٤-١٨، وانظر: الآيات ٢-١٢ من نفس السورة.

(٢) انظر: فتح القدير ١٥٤/٢، ١١٠/٢، وأضواء البيان ٢٥٢/٢ .

المطلب التاسع : البعث بعد الموت :

استبعد المشركون والملحدون إعادة الأجساد بعد موتها، إذا تقطعت الأوصال، وتمزقت الأجسام، وبليت العظام وتفتتت وتفرقت في أجزاء الأرض، وتحلل الجسد إلى ذرات ترابية، وربما أكلته السباع، فصار غذاء لها واختلط بأجزائها. (١)

ومن الحكمة القولية في دعوة هؤلاء إلى الإيمان بالبعث أن تسلك معهم

المسالك التالية :

المسلك الأول : الأدلة العقلية :

أولا : حكمة الله تعالى وعدله يقتضيان البعث والجزاء :

لقد شاء الله عز وجل أن يجعل الحياة الدنيا دار ابتلاء واختبار وعمل، فأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأمر بعبادته وحده، وجعل دارا أخرى، وذلك من مقتضيات ملكه وحكمته وعدله؛ ليثيب المحسن على إحسانه، ويجازي المسيء على إساءته، ولم يخلق الخلق عبثا، ولم يتركهم هملا، قال تعالى: (تَبْرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (٢)، (المصبتم انما خلقنكم عبثا وانكم إلينا لا ترجعون) (٣)، (إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزى الذين ءامنوا وعملوا الصلحت بالقسط والذين كفروا لهم هراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون). (٤)

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٤/٤٥٨، ٤/٢٢٢، ومناهج الجدل ص٣١١، ومعالم الدعوة

. ١٩٨/١

(٢) سورة الملك، الآية ٢،١ .

(٣) سورة المؤمنون، الآية ١١٥، ١١٦ .

(٤) سورة يونس، الآية ٤ .

ثالثا : الخالق لما هو أعظم قادر على خلق ما هو أصغر بلا شك :

من المعلوم ببداية العقول أن خلق السموات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم، فخلقه لهذه المخلوقات العظيمة وقدرته عليها من أعظم البراهين على بعث الناس بعد الموت؛ لأن من خلق الأعظم الأكبر لاشك في قدرته الكاملة على خلق الأيسر الأضعف الأصغر، وهو أولى بالقدرة والإمكان من الأعظم(١)، قال تعالى: (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعمى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شيء قدير). (٢)

رابعا : اليقظة بعد النوم :

النوم يعتبر موتا مصغرا، والاستيقاظ يعتبر حياة مصغرة أيضا، وكما تتم عملية النوم للإنسان والحيوان وعملية الاستيقاظ تتم عملية الموت والحياة الكاملة لهما(٣)، قال تعالى: (وهو الذي يتوفئكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقتضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون). (٤)

ومن آيات الله العظيمة الباهرة الدالة على بعث الأرواح والأجساد ما أجراه الله سبحانه على أهل الكهف من نوم ثلاثمائة سنة وازدادوا تسع سنين، ثم بعثهم بعد هذا النوم الطويل(٥): (وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/٣٢، وأضواء البيان ١/٨٩، ١١٦ .

(٢) سورة الأحقاف، الآية ٢٢ .

(٣) انظر: أضواء البيان ٤/٢٤، وعقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص ٢٦٥ .

(٤) سورة الأنعام، الآية ٦٠ .

(٥) انظر: تفسير البغوي ٢/١٦٥، وابن كثير ٣/٧٨، والسعدي ٥/١٢، وأضواء

الساعة لاريب فيها...)(١).

خامسا : إخراج النار من الشجر الأخضر :

ومن الأدلة على بعث الأجساد والأرواح قدرة الله تعالى على إخراج النار اليابسة المحرقة من الشجر الأخضر الذي هو في غاية الرطوبة مع تضادهما وشدة تخالفهما، فالقادر على أن يخلق من الشجر الأخضر نارا أولى بالقدرة على أن يخرج إنساناً حيا من التراب كما خلقه أول مرة(٢)، (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون)(٣).

المسك الثاني : الأدلة الحسية :

من الأدلة الحسية التي شاهدها الناس ونقلها لنا أعظم الكتب والمهيمن عليها ما يأتي:

أولا : إحياء الله الموتى في الحياة الدنيا :

فمن أعظم البراهين التي تدل على البعث إحياء الله عز وجل بعض الموتى في الحياة الدنيا؛ لأن من أحيانا نفسا واحدة بعد موتها قادر على إحياء جميع النفوس (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة)(٤).

ومن هذا النوع الأمثلة التالية(٥):

١ - قوم موسى حين قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأماتهم الله

(١) سورة الكهف، الآية ٢١ .

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/٣٤، وتفسير ابن كثير ٣/٥٨٣ .

(٣) سورة يس، الآية ٨٠ .

(٤) سورة لقمان، الآية ٢٨ .

(٥) وسأرتب هذه الأمثلة حسب ورودها في سورة البقرة، ثم آل عمران .

تعالى ثم أحيامهم، قال تعالى: (وَإِذ قَتَلْتُمْ يَمْوُسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ . ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ). (١)

٢ - قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبوا بقرة، ثم يضربوه ببعضها، ثم فعلوا فأحياه الله، فأخبر بمن قتله، قال تعالى: (وَإِذ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مَخْرُجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ . فَكَلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ). (٢)

٣ - قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فأماتهم الله تعالى ثم أحيامهم، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذِرَ الْمَوْتِ فَكَلَّمَهُم بِأَسْمَائِهِمْ وَاللَّهُ يَخْرِجُهُمْ لِيَمْلِكُنَّهُمْ أَوْ يُصَلِّبَهُمْ لَهُمْ تَأْوِيلٌ . إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ). (٣)

٤ - قصة الرجل الذي مر على قرية ميتة فاستبعد أن يحييها الله، فأماته الله مائة سنة ثم أحياه، قال تعالى: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نَنشُرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَهَا فَلَما تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). (٤)

(١) سورة البقرة، الآية ٥٦، ٥٥ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٧٢، ٧٣ .

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٤٣ .

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٥٩ .

٥ - قصة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى؟ فأمره أن يذبح أربعة من الطير ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله، ثم يناديهم فتجتمع الأجزاء بعضها إلى بعض وتأتي إلى إبراهيم سعيًا (١)، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ انرني كيف تُحْيِي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليظمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز حكيم). (٢)

٦ - ما أخبر الله به عن عيسى - عليه الصلاة والسلام - من أنه كان يحيي الموتى ويخرجهم من قبورهم بإذن الله تعالى: (وَأَحْيَا الموتى بإذن الله) (٣)، (وَإِذْ تَخْرُجُ الموتى بإذنى). (٤)

فهذه أدلة حسيّة واقعة، وبرهان قطعي على القدرة الإلهية، وأن الذي أماتهم ثم أحياهم قادر على بعثهم يوم القيامة، فإنه لا يعجزه شيء سبحانه. (٥)

ثانيا : إحياء الأرض بعد موتها :

إحياء الله الأرض بعد موتها برهان قاطع من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت؛ لأنه برهان حسي يتجدد بين يدي الناس، ويشاهدون فيه آثار قدرة الله تعالى في الإحياء المستجدد، ولأن من أخرج النبات وجعل في الأرض من كل زوج بهيج

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣١٥/١، والسعدي ٣٢١/١ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦٠ .

(٣) سورة آل عمران، الآية ٤٩ .

(٤) سورة المائدة، الآية ١١٠ .

(٥) انظر: تفسير السعدي ٣٢١/١، ومنهاج الجدل ص ٢٢٨ .

فأحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الناس بعد موتهم(١) قال الله تعالى:
(يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ مِنَ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ
تُخْرَجُونَ)(٢)، (فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ
لَمُعْجَمٌ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(٣)، (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْك تَرَى الْأَرْضَ خُضَّةً
فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُعْجَمٌ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ). (٤)

المسلك الثالث : الأدلة الشرعية :

رد الله تعالى شبه المنكرين للبعث، فقال تعالى: (وقالوا ءإذاً ظللنا في
الأرض ءأنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كُفُورُونَ . قُلْ يَتُوفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ
الَّذِي وَكَّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)(٥)، (ق . وَالْقُرْءَانُ الْمَجِيدُ . بَلْ عَجِبُوا أَنْ
جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكُفُورُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ . ءإذاً متنا وكنا تراباً ذلك
رجع بعيد . قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ). (٦)

(١) أضواء البيان ١/٩٠، ١١٦، ٢٢٢/٣، ٢٣٦/٧، وشرح أصول الإيمان لمحمد بن صالح
العثيمين ص ٤٩ .

(٢) سورة الروم، الآية ١٩ .

(٣) سورة الروم، الآية ٥٠ .

(٤) سورة فصلت، الآية ٣٩ .

(٥) سورة السجدة، الآية ١٠، ١١ .

(٦) سورة ق، الآيات ١-٤ .

فبين سبحانه أنه يعلم ما تَأْكُل الأرض من أجسادهم وأبشارهم وعظامهم
وأشعارهم، ولا يخفى عليه أين تفرقت، وإلى أين ذهبت، كل ذلك عنده في كتاب
مضبوط محفوظ. (١)

وأمر الله رسوله - عليه الصلاة والسلام - أن يقسم بربه سبحانه على وقوع
البعث ووجوده، وأنه لا يغيب عن الله تعالى مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض
ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ولا يعجزه شيء (٢)، قال تعالى: (ويستنبئونك أحق هو
قل إى وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين) (٣)، (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا
قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير). (٤)

فإذا استخدم الداعية إلى الله تعالى في دعوته للوثنيين بالحكمة القولية
ما جاء في هذه المطالب ومسالكها التفصيلية، كان مصيبا مسددا، منزلا للناس
منزلهم، سالكا طريق الحكمة في دعوتهم بإذن الله تعالى.

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢٢٢/٤ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٤٢١/٢، ٥٢٦/٢، ٣٧٥/٤، وأضواء البيان في إيضاح

القرآن بالقرآن للشنقيطي ٦١٢/٦ .

(٣) سورة يونس، الآية ٥٢، وانظر: سبأ، الآية ٢ .

(٤) سورة التغابن، الآية ٧

المبحث الثالث : حكمة القول مع اهل الكتاب

إن من حكمة القول في دعوة أهل الكتاب إلى الله تعالى أن يجادلوا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولفظ ولين كلام، ودعوة إلى الحق، وتحسينه بالأدلة العقلية والنقلية، ورد الباطل بأقرب طريق وأنسب عبارة، وأن لا يكون القصد من ذلك مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل لا بد أن يكون القصد ببيان الحق، ومداية الخلق، كما قال عز وجل(١): (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا ءامنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون)(٢)، وقال عز وجل: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون). (٣)

وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يستخدم القول الحكيم في دعوته إلى الله عز وجل، ومن ذلك ما روتته عائشة - رضي الله عنها - قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: السام(٤) عليك. قالت: عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السام واللعنة! قالت: فقال رسول الله

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/٣٢٢، ٢/٤١٦)، وفتح القدير للشوكاني (١/٣٤٨،

والسعدى (١/٣٨٩، ٦/٩٢)، وأضواء البيان (٣/٢٨٥).

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

(٤) السام: الموت، وقيل: الموت العاجل، وقيل: تسأمون دينكم. انظر: الفتح

١١/٤٢، ١٠/١٣٥.

صلى الله عليه وسلم: "مهلا يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله" فقلت: يا رسول الله! أولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد قلت: وعليكم". (١)

وكان عليه الصلاة والسلام يستخدم ذلك حتى في رسائله، ففي كتابه إلى هرقل:

"بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله، إلى هرقل عظيم الروم.

سلام على من اتبع الهدى. أما بعد:

فإنني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين(٢) و(يأهل الكتب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله) إلى قوله: (اشهدوا باننا مسلمون). (٣)

وعلى أساس دعوة أهل الكتاب بالجدال بالتالي هي أحسن والقول الحكيم،

فستحدث عن ذلك بإذن الله تعالى في المطالب الآتية:

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله ١٠/١٣٥، ٤٤٩،

٤٢/١١، ومسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف

الرد عليهم ١٧٠٦/٤ .

(٢) الأريسيين: أي إثم الفلاحين، والمعنى: فإن لم تدخل في الإسلام فإن عليك

إثمك وإثمهم إذا لم يسلموا تقليدا لك. انظر: فتح الباري ٣٩/١ .

(٣) البخاري مع الفتح واللفظ له، كتاب التفسير، باب: قل يا أهل الكتاب ..

٢١٥/٨، وكتاب بدء الوحي، باب حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ٣٢/١،

ومسلم في كتاب الجهاد، باب كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل

يدعوه إلى الإسلام ١٣٩٦/٣ .

المطلب الأول : حكمة القول مع اليهود .

المطلب الثاني: حكمة القول مع النصارى .

المطلب الثالث: البراهين على إثبات الرسالة المحمدية وعمومها .

المطلب الأول : حكمة القول مع اليهود :

من حكمة القول مع اليهود في دعوتهم إلى الله عز وجل أن يسلك معهم

الداعية المسلم المسالك التالية :

المسلك الأول : الأدلة العقلية والنقلية على نسخ الإسلام لجميع الشرائع.

المسلك الثاني: الأدلة القطعية على وقوع التحريف والتبديل في التوراة.

المسلك الثالث: إثبات اعتراف المنصفين من علماء اليهود .

المسلك الرابع: الأدلة على إثبات رسالة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

المسلك الأول : الأدلة العقلية والنقلية على نسخ(١) الإسلام لجميع الشرائع :

دعوة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - إلى توحيد الله تعالى دعوة واحدة، فقد اتفقوا جميعاً على دعوة الناس إلى أفراد الله بالعبادة، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

فأصل دين الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - واحد، وهو التوحيد، وإن

اختلفت فروع الشرائع.(٢)

ثم ختم الله تعالى الشرائع كلها بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام، فأرسله الله إلى جميع الثقليين: من إنس وجن، ونسخت شريعته جميع الشرائع السابقة، ولكن اليهود والنصارى(٣) أنكروا نسخ الشريعة الإسلامية لجميع الشرائع

(١) النسخ في اللغة: الإزالة، وفي الاصطلاح: رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر

عنه. ابن كثير ١/١٥٠، ومناهل العرفان ٢/٧١ .

(٢) انظر: فتح الباري ٦/٤٨٩ .

(٣) لتداخل أقوال النصارى مع اليهود في النسخ، فسأذكر الرد عليهم جميعاً في

هذا المسلك إن شاء الله تعالى.

السابقة (١)، فيكون الرد عليهم بالقول الحكيم كالاتي :

أولا : الأدلة العقلية :

١ - ليس هنالك محذور في النسخ عقلا، وكل ما لم يترتب عليه محذور كان جائزا عقلا، فالنسخ جائز عقلا.

٢ - الله تعالى يأمر بالشيء على قدر ما تقتضيه المصلحة، فقد يأمر بالشيء في وقت، وينهى عنه في وقت آخر، لأنه سبحانه أعلم بمصالح عباده، والطبيب الحكيم يأمر المريض بشرب الدواء، أو استعمال دواء خاص في بعض الأزمنة وينهاه عنه في زمن آخر، بسبب اختلاف مصلحته عند اختلاف مزاجه، والملك الذي يشفق على رعيته ينقلهم في بعض الأزمنة إلى نوع من السياسة غير النوع الأول، لما في ذلك من المصالح، وقد يسوس الوالد الحكيم ولده في وقت باللطف، وفي وقت آخر بالتأديب، على قدر ما يرى في ذلك من المصلحة (٢)، والله عز وجل

(١) ثم افترق اليهود والنصارى إلى ثلاث طوائف: -

أ - طائفة الشمعونية من اليهود، قالوا: النسخ ممتنع عقلا وسمعا، وعلى هذا القول إجماع النصارى المتأخرين.

ب - وطائفة العنانية من اليهود، قالوا: النسخ جائز عقلا، لكنه لم يقع سمعا، فهو ممتنع.

ج- طائفة العيسوية من اليهود، قالوا: النسخ جائز عقلا وواقع سمعا، إلا أن الشريعة الإسلامية لم تنسخ ما قبلها من الشرائع، وإنما هي للعرب خاصة، وعلى هذا القول إجماع النصارى المتقدمين. انظر: مناهل العرفان للزرقاني ٨٢، ٨٢/١ .

(٢) انظر: الداعي إلى الإسلام، لكمال الدين عبدالرحمن بن محمد الأنباري النحوي المتوفى سنة ٥٧٧هـ، ص ٣١٩، ومناهل العرفان للزرقاني ٨٢/٢ .

(له المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)(١)، وهو سبحانه لا يفعل شيئا إلا لحكمة بالغة، فهو يحيى ثم يميت ثم يحيى، وينقل الدولة من قوم أعززة إلى أدلة، ومن قوم أدلة إلى أعززة، ويعطي من شاء ما شاء، ويمنع من شاء(٢) (لأيسئل عما يفعل وهم يُسألون). (٣)

٣ - يلزم من يقول بوقوع النسخ سمعا وجوازه عقلا أنهم ماداموا يجوزون أن يأمر الشارع عباده بأمر مؤقت ينتهي بانتهاء وقته، وقد وقع ذلك سمعا فليجوزوا نسخ الشريعة الإسلامية للأديان السابقة. (٤)

ثانياً : الأدلة النقلية السمعية، وهي نوعان :

النوع الأول: ما تقوم به الحجة على منكري النسخ من اليهود والنصارى الذين لم يعترفوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

النوع الثاني: ما تقوم به الحجة على من آمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنهم قالوا: إنها خاصة بالعرب. (٥)

النوع الأول : تقوم الحجة على من أنكر نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - مطلقاً بالأدلة الواردة في التوراة والإنجيل، والداعية المسلم إذ يورد الأدلة من كتبهم لا يعتقد أن هذه النصوص كما أنزلت، بل يحتمل أن تكون مما وقع عليه التحريف والتغيير؛ فإن اليهود والنصارى قد غيروا وبدلوا كثيراً من كتبهم،

(١) سورة الروم، الآية ٣٠ .

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/١٨٠ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٢٢ .

(٤) انظر: مناهل العرفان ٢/٨٦ .

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ٧/٢٧٧ .

ولكن المسلم يقيم عليهم الحجة بما بين أيديهم من التوراة والإنجيل (١) لا لثبوتها، ولكن لإلزامهم بالتسليم، أو يعترفوا بالتحريف، ومن ذلك ما يلي:

١ - جاء في التوراة أن الله تعالى أمر آدم أن يزوج بناتهِ من بنيهِ، وورد أنه كان يولد له في كل بطن من البطون ذكر وأنثى، فكان يزوج توأمة هذا للآخر، ويزوج توأمة الآخر لهذا، إقامة لاختلاف البطون مقام اختلاف الآباء والأمهات والأنساب، ثم حرم الله ذلك بإجماع المتدينين من المسلمين واليهود والنصارى. (٢)

(١) تنقسم أخبار كتب اليهود والنصارى إلى ثلاثة أقسام:

أ - ما عُلمَ صحته بنقله عن النبي - صلى الله عليه وسلم - نقلاً صحيحاً، أو كان له شاهد صحيح من الشرع يؤيده، فهذا القسم صحيح مقبول.

ب - ما عُلمَ كذبه لكونه يناقض ما عُرفَ من شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، أو لا يتفق مع العقل الصحيح، وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته.

ج - ما هو مسكوت عنه، وليس من النوع الأول ولا الثاني، وهذا القسم يتوقف عنه المسلم فلا يصدقه ولا يكذبه، ويجوز حكايته، لقوله صلى الله عليه

وسلم: "لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل .."

البخاري مع الفتح ١٧٠/٨، ١١٦/١٣، وقوله صلى الله عليه وسلم: "حدثوا عن

بني إسرائيل ولا حرج.. " في البخاري مع الفتح ٤٩٦/٦، وانظر: التفسير

والمفسرون للذهبي ١٧٩/١.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١٥٢/١، ٣٨٣، ومناهل العرفان للزرقاني ٨٧/٢، وإظهار

الحق، لرحمة الله الهندي ٥١٣/١ .

٢ - جاء في السفر الأول من التوراة أن الله تعالى قال لنوح عند خروجه من السفينة: "إني جعلت كل دابة مأكلا لك ولذريتك، وأطلقت ذلك لكم كنبات العشب، ما خلا الدم فلا تأكلوه"، ثم اعترفوا بعد ذلك بأن الله حرم كثيرا على أصحاب الشرائع، ومن ذلك الخنزير في شريعة موسى، وهذا عين النسخ. (١)

٣ - أمر الله إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بذبح ولده، ثم نسخ هذا الحكم قبل العمل به، وقد أقر منكروا النسخ بذلك. (٢)
وغير ذلك كثير.

النوع الثاني: تقوم الحجة به على من آمن بنبوته محمد - صلى الله عليه وسلم - واعترف بها؛ ولكنه جعلها خاصة بالعرب دون غيرهم، فهؤلاء متى سلموا واعترفوا برسالته - صلى الله عليه وسلم - وأنه صادق فيما بلغه عن الله عز وجل من الكتاب والسنة وجب عليهم الإيمان والتصديق بكل ما ثبت عنه، وما جاء به من عموم الرسالة، والنسخ الثابت بالكتاب والسنة (٣)، ومن هذا النوع ما يأتي:

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/١٥٢، ٢٨٣، ومناهل العرفان ٢/٨٧، وإظهار الحق ١/٥١٥.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/١٥٢، ٢٨٣، ومناهل العرفان ٢/٨٧، وإظهار الحق ١/٣١٥، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١/١٨١، والداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٣٢٤.

(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ١/٣٧، ١/٣١-١٧٦، ودرء تعارض العقل والنقل ٧/٢٧.

١ - قال تعالى: (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير . ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير). (١)

٢ - وقال تعالى: (كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صدقين . فمن افتري على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون . قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين). (٢)

٣ - وقال تعالى: (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أطت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا . واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما). (٣)

وغير ذلك كثير. (٤)

وبهذه الأدلة العقلية والنقلية السمعية - التي دلت على جواز النسخ عقلا ووقوعه (٥) نقلا وسمعا - سقطت أقوال منكري النسخ وأقوال من أنكروا عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم.

-
- (١) سورة البقرة، الآية ١٠٦ . (٢) سورة آل عمران، الآية ٩٣-٩٥ .
- (٣) سورة النساء، الآية ١٦٠، ١٦١ .
- (٤) انظر: تفسير البغوي ٣/٢٢٤، ٨٤، ٣٢٦/١، وابن كثير ١/١٥١، ٣٨٢، ٥٨٥، ١٨٦/٢، ٥٢٠، ٥٨٧، والشوكاني ١/٣٦١، وإغاثة اللفغان لابن القيم ٢/٣٢١-٣٢٨، والسعدي ١/٤٠١، ٤/١١٦، ٢٤١، ومناهل العرفان ٢/٨٩ .
- (٥) وهناك شبهات لمنكري النسخ قد تضمن الرد عليها الأدلة السابقة، وانظر أيضا الرد عليها في الفصل لابن حزم ١/١٨١-٢٠٠، والداعي إلى الإسلام للأنباري ص٣١٧-٣٤٠، ومناهل العرفان ٢/٩٣-١٠٤ .

المسلك الثاني : الأدلة القطعية على وقوع التحريف والتبديل في التوراة.

من حكمة القول في دعوة اليهود إلى الله عز وجل أن يبين لهم بالجدال بالتي هي أحسن أن الكتب التي بأيديهم قد دخلها التحريف والتبديل والتغيير. (١)

واليهود والنصارى يقولون أن التوراة كانت طول مملكة بني إسرائيل عند الكاهن الأكبر الهاروني وحده، وتقر اليهود أن سبعين كاهنا اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفا من التوراة، وذلك بعد المسيح - عليه الصلاة والسلام - في عصر القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم، ومن رضي بتبديل موضع واحد من كتاب الله فلا يؤمن من تحريف غيره.

واليهود تقر أيضا أن السامرة حرفوا مواضع من التوراة وبدلوها تبديلا ظاهرا، وزادوا ونقصوا، والسامرة تدعي على سائر اليهود بأن التوراة التي بأيديهم محرقة مبدلة. (٢)

والذي يحكم بين الجميع هو كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله

(١) لاشك أنه يجب على كل مسلم الإيمان بكل كتاب أنزله الله، وبكل نبي أرسله، وهذا هو أصل دين المسلمين، فمن كفر بنبي واحد أو كتاب واحد، فهو كافر خلال الدم عند المسلمين. انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣٢/١، ولكن الكلام الآن هو في بيان وقوع التحريف والتبديل في التوراة.

(٢) انظر: الفصل لابن حزم ١٠٢/١، ١٨٧، ١٩٧، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

١٨/٢، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ص(٥٨) .

عليه وسلم، المهيمن على ما سبقه من الكتب المصدق لها، فقد سجل التحريف وأثبتته على أهل الكتاب، ونسب إليهم أنواعا من تحريفهم للتوراة، لا يتسع المقام لذكرها (١)، ولكن من أعظمها: تحريف الكلم عن مواضعه، قال عز وجل: (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه...) (٢)، (لبما نقضهم ميثقهم لعنتهم وجعلنا قلوبهم قسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به...) (٣)، وقال عز وجل: (ومن الذين هادوا سَمَّعون للكذب سَمَّعون لقوم ءآخريين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه...) (٤).

وهذا النوع من التحريف له أربع صور كالتالي :

- ١ - تحريف التبديل: وهو وضع كلمة مكان كلمة، أو جملة مكان جملة.
- ٢ - تحريف بالزيادة: ويكون بزيادة كلمة أو جملة.
- ٣ - تحريف بالنقص: وهو إسقاط كلمة، أو جملة من الكلام المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام.
- ٤ - تحريف المعنى: تبقى الكلمة أو الجملة كما هي، ولكنهم يجعلونها محتملة لمعنيين، ثم يختارون المعنى الذي يتفق مع أهوائهم وأغراضهم. (٥)

(١) انظر هذه الأنواع في: التوراة دراسة وتحليل، للدكتور محمد شلبي ص ٧٤-٨٣.

(٢) سورة النساء، الآية ٤٦ .

(٣) سورة المائدة، الآية ١٣ .

(٤) سورة المائدة، الآية ٤١ .

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (١/٢٧٧)، وإغاثة اللفهان لابن القيم (٢/٣٦٠، ٣٦١)،

وإظهار الحق لرحمة الله الهندي (١/٣٣٧-٥٠٨)، والتوراة: دراسة وتحليل،

للدكتور/ محمد شلبي شتيوي ص ٨٣ .

وهذه الصور لها أمثلة كثيرة من التوراة لا يتسع المقام لذكرها. (١)

فتبين بذلك أن التحريف والتبديل وقع في التوراة يقينا لا شك فيه .

المسلك الثالث : إثبات اعتراف المنصفين من علماء اليهود :

لاشك أن من حكمة القول مع أهل الكتاب في دعوتهم إلى الله عز وجل الاستشهاد عليهم بشهادة علماء أهل الكتاب المنصفين، الذين وفقهم الله تعالى وقبلوا الحق، وبينوه ولم يكتموه، وهذا من باب قوله تعالى: (وشهد شاهد من أهلها) الآية. (٢)

وأذكر على سبيل المثال من هؤلاء العلماء الذين يعترف اليهود بأنهم كانوا منهم فأقروا بالإسلام وأنه الدين الحق ما يلي :

١ - عبدالله بن سلام رضي الله عنه وأرضاه :

لو لم يسلم من اليهود في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا سيد اليهود على الإطلاق وابن سيدهم، وعالمهم وابن عالمهم، وخيرهم وابن خيرهم، باعترافهم وشهادتهم، لكان في مقابلة كل يهودي على وجه الأرض، فكيف وقد

(١) انظر الأمثلة على تحريف التبديل في الفصل لابن حزم ٢٠٧/١-٢٢٤، وإغاشة

اللفان ٢٤٢/٢-٢٤٤، وهداية الحيارى ص ٥٨٢، والأمثلة على تحريف الزيادة

في: إظهار الحق ٣٢٨/١-٣٧٤، والتوراة دراسة وتحليل ص ٩٠-٩٤، وأمثلة

النقص في إظهار الحق ٤١٤/١-٤٥٦، والتوراة دراسة وتطويل ص ٩٥-٩٨، وأمثلة

التأويل في إغاشة اللفان من موائد الشيطان ٣٣١/٢، ٣٣٢، ٣٦١-٣٦٣، وهداية

الحيارى ص ٥٢٦-٥٢٩ .

(٢) سورة يوسف، الآية ٢٦ .

تابعه من الأخبار والرهبان من لا يحصي عددهم إلا الله. (١)

وقد سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - اليهود عن منزلة ومكانة عبد الله ابن سلام - رضي الله عنه - فيهم، فقالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، وأخبرنا وابن أخبرنا، [خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا].

ويعد أن اعترف اليهود بفضائل هذا العالم العظيم قال عليه الصلاة والسلام له: "يا ابن سلام اخرج عليهم" [فخرج عليهم عبدالله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله]، [يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق].. (٢)

ومع هذه الشهادة العظيمة التي شهد بها هذا الصبر، قال رضي الله عنه عندما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة: "فجئت في الناس لأنظر، فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال: "يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا

(١) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٥١٤، ٥٢٥ .

(٢) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته ٣٦٢/٦، ومناقب الأنصار، باب هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه إلى المدينة ٢٥٠/٧، وبياب حدثني حامد بن عمر، عن بشر بن المفضل ٢٢٢/٧، وكتاب التفسير، سورة البقرة، باب قوله: من كان عدوا لجبريل ١٦٥/٨، وألفاظ الحديث من المواضع الأربعة، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢١٠/٣.

الأرحام، وملوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام". (١).

٢ - زيد بن سعنة، أحد أخصاب اليهود رضي الله عنه :

قال رضي الله عنه: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتھا في وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق طمه جهله، ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا طمأ، وقد اختبرتھما، فأشهدك يا عمر أنني قد رضيت بالله ربا، وبالاسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وأشهدك أن شطر مالي - فإني أكثرها مالا - صدقة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم. قال عمر: أو على بعضهم، فإنك لا تسعهم. قلت: أو على بعضهم. فخرج عمر وزيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وآمن به، ومدقته، وبأبعده، وشهد معه مشاهد كثيرة، رضي الله عنه ورحمه. (٢).

٣ - أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر وعمر على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها يعزي بها نفسه على ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأجمله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنتشدك بالذي أنزل التوراة، هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي؟" فقال برأسه هكذا، أي: لا. فقال

(١) ابن ماجه في كتاب الأئمة، باب إطعام الطعام، ١٠٨٣/٢ بلفظه، والترمذي في صفة القيامة، باب حدثنا محمد بن بشار ٦٥٢/٤، وأحمد في المسند ٤٥١/٤، وانظر: صحيح ابن ماجه ٢٢٢/٢ .

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وعزاه إلى الطبراني، وقال: رجاله ثقات

٢٤٠/٨، وتقدم تخريجه كاملاً مطولاً في مواقف النبي - صلى الله عليه وسلم -

الفردية، والقمة هنا مختصرة، فارجع إليها في المجمع ٢٣٩/٨، ٢٤٠ .

ابننه: إِي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله. فقال: "أقيموا اليهودي عن أخيكم"، ثم ولي كفته، وحنطه، وولى عليه صلى الله عليه وسلم. (١)

هذه ثلاثة أمثلة لاعتراقات أوصار اليهود بأن محمدا - صلى الله عليه وسلم - رسول الله حقا، وأن صفته موجودة في التوراة، ويعرفه اليهود كما يعرفون أبناءهم (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر). (٢)

المسلك الرابع: الأدلة على إثبات رسالة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام:

من حكمة القول مع اليهود في دعوتهم إلى الله تعالى إثبات نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وذلك بما ظهر على يديهما من المعجزات الباهرات، والآيات البينات، الظاهرة التي لا يقدر أحد أن يأتي بمثها، كالتالي:

١ - البراهين والبيانات على صدق نبوة عيسى ابن مريم بنت عمران عليه الصلاة والسلام:

ثبتت نبوة عيسى - عليه الصلاة والسلام - بما ظهر على يده من المعجزات الخارقة للعادات من : إحياء الموتى، وإخراجهم من قبورهم، وإبراء الأكمه، والأبرص، وخلق الطير من الطين بإذن الله، والإخبار بالغيوب، وإنزال الطعام من السماء، وولادته من أم بغير أب، وكلامه في المهد (٣)، وغير ذلك من

(١) أحمد في المسند ٤١١/٥، وقال ابن كثير: هذا حديث جيد قوي، له شواهد في الصحيح عن أنس رضي الله عنه. انظر: ابن كثير ٢/٢٥٢، ومجمع الزوائد

. ٢٣٤/٨

(٢) سورة الكهف، الآية ٢٩ .

(٣) انظر الأدلة على هذه المعجزات في سورة آل عمران، الآية ٤٩، وسورة المائدة

الآية ١١٠، والآيتان ١١٤، ١١٥ .

المعجزات. (١)

ومعجزات عيسى لم تكن دون معجزات موسى عليهما الصلاة والسلام، فكلا الرسولين اشتركا في المعجزات والآيات الظاهرة، فإن قيل إن أحدهما قد تعلمها بحيلة فالآخر يمكن أن يقال ذلك في حقه، وقد أخبرا جميعا أن الله تعالى هو الذي أجرى ذلك على أيديهما، وأنه ليس من صنعهما، فتكذيب أحدهما وتصديق الآخر تفريق بين المتماثلين، وليس هناك دليل على أن موسى - عليه الصلاة والسلام - تلقى المعجزات عن الله تعالى إلا وهو يدل على أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - تلقاها عن الله تعالى، فإن أمكن القدح في معجزات عيسى أمكن القدح في معجزات موسى، وإن كان ذلك باطلا فهذا باطل أيضا (٢)، ولا شك أنه لا يمكن القدح في شيء من ذلك أبدا.

ب - الحجج والبراهين على صدق نبوة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام:

ظهر على يده - عليه الصلاة والسلام - من الآيات والمعجزات الخارقة للعادات عند التحدي أكثر من سائر الأنبياء، والعهد بهذه المعجزات قريب، وناقلوها من أصدق الخلق وأبرهم، ونقلها ثابت بالتواتر قرنا بعد قرن، وأعظمها معجزة القرآن، لم يتغير ولم يتبدل منه شيء، بل كأنه منزل الآن، وما أخبر به يقع كل وقت على الوجه الذي أخبر به، كأنه يشاهده عيانا، وقد عجز الأولون والآخرون عن الإتيان بمثله (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن

(١) انظر: كتاب الداعي إلى الإسلام، للأنباري ص ٢٤٧، وإغاثة اللهفان لابن القيم

. ٢٤٧/٢

(٢) انظر: إغاثة اللهفان ٢٤٧/٢ .

لاياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا). (١)

ولا يمكن ليهودي أن يؤمن بنبوة موسى - صلى الله عليه وسلم - إن لم يؤمن بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يمكن لنصراني أن يقبل بنبوة المسيح - عليه الصلاة والسلام - إلا بعد إقراره بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن من كفر بنبوة نبي واحد فقد كفر بالأنبياء كلهم ولم ينفعه إيمانه ببعضهم دون بعض، كما قال تعالى: (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما). (٢)

ولا ينفع أهل الكتاب شهادة المسلمين بنبوة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام؛ لأن المسلمين آمنوا بهما على يد محمد صلى الله عليه وسلم، وكان إيمانهم بهما من الإيمان بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وبما جاء به، فلولا ما عرفنا نبوتهما، ولا سيما وليس بأيدي أهل الكتاب عن أنبيائهم ما يوجب الإيمان بهم؛ فلولا القرآن ومحمد - صلى الله عليه وسلم - ما عرفنا شيئا من آيات الأنبياء المتقدمين، فمحمد - صلى الله عليه وسلم - وكتابه هو الذي قرر نبوة موسى وعيسى، لاليهود والنصارى، بل نفس ظهوره ومجيئه تصديقا لنبوتهما؛ فإنهما أخبرا بظهوره، وبشرا بظهوره: (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه

(١) سورة الإسراء، الآية ٨٨ .

(٢) سورة النساء، الآية ١٥٠-١٥٢ .

أحمد(١)، فلما بعث كان بعثه تصديقا لهما، قال تعالى عن محمد صلى الله عليه

وسلم: (بل جاء بالحق ومدق المرسلين). (٢)

فمجيئه تصديق لهم من جهتين: من جهة إخبارهم بمجيئه ومبعثه، ومن جهة إخباره بمثل ما أخبروا به وشهادته بنبيوتهم، ولو كان كاذبا لم يصدق من قبله،

كما يفعل أعداء الأنبياء. (٣)

ومن أعظم الأدلة على صدقه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال لليهود لما

بهتوه: (فتمنوا الموت إن كنتم صدقين) (٤)، ولم يجسر أحد منهم على ذلك - مع

اجتماعهم على تكذيبه وعداوته - لما أخبرهم بطول الموت بهم إن أجابوه إلى

ذلك، فلولا معرفتهم بحاله في كتبهم، وصدقه فيما يخبرهم به لسألوا الله الموت

لأي الفريقين أكذب، منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة (٥)، ونظير ذلك

قوله تعالى: (قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتكم أنكم أولياء لله من دون

الناس فتمنوا الموت إن كنتم صدقين . ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم

(١) سورة الصف، الآية ٦ .

(٢) سورة الصافات، الآية ٢٦، ٢٧ .

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٥/٧٨-٨٣، ودقائق التفسير لابن تيمية

٢/٢٤٤، وإغاثة اللهفان لابن القيم ٢/٢٥٠، ٢٥١، ومداية الحيارى ص ٦٢٥ .

(٤) سورة البقرة، الآية ٩٤ .

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٧/٩٩، وتفسير ابن كثير

١/١٢٨، ١٢٩، وتفسير السعدي ١/١١٤ .

والله عليم بالظالمين(١)

وغير ذلك من دلائل نبوته وصدقته - صلى الله عليه وسلم - التي سأذكرها -
إن شاء الله - في آخر مطلب من مطالب حكمة القول مع أهل الكتاب .

(١) سورة الجمعة، الآية ٦، ٧ .

المطلب الثاني : حكمة القول مع النصارى :

من حكمة القول مع النصارى في دعوتهم إلى الله تعالى أن يسلك معهم

الداعية المسلم المسالك الحكيمة الآتية :

المسلك الأول : إبطال عقيدة التثليث وإثبات الوجدانية لله تعالى .

المسلك الثاني: الأدلة والبراهين القاطعة على إثبات بشرية عيسى وعبوديته

لله تعالى.

المسلك الثالث: البراهين الدالة دلالة قطعية على إبطال قضية الملب

والقتل.

المسلك الرابع: البيئات الواضحات على إثبات وقوع النسخ والتحريف .

المسلك الخامس: إثبات اعتراف المنصفين من علماء النصارى .

المسلك الأول : إبطال عقيدة التثليث بالقول الحكيم وإثبات الوجدانية لله

تعالى :

المقصود بالتثليث عند النصارى ثلاثة أشياء: الأب، والابن، وروح القدس.

وقالوا: الأب هو الذات، والابن هو الكلمة، وروح القدس هو الحياة،

ويعبرون عن ذلك بأن الله - تعالى عن كفرهم - ثلاثة أقانيم(١)، والأقنوم في

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٩٤،٩٠/٢، والملل والنحل

لشهرستاني ٢٢٢/١-٢٢٨.

وفرق النصارى الثلاث: الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية متفقون على

أن معبودهم ثلاثة، ولكنهم اختلفوا في تفسير الأقانيم الثلاثة، وفي الطول

والاتحاد. انظر: الجواب الصحيح ٩٥/٢، والفصل لابن حزم ١١٠/١-١١٢، وإظهار

المق ٥٧٦/١، والملل والنحل لشهرستاني ٢٢١/١-٢٢٨، والبداية والنهاية =

لغتهم هو الأمل (١)، والثلاثة أسماء إله واحد (٢) في زعمهم الباطل عقلا وشرعا.
والرد على عقيدة التثليث وإبطالها، ودعوة أصحابها إلى الله بالقول
الحكيم يتلخص في الأمور الآتية :

١ - التوحيد دين الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وأتباعهم :

إن عقيدة التثليث لم تكن في أمة من الأمم السابقة من عهد آدم عليه الصلاة
والسلام إلى رفع عيسى صلى الله عليه وسلم.

وعقيدة التوحيد هي دين الأنبياء وأتباعهم، كما أن كتب العهد القديم عند
أهل الكتاب ناطقة بأن الله واحد، أزلي، أبدي، حي لا يموت، قادر يفعل ما
يشاء، ليس كمثله شيء، لا في الذات ولا في الصفات، وعبادة غير الله حرام،
وحرمتها مصرحة في مواضع شتى، وهذا الأمر لشهرته وكثرته في تلك الكتب غير
محتاج إلى نقل الشواهد. (٣)

= ١٥٠/٢، ودقائق التفسير ٣/٣٠، وإغاثة اللهفان ٢/٢٧٣.

قال ابن حزم في الفصل (١/١١٢) : ولولا أن الله وصف قولهم في كتابه ...
لما انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السمج السخيف،
وتالله لولا أننا شامدنا النصرارى ما صدقنا أن في العالم عقلا يسع هذا
الجنون، ونعوذ بالله من الخذلان.

(١) انظر: الجواب الصحيح ٢/١٠٠، ١١٢، والداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٣٥٩،

والفصل لابن حزم ١/١١٩ .

(٢) انظر: الداعي إلى الإسلام ص ٣٦٣، ٣٦٤، والجواب الصحيح ٢/١١٢ .

(٣) انظر: إظهار الحق، لرحمة الله الهندي ١/٥٤٢، ٥٧٧ .

٢ - النصارى تلقوا عقيدة التثليث عن أصحاب المجامع العشرة :

إن المصادر النصرانية الموثوق فيها لا تملك سوى الإقرار بأن دعوة عيسى - عليه الصلاة والسلام - كانت توحيد الله الخالص من الشرك، إلى بداية القرن الرابع الميلادي (١)، وذلك أن الله عز وجل بعث عبده ورسوله عيسى ابن مريم إلى بني إسرائيل، فجدد لهم الدين، وصدق لما بين يديه من التوراة، وأحل لهم بعض الذي حرم عليهم، ودعاهم إلى عبادة الله وحده، فعادوه وكذبوه، ورموه وأمد بالعظائم، وأرادوا قتله، فطهره الله تعالى منهم، ورفعهم إليه، ولم يملوا إليه بسوء، وأقام الله تعالى للمسيح أنصارا دعوا إلى دينه وشريعته حتى ظهر دينه على من خالفه، ودخل فيه الملوك، واستقام الأمر على السداد بعده نحو ثلاثمائة سنة، ثم أخذ دين المسيح في التبديل والتغيير، ولم يبق بأيدي النصارى منه إلا بقايا، وعندما أخذ دين المسيح - عليه الصلاة والسلام - في التغيير والفساد اجتمعت النصارى عدة مجامع، ثم يفترقون على الاختلاف والتلاعن، ومن أهم هذه المجامع: مجمع نيقية عام ٣٢٥م، فقد جمع الملك قسطنطين - باني القسطنطينية - ألفين وثمانية وأربعين أسقفا (٢٠٤٨) من جميع بلدان العالم، وكانوا مختلفي الآراء والأديان، واتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا (٣١٨) على أن المسيح ابن الله - تعالى عن كفرهم - وأنه مساوٍ له في الجوهر، وأنزل من السماء وتجد من روح القدس، ومار إنسانا، وحُمِلَ به، ثم ولد من مريم، وقُتِلَ وُصِّلَ، ودُفِنَ، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء مرة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، وقالوا:

(٤) انظر: إغاثة اللفهان لابن القيم ٢/٢٧٠، وهداية الصيارى من ٦٢٢، والمناظرة

نؤمن بروح القدس، وأجبر الملك الناس على هذه العقيدة التي أسسها هؤلاء
الأساقفة.

ثم عقد مجمع آخر عام ٣٨١م، وحضره مائة وخمسون أسقفًا (١٥٠)، وأجمعوا على
أن روح القدس خالق غير مخلوق، وبهذا المجمع تم لهم التثليث، وقالوا: بأن
الأب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم، وفرض ملوك النصارى هذه العقيدة على
الناس.

ثم عقد مجمع سنة ٤٣١م، وحضره نحو مائتي أسقف (٢٠٠)، وقرروا أن مريم
ولدت إلها...!

واستمرت المجمع تعقد بعد ذلك، وأشهرها المجمع العشرة التي عقدت على
مر العصور، وكلهم يكفر بعضهم بعضا، ويلعن بعضهم بعضا، فدينهم الذي ابتدعوا
قائم على اللعنة. (١)

فثبت بهذا الاستعراض أن دين المسيح - عليه الصلاة والسلام - هو التوحيد
إلى نهاية القرن الثالث الميلادي، وأن المجمع النصرانية هي التي فرضت عقيدة
التثليث، وألزم الملوك الناس بذلك بالسيف والعطاء. (٢)

فَعَلِمَ قَطْعًا بِأَنَّ عَقِيدَةَ التَّثْلِيثِ عَقِيدَةٌ وَثْنِيَّةٌ مَصْدَرُهَا الْمَجَامِعُ النَّصْرَانِيَّةُ،
بَدَأَ بِمَجْمَعِ نِيْقِيَّةِ سَنَةِ ٣٢٥م، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَرِدُ بِهِ عَلَى النَّصْرَانِيِّ، وَلَكِنْ
بِالْقَوْلِ الْحَكِيمِ، وَبِالرَّفْقِ وَاللِّينِ، وَالْجِدَالَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/١١٥)، ٢/٩٠-١٣٥، ٣/٢٢-٤٥،
وإغاثة اللهفان ٢/٢٧٠-٢٨١، وهداية الحيارى ص ٦٤٦-٦٥٨، والبدائية
والنهاية لابن كثير ٢/١٥٠، ١٥١، والمنظرة بين الإسلام والنصرانية
ص ٢٠٢-٢١٦.

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٢/٢٢٨.

٣ - بطلان كون الثلاثة إله واحد :

قال المثلثة: الأب، والابن، وروح القدس: الثلاثة أسماء إله واحد، ورب واحد، وخالق واحد، ومسمى واحد، لم يزل ولا يزال شيئاً حياً ناطقاً: أي الذات والناطق والحياة(١)، ويعبرون عن ذلك بأن الله - تعالى عن كفرهم - ثلاثة أقانيم، وحينئذ يرد عليهم بالقول الحكيم بالآتي :

أولاً : لم خصتم الأقانيم بالثلاثة ؟ فإنه قد ثبت أنه: موجود، حي، عليم، قادر، سميع، بصير ...، فيلزمكم على قولكم هذا أن تثبتوا أقنوماً رابعاً وهو القدرة، وخامساً وهو: السمع، وسادساً وهو: البصر، ... وسائر الصفات الثابتة، فإن أسماء الله تعالى وصفاته متعددة كثيرة، ومنها تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة.(٢)

فإذا كانت أسماء الله كثيرة فالإقتمار على ثلاثة أسماء أو ثلاث صفات باطل مردود.(٣)

(١) فالذات عندهم: الأب الذي هو مبتدأ الاثنين، والناطق: الابن الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل، والحياة: هي روح القدس، ثم يعبرون عن ذلك بأن الله تعالى ثلاثة أقانيم، تعالى الله عن ذلك، والأقنوم في لغتهم: هو الأصل. انظر: الجواب الصحيح ٢/١٠٠، ١١٢، والداعي إلى الإسلام من ٢٥٩، والفصل لابن حزم ١/١١٩ .

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار ٥/٢٥٤، ١١/٢١٤، ومسلم، كتاب الذكر، باب أسماء الله تعالى ... ٤/٢٠٦٢ .

(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/١١٢ .

ثانياً: قولكم: الأب الذي هو ابتداء الاثنين، والابن النطق الذي هو مولود منه كولد النطق من العقل: كلام باطل؛ لأن صفات الكمال لازمة لذات الله تعالى أولاً وآخراً، فهو لم يزل ولا يزال حياً، عالماً، قادراً، فلم يصر حياً بعد أن لم يكن حياً، ولا عالماً بعد أن لم يكن عالماً ..

ثالثاً: قولكم في النطق: إنه الابن، وإنه مولود من الله تعالى: إن أردتم به أنه صفة لازمة له، فكذلك الحياة صفة لازمة له، فيكون روح القدس أيضاً ابناً ثانياً، وإن أردتم أنه حصل منه بعد أن لم يكن لزم أن يكون عالماً بعد أن لم يكن، وهذا مع كونه باطلاً وكفراً فيلزم مثله في الحياة وأنه صار حياً بعد أن لم يكن حياً، تعالى الله وتقدس عن ذلك.

رابعاً: إن تسمية حياة الله: روح القدس، لم ينطق به شيء من كتب اللد المنزلة، فإطلاق روح القدس على حياة الله من التبديل والتحريف للكلم عن مواضعه.

خامساً: إنكم تدعون أن المتجسد بالمسيح هو الكلمة، وهذا إن أردتم به نفس الذات العالمة الناطقة كان المسيح هو الأب، وهو الابن، وهو روح القدس، وهذا عندكم وعند جميع الناس باطل.

سادساً: العلم صفة، والصفة لا تطلق ولا ترزق، والمسيح نفسه ليس هو صفة قائمة بغيرها باتفاق العقلاء، فامتنع أن يكون المتحد به صفة، فإن الإله المعبود هو الإله الحي العليم القدير، وليس هو نفس الحياة ولا نفس العلم والكلام، فلو قال قائل: يا حياة الله، أو يا علم الله، أو يا كلام الله اغفر لي وارحمني ... كان هذا باطلاً في صريح العقل، ولهذا لم يجوز أحد من أهل الأديان السماوية أن يقال للتوراة أو الإنجيل وغير ذلك من كلام الله: اغفر لي وارحمني، وإنما يقال للإله المتكلم بهذا الكلام - وهو الله وحده - : اغفر لي وارحمني.

والمسيح عند المثلثة هو الإله الخالق الذي يقال له: اغفر لنا وارحمنا، فلو كان هو نفس علم الله وكلامه لم يجز أن يكون إلها معبودا، فكيف إذا لم يكن هو نفس علم الله وكلامه، بل هو مخلوق بكلامه حيث قال: (كن) فكان، فتبين بذلك أن كلمات الله كثيرة لا نهاية لها، ومعلوم أن المسيح ليس هو كلمات كثيرة بل غايته أن يكون كلمة واحدة، إذ هو المخلوق بكلمة من كلمات الله عز وجل. (١)

سابعاً: مما لا يشك في صحته عاقل أن عقيدة التثليث باطلّة مردودة بصريح النقل وصحيح العقل، ومن المعلوم عند سائر أهل الملل أن الله موجود، حي، عليم، متكلم، قدير، لا تختص صفاته بثلاثة، ولا يعبر عن ثلاثة منها بعبارة لا تدل على ذلك، وهو: لفظ الأب، والابن، وروح القدس، فإن هذه الألفاظ لا تدل على ما فسروها به في لغة أحد من الأمم، ولا يوجد في كلام أحد من الأنبياء أنه عبر بهذه الألفاظ عما ذكروه من المعاني، بل ذلك مما ابتدعه النصارى، ولم يدل عليه شرع ولا عقل. (٢)

فتبين أن جميع كتب الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - تبطل مذهب

النصارى. (٣)

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١١٢/٢-١١٦، اقتباس بتصرف.

(٢) انظر: المرجع السابق ٩١/٢ .

(٣) انظر: المرجع السابق ٢١٢/٢ .

٤ - إبطال عقيدة التثليث بما في كتب النصارى :

من الأدلة التي تلزم أصحاب التثليث أن يبين لهم بالقول الحكيم ما في كتبهم التي يعترفون بها، فإن فيها ما يبطل قولهم وعقيدتهم في التثليث، ومن ذلك على سبيل المثال ما يلي :

١ - جاء في إنجيل يوحنا، أن المسيح - عليه الصلاة والسلام - قال في دعائه: "إن الحياة الدائمة إنما تجب للناس بأن يشهدوا أنك أنت الله الواحد الحق، وأنت أرسلت اليسوع المسيح". (١)

وهذه حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، ولا معبود بحق سواه.

ب - وقال: "إن الله عز وجل ما أكل ولا يأكُل، وما شرب ولا يشرب، ولم ينام ولا ينام، ولا ولد له ولا يلد ولا يولد، ولا رآه أحد ولا يراه أحد (٢) إلا مات". (٣)

وبهذا يظهر سر قوله تعالى: (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه مديقة كانا يأكلان الطعام). (٤)

وغير ذلك من الأمثلة كثير لا يتسع المقام لذكره. (٥)

(١) هداية الحيارى لابن القيم ص ٦٢٠ .

(٢) المقصود بنفي الرؤية هنا في الدنيا، أما في الآخرة فإن المؤمنين يرون ربهم في الجنة، وهو أعظم نعيم أهل الجنة جعلنا الله منهم.

(٣) انظر: هداية الحيارى ص ٦٢١ .

(٤) سورة المائدة، الآية ٧٥ .

(٥) انظر كثيرا من الأمثلة على ذلك في : هداية الحيارى ص ٦٢٠-٦٢٢، وإظهار

الحق ٢٥٠/٢-٢٩ .

٥ - إبطال القرآن الكريم لعقيدة التثليث :

القرآن الكريم هو الأمل في تصحيح العقائد، وما سبق من القول الحكيم مع النصراني إنما هو مخاطبتهم على قدر عقولهم بالأدلة العقلية، وبالواقع من تاريخهم، وما جاء في كتبهم، مما يبطل عقيدة التثليث، ويثبت أن عقيدة التوحيد هي دين الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام.

والقرآن الكريم - المحفوظ من الله عن التبديل والتحريف - يتولى الرد على هذه القضية بأوجز عبارة وأوضحها، قال تعالى: (يأهل الكتب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته أنزلنا إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد) (١)، (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير). (٢)

وقال عز وجل مبيناً حقيقة عيسى: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يئس إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماؤه النار وما للظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليممن الذين كفروا منهم عذاب اليم . أفلا يتوبون إلى الله

(١) سورة النساء، الآية ١٧١ .

(٢) سورة المائدة، الآية ١٧ .

ويستغفرونه والله غفور رحيم . ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله
الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى
يؤفكون). (١)

وأخبر الله عن المسيح أنه لم يأمر الناس إلا بما أمره الله به، فقال
سبحانه: (وإذ قال الله يعيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين
من دون الله قال سبحك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد
علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علم الغيوب . ما قلت
لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت
فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) (٢)،
(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئا إدا . تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا . إن دعوا للرحمن ولدا . وما ينبغي للرحمن أن
يتخذ ولدا . إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا) (٣)، (وقالت
النمرى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضلون قول الذين كفروا من
قبل قتلهم الله انى يؤفكون) (٤)، فهل بعد هذا القول بيان؟ وهل بعد هذه
الحجج من حجج؟. (٥)

(١) سورة المائدة، الآيات ٧٢-٧٥ .

(٢) سورة المائدة، الآية ١١٦، ١١٧ .

(٣) سورة مريم، الآية ٨٨-٩٣ .

(٤) سورة التوبة، الآية ٣٠-٣٤ .

(٥) انظر: الجواب الصحيح ٢/٢٧٩-٢٨١، ودقائق التفسير ٢/٢٨، ٢٩ .

وأما قوله تعالى: (وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) (١) فقد بينها الله

تعالى أعظم بيان وأكمله وأبلغه:

١ - فالكلمة التي ألقاها الله إلى مريم هي: (كن)، فكان عيسى ب"كن"، وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان عيسى، فالكن من الله قوله: (كن)، وليس الكن مخلوقاً (٢)، قال تعالى: (إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الظَّالِمِينَ . قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ). (٣)

ففي هذا الكلام وجوه تبين أنه مخلوق وليس كما يقول النصارى، وذلك:

١ - قوله تعالى: (بكلمة منه) وهي نكرة في الاثبات يقتضي أنه كلمة من كلمات الله، وليس هو كلامه كله كما يقول النصارى.

٢ - ومنها أنه بين مراده بقوله: (بكلمة منه)، وأنه مخلوق حيث قال: (كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)، كما قال تعالى: (إِن مِّثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) (٤)، وقوله تعالى: (ذَلِكَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ . مَا

(١) سورة النساء، الآية ١٧١ .

(٢) فتاوى ابن تيمية ٤٩٣/٢٠، ودقائق التفسير ٣١/٣، وتفسير ابن كثير ٥٩١/١.

(٣) سورة آل عمران، الآيات ٤٥-٤٧ .

(٤) سورة آل عمران، الآية ٥٩ .

كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون). (١)
فهذه ثلاث آيات في القرآن تبين أن الله قال له: (كن)، وهذا تفسير كونه
كلمة منه.

٣ - وقال: اسمه المسيح عيسى ابن مريم.

٤ - وأخبر أنه وجيه في الدنيا والآخرة .

٥ - وأنه من المقربين .

وهذه كلها صفة مخلوق، والله تعالى وكلامه الذي هو صفته لا يقال فيه شيء
من ذلك.

٦ - وقالت مريم: (أنى يكون لى ولد)، فبين أن المسيح الذي هو الكلمة ولد

مريم لا ولد الله سبحانه وتعالى. (٢)

ب - أما الروح التي قال تعالى فيها: (وروح منه)، فلا يجب أن يكون منفصلا
من ذات الله، كما قال تعالى: (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا
منه) (٣)، (وما بكم من نعمة فمن الله) (٤)، (ما أمأيك من حسنة فمن الله). (٥)

فهذه الأشياء كلها من الله وهي مخلوقة .

وأبلغ من ذلك روح الله التي أرسلها إلى مريم، وهي مخلوقة (فأرسلنا

(١) سورة مريم، الآية ٢٤ .

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٩٩/٢-٣٠٠، ١٤٠/٢، ٢٢٧ .

(٣) سورة الجاثية، الآية ١٢ .

(٤) سورة النحل، الآية ٥٢ .

(٥) سورة النساء، الآية ٧٩ .

إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا. قالت إنس اعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا .
قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلما زكيا(١)، (والتى أحصنت فرجها فننفخنا
فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين)(٢)، وقال تعالى: (ومريم ابنت
عمران التى أحصنت فرجها فننفخنا فيه من روحنا). (٣)

فعلم بذلك أن الروح الذي أرسله الله إلى مريم هو روح القدس، وهم الملك
جبريل عليه السلام، وهو مخلوق، وهو الذي خلق المسيح من نفخه ومن مريم، فإذا
كان الأمل مخلوقا فكيف الفرع الذي حمل به؟

أما قوله عن المسيح: (وروح منه) فخص بذلك لأنه نفخ في أمه من الروح،
فحملت به من ذلك النفخ، وذلك غير روحه التي يشاركه فيها سائر البشر، فامتاز
بأن حملت به من نفخ الروح، فلهذا سمي روحا منه. (٤)

أما إضافة الروح إلى الله في قوله: (فأرسلنا إليها روحنا) فهي إضافة
مخلوق إلى خالقه، كقوله تعالى: (ناقة الله وسقياها)(٥)، (عيننا يشرب بها
عباد الله)(٦)، والمضاف إلى الله تعالى نوعان:

١ - إن كان صفة مضافة إلى الله لم تقم بمخلوق: كعلم الله، وقدرة الله،
والقرآن كلام الله، وحياة الله، كان صفة لله تعالى.

(١) سورة مريم، الآية ١٧-١٩ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٩١ .

(٣) سورة التحريم، الآية ١٢ .

(٤) انظر: الجواب الصحيح ١٢٧/٢، ١٢٨، ١٣٣، ٢٠٢، ٢٠٣، ودقائق التفسير ٣٤١/٢،

٣٢/٣، والبغوي ٥٠١/١، وابن كثير ٥٩١/١، ٣٩٥/٤، وفتح القدير ٥٤٠/١.

(٥) سورة الشمس، الآية ١٢ .

(٦) سورة الإنسان، الآية ٦ .

ب - وإن كان المضاف عينا قائمة بنفسها أو صفة فيها، أو صفة لغير الله: كالبيت، والناقعة، والعبد، والروح كان مظلوقا مضافا إلى خالقه ومالكه. لكن هذه الإضافة (ناقعة الله)، (بيت الله)، (عباد الله)، "روح الله"، إضافة مظلوق إلى خالقه تقتضي التثريف، وبهذا يتبين أنه لا يوجد للنصارى حجة إطلاقا، فسقط قولهم بحمد الله تعالى. (١)

المسلك الثاني: الأدلة والبراهين القاطعة على بشرية عيسى وعبوديته لله:

ومن حكمة القول مع النصارى في دعوتهم إلى الله أن يبين لهم أن عيسى عليه الصلاة والسلام عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، خلقه عز وجل، وبين لعباده أنه مخلوق، وأن ذلك لا يعجزه قال تعالى: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين). (٢)

فقد خلق الله تعالى هذا النوع على الأقسام الممكنة، ليبين عموم قدرته، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى، كما قال تعالى: (وخلق منها زوجها) (٣)، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح؛ لأن حواء خلقت من ضلع آدم، وهذا أعجب من خلق

(١) انظر: الجواب الصحيح ١١٥/٢، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٢، ودقائق التفسير

. ٣٤٣/٢

(٢) سورة آل عمران، الآية ٥٩، ٦٠.

(٣) سورة النساء، الآية ١.

المسيح في بطن مريم، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا، وهو أمل خلق حواء، فلهذا شبهه الله بخلق آدم الذي هو أعجب من خلق المسيح، فإذا كان سبحانه قادرا أن يخلقه من تراب، والتراب ليس من جنس بدن الإنسان، أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة هي من جنس بدن الإنسان؟ وهو عز وجل خلق آدم من تراب، ثم قال له: كن، فكان لما نفخ فيه من روحه، فكذلك المسيح نفخ فيه من روحه وقال له: كن، فكان، ولم يكن آدم بما نفخ فيه من روحه لاهوتا وناسوتا، بل كله ناسوت، فكذلك المسيح كله ناسوت. (١)

وقد أمر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يباهل النصارى على حقيقة عيسى عليه الصلاة والسلام وأنه عبدالله ورسوله، فقال تعالى: (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين). (٢)

وقد امتثل النبي - صلى الله عليه وسلم - قول الله فدعاهم إلى المباهلة، فعرفوا أنهم إن باهلوه أنزل الله عليهم لعنته، فأقروا بالجزية وهم صاغرون. وهذا كله يبين أن عيسى عبدالله ورسوله، وأنه مظلوم، ويبين أن النصارى بامتناعهم عن المباهلة وعن الدخول في الإسلام كانوا ظالمين. (٣)

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/٢٩٤، ودقائق التفسير لابن

تيمية ٢/٣٢٤، وتفسير ابن كثير ١/٣٦٨ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ٦١ .

(٣) انظر: الجواب الصحيح ٢/٢٩٥، ودقائق التفسير ٢/٣٢٤، ودرء تعارض العقل

والنقل ١/١٩٨، وتفسير ابن كثير ١/٣٦٨ .

وقد بين عز وجل حقيقة عيسى، ووصفه وأمه وصفا كاملا لا يدع مجالا للشك، ويقطع كل شبهة ترد على بشرية عيسى وأمه، فقال عز وجل: (وانكر في الكتب مريم إذ انتبخت من أهلها مكانا شرقيا ...) إلى قوله: (فاشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا . قال إنسى عبدالله أتئسى الكتب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركاً أين ما كنت وأومئى بالعلوة والزكوة ما دمت حيا . وبرأ بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا...) إلى قوله تعالى: (تلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون . ماكان لله ان يتخذ من ولد سبحانه...) الآيات. (١)

وقال سبحانه: (ان هو إلا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل). (٢) وهو - عليه الصلاة والسلام - عبدالله ورسوله، وأحد أنبيائه ورسله الكرام، ويتمف بصفات البشر، ويأكل الطعام كما يأكله البشر (٣): (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه مديقة كانا ياكلان الطعام). (٤)

وقد شهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجنة لمن شهد أن عيسى عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، فقال: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، والنار حق، أدخله الله

(١) سورة مريم، الآيات ١٦-٣٧ .

(٢) سورة الزخرف، الآية ٥٩-٦٥ .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٨٢/٢ .

(٤) سورة المائدة، الآية ٧٥ .

الجنة على ما كان من العمل". (١).

وحذر - عليه الصلاة والسلام - عن الغلو، وبين أنه من أسباب تأليه النصارى

لعيسى ابن مريم. (٢)

وبهذه البراهين القطعية من الأدلة العقلية والنقلية يتضح لكل ذي لب أن عيسى عبدالله ورسوله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، ومن وصفه بغير ذلك من الصفات التي لم يصفه بها ربه وخالقه فقد خرج عن مقتضى العقل والنقل إلى الجنون أو الجحود والظلم: (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيحشرهم إليه جميعا) (٣)، (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون). (٤)

(١) البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ٤٧٤/٦، ومسلم، في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ٥٧/١، وانظر زيادة للحديث في البخاري مع الفتح ٤٧٤/٦، ومسلم ٥٧/١ .

(٢) انظر: البخاري مع الفتح ٤٧٨/٦، ١٤٤/١٢ .

(٣) سورة النساء، الآية ١٧٢ .

(٤) سورة آل عمران، الآيتان ٧٩، ٨٠ .

المسلك الثالث: البراهين الدالة دلالة قطعية على إبطال قضية الصلب

والقتل:

زعم النصارى أن اليهود قتلوا عيسى - عليه الصلاة والسلام - وصلبوه وقبروا،
وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء(١)، وقد كذبهم الله فيما زعموا،
(وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم). (٢)

ومن الحكمة القولية في دعوتهم إلى الله وإبطال مذهبهم أن يرد عليهم

بالآتي:

١ - الأدلة العقلية :

١ - بما أنكم أجمعتم أيها النصارى على القول بالاتحاد والصلب والقتل(٣)،

فهل كان الاتحاد موجودا في حالة الصلب والقتل أم لا؟

فإن قلت كان موجودا، لزمكم القول بأن ابن الله القديم - في زعمكم -

مات وصلب، لأن جواز القتل كجواز الموت والحركة والسكون والافتراق، وفيه جواز

موت الأب والروح، وهذا لا يقولون به.

(١) انظر: الجواب الصحيح ١١٦/٢، والداعي إلى الإسلام للأنباري من ٢٧٧، وإغاشة

اللهان ٢٧٣/٢، وهداية الحيارى من ٦١٨ .

(٢) سورة النساء، الآية ١٥٧ .

(٣) قالوا: إن الإله اتحد مع الإنسان فمار شيئا واحدا، ويعنون بالاتحاد: اتحاد

الكلمة بجسد المسيح ولا يسمون الكلمة التي هي العلم عندهم ابنا إلا بعد

تدرعها بالمسيح، فالمسيح عندهم مع ما تدرع به: ابن .. انظر: الفصل لابن

حزم ١١٢/١، والداعي إلى الإسلام من ٣٦٥، والملل للشهرستاني ٢٢٢/١، ودقائق

التفسير ٢٤٦/٢ .

فإن قالوا: إن الاتحاد بطل، قيل لهم: فيجب ألا يكون المقتول مسيحا؛ لأن الجسد عند انتقاض الاتحاد ليس بمسيح، فبطل قولكم بأن المسيح قتل وطلب.

ب - أنتم تزعمون أن المسيح قتل وطلب، والمسيح في عقيدتكم كان لاهوتا وناسوتا، فيلزم من ذلك إطلاق القول بقتل الإله، لأن المسيح عندكم إله مطلق، ومن ضرورة ذلك إطلاق القول بقتل الإله وموته، وذلك مروق عن الدين. (١)

فإن قالوا: إنما قتل الناسوت دون اللاهوت، قيل لهم: هذا باطل، من وجهين:

١ - أن ناسوته لم يطلب وليس فيه لاهوتا.

٢ - ذكركم ذلك دعوى مجردة فيكفي في مقابلتها المنع. (٢)

ج - إذا كان عيسى ابن الله تعالى قديم الروح بزعمكم فكيف قدر اليهود على أن يقتلوا ابن الله، وهو إله عندكم، والإله لا يقتل!!.

فإن قالوا: إنما قتل الهيكل دون الروح، قيل لهم: قد بطل الاتحاد الذي ادعيتموه، فكان يجب أن يمنع الروح واللاهوت عن القتل واتلاف الهيكل والناسوت، فدل ذلك على أنه كان عبدا لله ورسولا له، لا ابنا له. (٣)

٢ - أخبار القتل والطلب مصدرها اليهود :

من المعلوم يقينا أن أخبار المسيح والطلب والقتل إنما تلقاها النصارى عن اليهود، وقد ثبت أنه لم يحضر أحد منهم، وإنما قال اليهود: قتلناه

(١) انظر: الداعي إلى الإسلام من ٣٧٨ .

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٢/٢٩٧، ودقائق التفسير ٢/٣٣٦، وإغاشة اللفهان

٢/٢٩٠.

(٣) انظر: الداعي إلى الإسلام للأنباري من ٣٧٨ .

وصلبناه، وهم أعظم أعدائه الذين رموه وأمه بالعنائم، وأجمعت اليهود على أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - لم يدع شيئاً من الإلهية التي نسبتها إليه النصارى، فحينئذ يقال للنصارى: إن صدقتموا اليهود في القتل والمذبذب فصدقوهم في أنه ليس باله، بل هو عبد مخلوق! (١)

ومن العجيب أن النصارى يعظمون المليب، وكان من مقتضى العقول أن يحرقوا كل مليب وجدوه؛ لأنه قد صلب عليه إلههم ومعبودهم بزعمهم .. فبأي وجه بعد هذا يستحق المليب التعظيم. (٢)

٣ - تناقض الأناجيل في قضية الملب :

وقع في قضية الملب في الأناجيل المعتمدة عند النصارى أكثر من ثلاثين تناقضاً، وحينئذ يطبق على هذه التناقضات قاعدة: كل ما تسرب إليه الاحتمال سقط به الاستدلال. (٣)

وهذا يدل على أن كل ما تعلق بالملب اشتبه أمره على النصارى، وغابت عنهم الحقيقة، فهم لا يزالون مختلفين، وبهذا يسقط قولهم؛ لأنهم لا علم لهم ولا دليل يعتمدون عليه. (٤)

(١) انظر: هداية الحيارى ص٦٢٧-٦٢٩، والجواب الصحيح ٢/٢٨٢.

(٢) انظر: إغاثة اللفهان من مصادد الشيطان لابن القيم ٢/٨٥، وهداية الحيارى

ص٤٩٥، والفصل لابن حزم ١/١٢٢-١٢٨ .

(٣) انظر أمثلة هذه التناقضات مع إحالتها إلى الأناجيل في: المناظرة بين

الإسلام والنصرانية ص٦٢-١٠٨، والإنجيل دراسة وتحليل للدكتور/ محمد شلبي

ص٩٤-١٢١ .

(٤) انظر: المناظرة بين الإسلام والنصرانية ص١٠٤ .

٤ - إبطال القرآن الكريم لقضية العلب والقتل :

أوضح الله في القرآن الكريم أمر المليب وبينه وجلاه وأظهره، وأوضحه عنه رسوله - صلى الله عليه وسلم - المؤيد بالمعجزات والبيّنات والدلائل الواضحات، فقال تعالى: (... وما قتلوه وما ملبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما . وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا). (١)

فيعسى - عليه الصلاة والسلام - لم يقتل ولم يصلب، بل رفعه الله إليه، ولم يمت، قال تعالى: (إذ قال الله يهيمس إني متوفيك ورافعك إني ومطهرك من الذين كفروا..)(٢)، وقال تعالى حكاية عن المسيح: (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد). (٣)

والوفاة هنا بمعنى القبض، كما يقال: توفيت من فلان ما لي عليه، بمعنى: قبضته واستوفيته، فيكون معنى: (إني متوفيك ورافعك إني) أي: إني قابضك من الأرض ورافعك إني. (٤)

(١) سورة النساء، الآية ١٥٥-١٥٩ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ٥٥ .

(٣) سورة المائدة، الآية ١١٧ .

(٤) ورجح هذا القول الطبري في تفسيره ٢/٣٠٣، .

وهناك أقوال أخرى في معنى الوفاة هنا، فمنهم من قال: النوم، وهم

الأكثر، كما قاله ابن كثير ١/٣٦٧، ومنهم من قال في الآية تقديم وتأخير،

وتقديره: إني رافعك إني ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد ذلك . =

وقوله عز وجل: (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) يعم اليهود والنصارى، فدل ذلك على أن جميع أهل الكتاب يؤمنون بالمسيح قبل موته، وذلك إذا نزل في آخر الزمان (١) آمنت اليهود والنصارى بأنه رسول الله، ليس كاذبا كما يقول اليهود، ولا هو الله كما يقول النصارى (٢)، ثم بعد أن يحكم بشريعة محمد - صلى الله عليه وسلم - يموت كما يموت البشر قبل يوم القيامة. فاتضح بذلك - بحمد الله - أن عيسى لم يقتل، ولم يملب، ولم يميت حتى الآن، فبطل قول النصارى: (وما قتلوه وما صلبوه) ، والله المستعان.

المعك الرابع : البيانات الواضحات على وقوع النسخ والتحريف في الانجيل:

من حكمة القول في دعوة النصارى إلى الله تعالى أن يبين لهم بالأدلة العقلية والنقلية أن دين الإسلام قد نسخ جميع الشرائع السابقة، وأن ما وجد من الكتب السابقة فهو بين أمرين : إما حق قد نسخته الشريعة الإسلامية، وإما كلام

= انظر: تفسير الطبري ٢٠٢/٣-٢٠٤، والبغوي ٢٠٨/١، وزاد المسير ٣٩٦/١، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢٨٥/٢، وتفسير ابن كثير ٣٦٧/١، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣٤٢/١.

(١) انظر خبر نزول عيسى آخر الزمان وحكمه بالشريعة الإسلامية في البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم ٤٩٠/٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ١٣٥/١ .

(٢) انظر: فتح الباري ٤٩١/٦، ٤٩٢، ٤١٤/٤، ١٢١/٥، وشرح النووي ١٩٠/٢ .

محرف أو خلط فيه الحق بالباطل. (١)

ومن المعلوم أن النصارى يقسمون الكتب إلى قسمين:

١ - كتب العهد القديم. (٢)

٢ - كتب العهد الجديد. (٣)

أما كتب العهد القديم فقد تقدم إثبات وقوع التحريف فيها بالأدلة العقلية

والنقلية. (٤)

وأما كتب العهد الجديد فلا شك أن القول بالتحريف في كتب العهد الجديد عند النصارى أيسر عليهم من القول بالتحريف في العهد القديم؛ لأنهم لا يدعون أن الأنجيل منزلة من عند الله تعالى على المسيح، ولا أن المسيح عليه السلام

(١) أما إثبات نسخ الشريعة الإسلامية لجميع الشرائع السابقة، فقد قدمت عليه الأدلة العقلية والنقلية في المطلب الأول من حكمة القول مع اليهود، فأغنى ذلك عن إعادته هنا. انظر: ص ٣٦٤ .

(٢) كتب العهد القديم هي ما يدعي النصارى أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى، وأشهر هذه الكتب خمسة: ١ - سفر التكوين. ٢ - سفر الخروج. ٣ - سفر الأضبار. ٤ - سفر العدد. ٥ - سفر الاستثناء. ومجموع هذه الكتب يسمى بالتوراة. انظر: إظهار الحق، لرحمة الله

الهندي ٩٨-٩٥/١ .

(٣) كتب العهد الجديد هي ما يدعي النصارى أنها كتبت بإلهام بعد عيسى عليه الصلاة والسلام، وأشهرها الأنجيل الأربعة: ١ - إنجيل متى. ٢ - إنجيل مرقس. ٣ - إنجيل لوقا. ٤ - إنجيل يوحنا. انظر: إظهار الحق ٩٨-٩٥/١ .

(٤) انظر حكمة القول مع اليهود : المسلك الثاني من المطلب الأول، ص ٣٧٢.

اتمام بها، بل كلهم مجمعون على أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال في
أزمان مختلفة(١)، ولهذا قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "الإنجيل بمنزلة ما
ينقل من أقوال الأنبياء وسيرهم، ويقع في ذلك المصح والخطا".(٢)

ولسعة هذا الموضوع سأقتصر على ما يثبت وقوع التحريف في الأناجيل بالأمثلة

التالية:

١ - النتيجة التي لا مفر من التسليم بها أن الأناجيل القانونية الموجودة
الآن ما هي إلا كتب مؤلفة، وهي تبعا لذلك معرضة للخطأ والصواب، ولا يمكن
الادعاء ولو لحظة أنها كتبت بإلهام؛ فلقد كتبها أناس مجهولون، في أماكن غير
معلومة، وفي تواريخ غير مؤكدة، والشئ المؤكد أن هذه الأناجيل مختلفة غير
متألفة، بل إنها متناقضة مع نفسها، ومع حقائق العالم الخارجي، لأنها فشلت في
تنبؤات كثيرة، كالقول بنهاية العالم، وهذا القول قد يضايق النصراني العادي،
بل قد يصدمه؛ ولكن بالنسبة للعالم النصراني فقد أصبح ذلك عنده حقيقة مسلم
بها(٣)، لما أجراه من أبحاث، ولما علمه من واقع الأناجيل.

٢ - الشواهد على التحريف من الأناجيل :

١ - جاء في إنجيل مرقس: أن المسيح قال لتلاميذه: "اذهبوا إلى العالم

(١) انظر: الفصل لابن حزم ١٢/٢، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١٩/٢،

والمناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٤٧ .

(٢) انظر: الجواب الصحيح ١٩/٢ .

(٣) انظر: المناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٢٥-٥٠، فهناك تجد كثيرا من

الأمثلة على هذه التناقضات.

أجمع، واکرزوا بالإنجيل للطليقة كلها، من آمن واعتمد خطن، ومن لم يؤمن يدين، وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي، ويتكلمون بالسنة جديدة، يحملون حيات، وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرءون". (١)

ففي هذا النص حجة على النصارى من وجهين: الوجه الأول: قولهم عن عيسى: إنه أمرهم أن يبشروا بالإنجيل، فدل ذلك على أن إنجيلاً أتاهم به وليس هو عندهم الآن، وإنما عندهم أربعة أنجيل متغايرة، وليس منها إنجيل ألف إلا بعد رفع عيسى عليه الصلاة والسلام بأعوام كثيرة، فصح أن ذلك الإنجيل الذي أخبر المسيح أنه أتاهم به وأمرهم بالتبشير به ذهب عنهم؛ لأنهم لا يعرفون له أصلاً، وهذا لا يمكن سواه.

الوجه الثاني: قولهم؛ إنه وعد كل من آمن بدعوة التلاميذ أنهم يتكلمون بلغات لا يعرفونها، وينفون الجن عن المجانين، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرءون، ويحملون الحيات، وإن شربوا شربة قتالة لا تضرهم، وهذا وعد - منسوب إلى عيسى - عليه الصلاة والسلام - ظاهر الكذب؛ فإن ما من النصارى أحد يتكلم بلغة لم يتعلمها، ولا منهم أحد ينفي جنياً، ولا من يحمل حية فلا تضره، ولا من يضع يده على مريض فيشفى، ولا منهم أحد يسقى السم فلا يضره، وهم معترفون بأن يوحنا - صاحب الإنجيل - قُتِلَ بالسم وحاشا لله أن يأتي نبي بمواعيد كاذبة، وهذا دليل على تحريف النصارى وتناقضهم وتكذيبهم أنفسهم". (٢)

(١) انظر: الفصل لابن حزم ١٣٩/٢، وعزاه المحقق إلى انجيل مرقس، الاصحاح

. ١٨-١٥/١٦

(٢) انظر: الفصل لابن حزم ١٣٩/٢ .

ب - ومن ذلك ما جاء في إنجيل متى أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - دعا على شجرة تين خضراء، فبست التينة في الحال، فتعجب التلاميذ من ذلك، فقال لهم عيسى: "الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان، ولا تشكوا أمر التينة فقط، بل إن قلمت أيضا لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر فيكون". (١)

وهذا فيه حجة على النصارى، وذلك أن الأمر لا يخلو من أن يكون النصارى مؤمنين بالمسيح عليه الصلاة والسلام، أو غير مؤمنين، فإن كانوا مؤمنين، فقد كذبوا المسيح فيما نسبوه إليه في هذه المقالة - وحاشا له من الكذب - فليس منهم أحد قدر على أن يأمر حبة من خردل بالانتقال فتنتقل، فكيف على قلع جبل والقائه في البحر!

وإن كانوا غير مؤمنين به فهم بإقرارهم هذا كفار، ولا يجوز أن يصدق كافر. (٢)

وبهذا يتبين أن الأناجيل وقع فيها تحريف عظيم، ولا يعتمد عليها، ولا مخرج من هذا التيه إلا بالدخول في الإسلام.

(١) انظر: الفصل لابن حزم ١٣٩/٢، وعزاه المحقق إلى إنجيل متى، الإصحاح

. ٢٢-١٨/٢١

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم،

الإمام الحافظ، ولد سنة ٢٨٤هـ وتوفي سنة ٤٥٦هـ ٩٨/٢ .

وانظر: الفصل لابن حزم ١٤/٢-٢٠٠، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية

ص ٤٥٢-٣٢ .

المطلب الخامس: إثبات اعتراف المنصفين من علماء النصارى:

من حكمة القول مع النصارى في دعوتهم إلى الله الاستشهاد عليهم بشهادة المنصفين من علماء النصارى، ومن وفقه الله منهم للإسلام، فإن هذا من باب (وشهد شاهد من أهلها) (١)، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي :

١ - النجاشي ملك الحبشة رحمه الله ورضي عنه (٢):

عندما قرأ جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - على النجاشي صدرا من سورة مريم، بكى النجاشي حتى اخضلت لصيته، وبكى أساقفته حين سمعوا ما تلي عليهم، وقال النجاشي للوفد: ما يقول صاحبكم في ابن مريم؟ فقال جعفر رضي الله عنه: يقول فيه قول الله: هو روح الله، وكلمته، أخرجه من البتول العذراء التي لم يقربها بشر... فتناول النجاشي عودا فرفعه، فقال: يا معشر القسيسين والرهبان، ما يزيد على ما تقولون في ابن مريم ما تزن هذه، وقال للوفد: مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، فانا أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعله... (٣)

(١) سورة يوسف، الآية ٢٦ .

(٢) أصحمة ملك الحبشة، أسلم وحسن إسلامه، وهو معدود في الصحابة ، ولم يهاجر،

ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، صحابي من وجه، توفي في حياة النبي - صلى

الله عليه وسلم - فعلى عليه بالناس صلاة الغائب، ولم يثبت أنه صلى على

غائب سواه. انظر: سير أعلام النبلاء ٤٢٨/١-٤٤٣ .

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ٤٢٨/١ .

٢ - سلمان الفارسي رضي الله عنه وأرضاه :

قصة سلمان مشهورة عجيبه (١)، فقد عاش مع مجموعة من علماء النصارى، وعندما كان مع آخر عالم من هؤلاء بعمورية بالروم حضرته الوفاة، فأوصى سلمان الفارسي وقال: "قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل، وإن فيه علامات لا تخفى، بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، فإن استطعت أن تخصص إلى تلك البلاد فافعل، فإنه قد أظلك زمانه".

وسافر سلمان ووجد العلامات التي وصفت له فأسلم رضي الله عنه. (٢)

٣ - هرقل عظيم الروم :

قال هرقل لأبي سفيان في آخر حديثه: "... وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بم يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالملاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أنني أعلم أنني أضل إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه..". (٣)

ثم قال للروم بعد ذلك: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت

ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ (٤) ولكن رغب في ملكه ووطن به، فلم يسلم!

(١) انظر قصته وإسلامه رضي الله عنه في سير أعلام النبلاء ١/٥٠٥-٥٥٦ .

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١/٥٠٩، ٥١٠ .

(٣) انظر: البخاري مع الفتح ١/٣٢، ومسلم ٣/١٣٩٦، وتقدم تخريجه .

(٤) انظر: البخاري مع الفتح ١/٣٢ .

وهذا مما يبين أن عدول أهل الكتاب ومنصفهم قد شهدوا لرسول الله - صلى
الله عليه وسلم - وأنه رسول الله حقاً، فلا يقدر قبح المكذبين بعد ذلك. (١)
وقد أسلم الجم الغفير من علماء النصارى وشهدوا بأن محمداً - صلى الله
عليه وسلم - رسول الله إلى الناس أجمعين، (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا
وأنهم لا يستكبرون). (٢)
فحري بجميع النصارى أن يسيروا على طريق علمائهم المنصفين، ويسلموا لله
رب العالمين. (٣)

(١) انظر: هداية الحيارى لابن القيم ص ٥٢٥ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٨٢ .

(٣) ممن سلك هذا المسلك من العلماء المعاصرين: فضيلة الشيخ / عبدالمجيد
الزنداني وفقه الله وحفظه، فهو يستشهد على النصارى بشهادة علمائهم،
فأسلم على يديه الجم الغفير فجزاه الله خيراً.

المطلب الثالث : البراهين والبيّنات على إثبات الرسالة المحمدية وعمومها:

من أعظم الأقوال الحكيمة في دعوة أهل الكتاب وغيرهم من الكفار أن تبين لهم البراهين والأدلة القطعية الدالة على صدق رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى الناس أجمعين:

ولا شك أن الآيات والبيّنات الدالة على نبوته - صلى الله عليه وسلم - وعموم رسالته كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، وجميع الأنواع تنحصر في نوعين :

أ - منها: ما مضى وصار معلوما بالخبر الصادق كمعجزات موسى وعيسى.

ب - ومنها: ما هو باق إلى اليوم كالقرآن، والعلم والإيمان اللذين في أتباعه، فإن ذلك من أعلام نبوته، وكشريعته التي أتى بها، والآيات التي يظهرها الله وقتا بعد وقت من كرامات الصالحين من أمته، وظهور دينه بالحجة والبرهان، وصفاته الموجودة في كتب الأنبياء قبله وغير ذلك (١)، وهذا باب واسع لا أستطيع حصره؛ ولكن سأقتصر في إثبات نبوته - صلى الله عليه وسلم - وعموم رسالته على المسالك الآتية :

المسلك الأول : معجزات القرآن العظيم .

المسلك الثاني: معجزاته - صلى الله عليه وسلم - الحسية .

المسلك الثالث: عموم رسالته صلى الله عليه وسلم .

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٦٧/٤-٧١ .

المسلك الأول : معجزات القرآن العظيم :

المعجزة لغة : ما أُعْجِرَ به الخصم عند التحدي. (١)

وهي أمر خارق للعادة يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الاتيان بمثله،

يجعله الله على يد من يختاره لنبوته؛ ليدل على صدقه وصحة رسالته. (٢)

والقرآن الكريم كلام الله المنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - هو

المعجزة العظمى، الباقية على مرور الدهور والأزمان، المعجز للأولين والآخرين

إلى قيام الساعة (٣)، قال عليه الصلاة والسلام: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من

الآيات على ما مثله آمن البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي،

فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة". (٤)

وليس المراد في هذا الحديث حصر معجزاته - صلى الله عليه وسلم - في

القرآن، ولا أنه لم يؤت من المعجزات الحسية كمن تقدمه، بل المراد أن القرآن

المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره؛ لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به،

(١) انظر: القاموس المحيط، باب الزاي، فصل العين، ص ٦٦٢ .

(٢) انظر: منامل العرفان في علوم القرآن للزرقاني، ٦٦/١، والمعجم الوسيط

مادة : عجز، ٥٨٥/٢، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للدكتور صالح الفوزان

. ١٥٧/٢

(٣) انظر: الداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٢٩٢ .

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي ٣/٩، ومسلم،

كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم

- إلى جميع الناس ١٢٤/١ .

تحدى بها من أرسل إليهم، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه، ولهذا لما كان السحر فاشيا في قوم فرعون جاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة، لكنها تلقف ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه لغيره، ولما كان الأطباء في غاية الظهور جاء عيسى بما حير الأطباء، من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والابرس، وكل ذلك من جنس عملهم، ولكن لم تصل إليه قدرتهم.

ولما كانت العرب أرباب الفصاحة والبلاغة والخطابة جعل الله سبحانه معجزة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - القرآن الكريم الذي (١) (لاياتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد). (٢)

ولكن معجزة القرآن تتميز عن سائر المعجزات؛ لأنه حجة مستمرة، باقية على مر العصور، والبراهين التي كانت للأنبياء انقضى زمانها في حياتهم ولم يبق منها إلا الخبر عنها، أما القرآن فما يزال حجة قائمة كأنما يسمعها السامع من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا استمرار هذه الحجة البالغة قال عليه الصلاة والسلام: "فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة". (٣)

والقرآن الكريم آية بيينة، معجزة من وجوه متعددة، من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، والبلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أمر بها، ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته، وغير ذلك من

(١) انظر: فتح الباري ٧، ٦/٩، وشرح النووي على مسلم ١٨٨/٢، وأعلام النبوة

للماوردي ص ٥٣، وإظهار الحق ١٠١/٢ .

(٢) سورة فصلت، الآية ٤٢ .

(٣) انظر: البداية والنهاية ٦٩/٦، وتقدم تخريج الحديث .

الوجوه الكثيرة التي ذكر كل عالم ما فتح الله عليه به منها(١)، وسأقتصر على أربعة وجوه من باب المثال لا الحصر بإيجاز كالتالي :

الوجه الأول : الإعجاز البياني والبلاغي :

من الإعجاز القرآني ما اشتمل عليه من البلاغة والبيان، والتركيب المعجز، الذي تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله، فعجزوا عن ذلك، قال تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا). (٢)

وبعد هذا التحدي انقطعوا فلم يتقدم أحد، فمد لهم في الحبل وتحداهم بعشر سور مثله: (أم يقولون افترنه قل فاتوا بعشر سور مثله مفترية وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صدقين)(٣)، فعجزوا فأرض لهم في الحبل، قال تعالى: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صدقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين). (٤)

فقوله تعالى: (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) أي: فإن لم تفعلوا في الماضي،

(١) انظر: الجواب الصحيح ٧٥،٧٤/٤، وأعلام النبوة للماوردي من ٥٣-٧٠، والبداية والنهاية ٦٥،٥٤/٦، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ٩٠/٢-١٢٤، ومناهل العرفان للزرقاني ٣٠٨-٢٢٧/٢ .

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٨، وانظر: سورة الطور، الآية ٢٣، ٢٤ .

(٣) سورة هود، الآية ١٣ .

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٣، ٢٤، وانظر: سورة يونس، الآية ٢٨ .

ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، فشبت التحدي، وأنهم لا يستطيعون أن يأتوا بسورة من مثله فيما يستقبل من الزمان، وهذا التحدي لجميع الخلق، وقد سمعه كل من سمع القرآن، وعرفه الخاص والعام، وعلم مع ذلك أنهم لم يعارضوه، ولا أتوا بسورة مثله من حين بُعث - صلى الله عليه وسلم - إلى اليوم والأمر على ذلك. (١)

الوجه الثاني : الإخبار عن الغيوب :

من وجوه الإعجاز القرآني أنه اشتمل على أخبار كثيرة من الغيوب التي لا علم لمحمد - صلى الله عليه وسلم - بها، ولا سبيل لبشر مثله أن يعلمها، وهذا مما يدل على أن القرآن كلام الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية: (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمت الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتب مبين): (٢)

والإخبار بالغيوب أنواع :

- النوع الأول : غيوب الماضي، وتتمثل في القمص الرائعة وجميع ما أخبر الله به عن ماضي الأزمان.

- النوع الثاني: غيوب الحاضر: أخبر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - بغيوب حاضرة، ككشف أسرار المنافقين، والأخطاء التي وقع فيها بعض المسلمين، أو غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله، وأطلع عليه رسوله صلى الله عليه وسلم.

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٧٧-٧١/٤، والبداية والنهاية ٦٥/٦، وانظر: استخراج الجدل من القرآن الكريم لابن نجم ص١٠٠، وفتح الباري ٥٨٢/٦، ومناهل العرفان للزرقاني ٣٣٦/١، ٢٣١/١، ٢٣٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٥٩ .

- النوع الثالث: غيوب المستقبل، أخبر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم -
- بأمور لم تقع، ثم وقعت كما أخبر، فدل ذلك على أن القرآن كلام الله، وأن
محمدًا - صلى الله عليه وسلم - رسول الله. (١)

الوجه الثالث : الإعجاز التشريعي :

القرآن العظيم جاء بهدایات كاملة تامة، تفي بحاجات جميع البشر في كل
زمان ومكان، لأن الذي أنزله هو العليم بكل شيء، خالق البشرية والخبير بما
يصلحها ويفسدها، وما ينفعها ويضرها، فإذا شرع أمرًا جاء في أعلى درجات
الحكمة والخبرة (إلا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير). (٢)

ويزداد الوضوح عند التأمل في أحوال الأنظمة والقوانين البشرية التي يظهر
عجزها عن معالجة المشكلات البشرية ومسيرة الأوضاع والأزمات والأحوال، مما يضطر
أصحابها إلى الاستمرار في التعديل والزيادة والنقص، فيلغون غدا ما وضعوه
اليوم؛ لأن الإنسان محل النقص والخطأ، والجهل لأعمق النفس البشرية، والجهل
بما يحدث غدا في أوضاع الإنسان وأحواله وفيما يصلح البشرية في كل عصر ومصر.

وهذا دليل حسي مشاهد على عجز جميع البشر عن الإتيان بأنظمة تصلح الخلق
وتقوم أخلاقهم، وعلى أن القرآن كلام الله سليم من كل عيب، كفيل برعاية مصالح
العباد، وهدايتهم إلى ما يصلح أحوالهم في الدنيا والآخرة إذا تمسكوا به

(١) انظر: الداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٤٢٤-٤٢٨، وإظهار الحق ٦٥-١٠٧، ومناهل

العرفان ٢٦٣/٢، ومعالم الدعوة للدليمي (١/٤٦٣).

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بأمور غيبية كثير جدا. انظر: جامع

الأصول لابن الأثير ١١/٣١١-٣٣١.

(٢) سورة الملك، الآية ١٤.

وامتدوا بهديه (١)، قال تعالى : (ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصلح ان لهم اجرا كبيرا). (٢)

فالقُرآن الكريم حل جميع المشاكل العالمية التي عجز عنها البشر، ولم يترك جانبا من الجوانب التي يحتاجها البشر في الدنيا والآخرة إلا وضع لها القواعد، وهدى إليها بأقوم الطرق وأعدلها. (٥)

الوجه الرابع : الإعجاز العلمي الحديث :

يتصل بما ذكر من إعجاز القرآن في إخباره عن الأمور الغيبية المستقبلية نوع جديد كشف عنه العلم في العصر الحديث، مصدقا لقوله تعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد). (٦)

لقد تحقق هذا الوعد من ربنا في الأزمنة المتأخرة، فرأى الناس آيات اللد في آفاق المخلوقات بأدق الأجهزة والوسائل، كالطائرات، والغوامات، وغير ذلك من أدق الأجهزة الحديثة التي لم يمتلكها الإنسان إلا في العصر الحديث .. فمن أخبر محمدا - صلى الله عليه وسلم - بهذه الأمور الغيبية قبل ألف وأربعمائة وعشرة أعوام؟ إن هذا يدل على أن القرآن كلام الله، وأن محمدا رسول الله حقا.

(١) انظر: مناهل العرفان للزرقاني ٢/٢٤٧، وأثر تطبيق الحدود في المجتمع الإسلامي، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ص ١١٧، ومعالم الدعوة للدليمي ١/٤٢٦ .

(٢) سورة الإسراء، الآية ٩ .

(٥) انظر: أضواء البيان ٣/٤٠٩-٤٥٧، فقد أوضح هذا الجانب بالأدلة العقلية والنقلية جزاء الله خيرا.

(٦) سورة فصلت، الآية ٥٢ .

وقد اكتشف هذا الإعجاز العلمي في الأرض وفي السماء، في البحار والقفار، في الإنسان والحيوان، والنبات، والأشجار، والحشرات، وغير ذلك، ولا يتسع المقام لذكر الأمثلة العديدة على ذلك. (١)

المسلك الثاني : معجزات النبي - صلى الله عليه وسلم - الحسية :

معجزات النبي - صلى الله عليه وسلم - الحسية الخارقة للعادة كثيرة جدا (٢)، لا أستطيع حصرها، وسأقتصر بـإيجاز على ذكر تسعة أنواع منها على سبيل المثال، كالآتي :

النوع الأول : المعجزات العلوية، ومنها :

١ - انشقاق القمر :

وهذه من أمهات معجزاته - صلى الله عليه وسلم - الدالة على صدقه، فقد سأل أهل مكة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا جبل حراء بينهما (٣)، قال تعالى: (اقتربت الساعة وانشق القمر

(١) انظر أمثلة كثيرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢/٢٧٨-٢٨٤، وكتاب الإيمان، لعبدالمجيد الزنداني من ٥٥-٥٩، وكتاب التوحيد للزنداني أيضا ١/٧٤-٧٧ .

(٢) قال ابن تيمية رحمه الله: "قد جمعت نحو ألف معجزة". انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية عن ١٥٨ .

ومعجزاته - صلى الله عليه وسلم - تزيد على ألف ومائتين، وقيل: ثلاثة آلاف معجزة. انظر: فتح الباري ٦/٥٨٢ .

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر ٧/١٨٢، ٦/٦٣١، ٨/٦١٧، ومسلم، صفات المنافقين، باب انشقاق القمر، ٤/٢١٥٩ .

. وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ..) الآيات. (١)

٢ - موعده - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء والمعراج إلى ما فوق

السموات :

وهذا ما أخبر به القرآن، وتواترت به الأحاديث، قال تعالى: (سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بُرُكْنَا حَوْلَهُ لِلرَّحْمٰنِ مِنَّا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). (٢)

وهذه الآية من أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم، فإنه أُسْرِيَ به إلى بيت المقدس، وقطع المسافة في زمن قصير، ثم عُرِجَ به إلى السموات، ثم صعد إلى مكان يسمع فيه صريف الأقلام، ورأى الجنة، وفرضت عليه الملوات، ورجع إلى مكة قبل أن يصبح، فكذبتة قريش، وطلبوا منه علامات تدل على صدقه، ومن ذلك علامات بيت المقدس، لعلمهم بأنه - صلى الله عليه وسلم - لم ير بيت المقدس قبل ذلك، فجلى الله له بيت المقدس ينظر إليه ويخبرهم بعلاماته وما سألوا عنه. (٣)

وغير ذلك من الآيات العلوية، كحراسة السماء بالشهب عند بعثته صلى الله عليه وسلم.

النوع الثاني : آيات الجو :

١ - من هذه المعجزات طاعة السحاب له صلى الله عليه وسلم - بإذن الله

(١) سورة القمر، الآيات ١-٣ .

(٢) سورة الإسراء، الآية ١ .

(٣) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء ١٩٦/٧،

ومسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال ١٥٦/١ .

تعالى - في حصوله ونزول المطر وذمابه بدعائه صلى الله عليه وسلم. (١)
٢ - ومن هذا النوع نصر الله للنبي - صلى الله عليه وسلم - بالرياح التي
قال تعالى عنها: (إذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها)(٢)،
وهذه الرياح هي ريح الصبا، أرسلها على الأحزاب، قال عليه الصلاة والسلام: "نصرت
بالصبا، وأهلكت عاد بالديبور"(٣)، وغير ذلك.

النوع الثالث : تصرفه في الحيوان: الإنس، والجن والبهائم :

وهذا باب واسع، منه على سبيل المثال :

١ - تصرفه في الإنس :

١ - كان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يشتكي عينيه من وجع بهما،
فبصق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيهما ودعا له فبرأ، كأن لم يكن به
وجع. (٤)

٢ - انكسرت ساق عبدالله بن عتيك - رضي الله عنه - فمسحها رسول الله صلى
الله عليه وسلم، فكأنها لم تنكسر قط. (٥)
٣ - أصيب سلمة بن الأكوع بضربة في ساقه يوم خيبر، فنفت فيها رسول الله -

(١) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم

الجمعة ٤١٣/٢، ومسلم، كتاب الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء ٦١٤/٢ .

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٩ .

(٣) مسلم، كتاب الاستسقاء، باب التعود عند رؤية الرياح والغيم والفرح بالمطر

. ٦١٦/١

(٤) انظر: البخاري، كتاب الجهاد، باب فضل من أسلم على يديه رجل ١٤٤/٦،

ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي رضي الله عنه ١٨٧٢/٤ .

(٥) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع ٣٤٠/٧ .

صلى الله عليه وسلم - ثلاث نفثات، فما اشتكاهما سلمة بعد ذلك. (١)

ب - تصرفه في الجن والشياطين :

١ - كان - صلى الله عليه وسلم - يخرج الجن من الإنس بمجرد المخاطبة

فيقول: "أخرج عدو الله أنا رسول الله". (٢)

٢ - أخرج الشيطان من صدر عثمان بن أبي العاص، فضرب صدر عثمان بيده ثلاث

مرات وتفل في فمه وقال: "أخرج عدو الله" فعل ذلك ثلاث مرات، فلم يخالط عثمان

الشيطان بعد ذلك. (٣)

ج - تصرفه في البهائم :

وقد حصل له مرارا، ومن ذلك أنه جاء بعير فسجد للنسبي صلى الله عليه

وسلم، فقال أصحابه: يا رسول الله! تسجد لك البهائم والشجر، فنحن أحق أن

نسجد لك، فقال عليه الصلاة والسلام: "اعبدوا ربكم، وأكرموا أباكم، ولو كنت

أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها...". (٤)

النوع الرابع : تأثيره في الأشجار والثمار والخشب :

١ - تأثيره في الأشجار :

١ - جاء أعرابي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في سفر فدعاه

(١) انظر: المرجع السابق، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٤٧٥/٧ .

(٢) مسند أحمد ١٧٠/٤-١٧٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٩: رجال أحمد

رجال الصحيح.

(٣) ابن ماجه بسند حسن ١١٧٤/٢، وانظر: صحيح ابن ماجه ٢٧٣/٢ .

(٤) أحمد ٧٦/٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٩: إسناده جيد، وانظر:

معجزات من هذا النوع مسند الإمام أحمد ١٧٠/٤-١٧٢، ومجمع الزوائد للهيتمي

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الإسلام، فقال الأعرابي: ومن يشهد لك على ما تقول؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذه السلمة" (١)، فدعاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تخذ (٢) الأرض خدا حتى قامت بين يديه، فأشهدها ثلاثاً، فشهدت ثلاثاً أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها. (٣)

٢ - أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقضي حاجته وهو في سفر، فلم يجد ما يستتر به، فأخذ بغصن شجرة وقال: "انقادي علي بإذن الله"، فانقادت معه كالبعير المخشوم (٤) حتى أتى الشجرة الأخرى ففعل وقال كذلك، ثم أمرهما أن تلتئما عليه فالتأمتا، ثم بعد قضاء الحاجة رجعت كل شجرة، وقامت كل واحدة منهما على ساق... (٥)

(١) شجرة من شجر البادية. انظر: المصباح المنير، مادة (سلم) (٢٨٦/١)، ومختار الصحاح (سلم) ص ١٣١ .

(٢) أي : تشققها أخدوداً. انظر: المصباح المنير، مادة (خذ) (١٦٥/١)، ومختار الصحاح مادة (خذ) ص ٧٢ .

(٣) الدارمي، في المقدمة، باب ما أكرم الله نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن (١٧/١)، وإسناده صحيح، وانظر: مشكاة المصابيح برقم ٥٩٢٥، ١٦٦٦/٣.

(٤) الذي جعل في أنفه عوداً، ويشد فيه حبل ليدل وينقاد إذا كان صعباً. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٤٦/١٨ .

(٥) انظر: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر ٢٣٠٦/٤ .

ب - تأثيره في الثمار :

جاء أعرابي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: بم أعرف أنك نبي؟ قال: "إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أنني رسول الله؟" فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: "ارجع"، فعاد، فأسلم الأعرابي. (١)

ج - تأثيره في الخشب :

كان - صلى الله عليه وسلم - يخطب في المدينة يوم الجمعة على جذع نخلة، فلما صنع له المنبر ورقى عليه صاح الجذع صياح الصبي (٢)، وخار كما تخور البقرة، جزعا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فالتزمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وضمه إليه وهو يئن، ومسحه حتى سكن. (٣)

النوع الخامس : تأثيره في الجبال والأحجار وتصرفه فيها وتسخيرها له :

١ - تأثيره في الجبال :

معد النبي - صلى الله عليه وسلم - أحدا، ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم، فضربه - صلى الله عليه وسلم - برجله، وقال: "اثبت أحد، فإن عليك نبي، وصديق، وشهيدان". (٤)

(١) الترمذي، كتاب المناقب، باب حدثنا عباد ٥٩٤/٥، وأحمد ١٢٢/١، والحاكم

ومصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي ٦٢٠/٢ .

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦٠٢/٦ .

(٣) أحمد في المسند ١٠٩/٢ .

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله صلى الله عليه وسلم:

لو كنت متخذًا خليلاً .. ٤٠، ٢٢/٧، ٥٢/٧ .

ب - تأثيره في الحجارة :

وقال صلى الله عليه وسلم: "إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن". (١)

ج - تأثيره في تراب الأرض :

عندما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في معركة حنين، واشتد القتال، نزل عن بغلته وقبض قبضة من تراب الأرض، واستقبل به وجوه القوم، فقال: "شاهت الوجوه"، فما خلق الله إنسانا منهم إلا ملاً عينيه من تلك القبضة، فهزمهم الله وقسم غنائمهم بين المسلمين. (٢)

النوع السادس: تفجير الماء بين أصابعه، وزيادة الطعام والشراب والثمار:

١ - نبع الماء وزيادة الشراب :

هذا النوع حصل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرات كثيرة جداً (٣)، ومن ذلك:

١ - عطش الناس في الحديبية، فوضع يده - صلى الله عليه وسلم - في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كالعيون، فشربوا وتوضؤوا، قيل لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة. (٤)

(١) مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ١٧٨٢/٤ .

(٢) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين ١٤٠٢/٣ .

(٣) انظر: البخاري مع الفتح ٥٨٠/٦، من حديث ٣٥٧١-٣٥٧٧، ومسلم ٤٧١/١-٤٧٧، وجامع الأصول لابن الأثير ٣٣٤/١١-٣٥١ .

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة ٥٨١/٦، ٤٤٣، ٤٤١/٧،

١٠١/١٠، ومسلم، الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادته

القتال ١٤٨٤/٣ .

٢ - قدم - صلى الله عليه وسلم - تبوك، فوجد عينها كشارك النعل، ففُرف له منها قليلا قليلا، حتى اجتمع له شيء قليل، فغسل فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر، وبقيت العين إلى الآن. (١)

٣ - قمة أبي هريرة - رضي الله عنه - وقدح اللبن، وزيادة لبن القدح حتى شرب منه أضياف الإسلام. (٢)

ب - زيادة الطعام وتكثيره لما جعل الله فيه - صلى الله عليه وسلم - من البركة :

١ - كان النبي - صلى الله عليه وسلم - في ألف وأربعمائة من أصحابه في غزوة، فأصابهم مشقة، فأمر - صلى الله عليه وسلم - أن يجمعوا ما معهم من طعام وبسطوا سفرة، وكان الطعام شيئا يسيرا فبارك فيه، وأكلوا، وحشوا أوعيتهم من ذلك الطعام. (٣)

٢ - بقي الصحابة والنبي - صلى الله عليه وسلم - في غزوة الخندق ثلاثة أيام لا يذوقون طعاما، فذبح جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - عناقا، وطحنت زوجته صاعا من شعير، ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم، فصاح النبي - صلى الله عليه وسلم - بأهل الخندق يدعومهم على هذا الطعام اليسير، ثم جاء النبي - صلى الله عليه وسلم - وبمق في العجين وبارك، وبمق في البرمة وبارك، قال

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب معجزات النبي صلى الله عليه وسلم . ١٧٨٤/٤ .

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وتخليهم عن الدنيا (١١/٢٨١) .

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب حمل الزاد في الغزو ١٢٩/٦، ومسلم، اللقطة، باب استحباب خلط الأزواد إذا قلت ١٣٥٤/٣ .

جابر رضي الله عنهما: وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا،

وإن برمتنا لتغظ كما هي(١)، وإن عجيننا ليخبز كما هو.(٢)

وهذا باب واسع لا يمكن حصره.

ج - زيادة الثمار والحبوب :

١ - جاء رجل يستطعم النبي - صلى الله عليه وسلم - فأطعمه شطر وسق شعير،

فما زال الرجل يأكل منه وأهله حتى كاله، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم -

فقال: "لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم".(٣)

٢ - كان على والد جابر دين، وما في نخله لا يقضي ما عليه سنين، فجاء

جابر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليحضر الكيل، فحضر، ومشى حول

الجرن، ثم أمر جابرا أن يكيل فكال لهم حتى أوفاهم، قال جابر رضي الله عنه:

"وبقي تمرى وكأنه لم ينقص منه شيء".(٤)

النوع السابع : تأييد الله له بالملائكة :

أيد الله رسوله بالملائكة في عدة مواضع، نصرته له ولدينه، منها على سبيل

المثال:

١ - في الهجرة: (... فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل

(١) أي: تغلي ويسمع غليانها. انظر: الفتح ٣٩٩/٧ .

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، ٣٩٥/٧، ٣٩٦، ومسلم،

كتاب الأشرب، باب جواز استتباع غيره ١٦١٠/٣ .

(٣) مسلم، كتاب الفضائل، باب معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ١٧٨٤/٤ .

(٤) البخاري مع الفتح، المناقب، باب علامات النبوة ٥٨٧/٦، ٢٥٧/٧، وانظر شرح

روايات الحديث في الفتح ٥٩٣/٦ .

كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا). (١)

٢ - في بدر: (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى معدكم بألف من الملائكة

مردفين). (٢)

٣ - في أحد، قاتل جبريل وميكائيل - عليهما السلام - عن يمين النبي - صلى

الله عليه وسلم - وعن يساره. (٣)

٤ - في الخندق: (... إذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريحا وجنودا لم

تروها) الآية. (٤)

٥ - في غزوة بني قريظة: جاء جبريل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -

بعد أن وضع السلاح من غزوة الخندق واغتسل، فقال له جبريل: قد وضعت السلاح؟

والله ما وضعناه فاخرج إليهم، فسأله النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "إلى

أين؟" فأشار إلى بني قريظة، فخرج صلى الله عليه وسلم، ونصره الله عليهم. (٥)

٦ - في حنين: (... وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء

الكافرين). (٦)

(١) سورة التوبة، الآية ٤٠ . (٢) سورة الأنفال، الآية ٩، ١٠ .

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب: إذ همت طائفتان.. ٢٥٨/٧، ومسلم

في كتاب الفضائل، باب قتال جبريل وميكائيل عن النبي - صلى الله عليه

وسلم - يوم أحد ١٨٠٢/٤ .

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٩ .

(٥) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب مرجع النبي - صلى الله عليه وسلم

- من الأحزاب ٤٠٧/٧، ومسلم، كتاب الجهاد، باب جواز قتال من نقض العهد

. ١٣٨٩/٣

(٦) سورة التوبة، الآية ٢٦ .

النوع الثامن : كفاية الله له أعداءه وعمته من الناس :

هذا النوع من أعظم الآيات الدالة على صدق رسالة محمد صلى الله عليه

وسلم، ومن ذلك:

١ - كفاه الله تعالى المشركين والمستهزئين، فلم يصلوا إليه بسوء، قال

تعالى: (فامدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيئنا المستهزئين...). (١)

٢ - كفاه الله أهل الكتاب، قال تعالى: (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به

فقد آمنتموا، وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكمهم الله وهو السميع

العليم). (٢)

٣ - وعممه تعالى من جميع الناس بقوله: (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك

من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس). (٣)

وهذا خبر عام بأن الله يعصمه من جميع الناس، فكل من هذه الأخبار الثلاثة

قد وقع كما أخبر الله تعالى، فقد كفاه الله أعداءه بأنواع عجيبه خارجة عن

العادة المعروفة، ونصره مع كثرة أعدائه وقوتهم وغلبيتهم، وانتقم ممن عاداه.

ومن ذلك أن رجلا نصرانيا أسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي

- صلى الله عليه وسلم - ثم ارتد وعاد نصرانيا، فكان يقول: ما يدري محمد إلا

ما كتبت له، فأماته الله، فدفنه قومه، فأصبح وقد أخرجته الأرض من بطنها،

(١) سورة الحجر، الآية ٩٤-٩٦ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٧ .

(٣) سورة المائدة، الآية ٦٧ .

فأعادوا دفننه، وأعمقوا قبره، فأصبح وقد أخرجته الأرض منبوذا على ظهرها،
فأعادوا دفننه وأعمقوا له، فأصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا أن هذا ليس من
الناس فتركوه منبوذا. (١)

النوع التاسع : إجابة دعواته صلى الله عليه وسلم :

الأدعية التي دعا بها النبي - صلى الله عليه وسلم - وشهدت إجابتها
كالشمس في رابعة النهار كثيرة جدا، لا تحصر ولا يتسع المقام لذكر أكثرها،
ولكن منها على سبيل المثال:

١ - قال عليه الصلاة والسلام لأنس رضي الله عنه: "اللهم أكثر ماله وولده،
وبارك له فيما أعطيته(٢)، [وأطل حياته، واغفرله](٣)، قال أنس: فوالله إن
مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليعتادون علي نحو المائة اليوم(٤)،
[وحدثني ابنتي أمينة أنه دُفِنَ لملي مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون
ومائة]. (٥)

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة ٦/٦٢٤، ومسلم، صفات
المنافقين ٤/٢١٤٥، برقم ٢٢٨١ .

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الصيام، باب من زار قوما فلم يفطر عندهم ٤/٢٢٨،
و١١/١٤٤، ومسلم، في فضائل الصحابة، باب فضائل أنس ٤/١٩٢٨ .

(٣) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٥٢، وانظر: فتح الباري ١١/١٤٥، وسير
أعلام النبلاء ٢/٢١٩ .

(٤) مسلم، فضائل الصحابة، باب فضائل أنس ٤/١٩٢٩ .

(٥) البخاري مع الفتح، باب من زار قوما فلم يفطر عندهم ٤/٢٢٨ .

وكان له - رضي الله عنه - بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيها ريحان يجيء منها ريح المسك. (١)

٢ - ودعا - صلى الله عليه وسلم - لأم أبي هريرة بالهداية فهدها الله فوراً، وأسلمت. (٢)

٣ - وقال عليه الصلاة والسلام لعروة بن أبي الجعد البارقى: "اللهم بارك له في سفنة يمينه"، فكان يقف في الكوفة ويربح أربعين ألفاً قبل أن يرجع إلى أهله (٣)، [وكان لو اشترى التراب لربح فيه]. (٤)

٤ - ودعاؤه - صلى الله عليه وسلم - على بعض أعدائه، فلم تتخلف الإجابة، كإبي جهل، وأمّية، وعقبة، وعتبة... (٥)،

٥ - ودعاؤه يوم بدر، ويوم حنين، وعلى سراقبة بن مالك رضي الله عنه، وغيره كثير. (٦)

والمحققة أن العاقل المنصف يقف أمام هذه الدلائل والبيّنات مدعوراً، ولا يسعه إلا أن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

(١) الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أنس ٦٨٣/٥، وانظر: صحيح الترمذي

٢٣٤/٢ .

(٢) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي هريرة ١٩٣٨/٤ .

(٣) أحمد في المسند ٣٧٦/٤ .

(٤) البخاري، كتاب المناقب، باب حدثنا محمد بن المشني ٦٢٢/٦ .

(٥) انظر: البخاري مع الفتح ٢٤٩/١، ومسلم ١٤١٨/٢، وتقدم.

(٦) انظر: دعاءه يوم بدر في صحيح مسلم ١٣٨٤/٣، ويوم حنين في مسلم ١٤٠٢/٣،

وقصة سراقبة في البخاري مع الفتح ٢٢٨/٧، وتقدم تخريج هذه الأحاديث

المسلك الثالث : عموم رسالته صلى الله عليه وسلم :

إن أصل الأصول هو تحقيق الإيمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم،
وأنه رسول الله إلى جميع الخلق: إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، كتابيهم
ومجوسيتهم، رئيسهم ومرؤوسهم، وأنه لا طريق إلى الله عز وجل لأحد من الخلق إلا
بمتابعته - صلى الله عليه وسلم - باطنا وظاهرا، حتى لو أدركه موسى وعيسى،
وغيرهما من الأنبياء عليهم الملة والسلام؛ لوجب عليهم اتباعه، كما قال تعالى:
(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ
لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ ءِمْرًا قَالُوا
أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا ؕ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ . فَمَنْ تولىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الضَّالِّقُونَ). (١)

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق:
لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق
لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به، ولينصرنه". (٢)
ولهذا جاء في الحديث: "لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن
يتبعني". (٣)

(١) سورة آل عمران، الآية ٨١، ٨٢ .

(٢) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ٧٧،
١٩١-٢٠٠، وفتاوى ابن تيمية ١٩/٩-٦٥، بعنوان: إيضاح الدلالة في عموم
الرسالة للشقلين، والجواب الصحيح لمن بذل دين المسيح (١/٣١-١٧٦)، وتفسير
ابن كثير (١/٣٧٨)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/٣٢٤، ومعلم
الدعوة للدليمي (١/٤٥٤-٤٥٦)، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية من ٢٠٢-٢٠٩.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٣٨/٨ .

ومن خالف عموم رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلا يخطو من أحد

أمرين:

١ - أما أن يكون المخالف مؤمنا بأنه مرسل من عند الله؛ ولكنه يقول:

رسالته خاصة بالعرب.

٢ - وأما أن يكون المخالف منكرا للرسالة جملة وتفصيلا.

- فأما المعترف له بالرسالة؛ ولكنه يجعلها خاصة بالعرب فإنه يلزمه أن يصدق في كل ما جاء به عن الله تعالى، ومن ذلك عموم رسالته، ونسخها للشرائع قبلها، فقد بين عليه الصلاة والسلام أنه رسول الله إلى الناس أجمعين، وأرسل رسله، وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي، وسائر ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، ثم قاتل من لم يدخل في الإسلام من المشركين، وقاتل أهل الكتاب، وسبى ذراريهم، وضرب الجزية عليهم، وذلك كله بعد امتناعهم عن الدخول في الإسلام، أما كونه يؤمن برسول ولا يصدق في جميع ما جاء به فهذا تناقض ومكابرة.

- وأما المنكر لرسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - مطلقا، فقد قام البرهان القاطع على صدق صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم، ولا تزال معجزات القرآن تتحدى الإنس والجن، فاما أن يأتي بما يناقض المعجزة القائمة والا لزمه الاعتراف بمحلولها، فإن اعترف بالرسالة لزمه التصديق بكل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم، وإن ذهب يكابر ويعاند ليأتي بقرآن مثل ما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - وقع في العجز وفضح نفسه لا محالة؛ لأن أصحاب الفصاحة والبلاغة قد عجزوا عن ذلك، ولا شك أن غيرهم أعجز عن هذا؛ لأن القرآن

معجزة قائمة مستمرة خالدة. (١)

وحينئذ يلزم جميع الخلق العمل بما فيه والتحاكم إليه. (٢)

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار". (٣)

ويعمون الله تعالى - ثم بهذه المسالك الثلاثة الأنفة الذكر - تقوم الحجة وتثبت رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - وعمومها وشمولها لجميع الثقلين:

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/١٤٤، ١٦٦، ومنهاج الجدل في القرآن الكريم ص ٣٠٣، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للدكتور/ صالح بن فوزان . ١٨٢/٢ .

(٢) انظر الأدلة من الكتاب والسنة على عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة: سورة الأعراف، الآية ١٥٨، وسورة الفرقان، الآية ١، وسورة الأنعام، الآية ١٩، وسورة آل عمران، الآية ٢٠، وسورة الأحزاب، الآية ٤٠، وسورة الأنبياء، الآية ١٠٧، وسورة سبأ، الآية ٢٨ .

والبخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ١/٥٢٢، وكتاب المناقب، باب خاتم النبيين ٦/٥٥٨، ومسلم، كتاب المساجد، ١/٣٧٠، برقم ٥٢١، وكتاب الفضائل، باب ذكر كونه - صلى الله عليه وسلم - خاتم النبيين ٤/١٧٩٠ .

(٣) مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته ١/١٣٤ .

الإنس والجن، في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة: (قد جاءكم بما يري من ربكم
فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ)(١)، (وقل الحق من
ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر... الآية). (٢)

(١) سورة الأنعام، الآية ١٠٤ .

(٢) سورة الكهف، الآية ٢٩ .

المبحث الرابع : حكمة القول مع المسلمين

إن من حكمة القول في الدعوة إلى الله تعالى أن يخاطب الناس على قدر عقولهم وأحوالهم وعقائدهم وأوضاعهم، وليس من الحكمة أن يخاطب المسلم - في توجيهه وإرشاده وحثه على الالتزام والتمسك بدينه - كما يخاطب الملحدين، أو الوثنيين، أو اليهودي، أو النصراني، أو غيرهم من الكفار.

وقد دل كتاب الله على أن مراتب الدعوة - بحسب مراتب البشر - كالآتي:

١ - المستجيب الذكي، القابل للحق، الذي لا يعاند ولا يأباه، وهذا يبين له الحق علما وعملا، فيقبله ويعمل به.

٢ - القابل للحق المعترف به؛ لكن عنده نوع غفلة وتأخر، وله أهواء وشهوات تصده عن اتباع الحق، فهذا يدعى بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل.

٣ - المعاند الجاحد، فهذا يجادل بالتالي هي أحسن. (١)

٤ - فإن ظلم المعاند ولم يرجع إلى الحق انتُقِلَ معه إلى مرتبة استخدام القوة إن أمكن.

واستخدام القوة يكون بالكلام وبالتأديب لمن له سلطة وقوة، وبالجهاد في سبيل الله تعالى تحت لواء ولي أمر المسلمين بالشروط التي دل عليها الكتاب والسنة (٢)، وهذا ما يقتضيه مفهوم الحكمة الصحيح؛ لأنها وضع الشيء في موضعه

(١) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٦٤/١٩، ومفتاح دار السعادة لابن القيم

١٩٤/١، ١٩٥، والتفسير القيم لابن القيم ص ٣٤٤، ومعالم الدعوة في القصص

القرآني للدليمي ٥٣/١ .

(٢) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب ص ٨٩ .

اللائق به بإحكام وإتقان وإصابة.

ويزيد ذلك وضوحا وبيانا ما كان عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو الذي أعطاه ربه من الحكمة ما لم يعط أحدا من العالمين، فقد كان يضع العلم والتعليم والتربية في مواضعها، والموعظة في موضعها، والمجادلة بالتي هي أحسن في موضعها، والقوة والغلظة والسيف في موضعها، وهذا من أحكام الحكمة، قال تعالى: (يأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَانَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئس المصير) (١)، وهذا عين الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى. (٢)

وبما أن هذا المبحث خاص بحكمة القول مع المسلمين - وقد تقدمت حكمة القول مع غير المسلمين - فسأقتصر على المرتبة الأولى والثانية من مراتب البشر السابقة، كالاتي:

القسم الأول من المسلمين : وهم الذين ينقادون للحق ولا يعاندون، فهؤلاء يكفي في دعوتهم بالقول الحكيم أن يبين لهم الحق علما وعملا واعتقادا، وحينئذ ينقادون لذلك بإذن الله تعالى.

أما القسم الثاني من المسلمين وهم الذين عندهم غفلة وشهوات وأهواء، وهم عماء المسلمين، فهذا القسم تكون دعوته بالحكمة القولية حسب المطالب الآتية:

المطلب الأول : الموعظة الصنة وأنواعها .

المطلب الثاني: الترغيب والترهيب .

المطلب الثالث: حكمة القول التصويرية.

(١) سورة التحريم، الآية ٩ .

(٢) انظر: تعليق الشيخ محمد حامد الفقي على التفسير القيم لابن القيم ص٢٤٤.

المطلب الأول : الموعدة الحسنة وانواعها :

والموعدة: هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، والقول الحق الذي يُلين القلوب، ويؤثر في النفوس، ويكبح جماح النفوس المتمردة، ويزيد النفوس المهذبة إيماناً وهداية(١)، قال تعالى: (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشدّ تشبّهتاً)(٢)، وقال سبحانه: (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين). (٣)

والداعية إلى الله تعالى ينبغي أن يكون وعظه للناس بالقول الحكيم على نوعين: تعليم، وتأديب.

النوع الأول : وعظ التعليم :

وهذا النوع يكون ببيان عقائد التوحيد، وبيان الأحكام الشرعية الخمسة: من الواجب، والحرام، والمسنون، والمكروه، والمباح، ويراعي في ذلك كله ما يناسب كل طبقة، والحث على التمسك بها، والتحذير من التهاون فيها. ومن تدبر أسلوب القرآن علم أن الأحكام ينبغي أن تساق إلى الناس مساق الوعظ الذي يلين القلوب، ويبعثها على العمل، ولا تسرد سرداً خالية من وسائل التأثير، ومما يوضح ذلك قوله تعالى:

(ويمثلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن)

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية ١٦٤/١٩، ومفتاح دار السعادة لابن القيم ١٩٥/١،

والتفسير القيم لابن القيم ص٢٤٤، وهداية المرشدين لعلي محفوظ ص٢١ .

(٢) سورة النساء، الآية ٦٦ .

(٣) سورة النور، الآية ١٧ .

حتى يطهرون فإذا تطهرون فاتومنون من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين . نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم واندموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملقوه وبشر المؤمنين). (١)

فالامر بتقوى الله بعد النهي عن إتيان النساء في المحيض والأمر بإتيانهن في موضع الحرث، والأمر بالتقديم لأنفسنا تحذيرا من مخالفة هذا الهدي الإلهي، وقوله: (واعلموا أنكم ملقوه) إنذار للذين يخالفون عن أمره بأنهم يلاقون جزاء مخالفتهم في الآخرة، ويحاسبون على أعمالهم. وقوله تعالى: (وبشر المؤمنين) تبشير للطائعين الذين يقفون عند الحدود، ويتبعون هدى الله تعالى، والمبشر به عام يشمل منافع الدنيا، ونعيم الآخرة، وحصول كل خير، واندفاع كل شر - رتب على الإيمان - داخل في هذه الآية.

ومما يزيد ذلك وضوحا وبيانا أن الله عز وجل بعد أن ذكر أحكام الفرائض وتقسيم التركات ختم ذلك بقوله: (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خادا فيها وله عذاب مهين). (٢)

وهذان مثالان يبينان أن الداعية إلى الله إذا سلك في هذا النوع طريقة القرآن الكريم فإنه سيجتذب الأسماع، ويأخذ بمجامع القلوب ويلينها، وحينئذ تستقبل العقائد والأحكام بإذن الله عز وجل للعمل والتطبيق برغبة واشتياق. (٣)

(١) سورة البقرة، الآية ٢٢٢، ٢٢٣ .

(٢) سورة النساء، الآية ١٢، ١٤ .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ١/٢٦٦، ٤٦٢، وتفسير السعدي ١/٢٧٨، ٢٥٠/٢، وهداية

المرشدين لعلي محفوظ ص ١٤٣ .

النوع الثاني : وعظ التاديب :

وهذا يكون بتحديد الأخلاق الحسنة: كالطم والأناة، والشجاعة، والوفاء، والصبر، والكرم ...، وبيان آثارها ومنافعها في المجتمع، والحث على التخلق بها والتزامها، وتعريف وتحديد الأطلاق السيئة: كالغضب، والعطية، والغدر، والجرع، والجبن، والبخل، ... والتحذير عن الاتصاف بها من طريقي: الترغيب والترهيب.

وينبغي للداعية إلى الله أن يستشهد في كل من النوعين بما جاء فيه من الكتاب والسنة الصحيحة، وآثار الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، وأحوالهم في ذلك؛ فإن لهذا شأنًا عظيمًا يوصل إلى الغاية المقصودة متى صدر من قلب سليم نقي متخلق بما يدعو إليه؛ لأن الموعظة إذا صدرت من القلب وقعت في القلب، وإن خرجت من اللسان لم تتجاوز الأذان.

وإذا أراد الداعية أن تكون موعظته مؤثرة بليغة، فإن عليه الآتي:

١ - ينظر إلى المنكرات المنتشرة، ولا سيما ما كان منها قريب العهد، وحديثه على السنة الناس.

٢ - ثم يقدم من هذه المنكرات أكبرها ضرراً، وأسوأها أثراً، فيجعلها محور خطابه، وموضع موعظته.

٣ - ثم يفكر فيما ينشأ عن هذا المنكر من الأضرار: الخلقية والاجتماعية والصحية والمالية.

٤ - ثم يستحضر ما جاء في ذلك من الآيات، والأحاديث الصحيحة، وأقوال الصحابة، والأبيات الشعرية الحكيمة.

٥ - ثم يأخذ في كتابة الموضوع إن شاء كتابته، ويضمنه ما فيه من تلك المضار، وما ورد فيه عن الشارع، محذراً من الوقوع فيه، حاثاً على التوبة منه.

أما إذا أراد الحث على العمل الصالح النافع، فيتبع ما يلي :

١ - يفكر في مزاياه وآثاره الحسنة تفكيراً عميقاً.

٢ - يستحضر ما يناسبه من الكتاب وصحيح السنة وآثار الصحابة.

٣ - ثم يسلك في الكتابة المسلك السابق.

فإذا كتب الموضوع، فإن شاء حفظه وألقاه، وإن شاء ذكر مضمونه، وذكر المضمون أحسن الأمرين، حتى لا يكون مقيداً بعبارة خاصة، ويتخير من العبارات ما يؤدي إلى المعاني التي حمل عليها ببحته وتفكيره.

وإن شاء عدم الكتابة واكتفى برسم الموضوع في مخيلته وتسطيره في ذاكرته التي قواها بالمران والتجارب والممارسة كان ذلك أحسن وأكمل، ويتوفيق الله عز وجل، ثم بإعداد الموضوع واستحضاره بأدلته تماماً، وتقسيمه بحسب نقطه إلى أقسام، يكون الداعية في مأمن من الزلل بإذن الله تعالى.

وبعد ذلك ينبغي أن يراعي في حال التأدية والإلقاء استعداد السامعين، فينزل في العبارة مع العامة على قدر عقولهم، متجنباً الألفاظ البعيدة عن أفهامهم، ويتوسط مع أوساط الناس، ويتأنق مع الخاصة، فيكون مع جميع الطبقات حكيماً يضع الأشياء في مواضعها، وبكل حال عليه أن يختار المعاني النفيسة، وتنسيقها، وشرحها بالدقة، وإبلاغها أذهان السامعين، وإنفاذها في قلوبهم، ودفع السامة والملل عنهم، بإيراد الشواهد عليه من الحكم النثرية والشعرية، والفكاهات الأدبية، بشرط التزام ظلال الكتاب والسنة، وبذلك يكون الداعية موفقاً مؤثراً بإذن الله تعالى، إذا قصد إبلاغ الناس بإخلاص وصدق ورغبة فيما عند الله تعالى. (١)

(١) انظر: هداية المرشدين ص ١٤٥، ١٩٢ .

المطلب الثاني : الترغيب والترهيب :

من حكمة القول في أسلوب الدعوة إلى الله تعالى مع عمارة المسلمين وغيرهم أن يسلك الداعية في دعوته إلى الله مسلكي الترغيب والترهيب؛ لأنه أسلوب له تأثيره في نفوس كثير من البشر؛ فإن الإنسان جَبِلَ على حب الخير، والرغبة في الحصول على كل محبوب، كما طُبِعَ على بغض الشر، وما يصيبه من بلاء في النفس، أو المال، أو الأهل، وحينئذ فغريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير، ويحرمها من كل شر، سواء كان ذلك عاجلاً أو آجلاً، ولذلك فالترغيب والترهيب يفيض بهما بحرا الكتاب والسنة (١)، قال تعالى: (إن هذا القرآن يَهْدِي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا . وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا أليما). (٢)

فالقرآن يهدي لأقوم الطرق، وأوضح السبل، ومن هدايته الترغيب بوعد الطائعين الحافظين لحدود الله تعالى بعظيم الخير، وتبشيرهم بحسن المثوبة، والترهيب بوعيد المخالفين الذين تعدوا حدود الله تعالى بشديد العذاب، وإنذارهم بسوء العاقبة، ومن المعلوم يقينا أن الوعد بالخير يعم خير الدنيا والآخرة وسعادتهما، والوعيد يشمل نقم الدنيا والآخرة وشقاءهما. (٣)

وهذا يجعل الداعية إلى الله تعالى يهتم اهتماما بالغا بهذين الأسلوبين

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم العرفان للزرقاني ٣٠١/١، ومعالم الدعوة

للديلمي ٤٩٤/١، وهداية المرشدين ص ١٩٢ .

(٢) سورة الإسراء، الآية ٩، ١٠ .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٢٦/٢، والسعدي ٢٦٤/٤ .

الحكيمين، وسأتناول ذلك - بإذن الله تعالى - بشيء من الإيضاح في المسلكين الآتيين:

المسلك الأول : الترغيب والتبشير .

المسلك الثاني: الترهيب والإنذار.

المسلك الأول : الترغيب والتبشير :

من الحكمة القولية في الدعوة إلى الله أن يذكر الداعية إلى الله من هذا المسلك ما يفيد في حمل الناس على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة.

والترغيب قسمان :

القسم الأول : الترغيب في جنس الطاعات :

وهذا القسم له أنواع ومور متعددة، أذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

النوع الأول : الترغيب بالوعد بالخير العاجل في الدنيا :

عندما يتحقق الإيمان والاستقامة عليه بطاعة الله تعالى وتقواه تحصل السعادة والبركات العاجلة في الدنيا قبل الآخرة، وما في الآخرة أعظم، فقد وعد الله تعالى عباده المؤمنين بالحياة الطيبة والسلامة من كل مكروه، وبلاستخلاف في الأرض، والتمكين، وبالإمداد بأنواع الخيرات والزيادة مع الشكر، وبالمد في العمر وعدم المعاجلة بالعقوبة، وبأنواع التأييد والنصر والتوفيق والهداية. (١)

فعلى الداعية أن يستخدم هذا النوع الحكيم في دعوته إلى الله تعالى.

(١) انظر: سورة النحل، الآية ٩٧، والنور، الآية ٥٥، ونوح، الآيات ١٠-١٢،

وابراهيم، الآيات ٧-١٠، وغير ذلك كثير في كتاب الله تعالى.

النوع الثاني : الترغيب بذكر سنته تعالى فيمن مضى من عباده المظلمين:

من حكمة القول مع عصاة المؤمنين في دعوتهم إلى الله عز وجل أن يبين لهم أن سنة الله لا تتخلف في نصرته عباده المؤمنين ورحمته بهم حين يتجهون إليه سبحانه بإظهار كمال العبودية له، والافتقار إليه، وهم في حالة من الكرب أو الضيق أو الحاجة، فتدركهم رحمته سبحانه: (إن رحمت الله قريب من المحسنين)(١)، (أمن يجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء). (٢)

وفي ذكر الداعية إلى الله سنة الله فيمن مضى من عباده إطماع لعباد الله في الحصول على أمثالها للمؤمنين إذا اتجهوا إلى الله تعالى بقلوب صادقة، وترغيب للمعرضين في انقيادهم لأمر الله تعالى حتى يكونوا من المحسنين، فتصيبهم رحمة الله تعالى(٣)، وهذا النوع له أمثلة كثيرة جداً، منها: إجابة الله لدعوة آدم وحواء بعد أن وقعا في المعصية ثم تابا إلى الله، وإجابته تعالى لنبيه أيوب بعد أن بلغ به الضر منتهاه، واستجابته تعالى ليونس عليه الصلاة والسلام.

ومنها: إنجاؤه تعالى لأنبيائه وعباده المؤمنين عند طول العذاب بأقوامهم الكاذبين، وإنجاؤه الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وغيرهم، فقد أنجى سبحانه هؤلاء ومن تبعهم وأهلك أعداءهم. (٤)

(١) سورة الأعراف، الآية ٥٦ .

(٢) سورة النمل، الآية ٦٢ .

(٣) انظر: معالم الدعوة للدليمي (١/٥٠٠) .

(٤) انظر: سورة البقرة، الآية ٢٧، والأنبياء، الآيات ٨٣-٨٨، والأعراف، الآيات

١٦٤-١٦٦، وغير ذلك كثير في كتاب الله تعالى.

النوع الثالث : الترغيب بالوعد بالخير الأجل الأعظم في الآخرة :

جاء في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - الوعد بالخير الأجل، والنعيم المقيم والرضوان، والأمن التام، والرحمة والمغفرة وتكفير السيئات، كل ذلك لمن تحقق فيه شرط الإيمان والعمل الصالح، وهذا باب واسع يزخر به بحر الكتاب والسنة، ولا يتسع المقام لذكر الأمثلة على ذلك.

فعلى الداعية العناية بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -

حتى يقدم للناس القول الحكيم الذي يرضي الرب الحكيم. (١)

النوع الرابع: الترغيب بذكر أحوال المؤمنين في الجنة وما أعد الله لهم:

وهذا النوع من الترغيب (٢) يزخر به كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يحصر ما أعد الله لعباده المؤمنين في جنات النعيم من النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: "قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرأوا إن شئتم: (فلا تعلم نفس ما أُخْفِيَ لهم من قرة أعين) (٣)، وهذا مما يجعل العاقل يشمر عن ساعد الجد؛ ليسعد بهذا الفوز العظيم، والسعادة الأبدية، والنعيم الدائم الذي يعجز دونه الوصف، فالداعية إذا استخدم هذا النوع من الترغيب يجذب قلوب الناس إلى الرغبة في هذا النعيم الدائم.

(١) انظر: سورة الأنعام، الآية ٨٢، وطه الآية ٨٠-٨٢، والفرقان الآية ٧٠،

والبيّنة، الآية ٨٧ .

(٢) انظر في هذا النوع من الترغيب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها

مظلوة ٣١٨/٦، ومسلم، كتاب الجنة، ٢١٧٥/٤ برقم ٢٨٢٥.

والآية من سورة السجدة، آية ١٧ .

القسم الثاني : الترغيب في أنواع الطاعات :

وهذا القسم مهم جدا لا يقل أهمية عن القسم الأول، والناس يحتاجون إليه؛ ليشمروا عن ساعد الجد في عمل أنواع الطاعات، فينبغي للداعية إلى الله أن لا يفتل هذا الجانب، ويهتم بترغيب الناس بالأقوال الحكيمة في أنواع البر والإحسان، وجميع أنواع الطاعات: كحثهم على تحقيق كلمة الإخلاص، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهد لإعلاء كلمة الله، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وإصلاح ذات البين، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل الناس نيام، وغير ذلك.

وكذلك ينبغي ترغيب الناس في أنواع الفضائل النفسية: كالشجاعة، والعفة، والصدق، والوفاء، والأمانة، والإخلاص، والحلم، والتواضع، والكرم، والمبر، وطهارة الضمير، وحب الخير للناس، والعدل والإحسان، وغير ذلك مما ينفع الأمة في العاجل والآجل بذكر ما جاء فيها من الترغيب من الكتاب والسنة الصحيحة، والآثار الثابتة مع شرح ذلك شرحا وافيا حسبما تدعو إليه الحاجة. (١)

فالداعية إذا استخدمت هذه الأنواع وَفَّقَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلصَّوَابِ. (٢)

المسلك الثاني : الترهيب والإنذار :

من حكمة القول أن يذكر الداعية إلى الله من هذا المسلك الأمور النافعة المقيدة في حمل الناس على ترك الجرائم والذنوب، والتحذير والإنذار من كل المعاصي، والإصرار عليها.

(١) انظر: هداية المرشدين ص ١٩٩ .

(٢) ويفيد الداعية في هذا القسم الترغيب والترهيب للمنذري، وكتاب المتجر

الرابح في ثواب العمل الصالح للدمياطي، ورياض الصالحين للنووي.

والترهيب قسمان :

القسم الأول: الترهيب بذكر الوعيد بالعذاب والعقوبات على جنس

المعاصي والذنوب:

وهذا القسم له أنواع ومور متعددة، أذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

النوع الأول : الترهيب بذكر الوعيد بالحرمان من الخير العاجل، أو الأخذ

بالعذاب العاجل:

الإصرار على المعاصي والسيئات من أسباب الابتلاء بالفقر، والضييق في العيش، والإصابة بالأمراض والأسقام، والحرمان من الخيرات العاجلة والآجلة، وهي أعظم الأسباب في إهلاك الأمم والجماعات والأفراد بالدمار والهلاك(١)، قال تعالى: (وما أصبكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير). (٢)

وكل ما يحدث في الأرض من المصائب، وقلة الثمار، وقحط الأمطار، فإنما هو من عقوبة بعض ما عمل الناس من الذنوب(٣): (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون). (٤)

ويمكن للداعية أن تستخدم هذا النوع في دعوته على ضربين:

- الضرب الأول: ذكر ما حل بالقري من الأخذ بالدمار أو الحرمان من الخيرات

التي كانت بين أيديهم بسبب ظلمهم أنفسهم واستكبارهم، وعدم شكرهم لله تعالى.

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/١٢٢، ٢٣٤ .

(٢) سورة الشورى، الآية ٣٠ .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٥٧٤، ٤/١١٧ .

(٤) سورة الروم، الآية ٤١ .

- الضرب الثاني: الترهيب بذكر ما وقع لجماعات أو أفراد من الأخذ العاجل

أو الحرمان من الخيرات. (١)

النوع الثاني : الترهيب بالإنذار من طول العذاب العاجل :

هذا النوع يوجهه الداعية إلى المعرضين عن طاعة الله إذا ظلوا على إصرارهم وعنادهم واستكبارهم عن قبول الحق بعد وضوحه، ولزوم الحجة، ومن ذلك قوله تعالى: (قل أرميتم إن أخذ الله سمعكم وأبصركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به..) إلى قوله تعالى: (قل أرميتم إن اتاكم عذاب الله بغتة

أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون). (٢)

وغير ذلك كثير في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. (٣)

النوع الثالث : الترهيب بذكر مصير الأمم التي كذبت رسلها :

وهذا النوع له أعظم الأثر والوقوع في النفوس؛ لأنه من أعظم العبر لمن اعتبر؛ ولأنه يبين سنة الله عز وجل فيمن كذب الرسل عليهم الصلاة والسلام، أو

(١) انظر: سورة الدخان، الآيات ٢٥-٢٩، وسبأ، الآيات ١٥-١٩، والقصص الآيات

٧٦-٨١، والكهف، الآيات ٢٢-٤٣، والقلم، الآيات ١٧-٢٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٤٦، ٤٧.

(٣) انظر: سورة الأنعام، الآية ٦٥، والأنفال الآية ٢٤، ٢٥، والنور، الآية ٦٣،

وفصلت، الآية ١٢، والسجدة، الآية ٢٢.

والبخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة هود، باب: وكذلك أخذ ربك إذا

أخذ القرى وهي ظالمة ٢٥٤/٨، ومسلم، البر والصلة، باب تحريم الظلم

١٩٩٧/٤، والبخاري مع الفتح ٢٩٥/٨، ٣٠١، ٣١٩/٩، ٣٨٣/١٣، ومسلم ٢١١٤/٤.

وقف من دعوتهم موقف الإعراض والاستكبار، ثم بعد إقامة الحجة عليهم وقع بهم الدمار والهلاك، وهذا باب واسع لا يمكن حصره، ومن ذلك قوله عز وجل - بعد أن ذكر قوم إبراهيم، وقوم لوط، وقوم شعيب، وعادا، وشمود، وقارون، وفرعون، وهامان - : (فكلا أخذنا بذنبيه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الميعة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون). (١)

وغير ذلك كثير في كتاب الله تعالى. (٢)

النوع الرابع : الترهيب بالوعيد بالعذاب الآجل في الآخرة :

الوعيد بالعذاب الآجل يوم القيامة هو من الأقوال العظيمة الحكيمة التي تلين لها قلوب أهل العقول حين تذكر ببطش الله ونقمته وعذابه الأليم لمن حاد الله ورسوله وتعدى حدوده (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خلت فيها وله عذاب مهين). (٣)

وهذا النوع كثير في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. (٤)

(١) سورة العنكبوت، الآية ٣٩، ٤٠ .

(٢) انظر: سورة الحج، الآيات ٢٢-٤٥ .

والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ٨٤-٨٦ .

(٣) سورة النساء، الآية ١٤ .

(٤) انظر: سورة النساء، الآية ١١٥، وسورة الجن، الآية ٢٣، وكتاب التخويف من

النار لابن رجب ص ١٢ .

النوع الخامس: الترهيب بوصف حال الكفار والمجرمين وما أعد الله لهم من

عذاب في الآخرة :

من المعلوم يقينا أن وصف الداعية الحكيم أحوال الكفار والمنافقين والعصاة وهم يتلقون أنواعا من العذاب الأليم، وذكره لبعض ما أعد الله لهم في الآخرة من أصناف العذاب والعقاب، مما يثير الخوف والرعب والفرع في النفوس، ويحملها على أن تفر إلى الله ربها فتخلص له العبودية وتتوب إليه؛ لتنجو من عذابه، ومن خزي هذا اليوم العظيم، ومن ذلك قوله تعالى: (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها) إلى قوله تعالى: (خلدين فيها فبئس مثوى المتكبرين). (١)

وقد ذكر سبحانه لباسهم في النار وشرابهم (٢)، وطعامهم (٣)، وسلاسلهم وأغلالهم، وانكالهم، ومقامعهم، وعظم أجسادهم (٤)، وهذا لهم من أعظم الخسران المبين: (قل إن الخسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة إلا ذلك هو الخسران المبين). (٥)

(١) سورة الزمر، الآية ٧١، ٧٢ .

(٢) انظر: سورة الحج، الآية ١٩-٢٢، وسورة محمد، الآية ١٥، وإبراهيم، الآية ٩، والكهف، الآية ٢٩ .

(٣) انظر: سورة الدخان، الآية ٤٣، والمزمل، الآية ١٢، والحاقة، الآية ٢٥ .

(٤) انظر: سورة غافر، الآية ٧١، ٧٢، والحاقة ١٢، والمزمل ١٢، ١٣، والحج ٢١، ٢٢، وانظر عظم أجسادهم وأضراسهم في البخاري مع الفتح ١١/٤١٥، ومسلم ٤/٢٢٨٩، ٢٢٩٠/٤ .

(٥) سورة الزمر، الآية ١٥ .

النوع السادس : الترهيب بالعذاب النفسي يوم القيامة :

من الحكمة القولية التي توجه إلى الغافلين والمعرضين والمصرين على الجرائم والذنوب ذكر بعض ما بينه الله عز وجل من العذاب النفسي لأهل النار أعادنا الله منها، ومن هذا النوع على سبيل المثال:

قال الله تعالى: (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا

أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون . قال اضربوا فيها ولا تكلمون). (١)

وقال تعالى: (ونادوا يلعنك ليعقبن علينا ربك قال إنكم مكشون . لقد جعلكم

بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون). (٢)

وغير ذلك من أنواع العذاب النفسي(٣)، فإنهم عندما يسألون الخروج من

النار، ثم ترد عليهم مسألتهم تتقطع قلوبهم هما وغما. (٤)

القسم الثاني : الترهيب بذكر الوعيد بالعذاب والعقوبات على أنواع

الذنوب وآحادها :

هذا قسم مهم، والناس بحاجة إليه، ليبتعدوا عن آحاد المعاصي، ويقبلوا

عما تلبسوا به منها، ويظهروا توبتهم الصادقة.

(١) سورة المؤمنون، الآية ١٠٦-١٠٨ .

(٢) سورة الزخرف، الآية ٧٧، ٧٨ .

(٣) انظر: سورة إبراهيم، الآية ٢٢، وسورة غافر، الآيات ١٠-١٢ .

(٤) انظر: أنواع وأصناف عذاب أهل النار وصفاتهم وبعض ما أعد الله لهم في

جامع الأصول لابن الأثير ١٠/٥١٢-٥٢٣، ثم ١٠/٥٢٧-٥٦٤، والتخويف من النار

لابن رجب ص٦٤-٢٨٣ .

فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يهتم بهذا القسم، ويذكر ما ورد في الكتاب والسنة من الوعيد بالعذاب والعقوبات والنقم على آحاد الذنوب وأنواعها كالتهاون ببعض أمور العقيدة الإسلامية، وكالتهاون بالصلاة والزكاة والصوم والحج عند الاستطاعة، والتحذير من عقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، والتهاجر بين المسلمين، والشحناء، والإنذار من قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والزنا، واللواط، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والسرقعة، وأكل أموال الناس بالباطل، وشرب الخمر، ولعب الميسر، والقذف، والغيبة، والنميمة، وأعظم من ذلك التحذير من الشركيات والبدع المحدثثة في الدين والسحر، وإتيان الكهنة والعرافين، والتعلق بالأولياء والمالحين، وغير ذلك من أنواع المعاصي.

ويلزم الداعية أن يحذر الناس بالقول الحكيم من أنواع الرذائل الخلقية: كالجبين، وعدم العفة، والكذب، ونقض العهد، والغدر، والخيانة، والنفاق، والرياء، والغضب، والكبر، والبخل، والشح، والجزع عند المصائب، والحقد والحسد، والتحذير من كل ما يضر الأمة في دينها ودنياها. (١)

فإذا ذكر الداعية ما ورد في ذلك من التحذير بالقول الحكيم أثمر ذلك مجتمعاً مستقيماً بإذن الله تعالى، ودفع العصاة على الفرار من الذنوب والرجوع إلى الله تعالى، والندم على ما مضى، والله الموفق سبحانه. (٢)

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم ص ١٨٠-٢٠٥،

وهداية المرشدين ص ٢١٥ .

(٢) انظر في الترهيب بالوعيد بالعذاب على أنواع المعاصي وآحادها كتاب

الترغيب والترهيب للمنذري، وكتاب الكبائر للذهبي، وكتاب تنبيه الغافلين

عن أعمال الهالكين، للإمام محيي الدين أبي زكريا، أحمد بن إبراهيم بن

النحاس الدمشقي، المتوفى سنة ٨١٤هـ.

المطلب الثالث : حكمة القول التصويرية :

من حكمة القول في الدعوة إلى الله تعالى استخدام الأساليب التصويرية التي تدخل على القلوب مباشرة فتؤثر فيها، وتشد أذهان المدعوين، وتشوقهم إلى الاستماع والاستفادة، ومن ذلك على سبيل المثال ما يلي :

المسلك الأول : القمص :

القصة من خير ما يتوصل به الداعية الحكيم لإبلاغ دعوته إلى أعماق القلوب؛ لأن النفس تميل إليها، وترغب فيها، يقول سيد قطب رحمه الله: "مما لا شك فيه أن للقصة طريقته الخاصة في عرض الحقائق وإدخالها إلى القلوب في صورة حياة عميقة الإيقاع بتمثيل هذه الحقائق في صورتها الواقعية، وهي تجري في الحياة البشرية، وهذا أوقع في النفس من مجرد عرض الحقائق عرضاً تجريدياً". (١)

وأفضل القصص ما جاء في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، فقد بين الله عز وجل في كتابه العزيز أخبار الأمم الماضية أحسن بيان، ومن ذلك قصص الأنبياء وأقوامهم، وأثنى على أنبيائه ومن تبعهم من المؤمنين، وبين سنته في نصرتهم وتأييدهم، ودم الأمم التي كذبت رسلها، وبين سنته فيهم، وما أوقع بهم من العذاب والدمار، وغير ذلك من القصص العظيمة الحسن كما قال تعالى: (نحن نقص عليك أحسن القصص ..) (٢)، (لقد كان في قصصهم عبرة لأولئك الذين لا يملأون القلوب ما كان حديثاً يفترى...). (٣)

(١) في ظلال القرآن ١/٣٩٠ .

(٢) سورة يوسف، الآية ٣ .

(٣) سورة يوسف، الآية ١١١ .

أما القمص من السنة فإن قدوة الداعية في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان يقص على أصحابه القمص الذي ينفعمهم، ويرغبهم في الخير، ويخوفهم من الوقوع في ضده، ومن ذلك: قصة الأبرص والأعمى والأقرع(١)، ففي هذه القصة التحذير من كفران النعم والبخل، والتشويق إلى شكر النعم، والاعتراف بها للخالق، والإحسان إلى الناس.(٢)

وقصة الغلام مع الملك والساحر والراهب(٣)، وفيها تشويق الناس في الثبات على دين الله، والتضحية بكل غال ورخيص في سبيل نصرته دين الله وإظهاره. وقصة الرجل الذي قتل مائة ثم تاب فتاب الله عليه(٤)، فإن في هذه القصة الإيضاح للناس أن من تاب تاب الله عليه، وأن البيئة لها تأثير على الشخص، فلا بد للتائب أن يلتمس الجليس الصالح، وغير ذلك كثير في السنة النبوية.

المسلك الثاني : التشبيه وضرب الأمثال :

في القرآن الكريم كثير من الأمثال المضروبة، والداعية لابد له من ذلك في دعوته، ومن ذلك أن الله تعالى شبه المنفق في سبيله بمن بذر بذرا فأنبتت كل حبة سبع سنابل اشتملت كل سنبل على مائة حبة، والله يضاعف فوق ذلك لمن يشاء بحسب حال المنفق وإخلامه.(٥)

(١) البخاري مع الفتح ٥٠٠/٦، ومسلم ٢٢٢٥/٤ .

(٢) انظر: فتح الباري ٥٠٢/٦ .

(٣) انظر: صحيح مسلم ٢٢٩٩/٤ .

(٤) انظر: صحيح مسلم ٢١١٨/٤ .

(٥) انظر: سورة البقرة، الآية ١٦٢ .

ومثل المنفق رياء وسمعة وبطلان عمله كممثل حجر أملس عليه تراب فأصابه

مطر شديد، فتركه أملسا لا شيء عليه. (١)

وشبه سبحانه الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها بالماء الذي ينزل من السماء

فأنسبت الكلا والعشب، ثم مار بعد هذه النظرة هشيما (٢)، وغير ذلك كثير في كتاب

الله تعالى. (٣)

وضرب النبي - صلى الله عليه وسلم - الأمثال في دعوته، ومن ذلك تشبيهه

الجليس المالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير (٤)، وهذا من حكمة

النبي - صلى الله عليه وسلم - لأنه جمع بين الترغيب والحث على مجالسة من

يستفاد من مجالسته في الدين والدنيا، وحذر من مجالسة من يتأذى بمجالسته

فيهما (٥)، وهذا كثير في السنة. (٦)

(١) انظر: سورة البقرة، الآية ٢٦٤ .

(٢) انظر: سورة الكهف، الآية ٤٥ .

(٣) انظر: أمثال القرآن لابن القيم ص ٥٠-٤٢ .

(٤) انظر: البخاري مع الفتح ٦٦٠/٩، ومسلم ٢٠٢٦/٤ .

(٥) انظر: فتح الباري ٣٢٤/٤، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٧٨/١٦ .

(٦) انظر كثيرا من الأمثال في السنة في صحيح مسلم حديث رقم ٢٨١٠، ٢٨٠٩، ٧٩٧، ٢٨١٠، ٢٨١١

للرامهرمزي، وسنن الترمذي - كتاب الأمثال ١٤٨، ١٤٤/٥، ومسنن الإمام أحمد

٤٦٥، ٤٣٥/١، ٢٠٢، ١٨٢، ١٨٢/٤، وانظر: تذكرة الدعاة للخولي ص ٤٥ .

المطلب الثالث : لفت الانتظار والقلوب إلى الصور المعنوية وآثارها :

من حكمة القول التصويرية لفت أنظار الناس إلى الأوصاف الحميدة المعنوية وبيان آثارها العملية التي تحصل بسبب تطبيقها والعمل بها، ومن هذه الصور المعنوية ذكر الداعية أوصاف المؤمنين، وأشار هذه الأوصاف، وهذا كثير في كتاب الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: (قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لغربهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الورثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون). (١)

ومنه أوصاف تجذب القلوب الحية، وتلفت الانتظار إلى هذه الصفات العالية وآثارها الحميدة، ومن أعظم آثارها الفوز بالفردوس الأعلى في الجنة، وكتاب الله يسخر بأوصاف عباد الله المؤمنين، وأشار هذه الأوصاف في الدنيا والآخرة. (٢)

فحري بالداعية أن لا يغفل هذا الجانب؛ فإن له الأثر الحميد بتوفيق الله تعالى.

(١) سورة المؤمنون، الآية ١-١٠ .

(٢) انظر كثيرا من هذه الأوصاف وآثارها في سورة البقرة، الآية ١٧٧، وآل عمران، ١٥-١٧، ١٣٢-١٣٦، والتوبة ٧١، والفرقان ٦٣-٧٤، والأحزاب ٣٥، والذاريات ١٥، ١٦، والمعارج ٢٢-٢٥ .

المسلك الرابع : لفت الأنظار والقلوب إلى الآثار المحسوسة :

من حكمة القول التصويرية لفت أنظار الناس إلى آثار الأمم الماضية، والأفراد والجماعات الظالمة، والقري والأعمار المكذبة المجرمة، وقد تكون الآثار في الأزمان القريبة أو الأماكن والأزمان المعاصرة المتأخرة؛ فإن في النظر فيما حل بهم من الهلاك والدمار والزلازل والمحن والأمراض، أعظم العبر لمن اعتبر وتفكر، ونظر واتعظ، والنظر في مساكنهم وديارهم، وكيف أبادهم وأهلكهم وأذلهم، وخذلهم الملك الجبار، وجعل أخبارهم عبرة لأولى الأبصار. (١)

وقد أمر الله عباده بالسير والنظر والتأمل في هذه الآثار في آيات كثيرة منها قوله تعالى: (قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عقبه المكذبين) (٢)، وقال تعالى: (اولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عقبه الذين من قبلهم كانوا أهد منهم قوة واثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينت فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون). (٣)

والامر بالسير يشمل السير بالأبدان، والتفكر بالقلوب للنظر والتأمل في عواقب المكذبين والمجرمين، والنظر بالأبصار والبصيرة في آثار هؤلاء من المساكن الخاوية، والديار المهجورة، والسماع بالأذان الأضبار المفزعة، وإلا فمجرد نظر العين الجامدة، وسماع الأذن المسدودة، وسير البدن الخالي من القلب المتفكر المعتبر غير مفيد، ولا موصل إلى المطلوب. (٤)

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١٢٥/٢، ٤٢٨، ٥٦٣/٣، والسعدي ٢٧٧/٢، ١١٤/٦، ١٣٥، ٢٣٠،

. ٦٨/٧، ٥٥٤، ٥١٩

(٢) سورة الأنعام، الآية ١١ .

(٣) سورة الروم، الآية ٩ .

(٤) انظر: تفسير السعدي ١٣٥/٦، ٢٣٠ .

الخاتمة

الحمد لله الذي أمانني على إتمام هذه الرسالة على هذه الصورة، فالفضل والمنة له أولاً وآخراً، و (له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون)(١)، (الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير). (٢)

بعد هذه الرحلة المباركة - إن شاء الله تعالى - التي طفت من خلالها بمفهوم الحكمة الصحيح في الدعوة إلى الله تعالى وأنواعها، ودرجاتها، وأركانها التي تقوم عليها، ومعاول هدمها، وطرق ومسالك اكتسابها، ومواقف الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، التي أعز الله بها الإسلام وأهله، وأذل بها الكفر والعصيان والنفاق وأعاونها، وحكمة القول مع أصناف المدعوين على اختلاف عقائدهم وعقولهم وإدراكاتهم ومنازلهم.

ومذا ما من الله به، ثم ما وسعه الجهد، وسمح به الوقت، وتوصل إليه الفهم المتواضع، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن فيه خطأ أو نقص فتلك سنة الله في بني الإنسان، فالكمال لله وحده، والنقص والقصور واختلاف وجهات النظر من صفات الجنس البشري، ولا أدعي الكمال، وحسبي أنني قد حاولت التسديد والمقاربة، وبذلت الجهد ما استطعت بتوفيق الله تعالى، وأسأل الله أن ينفعني بذلك، وينفع به جميع المسلمين؛ فإنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

(١) سورة القصص، الآية ٧٠ .

(٢) سورة سبأ، الآية ١ .

أما أهم النتائج التي أعانني الله ويسر لي التوصل إليها في هذا البحث:

فمنها ما يلي :

١ - إن الحكمة في الدعوة إلى الله لا تقتصر على الكلام اللين والترغيب والرفق والطم والعفو والصفح، بل تشمل جميع الأمور التي عمّلت بإتقان وإحكام، وذلك بأن تنزل في منازلها اللائقة بها، فيوضع القول الحكيم والتعليم والتربية في مواضعها، والموعظة في موضعها، والمجادلة بالتي هي أحسن في موضعها، ومجادلة الظالم المعاند، والمستكبر في موضعها، والزجر والغلظة والقوة في مواضعها، وكل ذلك بإحكام وإتقان، ومراعاة لأحوال المدعويين والواقع والأزمان والأماكن، في مختلف العصور والبلدان، مع إحسان القصد والرغبة فيما عند الكريم المنان.

٢ - إن الداعية الحكيم هو الذي يدرس ويعرف أحوال المدعويين: الاعتقادية، والنفسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، ويعرف مراكز الضلال ومواطن الانحراف، وعاداتهم ولغتهم ولهجاتهم، والإحاطة بمشكلاتهم، ومستواهم الجدلي، ونزعاتهم الخلقية، والشبه التي تعلق بأذهانهم، ثم ينزل الناس منازلهم ويدعوهم على قدر عقولهم وأفهامهم، ويعطى الدواء على حسب الداء.

٣ - إن النبي - عليه الصلاة والسلام - هو القدوة الحسنة للدعاة الحكماء، فقد كان يلزم الحكمة في جميع أموره، وخاصة في دعوته إلى الله عز وجل، وهذا من فضل الله عليه وعلى أتباعه.

٤ - إن أحسن الطرق في دعوة الناس ومخاطبتهم ومجادلتهم طريقة القرآن الكريم، وطريقة النبي صلى الله عليه وسلم، وسوق النص القرآني والحديث النبوي في الصق الأمور مساسا بها من أعظم الحكم التي من أوتيتها فقد أوتي خيرا كثيرا.

٥ - إن الحكمة تجعل الداعي إلى الله يقدر الأمور ويعطيها ما تستحقه، فلا يزهّد في الدنيا والناس في حاجة إلى النشاط والجد والعمل، ولا يدعو إلى الانقطاع والانعزال عن الناس والمسلمون في حاجة إلى الدفاع عن عقيدتهم وبلادهم وأعراضهم، ولا يبدأ بتعليم الناس البيع والشراء وهم في مسيس الحاجة إلى تعلم الوضوء والصلاة، فالحكمة تجعل الداعية ينظر ببصيرة المؤمن، فيرى حاجة الناس فيعالجها بحسب ما يقتضيه الحال، وبذلك ينفذ إلى قلوب الناس من أوسع الأبواب، وتنشرح له صدورهم، ويرون فيه المنقذ الحريص على سعادتهم ورفاهيتهم وأمنهم.

٦ - إن البصيرة في الدعوة إلى الله هي أعلى درجات الحكمة والعلم، وهذه الخاصية اختص بها النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم أصحابه، وهي أعلى درجات العلماء، وحقيقتها: الدعوة إلى الله على علم ويقين وبرهان عقلي وشرعي، وترتكز البصيرة في الدعوة إلى الله على ثلاثة أمور :

١ - أن يكون الداعية على بصيرة، وذلك بأن يكون عالماً بالحكم الشرعي فيما يدعو إليه.

ب - وأن يكون على بصيرة في حال المدعو حتى يقدم له ما يناسبه.

ج - وأن يكون على بصيرة في كيفية الدعوة.

٧ - إن العلم النافع المقرون بالعمل الصالح، والطم والأناة من أعظم الأسس التي تقوم عليها الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، ولهذا فقد يكون المرء عالماً أو حليماً، ولا يكون حكيماً حتى يجمع هذه الأسس الثلاثة.

٨ - إن العلم والحلم والأناة لها أسباب تؤدي وتوصل إليها، وأسباب تعين على التمسك بها، والمحافظة عليها.

٩ - إن العلم لا يكون من دعائم الحكمة إلا باقترانه بالعمل الصالح، وقد كان علم الصحابة مقرونا بالعمل والإخلاص والمتابعة، ولهذا كانت أقوالهم وأفعالهم وسائر تصرفاتهم - في دعوتهم إلى الله وأموهم - تزخر بالحكمة.

١٠ - إن الأناة عند الداعية تسمح له بأن يحكم أموره، فلا يقدم على أي عمل إلا بعد النظر والتأمل ووضوح الغاية الحميدة التي سيجنيها، ولا يتعجل بالكلام قبل أن يديره على عقله، ولا بالفتوى قبل أن يعرف دليله وبرهانه الذي اعتمده عليه وبني عليه فتواه.

كما أن العجلة وعدم التثبت والتأني والتبصر أو التباطؤ والتفاسد، كل ذلك يؤدي إلى كثير من الأضرار والمفاسد، والداعية أولى الناس بالابتعاد عن ذلك كله، فمقتضى الحكمة أن يعطي كل شيء حقه، ولا يعجله عن وقته، ولا يؤخره عنه، فالأشياء لها مراتب وحقوق تقتضيها، ونهايات تصل إليها ولا تتعداها، ولها أوقات لا تتقدم عنها ولا تتأخر.

فالداعية بحاجة ماسة إلى الأناة، لما يحصل بذلك من الفوائد الكثيرة، والكف عن شرور عظيمة، وهذا يجعل الداعية بإذن الله تعالى في سلامة عن الزلل.

١١ - إن الحلم من أعظم ركائز الحكمة ومبانيها العظام، وقد كان خلقا من أخلاق النبوة والرسالة، فالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - هم عظماء البشر، وقدوة أتباعهم من الدعاة إلى الله، والمالحين في كافة أطلاقهم، وعلى رأسهم محمد - عليه الصلاة والسلام - وأتباعه.

١٢ - إن الداعية لا يكون حكيما في أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته وأفكاره وموافقا للمواب في جميع أموره إلا بتوفيق الله تعالى له، ثم بسلوك طرق الحكمة، وذلك بالتزام السلوك الحكيم، والسياسة الحكيمة مع مراعاة التسديد

والمقاربة والأساليب الحكيمة، وأن يكون عاملاً بما يدعو إليه مخلصاً متخذاً في ذلك محمداً - صلى الله عليه وسلم - قدوة وإماماً.

١٣ - إن الخبرات والتجارب والمران من أعظم ما يعين الداعية على التزام الحكمة واكتسابها، فهو بتجاربه بالسفر، ومعايشة الجماهير سيكون له الأثر الكبير في نجاح دعوته، وابتعاده عن الوقوع في الخطأ في منهجه ودعوته إلى الله؛ لأنه إذا وقع في خطأ مرة لا يقع فيه أخرى، فيستفيد من تجاربه وخبراته.

١٤ - إن تحري أوقات الفراغ والنشاط والحاجة عند المدعوين وتخولهم بالموعظة والتعليم من أعظم ما يعين الداعية على استجلاب الناس وجذب قلوبهم إلى دعوته.

١٥ - إن المصالح إذا تعارضت أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدئاً بالأهم، فيدفع أحد المفسدتين أو الضررين باحتمال أيسرهما، وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما.

١٦ - إن لتأليف القلوب بالمال والعفو والصفح والرفق واللين والإحسان بالقول أو الفعل أعظم الأثر في نفوس المدعوين.

١٧ - إن من أعظم الأساليب البالغة في منتهى الحكمة عدم مواجهة الداعية أحداً بعينه عندما يريد أن يؤذبه أو يعاتبه أو يزره ما دام يجد في الموعظة العامة كفاية، وذلك إذا كان المدعو المقصود بين جمهور المخاطبين أو يبلغه ذلك، كأن يقول الداعية: ما بال أقوام، أو ما بال أناس، أو ما بال رجال يفعلون كذا، أو يتركون كذا.

١٨ - إن الدعوة بالمواقف الحكيمة المشرفة، لها الأثر البالغ في قلوب المدعوين؛ لأنها تدفعهم إلى التفكير والتأمل، ثم تكون نقطة التحول في نظام حياتهم بإذن الله تعالى.

- ١٩ - إن اطلاع الداعية على مواقف النبي - صلى الله عليه وسلم - الحكيمة في عفوهِ وصفحه، ورفقه وحلمه وأناته، وشجاعته، وجوده وكرمه، وإصلاحه، من أعظم ما يفيد الداعية في حياته، وخاصة في دعوته إلى الله تعالى.
- ٢٠ - إن للمصاحبة وأتباعهم ومن سار على نهجهم مواقف حكيمة في دعوتهم إلى الله تعالى، تدل على صدقهم ورجبتهم فيما عند الله تعالى، وتبين مدى جهودهم، وتغذي وتربي من اطلع عليها من الدعاة إلى الله تعالى.
- ٢١ - إن من أعظم الحكمة في دعوة الملحدين أن تقدم لهم الأدلة الفطرية على وجود الله تعالى وربوبيته، والبراهين العقلية القطعية بمسالكها التفصيلية، والأدلة الحسية المشاهدة، ثم يختم ذلك بالأدلة الشرعية.
- ٢٢ - إن من الحكمة في دعوة الوثنيين بالحكمة القولية أن يقدم لهم الداعية الحجج والبراهين العقلية على إثبات الوهية الله تعالى، وأن الكمال المطلق له من كل الوجوه، وما عبيد من دونه ضعيف من كل وجه، وأن التوحيد الخالص دعوة جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، والغلو في الصالحين سبب كفر بني آدم، والشفاعة لا تنفع إلا بإذن الله للشافع ورضاه عن الشافع والمشفوع له، وأن البعث ثابت بالأدلة العقلية والنقلية القطعية، وأن الله الذي سخر جميع ما في هذا الكون النسيح لعباده فهو في الحقيقة المستحق للعبادة وحده.
- ٢٣ - إن دعوة اليهود بالحكمة القولية إلى الله تعالى تركز على إثبات نسخ الإسلام لجميع الشرائع، وإظهار وإثبات وقوع التحريف في التوراة، واعتراف المنصفين من علماءهم، وإثبات رسالة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.
- ٢٤ - إن دعوة النصارى بالحكمة القولية إلى الإسلام تقوم على إبطال عقيدة التثليث وإثبات وحدانية الله تعالى، وتقديم الأدلة العقلية والبراهين القطعية على إثبات بشرية عيسى عليه الصلاة والسلام، وأنه عبدالله ورسوله، ثم

تقديم البراهين على إبطال قضية الصلب والقتل، وإثبات وقوع النسخ والتحريف في الأناجيل، وتتويج ذلك بالاعترافات الصادقة من المنصفين من علماء النصارى.

٢٥ - إن من حكمة القول مع أهل الكتاب وغيرهم من الكفار أن تقدم لهم الأدلة والبراهين القطعية على صدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك ببيان معجزات القرآن الكريم التي عجز عنها جميع الجن والإنس، ومعجزات النبي - صلى الله عليه وسلم - الحسية المشاهدة، ثم تتويج ذلك بالأدلة القطعية على عموم رسالة الإسلام في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة.

٢٦ - إن من مقتضى العقول السليمة والحكمة السديدة أن لا يُخاطَب المسلم - في توجيهه وإرشاده وحشه على الالتزام بدينه - كما يُخاطَب الملحد، أو الوثني، أو الكتابي، أو غيرهم من الكفار.

٢٧- إن من الدعوة إلى الله بالحكمة أن يبدأ الداعية بالمهم، ثم الذي يليه، وأن يجعل للمدعو من الدروس ما يسهل عليه حفظها وفهمها والتفكير التام فيها، وأن يعلم العوام ما يحتاجون إليه بالفاظ وعبارات قريبة من أفهامهم تناسب مستواهم مع مراعاة التنويع في الأسلوب والتشويق.

أما التوصيات والمقترحات :

١ - فإنسي أومي نفسي وإخواني الباحثين والدعاة بتقوى الله تعالى، فهي ومية الله للأولين والآخرين، (ولقد وسينا الذين أوتوا الكتب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله...). (١)

٢ - التزام الحكمة في جميع الأمور، وخاصة في الدعوة إلى الله قولا وفعلا، وتفكيراً، ومنهجاً، وسلوكاً، صدقاً وإخلاصاً ورغبة فيما عند الله عز وجل، وهذا من أعظم العطايا وأجل الهبات، ولا يكون ذلك إلا بالتزام أحكام القرآن الكريم والسنة المطهرة الشريفة، والعناية بهما حفظاً وفهما وعملاً، وتعليماً للناس ودعوة، فهما المنبعان المافيان، من أخذ بهما سعد وفاز في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عنهما وعن هديهما خاب وخسر وذل مسعاه، وتشتت شمله.

٣ - اقترح عقد دورات تدريبية علمية وميدانية للعاملين في مراكز الدعوة ومراكز هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لرفع مستواهم العلمي وتدريبهم كيفية دعوة الناس بالحكمة.

وأسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجعلني وإياهم وجميع المسلمين من القائلين بالحق وبه يعملون، وأن يحسن لنا جميعاً النية والقصد والعاقبة، إنه حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

(١) سورة النساء، الآية ١٣٦ .

الفهرس

- ١ - فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ - فهرس الأحاديث والآثار .
- ٣ - فهرس الأعلام المترجم لهم .
- ٤ - المصادر والمراجع .
- ٥ - فهرس الموضوعات .

١ - فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		سورة الفاتحة
٢٦١	٥٠٤	مُلك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين ...
		سورة البقرة
٣٠٩	٢٢،٢١	يأيتها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم ...
٣٩٧	٢٤،٢٣	وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ...
٣٣٥	٢٩	هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ...
٧٠	٤٥	واستعينوا بالصبر والمروة ...
٣٤٢	٥٦،٥٥	وإذ قلتم يا موسى لن نُؤمن لك ...
٣٤٢	٧٣،٧٢	وإذ قتلتم نفسا فادّارءتم فيها ...
٣٦٣	٩٤	فتمنوا الموت إن كنتم صدّقين ...
٣٥٤	١٠٦	ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها ...
٩	١٢٩	ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ...
٤١١	١٣٧	فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ...
٢١	١٥٩	إن الذي يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى ...
٢٤٩	١٦٤،١٦٣	واللهم إله واحد لا إله إلا هو ...
٣١٠	١٦٤	إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل ...
٤٤١	٢٢٣،٢٢٢	ويسألونك عن المحيض قل هو أذى ...
٩	٢٣١	واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم ...
٣٤٢	٢٤٣	ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ...
٢٢٣،٢٢٢	٢٥٥	الله لا إله إلا هو الحي القيوم ...
٣٤٢	٢٥٩	أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ...
٣٤٣	٢٦٠	وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تموتى ...
٩٩،٥٦،٩	٢٦٩	بيوتى الحكمة من يشاء ومن يُؤت الحكمة ...
٢٢٣	٥	إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
سورة آل عمران		
٢٧٩	٧	فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشبه منه ...
٣٧٥	٤٧-٤٥	إذ قالت الملائكة يُمريم إن الله يبشرك ...
٣٤٣، ٣٠٦	٤٩	وأوحى الموتى بإذن الله ...
٣٨٥	٥٥	إذ قال الله يعيسى ابنى متوفيك ورافعك الي ...
٣٧٥	٥٩	إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ...
٣٧٩	٦١	فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ...
٣٤٦	٦٤	قل يا أهل الكتب تعالوا إلى كلمة ...
٣٨٠	٨٠، ٧٩	ما كان لبشر أن يوئيه الله الكتب والحكم ...
٤١٤	٨١	وإذ أخذ الله ميثاق النبيّن لما آتيتكم من كتب ...
٣٢٢	٨٣	وله أسلم من فى السموات والأرض ...
٣٥٤	٩٥-٩٣	كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل ...
(١)	١٠٢	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ...
١٨١	١٤٤	وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ...
١٣٠، ٩٠، ٣٢	١٥٩	فبما رحمة من الله لنت لهم ...
٣٠	١٥٥	ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حلیم ...
٩	١٦٤	لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم ...
سورة النساء		
(١)	١	يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ...
٣٧٨	١	وخلق منها زوجها ...
٤٣١، ٤٢١	١٤، ١٣	تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله ...
١٥	٤٠	إن الله لا يظلم متقال ذرة ...
٣٥٦	٤٦	من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ...
٣١٣	٤٨	إن الله لا يغفر أن يشرك به ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
سورة النساء		
١٦٣	٥٨	وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ...
٤٢٠	٦٦	ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم ...
٥٦	٧٧	قل متع الدنيا قليل والأخرة خير لمن اتقى ...
٢٧٦	٧٩	ما أصابك من حسنة فمن الله ...
٤٨	٩٤	يأيتها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله ...
٤٩	٩٤	ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا ...
٣٦٢	١٥٢-١٥٠	إن الذين يكفرون بالله ورسله ...
٢٨٥، ٣٨٢	١٥٩-١٥٧	وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ...
٣٥٤، ١٦٢	١٦١، ١٦٠	فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات ...
٣٧٣، ٣٢٧	١٧١	يسأهل الكتب لا تفلوا في دينكم ...
٢٨١	١٧٢	لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ...
سورة المائدة		
٣٥٦	١٣	فبما نقضهم ميثاقهم لعنتهم ...
٢٧٣	١٧	لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ...
٣٥٦	٤٣-٤١	يقولون إن أوتيتهم هذا فخذوه ...
٤١١	٦٧	يأيتها الرسول بلغ ما أنزل إليك ...
٣٢٥	٧٢	وقال المسيح يبنى إسرائيل اعبدوا الله ...
٢٧٤	٥-٧٢	لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ..
٢٨٠، ٣٧٢	٧٥	ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ...
٣١٦	٧٦ ...	قل اتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا
٣٩٣	٨٢	ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ...
٢٧٩	١٠١	يأيتها الذين آمنوا لاتسئلوا عن أشياء ...
٢٤٣، ١٩٦	١١٠	وإذ تخرج الموتى بآذني ...
٢٧٤	١١٧، ١١٦	وإذ قال الله يعيسى ابن مريم أنت قلت للناس ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
سورة الانعام		
٤٣٩	١١	قل سيروا فى الأرض ثم انظروا ...
٦٠	٣٣	فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين ...
٤٣٠	٤٧،٤٦	قل أرءيتم إن أخذ الله سمعكم ...
٣٩٨،٣٢٣	٥٩	وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ...
٣٤٠	٦٠	وهو الذى يتوفىكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ...
٢٩٠	٧٩	إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض ...
٤١٧	١٠٤	قد جاءكم بما يبر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ...
٩٣	١٠٨	ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ...
٦٨	١٥٣-١٥١	وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ...
١٦٢	١٥٢	وإذا قلتم فاعدلوا ...
سورة الاعراف		
٢٧٨	٣٣	قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ...
٤٢٦	٥٦	إن رحمت الله قريب من المحسنين ...
٣٢٤	٥٩	لقد أرسلنا نوحا إلى قومه ...
٣٢٥	٦٥	وإلى عاد أخاهم هودا ...
٣٢٥	٧٣	وإلى ثمود أخاهم صالحا ...
٣٢٥	٨٥	وإلى مدين أخاهم شعيبا ...
٢٦٧	١١٩،١١٨	فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون
١٥٥	١٥٦	ورحمتى وسعت كل شىء فساكتبها للذين يتقون ...
٣١٧	١٩٨-١٩١	أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ...
٧٧،٣٩،٣٢	٢٠٠،١٩٩	خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجهلين ...
سورة الانفال		
٤١٠،١٣٧	٩	إذا تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
سورة الأنفال		
٢٦	٢٩	يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم ...
١٣١	٧٥	وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض ...
٣٢٣	٧٥	إن الله بكل شيء عليم ...
سورة التوبة		
٤١٠	٢٦	وأنزل جنودا لم تروها ...
٣٧٤	٣٠-٣٤	وقالت النصرى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم ...
٤١٠	٤٠	فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود ...
١١	٧٣	يأيها النبي جهد الكفار والمنافقين ...
٦٣	٧٥-٧٧	ومنهم من عهد الله لين اتتنا من فضله ...
٣٧، ٣٦	١١٤	وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة ...
٩٠	١٢٨	لقد جاءكم رسول من أنفسكم ...
سورة يونس		
٣٣٨	٤	إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ...
٣٧٦	١٨	ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ...
٣٧٥	٣١	قل من يرزقكم من السماء والأرض ...
٣٤٥	٥٣	ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى ...
٣٢٣	٦١	وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة ...
٣٢٢	١٠٧	وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ...
سورة هود		
٣٩٧	١٣	أم يقولون افتركه قل فأتوا بعشر سور ...
٧٥	١١٢	فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ...
سورة يوسف		
٤٣٥	٣	نحن نقص عليك أحسن القصص ...
٣٩١، ٣٥٧	٢٦	وشهد شاهد من أهلها ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
سورة يوسف		
١٩، ١٥	١٠٨	قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة ...
٤٣٥	١١١	لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ...
سورة إبراهيم		
٣٠٠	١٠	أفي الله شك فاطر السموات والأرض ...
٢٣٠	١٤	ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد ...
٣٣٦	٣٤-٣٢	الله الذى خلق السموات والأرض ...
سورة الحجر		
٢٥٧	٩	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ...
٤١١، ١٠١	٩٦-٩٤	فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ...
سورة النمل		
١٤	٢	ينزل الملائكة بالروح من أمره ...
٣٣٧	١٨-١٤	وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا ...
٣٢٤	٣٦	ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله ...
٣٧٦، ٣٣٥، ٢٩٣، ٧٩	٥٣	وما بكم من نعمة فمن الله ...
٦٤	٩٠	إن الله يأمر بالعدل والإحسان ...
٦٣	١٠٥	إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيت الله ...
٢٦٠	١٠٦	إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ...
٨٤، ١٦، ٩	١٢٥	ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ...
سورة الإسراء		
٤٠٣	١	سَبَّحُنَا الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ...
٤٣٤، ٤٠٠، ٣٧٥	١٠، ٩	إن هذا القرآن يهتدى للتى هى أقوم ...
٤٨	١١	ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير ...
٦٧	٣٩-٣٣	لاتجعل مع الله إلها آخر ...
٥٣	٣٦	ولا تقف ما ليس لك به علم ...

الآية	رقمها	رقم الصفحة
سورة الاسراء		
قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون ...	٥٦	٣١٧
اولئك الذين يدعون يبتغون الي ربهم الوسيلة ...	٥٧	٣١٧
واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ...	٦٧	٢٩٣
قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل ...	٨٨	٣٩٧، ٣٦١
سورة الكهف		
وكذلك اعرشنا عليهم ليعلموا ...	٢١	٣٤١
وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ...	٢٩	٤١٧، ٣٦٠
سورة مريم		
واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت ...	١٦	٣٨٠
فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها ...	١٧-١٩	٣٧٦
قال انى عبدالله اتنى الكتاب وجعلنى نبيا ...	٣٠، ٣١	٣٨٠، ١٢
ذلك عيسى ابن مريم قول الحق ...	٣٤	٣٧٥
يأيت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ...	٤٢	٢٥٣
قال اراغب أنت عن الهى يا ابراهيم ...	٤٦-٤٨	٣٧
ويقول الإنسن اءذا مامت لسوف اخرج حيا ...	٦٦، ٦٧	٣٣٩
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا اءا ...	٨٨-٩٣	٣٠٤
ان كل من فى السموات والارض الا اءى الرحمن عبدا	٩٣	٣٢١
سورة طه		
الرحمن على العرش استوى ..	٥	٢٤٢
انى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى ...	١٤	١٣
وعجلت اليك رب لترضى ...	٨٤	٥٤
يومئذ لاتنتفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ...	١٠٩	٣٣٣
ولا تعجل بالقرءان من قبل أن يقضى اليك وحيه ...	١١٤	٤٦
وقل رب زدنى علما ...	١١٤	٢٥

رقم الصفحة	رقمها	الآية
سورة الانبياء		
٢١٤	٢٢، ٢١	أم اتخذوا ءالهة من الأرض هم ينشرون ...
٢٥١	٢٣	لايسئل عما يفعل وهم يسئلون ...
٢٢٤	٢٥	وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نُوحى إليه ...
٢٤٢	٢٨	ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ...
٥٤	٣٧	خلق الإنسن من عجل ...
٥٤	٩٠	إنهم كانوا يسرعون فى الخيرات ...
٢٧٧	٩١	والتى أحصنت فرجها ...
١٢٠	١٠٧	وما أرسلنك إلا رحمة للعلمين ...
سورة الحج		
٢٠٦	١٩	هذان خصمان اختصموا فى ربهم ...
٣٠	٥٩	وان الله لعليم حلِيم ...
٢٦١	٦٠	ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ...
٢٢٦	٦٢	ذلك بأن الله هو الحق ...
٢١٨، ٢٩٨	٧٤، ٧٣	يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ...
سورة المؤمنون		
٤٢٨	١٠-١	قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون ...
٢٠٣	١٤-١٢	ولقد خلقنا الإنسن من سللة ...
١٤٩	٧٦	ولقد أخذنهم بالعذاب فما استكانوا لربهم ...
٢١٥	٩٢، ٩١	ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ...
٤٢٣	١٠٦	قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ...
٢٣٨	١١٦، ١١٥	افحسبتم أنما خلقنكم عبثا ...
سورة النور		
٤٢٠	١٧	يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ...
١٨٥	٦٣	فليحذر الذين يخالفون عن أمره ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		سورة الفرقان
٣٧	٦٣	وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ...
		سورة الشعراء
٣٠٦	٦٣	فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ...
١٣	٨٣	رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين ...
١٠٣، ١٠٢	٢١٤	وانذر عشيرتك الأقربين ...
		سورة النمل
٥٢	٢١، ٢٠	وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدمد ...
٤٢٦، ٣٠٤	٦٢	أمن يجيب المضطر إذا دعاه ...
		سورة القصص
٤٤٠	٧٠	له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم
		سورة العنكبوت
٤٣١	٤٠-٣٩	وقرّون وفرعون وهامان ...
٣١٩	٤٣، ٤١	مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء ...
٣٤٦، ٢٤٥، ١١	٤٦	ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ...
٢٧٦	٦٥	فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين ...
		سورة الروم
٤٣٩	٩	أولم يسيروا في الأرض فينظروا ...
٣٤٤	١٩	يخرج الحي من الميت ويخرج ...
٣٣٩	٢٧	وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده ...
٣٥١	٢٧	وله المثل الأعلى في السموات والأرض
٢٩٠	٣٠	فطرت الله التي فطر الناس عليها ...
٤٢٩	٤١	ظهر الفساد في البر والبحر ...
٣٤٤	٥٠	فانظر إلى ما أشرّ رحمت الله ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		سورة لقمان
٦٩٠٩	١٩-١٢	ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ...
٣٣٥	٢٠	الم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات ...
٣٤١	٢٨	ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ...
		سورة السجدة
٣٤٤	١١،١٠	وقالوا اءذا ظللنا فى الأرض اءنا لفى خلق جديد ...
٤٤٧	١٧	فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرآءة أعين ...
		سورة الاحزاب
٤٢٨،٤٠٣	٩	إذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريحا ...
١٤٦،٩٨،٦٤	٢١	لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ...
٢٠٧	٢٣	من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ...
(١)	٧٠	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ...
		سورة سبأ
٤٤٠	١	الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ...
٣٣٢،٣١٧	٢٣،٢٢	قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون مثقال ذرة ...
		سورة فاطر
٣٠	٤٥	ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ...
		سورة يس
٣٤١	٨٠	الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ...
٣٢٣	٨٢	إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ...
		سورة المائتات
٣٦٣	٢٧	بل جاء بالحق وصدق المرسلين ...
		سورة الزممر
٣١٢،٢٧٥	٣	والذين اتخذوا من دونه أولياء ...
٤٣٢	١٥	قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
سورة الزمر		
٣١٩	٢٩	ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشكسون ...
١٨١	٣٠	إنك ميت وإنهم ميتون ...
٢٣١	٤٤	قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ...
٢٥٢	٦٢	الله خلق كل شيء ...
٤٣٢	٧٢، ٧١	وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا ...
سورة غافر		
١٧٤، ١١٤	٢٨	أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ...
٢٧٥	٥١	إنا لننمر رسلنا والذين آمنوا ...
سورة فاطر		
١٠٩	١٣	فإن أعرضوا فقل أنذرتكم ماعقة ...
٧٥	٣٠	إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقلوا ...
٧٦	٣٣	ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله ...
٣٨، ٣٢	٣٤	ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ...
٣٤٤	٣٩	ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا ...
٣٩٦	٤٢	لآياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ...
٤٠٠	٥٣	سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم ...
سورة الشعورى		
٤٢٩	٣٠	وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ...
٣٨	٣٧	والذين يجتنبون كبير الإثم والفواحش ...
٢٥٤	٤٠	فمن عفا وأصلح فأجره على الله ...
سورة الزخرف		
٣٢٤	٤٥	وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا ...
٣٨٠	٦٥-٥٩	إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ...
٤٣٣	٧٨، ٧٧	ونادوا يملك ليقتض علينا ربك ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		سورة الجاثية
٢٧٦-٢٢٥	١٣	وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض ...
٢٢٩	٢١	أم حسب الذين اجترحوا السيئات ...
		سورة الاحقاف
٧٥	١٤، ١٣	إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقلوا ...
٢٥٢	٢٥	تدمر كل شئء بأمر ربها ...
٢٤٠	٢٢	أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ...
		سورة محمد
١٨، ١٤	١٩	فاعلم أنه لا إله إلا الله ...
		سورة الحجرات
٤٦	٦	يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ ...
		سورة ق
٢٤٤	٤-١	ق . والقرءان المجيد ...
		سورة الذاريات
٣٠٣، ٢٩٢	٢١	وفى أنفسكم أفلا تبصرون ...
		سورة الطور
٢٩٦	٢٥	أم خلقوا من غير شئء أم هم الخلقون ...
		سورة القمر
٤٠٢، ٣٠٧	٣-١	اقتربت الساعة وانشق القمر ...
١٢٨	٤٥	سيهزم الجمع ويولون الدبر ...
		سورة الواقعة
٣٠٢	٥٩، ٥٨	أفرعيتم ما تمنون . ءأنتم تخلقونه ...
		سورة الحشر
١٥٥	١٠	والذين جاءوا من بعدهم ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		سورة الصف
٧٢، ٢١	٢، ٢	يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ...
٣٦٢	٦	ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ...
		سورة الجمعة
١٠	٢	هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ...
٣٦٤	٧، ٦	قل يأيها الذين هادوا إن زعمتم ...
		سورة المنافقون
٧٨	٧	هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله ...
١٧١	٨	يقولون لين رجعنا إلى المدينة ...
		سورة التغابن
٣٤٥	٧	زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ...
		سورة التحريم
٤١٩، ٢٤٥، ١١	٩	يأيها النبي جهد الكفار والمنافقين ...
٣٧٧	١٢	ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها ...
		سورة الملك
٣٢٨	٢، ١	تبّرك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ...
٣١٥	٣	ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ...
٢٩٠	٣	فارجع البصر هل ترى من فطور ...
٣٩٩	١٤	ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ...
		سورة القاسم
١٥٠، ٦٠	٤	وانك لعلى خلق عظيم ...
٣٣٩	٣٦، ٢٥	أفنجعل المسلمين كالمجرمين ...
		سورة نوح
٣٢٦	٢٣	وقالوا لا تذرنا ههنا ولا تذرنا ودا ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		سورة المدثر
٩٩	٧-١	يا أيها المدثر . قم فأنذر ...
٢٢٣	٤٨	فما تنفعهم شفاعة الشفيعين ...
		سورة القيامة
٤٦	١٩-١٦	لا تحرك به لسانك لتعجل به ...
		سورة الانسان
٢٧٧	٦	عينا يشرب بها عباد الله ...
		سورة الشمس
٢٧٧	١٣	ناقة الله وسقيلها ...
		سورة الليل
١٨٠	١٨،١٧	وسيجنبها الأتقى . الذي يؤتى ماله ...
		سورة المسد
١٠٣	١	تبت يدا أبي لهب وتب ...

٢ - فهرس الأحاديث والآثار

رقم الصفحة	طريف الحديث أو الأثر
	- ١ -
١٦٢	أنتشفع في حد من حدود الله
٤٠٦	أثبت أحد، فإن عليك نبي ومصديق
٢٢	أجهل الناس من ترك ما يعلم (سفيان)
٦٥	أجمع آية في كتاب الله (عبدالله بن مسعود رضي الله عنه)
١٦٥	اجمعوا لها
١٩٦	أحب الناس إلي من أهدى إلي عيوبي (عمر بن الخطاب رضي الله عنه)
٤٠٤	أخرج عدو الله أنا رسول الله
١٩٧	أخرجوا المشركين من جزيرة العرب
٢٦	أخي لن تنال العلم إلا بستة: ذكاء وحرص ... (الشافعي)
١٦١	أدنه .. أتعبه لأملك؟
٥١	إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون
٥١	إذا أقيمت الصلاة فلا تقوموا حتى تروني
٢٧	إذا رأيت الماء
١٦٥	أذهبني فأطعمني هذا عيالك
٥٩	أرأيتم لو أنني أخبرتكم أن خيلا
٢٣٤	أرى دنيا يأكل بعضها بعضا (عمر بن عبدالعزيز)
٢٤١	أشدت غضب الله على قوم فعلوا هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم
٢١٩	أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش (عائشة رضي الله عنها)
٤٠٤	اعبدوا ربكم وأكرموا أخاكم
٢٣٤	أعجب ممن عرف الله فعماه (عمر بن عبدالعزيز)
٤٢٧	أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
١٦٤	أعطى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صفوان .. (الزهري)
٨٩	أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون ..

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٥٠	أفلا شققت عن قلبه
١٠٩	أقد فرغت يا أبا الوليد؟
١٨٨	إلا بحقها
٢١٩	إلا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم
٢٢٨	إلا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم
٢٢٩	إلا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ... (علي بن أبي طالب)
١١٥	إلا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش؟
٤١٠	إلى أين ؟
٢١٠	الله أكبر، خربت خيبر
١٢٧	اللهم أنجز لي ما وعدتني
٢٥	اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني
١٤٠، ٣٦	اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون
١٥٨	اللهم اهد دوساء، واثت بهم
٢٤	اللهم علمه الكتاب
٢٤	اللهم علمه الحكمة
١١٢	اللهم عليك بقريش "ثلاثا"
١٦١	اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم
٢٢٠	اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا (سعد بن معاذ رضي الله عنه)
٢٢٢	اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه
٣٠٥	اللهم أغشنا اللهم أغشنا
٢٤٨	اللهم لا تجعل قبوري وثنا يعبد
٤١٢	اللهم أكثر ما له وولده
٤١٢	اللهم بآرك له في صفقة يميند
٢٨	أما إن ملكا بينكما يذب عنك

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٢٤٤	أما أنا فعلى بيعة من ربي وديني (الإمام مالك)
١٨٦	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا
١٤٣	أنا النبي لا كذب
٢٠٦	أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن (علي بن أبي طالب رضي الله عنه)
١٥١	أنا وهو يا عمر كنا أحوج إلى غير هذا
٢٢٣	إن ابني هذا سيد
٨٢	إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة (موسى عليه الصلاة والسلام)
٢٣	إن الناس أحسنوا القول كلهم (عبدالله بن مسعود رضي الله عنه)
١٦١	إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه
١٦٠	إن الله رفيق يحب الرفق
٢٥٧، ٢٢٣، ٢٠٨	إن الله ليبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة
٢٤٣	إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق (الإمام مالك)
٤٠٦	إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد ..
١٥٠	إن رجلا أتاني وأنا نائم فأخذ السيف
٢٦٠	أنتدك بالذي أنزل التوراة هل تجد
٣١	إن فيك خصلتين يحبهما الله
٤٠٥	إنقادي علي بأذن الله
٨٧	إن قومك قمرت بهم النفقة
١٠٣	إنقذوا أنفسكم من النار
١٦٤	إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا
٢٨٥	إنك تأتي قوما أهل كتاب
١٥٤	إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين
٦٤	إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق
٩٢	إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل
١٧٧	إن من أمن الناس علي في صحبته وماله

رقم الصفحة	طريف الحديث أو الأثر
٢٥	إن هذا اخترط علي سفي وأنا نائم
١٥٧	إن هذه الملاة لا يصح فيها شيء من كلام
٢٠٨	إنه عمرو اجلس
١٨٨	إنه قد انقطع الوحي وتم الدين (أبو بكر رضي الله عنه)
٢٩١	إنني خلقت عبادي حنفاء كلهم
٨٨	إنني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه
٢٦	إنني لأحسب الرجل ينسى العلم بالذنب (عبدالله بن مسعود)
٤٠٧	إنني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي
٣٤	إنني لم أومر أن أنقب قلوب الناس
٢٢٢	اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ
١٩٦	أوه لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة (عمر بن الخطاب رضي الله عنه)
١٤٢	أي عباس ناد أصحاب السمرة
٦٣	آية المنافق ثلاث
٣٢٧	إياكم والغلو في الدين
١٧٤	أيها الناس أخبروني من أشجع الناس (علي بن أبي طالب)
١٨٢	أيها الناس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم (أبو بكر الصديق)
١٤٢	الآن حمي الوطيس
	- ب -
١٨١	بأبي أنت وأمي والله لا يجمع عليك موتتين (أبو بكر رضي الله عنه)
٣٤٧	بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هرقل
٣١	بل الله جيلك عليهما
	- ت -
٣١	تبايعون على أنفسكم وقومكم
١٢٤	تبايعوني على السمع والطاعة
١٩٩	تبعنيها بعين في الجنة

رقم الصفحة	طُرف الحديث أو الأثر
١٢٣	تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً
٢٣	(عبدالله بن مسعود) تعلموا تعلموا، فإذا علمتم فاعملوا
٨٨	تهادوا تحابوا
٥٥	التَّوَدَّةُ في كل شيء خيرٌ إلا في عمل الآخرة
	- ج -
١٤٠	جرح وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - (سهل بن سعد)
	- ح -
٢٨٦، ٨٤	حدثوا الناس بما يعرفون (علي بن أبي طالب رضي الله عنه)
٢٥٢	حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج
٢٤٧	حكمت في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ (الإمام الشافعي)
٢٤٧	حكمت في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد (الإمام الشافعي)
٦٦	الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه
٢٧٩	الطلال بين والحرام بين ...
٣١	الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله (الأشج)
	- خ -
٣٥٨، ١٢٩	خبرني بهن أنفا جبريل
٣٦	خمس إذا أخطأ القاضي منهن خطة (عمر بن عبدالعزيز)
٢٥٧، ٢٤١، ٢٣٥، ٢٠٦	خير الناس قرني ثم الذين يلونهم
	- د -
١٧٢	دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه
	- ر -
٣٣	رحم الله موسى فقد أودى بأكثر من هذا فصبر
	- س -
٧٥	سددوا وقاربوا
٣٩٦	سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ (جبير بن مطعم)

رقم الصفحة	طريف الحديث أو الأثر
٥٥	السمت والتؤدة والاقتماد
	- ش -
٤٠٧، ١٤٢	شامت الوجوه - - -
٢٧	شكوت إلى وكيع سوء حظي ... (الإمام الشافعي)
	- ع -
٢٢٠	عليكم بذلك عهد الله وميثاقه (سعد بن معاذ رضي الله عنه)
	- ف -
٦٤	فإن خلق نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كان القرآن (عائشة)
٤٠٩	فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه (جابر بن عبدالله)
٤٠٨	فبصق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيهما
١٢٨	فخرج وهو يقول: سيهزم الجمع ويولون الدبر
٢٩٦	فلما بلغ هذه الآية كاد قلبي أن يطير (جبير بن مطعم)
٤٠٣	فمسحها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكأنها
٣٢	فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله
٤٠٣	فنفث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٤٣	فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم
	- ق -
٢١٦	قد أجبتك ... سل عما بدا لك؟
٤٠٨	قدم - صلى الله عليه وسلم - تبوك
١١٤	قد كان قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له ..
٧٥	قل آمنت بالله ثم استقم
٢٢٠	قوموا إلى سيديكم
١٠٨	قل يا أبا الوليد أسمع
	- ك -
٤٠٨	كان النبي - صلى الله عليه وسلم - في ألف وأربعمائة

رقم الصفحة	طُرف الحديث أو الأثر
٨٦	كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتخولنا بالموعظة
١٢٨	كنا إذا حمى البأس (علي بن أبي طالب رضي الله عنه)
١٩١	كان إسلام عمر فتحا (عبدالله بن مسعود رضي الله عنه)
١٤٣	كنا والله إذا احمر البأس (البراء رضي الله عنه)
٣٢٦	كان بين آدم ونوح عشرة قرون (ابن عباس رضي الله عنهما)
٢٣٤	كأنه يقول من أين جاءت (عمر بن عبدالعزيز)
٢٥	كفى بتركك له تضييعا (أبو هريرة رضي الله عنه)
٢٤٤	كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر (الإمام مالك)
٨٣	كلكم خطأ وخير الخطائين التوايون
٣٤	كنت أمشي مع النبي - صلى الله عليه وسلم - (أنس رضي الله عنه)
٥٠	كيف تصنع بلا إله إلا الله؟
٢٤٢	الكيف منه غير معقول (الإمام مالك)
- ل -	
٢١٠	لأعطين هذه الراية غدا رجلا
٢٢٠	لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم (سعد)
١٥٤	لقد تحجرت واسعا
٢٢١	لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة
١٤٣	لقد رأى ابن الأكوع فزعا
١٣٨	لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله (علي بن أبي طالب)
١١٩	لقد لقيت من قومك ما لقيت
١٧٦	لما كذبني قريش قمت في الحجر
١٤٤	لم تراعوا لم تراعوا
٢٢٨	لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم (الحسن البصري)
١١٢	لو دنى منه لاخطفته الملائكة
٨٩	لو سلك الناس واديا أو شعبا

رقم الصفحة	طريف الحديث أو الأثر
٤١٤	لو كان موسى حيا بين أظهركم
٤٠٧	لو كنا مائة ألف لكفانا (جابر رضي الله عنه)
١٧٧	لو كنت متخذا خليلا
٤٠٩	لو لم تكله لأكلتم منه ..
٤٠	ليس الشديد بالمرعة
- م -	
٢٨٦، ٨٤	ما أنت بمحدث قوما حديثا (عبدالله بن مسعود رضي الله عنه)
٩٠	ما بال أحدكم يقوم فيستقبل ربه
٩١	ما بال أقوام يتنزهون عن شيء أصنعه
٩١	ما بال أقوام قالوا كذا وكذا
٩١	ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء
٩١	ما بال أناس يشترطون شروطا
٨١	ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم
٤١٤	ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق (ابن عباس)
١٤٧	ماذا عندك يا شامة؟
١٩١	ما زلنا أعرزة منذ أسلم عمر (عبدالله بن مسعود)
٢٤٤	ما زهد أحد في الدنيا واتقى إلرا . . . (الإمام مالك)
١٦٣	ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام .. (أنس بن مالك)
٢٠٠	ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم
٩٣	ما لك يا عمرو
٣٩٥	ما من الأنبياء إلا أعطي من الآيات
٣٥٩	ما من علامات النبوة شيء إلا قد رأيته (زيد بن سعدة رضي الله عنه)
٢٩٠	ما من مولود إلا يولد على الفطرة
٢٠	مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن
٩٥	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم

رقم الصفحة	طريف الحديث أو الأثر
٢٤٧	مذهبي في أهل الكلام تقنيع رؤوسهم بالسياط (الإمام الشافعي)
٢٨	من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله
٩٢	من جهز غازيا فقد غزا
١٩٨	من حفر بئر رومة فله الجنة
٢٤٣، ٩٢	من دل على خير فله مثل أجر فاعله
٢٢	من سئل عن علم وكتمه أجم يوم القيامة
٢٨٠	من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
١٩٨	من يشتري بئر رومة
١٩٩	من يشتري بقعة آل فلان
٣٤٧	مهلا يا عائشة، إن الله يحب
١٣٢	مهيم؟ ما سقت فيها؟
٩٤	المؤمن للمؤمن كالبنيان
	- ن -
٢٧	نعم النساء نساء الأنمار
٤٠٣	نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور
	- ه -
٢٣٥	هؤلاء اليوم رعيته وهم غدا خصماؤك (عمر بن عبدالعزيز)
٤٠٥	هذه السلعة "قاله لمن قال: من يشهد لك؟"
٩٤	هو الطهور ماؤه
٣٩	هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل (عبيدة بن حصن)
	- و -
٤١٦	والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد ...
٩٠	والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر ...
٨١	والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل ..
١٨٦	والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة (أبو بكر الصديق)

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
١٦٤	والله لقد أعطاني رسول الله ... (صفوان بن أمية)
١٨٦	والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه (أبو بكر الصديق)
١٨٧	والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها (أبو بكر الصديق)
٤٠٩	وبقي تمرى وكأنه لم ينقص منه شيء (جابر بن عبد الله)
٢٧٩	وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان
٣٤	وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه (خالد بن الوليد)
- لا -	
٣٢٨	لا تجعلوا بيوتكم قبورا
٢٥٧	لا تزال طائفة من أمتي قائمة
١٥٣	لا تزرموه دعوه
٣٢٩	لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد
٣٦٨	لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم
٣٢٧	لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم
٣٢٩	لا تعمل المظي إلا إلى ثلاثة مساجد
٤٠	لا تغضب
٢٣	لا تكن تقيا حتى تكون عالما (أبو الدرداء رضي الله عنه)
٢٤	لا حسد إلا في اثنتين
٧٩	لا حكيم إلا ذو تجربة (معاوية رضي الله عنه)
١٤٢	لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (البراء رضي الله عنه)
٢٨	لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر (مجاهد)
٥٤	لا يزال الرجل يجني من شجرة العجوة الندامة (عمرو بن العاص)
٨٣	لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين

- ي -

١٧٧ يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأسر
١٧٦	يا أبا بكر ما لك تمشي ساعة خلفي
٤٩	يا أسامة اقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله
٣٩	يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه . . (الحر بن قيس)
٢٣٤	يا أمير المؤمنين هذا صوت رحمة الله (عمر بن عبدالعزيز)
١٢٥	يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا
٣٥٩	يا أيها الناس افشوا السلام وأطعموا الطعام
١٠٤	يا بني فهر، يا بني عدي
٢٣	يا حملة العلم اعملوا به فإنما العالم من عمل (علي بن أبي طالب)
٢٧	يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق (أم سليم رضي الله عنها)
٣١	يا رسول الله أنا تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما؟ (الأشج)
٣١	يا رسول الله إنك لم تزاول الرجل (الأشج)
١٢٠	يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا
٢٨٥، ٨٧	يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد
٣٢٥	يا عدي اطرح عنك هذا الوثن
١٣٠	يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله
٢٣	يراد للعلم الحفظ والعمل (سفيان)
٨٦	يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا

٢ - فهرس الأعلام المترجم لهم

رقم الصفحة	الاسم
- أ -	
٤٣٤	أحمد بن إبراهيم
٢٥١	أحمد بن أبي دؤاد
٢٥٨	أحمد بن عبدالحليم (شيخ الإسلام ابن تيمية)
٢٦٦	أحمد بن علي بن أحمد
٢٥٠	أحمد بن محمد بن حنبل (الإمام)
٢٦٢	إسحاق بن إبراهيم
٢٤٩	إسماعيل بن يحيى المزني
- ج -	
٢٥٥	جعفر بن محمد (المتوكل)
- ح -	
٢٢٦	الحجاج بن يوسف الثقفي
٢٢٨	الحسن بن يسار البصري
- ز -	
٣٣	زيد الخيل بن مهلهل الطائي
- س -	
٢٢٦	سعيد بن المسيب
٢٢	سفيان بن عيينة
٢٣٣	سليمان بن عبدالمك

رقم الصفحة	الاسم
	- م -
٢٤٧	صبيغ بن عسل الحنظلي
	- ع -
٢٥٠	عبدالله بن هارون الرشيد (المأمون)
٢٢	علقمة بن علاثة
٢٩٠	علي بن أحمد بن حزم
٢٢٢	عمر بن عبدالعزيز
٢٢٩	عمر بن هبيرة
٢٢	عيينة بن حصن
	- غ -
١٥١	غورث بن الحارث
	- ل -
٢٤٨	الليث بن عاصم
	- م -
٢٤٢	مالك بن أنس (الإمام)
٢٥٢	محمد بن إبراهيم
٢٤٤	محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
٢٤٦	محمد بن ادريس (الإمام الشافعي)
٢٧٠	محمد بن عبدالوهاب (الإمام)
٢٥٦	محمد بن هارون الرشيد (المعتصم)

رقم الصفحة	الاسم
٢٥١	محمد بن نوح
٣٠	المنذر بن عاكذ (الأشج)
	- ن -
٢٩١	النجاشي (أميمة ملك الحبشة)
٢٣٩	النعمان بن ثابت (الإمام أبو حنيفة)
	- ه -
٢٥٥	هارون بن المعتمد (الواثق)
	- و -
٢٧	وكيع بن الجراح
	- ي -
٢٢٩	يزيد بن عبد الملك بن مروان
٢٤٨	يونس بن عبد الأعلى

٤ - المصادر والمراجع

- ١ -

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - أثر تطبيق الحدود في المجتمع، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقده جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٣٩٦هـ، طبع وتوزيع جامعة الإمام.
- ٣ - أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبدالله ابن العربي، ت ٥٤٢هـ، تحقيق علي ابن محمد البجاوي، بدون تاريخ - دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٤ - أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن الماوردي، ت ٤٥٠هـ طبعة ١٣٧٤هـ ميدان الأزهر، مكتبة ومطبعة محمد بن علي صبيح وأولاده.
- ٥ - الأدب المفرد، للإمام البخاري: محمد بن إسماعيل، ت ٢٥٦هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ، دار البشائر الإسلامية.
- ٦ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، بدون تاريخ، دار الفكر.
- ٧ - إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي.
- ٨ - أسس الدعوة وأدب الدعاة، الدكتور محمد الوكيل، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، دار الوفاء، ودار المجتمع - جدة.
- ٩ - أصول الدعوة، الدكتور/ عبدالكريم زيدان، الطبعة الثالثة ١٣٩٦هـ مكتبة المنار الإسلامية.
- ١٠ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكنبي الشنقيطي، ت ١٣٩٣هـ الطبعة ١٤٠٣هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- ١١ - إظهار الحق، رحمة الله بن خليل الرحمن العثمانى، ت ١٣٠٨هـ، بتحقيق عمر الدسوقي، بدون تاريخ، المكتبة العمرية - صيدا - بيروت.

- ١٢ - أعلام المسلمين، "أبو حنيفة النعمان"، تأليف/ وهبي سليمان غاوجي،
الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ، دار القلم - دمشق .
- ١٣ - أعلام المسلمين "مالك بن أنس، إمام دار الهجرة"، لعبدالغني الدقر،
الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - دار القلم.
- ١٤ - أعلام المسلمين "الإمام الشافعي"، لعبدالغني الدقر، الطبعة الثالثة
١٤٠٧هـ - دار القلم.
- ١٥ - أعلام المسلمين "سعيد بن المسيب - سيد التابعين" الدكتور/ وهبه
الزحيلي، الطبعة الثانية - بدون تاريخ، دار القلم .
- ١٦ - أعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي
بكر، ابن القيم، ت ٧٥١ هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، طبعة
١٤٠٧هـ، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- ١٧ - أعلام النبوة، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، ت ٤٥٠هـ الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٨ - إغاثة اللهفان من موائد الشيطان، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن
القيم، ت ٧٥١هـ بتحقيق محمد حامد الفقي، بدون تاريخ، مكتبة حميدو -
الإسكندرية.
- ١٩ - إمام التوحيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الدعوة والدولة: أحمد القطان،
ومحمد الزين، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ، بمراجعة الشيخ عبدالعزيز بن
عبدالله بن باز، مكتبة السندس - الكويت .
- ٢٠ - أمثال القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر، ابن القيم، ت ٧٥١هـ، تحقيق
الدكتور/ ناصر بن سعد الرشيد، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - دار مكة للطباعة
والنشر.
- ٢١ - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر جابر الجزائري، الطبعة
الأولى ١٤٠٧هـ - بدون دار نشر.
- ٢٢ - أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، محمد بن إبراهيم الشيباني،
الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - مكتبة ابن تيمية - الكويت.

- ٢٣ - الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، الشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، مكتبة دار الأرقم - الكويت.
- ٢٤ - الأخلاق الإسلامية وأسماها، عبدالرحمن بن حسن حبنكة الميداني، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، دار القلم - دمشق، بيروت.
- ٢٥ - الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للدكتور/ صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
- ٢٦ - الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ترجمة ظفر الإسلام خان، بدون تاريخ، دار المختار الإسلامي.
- ٢٧ - الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ دار صادر، وبهامشه الاستيعاب لمعرفة الأصحاب، لابن عبدالبر، ت ٤٦٣هـ.
- ٢٨ - الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، لعمر بن علي البزار، ت ٧٤٩هـ، تحقيق زهير الشاويش، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي.
- ٢٩ - أعلام المسلمين، خالد البيطار، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - مكتبة المنار.
- ٣٠ - الإمام محمد بن عبدالوهاب، دعوته وسيرته، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- ٣١ - الإنجيل دراسة وتحليل، الدكتور/ محمد شلبي شتيوي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، مكتبة الفلاح - الكويت.
- ٣٢ - الإيمان، عبدالمجيد بن عزيز الزندانني، ومجموعة من العلماء، بدون تاريخ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.

- ب -

- ٣٣ - بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ٣٤ - البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت ٧٧٤هـ، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م، مكتبة المعارف. بيروت - لبنان.
- ٣٥ - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، ت ٧٩٤هـ،

بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، دار الفكر.

- ت -

٣٦ - تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، بدون تاريخ، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.

٣٧ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ (قسم السيرة النبوية وعهد الخلفاء الراشدين) تحقيق الدكتور/ عمر بن عبدالسلام، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ دار الكتاب العربي.

٣٨ - تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٣٩ - تاريخ الخلفاء، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت ٩١١هـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، بدون تاريخ، وبدون دار نشر.

٤٠ - تاريخ نجد، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات نوي الإسلام، لحسين بن غنام، بتحقيق الدكتور/ ناصر الدين الأسد، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ مطابع شركة الصفحات الذهبية، الرياض - المملكة العربية السعودية.

٤١ - تحفة الأحمدي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلى محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، ت ١٣٥٣هـ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

٤٢ - تذكرة الدعاة، البهي الخولي، الطبعة السادسة ١٣٩٩هـ، مكتبة الفلاح - الكويت.

٤٣ - تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، بيروت - لبنان .

٤٤ - تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، ت ٧٧٤هـ، الطبعة ١٤٠٧هـ، دار الفكر، بيروت - لبنان.

- ٤٥ - تفسير البغوي، المسمى معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت ٥١٦هـ، تحقيق خالد بن عبدالرحمن العك، ومروان سوار، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٤٦ - تفسير البحر المحيط، لأبي عبدالله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، ت ٧٥٤هـ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، دار الفكر.
- ٤٧ - تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ، دار الفكر.
- ٤٨ - تفسير النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، ت ٧٠١هـ، بدون تاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٤٩ - تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، تحقيق محمد عوامة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار الرشيد - سوريا - حلب.
- ٥٠ - تنبيه الغافلين: أحمد بن إبراهيم النحاس، ت ٨١٤هـ، تحقيق عماد الدين عباس. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٥١ - تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، دار الفكر.
- ٥٢ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ت ١٣٧٦هـ، الطبعة ١٤٠٤هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ٥٣ - التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٥٤ - التخويف من النار، لأبي الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب، ٧٩٥هـ، تحقيق بشير محمد عيون، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ، مكتبة المؤيد، ومكتبة دار البيان.
- ٥٥ - الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، ت ٦٥٦هـ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ، دار احياء التراث العربي.

- ٥٦ - التفسير القيم لابن القيم، محمد بن أبي بكر، ت ٧٥١هـ، جمع محمد أويس الندوي، تحقيق محمد حامد الفقي، بدون تاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٥٧ - التفسير الكبير، لمحمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر، ت ٦٠٤هـ، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٥٨ - التفسير والمفسرون، الدكتور/ محمد حسين الذهبي، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ دار الكتب الحديثة بمصر.
- ٥٩ - التوراة، دراسة وتحليل، الدكتور/ محمد شلبي شتيوي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ مكتبة الفلاح - الكويت .

- ج -

- ٦٠ - جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ، دار المعرفة - بيروت - لبنان.
- ٦١ - جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، ت ٤٦٣هـ، بدون تاريخ، المكتبة العلمية، بيروت.
- ٦٢ - جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، لأبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، ت ٦٠٦هـ، بتحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، دار الفكر.
- ٦٣ - جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لزين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي، ت ٧٩٥هـ، بدون تاريخ، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- ٦٤ - الجامع لأحكام القرآن الكريم، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت ٦٧١هـ، بدون تاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٦٥ - الجواب المصحح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، ت ٧٢٨هـ، بدون تاريخ، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية.

٦٦ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، بتحقيق يوسف بن علي بدوي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مكتبة دار التراث - المدينة المنورة.

- ح -

٦٧ - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، الإمام محمد بن أبي بكر، ابن القيم، ت ٧٥١هـ، طبعة ١٤٠٨هـ، المكتبة العصرية - لبنان .

٦٨ - حاشية ثلاثة الأصول لمحمد بن عبد الوهاب، بقلم عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ت ١٣٩٢هـ، الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ، بدون دار نشر.

٦٩ - حلية الأولياء وطبقات الأمفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، ت ٤٣٠هـ، بدون تاريخ، دار الكتاب العربي - بيروت.

٧٠ - حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، محمد بهجة البيطار، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي.

٧١ - حياة الصحابة، محمد بن يوسف الكاندهلوي، بتحقيق نائف العباس ومحمد علي دولة، الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ، دار القلم - دمشق، بيروت.

٧٢ - الحق الواضع المبين في شرح توصيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، عبدالرحمن بن ناصر السعدي ت ١٣٧٦هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار ابن القيم - الدمام، المملكة العربية السعودية.

٧٣ - الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى، الدكتور/ محمد ربيع المدظلي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، مكتبة لينة.

- د -

٧٤ - درء تعارض العقل والنقل، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، ت ٧٢٨هـ، تحقيق الدكتور/ محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- ٧٥ - دقائق التفسير، الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، جمع الدكتور/ محمد السيد الجليند، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ، مؤسسة علوم القرآن الكريم، بيروت، ودار القبلة، جدة - المملكة العربية السعودية.
- ٧٦ - دور المنهاج الرياني في الدعوة الإسلامية، عدنان علي رضا النحوي، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض - المملكة العربية السعودية.
- ٧٧ - ديوان الشافعي ت ٢٠٤هـ، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي - مكتبة المعارف.
- ٧٨ - الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ت ١٣٩٢هـ، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.
- ٧٩ - الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية، المحامي صبحي محماني، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، دار الملايين - بيروت .
- ٨٠ - الدعوة إلى الله، توفيق الواعي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، مكتبة الفلاح، الكويت.

- ر -

- ٨١ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، ت ١٢٧٠هـ، الطبعة ١٤٠٨هـ، بدون تاريخ، دار الفكر.
- ٨٢ - الرحيق المختوم، وفي الرحمن المباركفوري، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار القلم، بيروت - لبنان .
- ٨٣ - الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ت ١٣٧٦هـ، طبعة ١٤٠٥هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية.

- ز -

- ٨٤ - زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، ت ٥٩٦هـ، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ، المكتب الإسلامي.

٨٥ - زاد الداعية إلى الله، محمد بن صالح العثيمين، بدون تاريخ، مطابع المدينة بالرياض، المملكة العربية السعودية.

٨٦ - زاد المسعاد في هدي خير العباد، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر، ابن القيم، ت ٧٥١هـ، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط وشعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية.

٨٧ - الزهد، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، ت ٢٤١هـ، تحقيق محمد السعيد بسيوني، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

- س -

٨٨ - سبل السلام شرح بلوغ المرام، لمحمد بن إسماعيل الأمير اليمني المنعاني، ت ١١٨٢هـ، بدون تاريخ، مكتبة عاطف، بجوار الأزهر.

٨٩ - سلسلة مدرسة الدعوة، عبدالله ناصح علوان، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، دار السلام، القاهرة وطب.

٩٠ - سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي.

٩١ - سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت ٢٧٥هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. بدون تاريخ، دار الفكر.

٩٢ - سنن النسائي، أحمد بن شعيب، ت ٣٠٣هـ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، وحاشية السندي ت ١١٢٨هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، بيروت، ومكتبة المطبوعات الإسلامية - بطب.

٩٣ - سنن الترمذي، لأبي عيسى بن سورة، ت ٢٧٩هـ، بتحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ، شركة مصطفى البابي الطبي وأولاده - مصر.

٩٤ - سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، ت ٢٧٥هـ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، بدون تاريخ، دار إحياء التراث العربي.

٩٥ - سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، ت ٢٥٥هـ، طبعة ١٤٠٤هـ، بتحقيق عبدالله بن هاشم اليماني، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

- ٩٦ - سنن البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، ت ٤٥٨هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٩٧ - سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني، ت ٣٨٥هـ، وبذيله التعليق المغني على الدارقطني لمحمد شمس الحق العظيم أبادي، تحقيق عبدالله هاشم يماني، بدون تاريخ، دار المحاسن للطباعة والنشر - القاهرة، والمدينة المنورة.
- ٩٨ - سير اعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت ٧٤٦هـ، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
- ٩٩ - سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، لأبي محمد عبدالملك بن هشام، ت ٢١٢هـ وقيل ٢١٨هـ، راجعه وضبطه محمد محيي الدين عبدالحميد، بدون تاريخ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- ١٠٠ - سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، الخليفة الزاهد، لعبدالرحمن بن الجوزي، ت ٥٩٧هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٠١ - السيرة النبوية دروس وعبر، الدكتور مطفي السباعي، الطبعة الثامنة، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي.

- ش -

- ١٠٢ - شرح السنة للبخاري، لأبي محمد الحسين بن مسعود البخاري، ت ٥١٦هـ، بتحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ، المكتب الإسلامي.
- ١٠٣ - شرح الإمام النووي على صحيح مسلم، تأليف يحيى بن شرف النووي، ت ٦٧٦هـ، الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ١٠٤ - شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي الدمشقي، ت ٧٩٢هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط .
- ١٠٥ - شرح أصول الإيمان، محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار الوطن للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- ١٠٦ - شرح لمعة الاعتقاد، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، ت ٦٢٠هـ، بقلم الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار ابن القيم.

- ١٠٧ - شيخ الإسلام ابن تيمية: جهاده ودعوته وعقيدته، أحمد القطان ومحمد الزين، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ، مكتبة السندس - الكويت.
- ١٠٨ - الشيخ محمد بن عبدالوهاب: عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية، أحمد بن حجر بن محمد آل بو طامي، تقديم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- ص -
- ١٠٩ - صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، ت ٢٥٦هـ، مطبعة دار الطباعة العامرة باستانبول، سنة ١٣١٥هـ، المكتب الإسلامي، استانبول - تركيا.
- ١١٠ - صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت ٢٦١هـ، بدون تاريخ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ١١١ - صحيح سنن أبي داود باختمار السند، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، المكتب الإسلامي.
- ١١٢ - صحيح سنن النسائي، باختمار السند، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، المكتب الإسلامي.
- ١١٣ - صحيح سنن الترمذي باختمار السند، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ المكتب الإسلامي.
- ١١٤ - صحيح سنن ابن ماجه باختمار السند، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي.
- ١١٥ - صحيح الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ المكتب الإسلامي.
- ١١٦ - صحيح الترغيب والترهيب للمنذري، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، المكتب الإسلامي.
- ١١٧ - صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم، عبدالرحمن بن محمد الدوسري، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، مكتبة دار الأرقم - الكويت.

- ط -

- ١١٨ - طبقات الصابلة، للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، بدون تاريخ، دار المعرفة - بيروت.
- ١١٩ - الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد، ت ٢٣٠هـ، بدون تاريخ، تصوير بيروت - دار صادر.

- ع -

- ١٢٠ - عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، صالح بن إبراهيم البليهي، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، مكتبة ابن تيمية.
- ١٢١ - عقيدة المؤمن، لأبي بكر جابر الجزائري، بدون تاريخ، مكتبة الكليات الأزهرية.
- ١٢٢ - علماء نجد خلال ستة قرون، عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة - مكة المكرمة.
- ١٢٣ - عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن عبدالله بن بشر، بتحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ، وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية.
- ١٢٤ - عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي، مع شرح ابن القيم بتحقيق عبدالرحمن بن محمد بن عثمان، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ، دار الفكر.

- ف -

- ١٢٥ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، بدون تاريخ، مكتبة الرياض.
- ١٢٦ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، ت ١٢٥٠هـ، بدون تاريخ، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.
- ١٢٧ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، ت ١٢٨٥هـ، بتحقيق عبدالقادر الأرنبوط، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، مكتبة دار البيان - دمشق، بيروت.

- ١٢٨ - فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، إسماعيل بن إسحاق القاضي المالكي، ت ٢٨٢هـ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ، المكتب الإسلامي.
- ١٢٩ - فقه الدعوة في إنكار المنكر، لعبد الحميد البلاي، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، دار الدعوة - الكويت .
- ١٣٠ - فقه السيرة، لمحمد الفزالي، الطبعة السابعة ١٩٧٦م، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، دار الكتب الحديثة.
- ١٣١ - فيض القدير بشرح الجامع الصغير، محمد بن عبدالرؤف المناوي، ت ١٠٢١هـ، بدون تاريخ، دار المعرفة - بيروت، لبنان.
- ١٣٢ - في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة التاسعة ١٤٠٠هـ، دار الشروق - بيروت، القاهرة.
- ١٣٣ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، ت ٧٢٨هـ، بتحقيق عبدالقادر الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، مكتبة دار البيان - دمشق.
- ١٣٤ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد، ابن حزم الظاهري، ت ٤٥٦هـ، تحقيق الدكتور محمد بن إبراهيم نصر، والدكتور/ عبدالرحمن بن عميرة، بدون تاريخ، دار الجيل - بيروت.
- ١٣٥ - الفوائد، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر، ابن القيم، ت ٧٥١هـ، بتحقيق بشر بن عيون، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، مكتبة دار البيان - دمشق.
- ق -
- ١٣٦ - القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت ٨١٧هـ، بتحقيق مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ١٣٧ - القرآن دراسة وتحليل، الدكتور/ محمد شلبي شتيوي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، مكتبة دار الفلاح - الكويت.

١٣٨ - القول السديد في مقاصد التوحيد (حاشية على كتاب التوحيد لابن عبدالوهاب) لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، ت ١٣٧٦هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية.

- ك -

١٣٩ - كتاب استخراج الجدل من القرآن الكريم، ناصر الدين عبدالرحمن بن نجم الحنبلي، ت ٦٣٤هـ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض - المملكة العربية السعودية.

١٤٠ - كتاب أمثال الحديث، لأبي محمد الحسن بن عبدالرحمن الرامهرمزي، ت ٣٦٠هـ، بدون تاريخ، مطبعة الحيدري، حيدر آباد - باكستان.

١٤١ - كتاب التوحيد، عبدالمجيد بن عزيز الزندانبي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.

١٤٢ - كتاب الداعي إلى الإسلام، لكمال الدين أبي البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري النحوي، ت ٥٧٧هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان.

١٤٣ - كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، عبدالرحمن بن حسن حبنكة الميداني، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار القلم - دمشق.

١٤٤ - كيف ندعو الناس، لعبدالبديع مقر، الطبعة التاسعة ١٤٠٤هـ، دار التوفيق النموذجية - القاهرة.

١٤٥ - كيف يدعو داعية، لعبدالله بن ناصر علوان، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، دار السلام والقاهرة - حلب.

١٤٦ - الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم ابن الأثير، ت ٦٣٠هـ، الطبعة السادسة ١٤٠٦هـ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

- ل -

١٤٧ - لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، ت ٧١١هـ، الطبعة بدون تاريخ، دار صادر.

- ١٤٨ - لقمان الحكيم وحكمه، محمد خير الدين رمضان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، دار المصنف.
- ١٤٩ - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبدالباقي، بدون تاريخ، المكتبة الإسلامية، استانبول - تركيا.
- م -
- ١٥٠ - مجموع فتاوى ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالطيم ابن تيمية، ت ٧٢٨هـ، جمع عبدالرحمن بن قاسم، بدون تاريخ، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- ١٥١ - مجموعة مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ١٥٢ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ت ٨٠٧هـ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ١٥٣ - مجموعة الرسائل الكبرى، لأحمد بن عبدالطيم، ابن تيمية، ت ٧٢٨هـ، بدون تاريخ، إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٥٤ - مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، بدون تاريخ، مكتبة لبنان، ساحة رياض الملح - بيروت.
- ١٥٥ - مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، للشيخ محمد بن عبدالوهاب ت ١٢٠٦هـ، بدون تاريخ، توزيع دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية.
- ١٥٦ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، بتحقيق محمد حامد الفقي، بدون تاريخ، دار السنة المحمدية للطباعة - القاهرة.
- ١٥٧ - مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ت ٢٤١هـ، بدون تاريخ، المكتب الإسلامي - دار صادر.
- ١٥٨ - مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، ت ٢٤١هـ، بترتيب أحمد محمد شاكر، طبع بدار المعارف، عام ١٣٧٧هـ، دار المعارف - بمصر.

- ١٥٩ - معالم الدعوة في القصص القرآني، الدكتور عبدالوهاب بن لطف الديلمي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار المجتمع - جدة.
- ١٦٠ - مفتاح دار السعادة ومنشورات ولاية العلم والارادة، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن القيم، ت (٧٥١هـ)، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- ١٦١ - مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ت ٣٩٥هـ، بتحقيق عبدالسلام بن محمد بن هارون، طبعة ١٣٩٩هـ، دار الفكر.
- ١٦٢ - مقدمة في علم الأخلاق، الدكتور/ محمود حمدي زقزوق، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ، دار القلم - الكويت .
- ١٦٣ - من مشامير المجددين في الإسلام، الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- ١٦٤ - مناقب أمير المؤمنين عمر بن خطاب رضي الله عنه، لأبي الفرج عبدالرحمن ابن علي بن الجوزي، ت ٥٩٦هـ، بتحقيق زينب بنت إبراهيم القاروط، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٦٥ - مناقب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، ت ٢٤١هـ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، ت ٥٩٦هـ، بتحقيق الدكتور/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، مكتبة الخانجي - مصر.
- ١٦٦ - مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد بن عبدالعظيم الزرقاني، بدون تاريخ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وأولاده.
- ١٦٧ - مناظرة بين الإسلام والنصرانية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- ١٦٨ - مناهج الجدل في القرآن الكريم، الدكتور/ زاهر بن عوض الألمعي، الطبعة الثالثة، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض - المملكة العربية السعودية.

- ١٦٩ - مناهج الدعوة وأساليبها، الدكتور/ علي جريشه، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بجهده.
- ١٧٠ - موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ت ٨٠٧هـ، تحقيق محمد بن عبدالرزاق حمزة، بدون تاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٧١ - موسوعة أخلاق القرآن الكريم، الدكتور/ أحمد الشرباصي، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان.
- ١٧٢ - موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ، أحمد العوايشة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، دار مكة للطباعة والنشر - مكة المكرمة.
- ١٧٣ - المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح، عبدالؤمن بن خلف الدمياطي، ت ٧٠٥هـ، تحقيق عبدالملك بن دهيث، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ، الناشر: المحقق.
- ١٧٤ - المستدرك على الصحيحين، لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري، ت ٤٠٥هـ، وينيله التلخيص للحافظ الذهبي، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ١٧٥ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد الفيومي، ت ٧٧٠هـ، بدون تاريخ، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٧٦ - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، المكتبة الإسلامية، استانبول - تركيا.
- ١٧٧ - المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأمفهانسي، ت ٥٠٢هـ، بتحقيق محمد سيد كيلاني، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ١٧٨ - الملل والنحل، لمحمد بن عبدالكريم الشهرستاني، ت ٥٤٨هـ، تحقيق محمد سيد كيلاني، الطبعة ١٤٠٠هـ، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ١٧٩ - الموسوعة الميسرة في علم الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ، الندوة العالمية.

١٨٠ - الموطأ، للإمام مالك بن أنس، ت ١٧٩هـ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى، بدون تاريخ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الابي الطيبي وأولاده.

- ن -

١٨١ - النبأ العظيم، للدكتور/ محمد بن عبدالله دراز، الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ دار القلم - الكويت.

١٨٢ - النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، ت ٦٠٦هـ، بتحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود ومحمد الطناحي، بدون تاريخ، المكتبة العلمية - بيروت.

- ه -

١٨٣ - هداية الصيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لمحمد بن أبي بكر، ابن القيم، ت ٧٥١هـ، الطبعة المطبوعة ضمن الجامع الفريد، بدون تاريخ، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

١٨٤ - هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، للشيخ علي محفوظ، الطبعة التاسعة ١٣٩٩هـ، دار الاعتصام.

١٨٥ - هذا الحبيب يا مصب، لأبي بكر جابر الجزائري، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مكتبة لينة - دمنهور.

١٨٦ - هكذا علمتني الحياة، للدكتور مصطفى السباعي، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي .

- و -

١٨٧ - وفيات الأعيان وأنبياء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ت (٦٨١هـ)، تحقيق الدكتور محمد إحصان عباس، بدون تاريخ، دار صادر - بيروت.

٥ - فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
١	١ - خطبة الكتاب
ب	٢ - أهمية الموضوع وأسباب اختياره
ـ	٣ - الدراسات السابقة
ز	٤ - خطة الرسالة
ح	٥ - منهج الرسالة
ي	٦ - الشكر والتقدير
٢	الفصل الأول : الحكمة : مفهومها وضوابطها
٤	المبحث الأول : مفهوم الحكمة
٤	المطلب الأول : تعريف الحكمة في اللغة
٧	المطلب الثاني: تعريف الحكمة في الاصطلاح الشرعي
١١	المطلب الثالث: العلاقة بين التعريف اللغوي والشرعي
١٣	المبحث الثاني: أنواع الحكمة ودرجاتها
١٣	المطلب الأول: أنواع الحكمة
١٣	النوع الأول : الحكمة العلمية
١٣	النوع الثاني: الحكمة العملية
١٤	المطلب الثاني: درجات الحكمة العملية
١٧	المبحث الثالث : أركان الحكمة
١٨	المطلب الأول : العلم
١٩	- أقسام العلم الذي تقوم عليه الحكمة
٢٥	- طرق تحصيل العلم النافع الذي تقوم عليه الحكمة
٢٩	المطلب الثاني: الحطم
٣٠	- ما يؤكد أن الحطم من أعظم أركان الحكمة في الدعوة إلى الله
٣١	- الحطم خلق عظيم من أخلاق النبوة والرسالة

الموضوع	رقم الصفحة
- مور حسية تدل على أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - بلغ الغاية المثالية في الطم	٣٢
- صورة حسية من طم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم	٣٩
- علاج الغضب بالأسباب المشروعة	٤١
الطريق الأول : الوقاية	٤١
الطريق الثاني: العلاج	٤١
- تنبيهه : الغضب لإعلاء كلمة الله لا ينافي الطم بشروط	٤٣
المطلب الثالث : الأناسة	٤٤
- أهمية الأناسة في الدعوة إلى الله بالحكمة	٤٥
- ذم الإسلام العجلة والتباطؤ، ومدح الأناسة	٤٦
- من مفسد العجلة	٤٧
- محمد - صلى الله عليه وسلم - أعظم الناس أناسة	٥٠
- تربية النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه على الأناسة والتثبت في الدعوة إلى الله	٥٠
- الرسل - عليهم الصلاة والسلام - صفة الخلق وقدوة الدعاة في الأناسة والتثبت	٥٢
- الأناسة في الأقوال والأفعال والأفكار	٥٣
- أسباب العجلة وعلاجها	٥٤
- العجلة المذمومة والمسارة المحمودة	٥٤
المبحث الرابع : طرق اكتساب الحكمة	٥٦
تمهيد : أهمية اكتساب الحكمة	٥٦
المطلب الأول : السلوك الحكيم	٥٨
- مفهوم السلوك وأهميته في اكتساب الحكمة	٥٨
- أعظم المسالك في اكتساب الحكمة	٦٠
المسلك الأول : قدوة الداعية الحكيم في سلوكه	٦٠

الموضوع	رقم الصفحة
المسلك الثاني: أصول السلوك الحكيم	٦٤
المسلك الثالث: وصايا الحكماء باكتساب أصول الحكمة	٦٩
- الأسباب التي اكتسب بها لقمان الحكمة	٧١
المطلب الثاني : العمل بالعلم المقرون بالمدق والإخلاص	٧٢
المطلب الثالث : الاستقامة	٧٥
- أهمية الاستقامة في اكتساب الحكمة	٧٦
المطلب الرابع : الخبرات والتجارب	٧٩
- أهمية التجارب في اكتساب الحكمة	٧٩
- الاستفادة من تجارب الأنبياء لأنهم أعظم الناس تجربة	٨١
- الداعية بكثرة تجاربه يزداد حكمة	٨٢
المطلب الخامس: السياسة الحكيمة	٨٥
- أهمية السياسة الحكيمة في اكتساب الحكمة	٨٥
- طرق السياسة الحكيمة في الدعوة إلى الله كثيرة، منها:	٨٥
١ - تحري أوقات الفراغ والنشاط والحاجة عند المدعوين	٨٥
٢ - ترك الأمر الذي لا ضرر فيه اتقاء للفتنة	٨٦
٣ - تأليف القلوب بالمال والجاه	٨٨
٤ - التأليف بالعفو والصفح والإحسان واللين في مواضع	
أضدادها	٨٩
٥ - عدم مواجهة الداعية أحدا بعينه بالعتاب	٩٠
٦ - إعطاء الوسائل صورة ما تمل إليه	٩٢
٧ - الإجابة على السؤال الخاص بما يتناوله وغيره	٩٣
٨ - استخدام التشبيه الحكيم	٩٤

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الثاني : مواقف الحكمة	٩٧
- أهمية مواقف الحكمة في الدعوة إلى الله	٩٧
المبحث الأول : مواقف النبي صلى الله عليه وسلم	٩٨
- تمهيد: مكانة مواقفه صلى الله عليه وسلم في نفس الداعية والمدعو	٩٨
- المطلب الأول: مواقف النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل الهجرة	٩٩
١ - مواقف النبي - صلى الله عليه وسلم - في مرحلة الدعوة السرية والفردية	٩٩
٢ - أبرز مواقفه - صلى الله عليه وسلم - في مرحلة الدعوة الجهرية بمكة	١٠٢
١ - موقفه الحكيم في ندائه العام	١٠٣
ب - شبابه الحكيم أمام ممثلي قريش واضطهادهم	١٠٧
١ - موقفه - صلى الله عليه وسلم - مع كل من سادات قريش وعمه أبي طالب	١٠٧
٢ - موقفه - صلى الله عليه وسلم - مع عتبة بن ربيعة	١٠٨
٣ - حكمته أمام قرار المشركين واقتراءاتهم	١١٠
٤ - موقفه مع أبي جهل بن هشام	١١٢
٥ - موقفه مع عقبة بن أبي معيط	١١٣
٦ - موقفه مع جماعة من المشركين	١١٥
٧ - موقفه أمام مقاطعة قريش له	١١٧
٣ - مواقفه - صلى الله عليه وسلم - بعد خروجه إلى الطائف	١١٨
١ - مع أهل الطائف وساداتهم	١١٨
ب - حكمته العظيمة في جوابه لملك الجبال	١١٩
ج - من حكمته دخوله إلى مكة في جوار المطعم بن عدي	١٢٠
د - من مواقفه الحكيمة في الأسواق والمواسم	١٢٢

الموضوع	رقم الصفحة
المطلب الثاني : مواقف النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد الهجرة :	١٢٧
١ - مواقف الحكمة العظيمة في الإصلاح والتأسيس	١٢٧
١ - بناء المسجد والاجتماع فيه أول عمل وحد بين القلوب	١٢٨
٢ - دعوة اليهود إلى الإسلام بالقول الحكيم	١٢٩
٣ - المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار	١٣١
٤ - تعاهده - صلى الله عليه وسلم - بالتربية الحكمة للربط بين القلوب	١٣٣
٥ - ميثاق المهاجرين والأنصار المتضمن موادعة اليهود	١٣٤
ب - مواقفه - عليه الصلاة والسلام - في حسن السياسة والإعداد والشجاعة والبطولة	١٣٥
١ - مواقفه الحكمة وحسن سياسته في غزوة بدر الكبرى	١٣٥
٢ - مواقفه الحكمة في غزوة أحد	١٣٩
٣ - مواقفه التي تزخر بالحكمة في غزوة حنين	١٤١
٤ - من مواقفه الحكمة التي لا نظير لها	١٤٤
ج - مواقفه الحكمة الفردية	١٤٧
١ - موقفه - صلى الله عليه وسلم - مع ثمامة بن أثال	١٤٧
٢ - موقفه عليه الصلاة والسلام مع الأعرابي الذي أراد قتله	١٤٩
٣ - موقفه مع زيد بن سحنة	١٥١
٤ - موقفه مع الأعرابي الذي بال في المسجد	١٥٢
٥ - موقفه مع معاوية بن الحكم	١٥٦
٦ - موقفه مع الطفيل بن عمرو	١٥٨
٧ - موقفه مع الشاب الذي استأنده في الزنا	١٦٠
٨ - موقفه مع من شفع في ترك إقامة الحد	١٦١
٩ - مواقفه الحكمة في الجود والكرم	١٦٣
١٠ - مواقفه الحكمة مع زعيم المنافقين	١٦٧

الموضوع	رقم الصفحة
المبحث الثاني : مواقف الصحابة رضي الله عنهم	١٧٣
المطلب الأول : مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه	١٧٤
١ - دفاعه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - والقيام بنصرته	١٧٤
٢ - تصديقه للنبي - صلى الله عليه وسلم - والحرص على حمايته	١٧٥
٣ - إنفاقه أمواله في سبيل الله تعالى	١٧٨
أ - في إعتاق الرقاب	١٧٨
ب - أخذ جميع ماله يوم الهجرة لإنفاقه على رسول الله	١٧٨
ج - تصدقه بماله كله في غزوة تبوك	١٧٩
٤ - مواقفه الحكيمة عقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم	١٨٠
أ - خطبته الحكيمة في تثبيت الناس على الإسلام	١٨١
ب - خطبته الحكيمة التي رسمت منهجه الحكيم في الخلافة	١٨٢
٥ - موقفه الحكيم في إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنهم	١٨٣
٦ - مواقفه الحكيمة مع أهل الردة ومانعي الزكاة	١٨٦
المطلب الثاني : مواقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه	١٩٠
١ - موقفه الحكيم في إظهار إسلامه وهجرته	١٩١
٢ - موقفه الحكيم في تثبيت الناس على بيعة أبي بكر	١٩٣
٣ - موقفه في إصلاح الأهل قبل الناس	١٩٤
٤ - موقفه الحكيم في إنفاق نصف أمواله في غزوة تبوك	١٧٩
٥ - دعوته الحكيمة بتواضع لله تعالى	١٩٥
المطلب الثالث : مواقف عثمان بن عفان رضي الله عنه	١٩٨
١ - مواقفه الحكيمة في إنفاق الأموال العظيمة في سبيل الله	١٩٨
أ - جعل بئر رومة للغني والفقير وابن السبيل	١٩٨
ب - توسعته على المسلمين بتوسعة المسجد في عهد النبي صلى الله	
عليه وسلم	٢٠٠
ج - تجهيز جيش العسرة من خالص ماله رضي الله عنه	٢٠٠

رقم الصفحة	الموضوع
	٢ - موقفه الحكيم في جمع الأمة الإسلامية على قراءة واحدة وحسم الاختلاف
٢٠١	
٢٠٤	المطلب الرابع: مواقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه
	١ - موقفه الحكيم في تقديم نفسه فداءً للنبي صلى الله عليه وسلم ودعوته
٢٠٤	
٢٠٥	٢ - موقفه الحكيم الذي رفع الله به شأن الإسلام مع رؤوس الكفر
٢٠٧	٣ - موقفه الحكيم يوم الأحزاب
٢١٠	٤ - موقفه الحكيم في غزوة خيبر
٢١٣	المطلب الخامس: موقف مصعب بن عمير رضي الله عنه
	المطلب السادس: موقف ضمام بن ثعلبة - رضي الله عنه - في دعوته قومه إلى الإسلام
٢١٦	
٢٢٠	المطلب السابع : موقف سعد بن معاذ رضي الله عنه
	المطلب الثامن : موقف الحسن بن علي رضي الله عنهما الذي جمع الله به شمل المسلمين
٢٢٣	
٢٢٥	المبحث الثالث : مواقف التابعين رحمهم الله تعالى
٢٢٦	المطلب الأول : مواقف سعيد بن المسيب رحمه الله
٢٢٨	المطلب الثاني: مواقف الحسن البصري رحمه الله
٢٢٨	١ - موقفه مع الحجاج بن يوسف
٢٢٩	٢ - موقفه مع عمر بن هبيرة
٢٣٠	٣ - موقفه مع القراء
٢٣٣	المطلب الثالث : مواقف عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى
٢٣٣	١ - مواقف الحكيم في الدعوة إلى الله قبل ولايته
٢٣٥	ب - مواقف الحكيم بعد أن ولي الخلافة
٢٣٥	١ - إصلاح أوضاع نفسه أولاً
٢٣٦	٢ - إصلاح أهله

رقم الصفحة	الموضوع
٢٣٦	٣ - إصلاح أوضاع بني أمية ورد المظالم
٢٣٧	٤ - إصلاح أوضاع الولاة على الأقطار الإسلامية
٢٣٧	٥ - وضع الجزية عن أسلم من أهل الكتاب
٢٣٣٨	٦ - أحياء في نفوس الناس خوف الله ومراقبته
٢٣٨	٧ - تفقيه الناس في دين الإسلام
٢٣٨	٨ - إرسال الدعاة إلى الله إلى أفريقيا وغيرها لنشر الإسلام
٢٣٩	المطلب الرابع : مواقف الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى
٢٤١	المبحث الرابع : مواقف أتباع التابعين رحمهم الله تعالى
٢٤٢	المطلب الأول : مواقف الإمام مالك رحمه الله تعالى
٢٤٣	١ - موقفه الحكيم مع من سأل عن الاستواء
٢٤٤	٢ - موقفه الحكيم مع بعض العباد
٢٤٦	٣ - من مواقفه الحكيمه في صدعه بالحق
٢٤٦	المطلب الثاني : مواقف الإمام الشافعي رحمه الله تعالى
٢٤٦	١ - مواقفه الحكيمه في دفاعه عن الكتاب والسنة
٢٤٧	٢ - حكمه الحكيم في أهل الكلام وتنفير الناس عنهم
	٣ - وضع الميزان الحكيم في معرفة أهل الحق وترغيب الناس في أعمالهم
٢٤٨	٤ - رده الحكيم على أهل الكلام ودعوته لهم بالحكمة
٢٥٠	المطلب الثالث : مواقف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله
٢٥٠	- مواقفه الحكيمه التي حفظ الله بها القرآن الكريم
٢٥١	١ - موقفه مع المأمون
٢٥٢	٢ - موقفه مع المعتصم
٢٥٥	٣ - موقفه مع الواثق
٢٥٥	٤ - رسالته الحكيمه إلى المتوكل

رقم الصفحة	الموضوع
٢٥٧	المبحث الخامس : نماذج من المواقف الحكيمة عبر العصور
٢٥٨	المطلب الأول : مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله
٢٥٩	١ - مواقفه الحكيمة مع قازان وقوات التتار
٢٦٢	- ظهرت حكمته في دعوته مع قازان من عشرة أوجه
٢٦٣	٢ - مناظراته الحكيمة التي أعز الله بها الإسلام
٢٦٤	أ - المناظرة الأولى في الدفاع عن عقيدة السلف الصالح
	ب - المناظرة الثانية التي أعز الله بها أهل السنة وخذل بها
٢٦٦	أهل البدع
٢٦٨	٣ - مواقفه الحكيمة في إصلاح أهل السجون
٢٧٠	المطلب الثاني : مواقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
٢٧١	- خطواته الحكيمة في إصلاح الأمة وتبديد الظلام
٢٧٢	١ - إظهار الحق ونشره بين عشيرته بالقول الحكيم المسدد
٢٧٢	٢ - بحثه عن دعم قوة الدعوة بالسلطان
٢٧٣	٣ - غرسه للتوحيد الخالص في قلوب الناس وتصحيح عقيدتهم
٢٧٥	٤ - خطواته الحكيمة في الرجوع بالناس إلى الكتاب والسنة
٢٨١	٥ - كتابته للرسائل بأساليب الحكمة والبيان
	٦ - آخر الطب الكي "الجهاد بالسيف والسنان بالحكمة لإظهار التوحيد،
٢٨٢	وهو آخر مواقف الحكمة
٢٨٥	الفصل الثالث : حكمة القول مع المدعويين
٢٨٥	- تمهيد : إنزال الناس منازلهم ومراعاة أحوالهم وأوضاعهم
٢٨٨	المبحث الأول : حكمة القول مع الملحدين
٢٩٠	المطلب الأول : أدلة الفطرة على وجود الله وربوبيته
٢٩٤	المطلب الثاني: البراهين والأدلة العقلية القطعية
٢٩٥	المسلك الأول : التقسيم العقلي

رقم الصفحة	الموضوع
٢٩٦	المسلك الثاني: العدم لا يخلق شيئاً
٢٩٧	المسلك الثالث: الطبيعة الصماء لاتملك قدرة، وفاقد الشي لايعطيه
٢٩٨	المسلك الرابع: المدفة العمياء لا تملك حياة.
٣٠٠	المسلك الخامس: المناظرات العقلية الحكيمة
٣٠١	المسلك السادس: مبدأ السببية
٣٠٢	المسلك السابع : التفكير في المصنوع يدل على بعض صفات المانع
٣٠٤	المطلب الثالث : الأدلة الحسية المشاهدة
٣٠٤	النوع الأول : إجابة الله تعالى للدعوات رأي العين
٣٠٦	النوع الثاني: آيات الأنبياء التي يشاهدها الناس
٣٠٨	المطلب الرابع : الأدلة الشرعية
٣٠٨	١ - خبر الله الصادق، وخبر رسوله عليه الصلاة والسلام
٣٠٩	ب - دلالة القرآن الشرعية العقلية
٣٠٩	- توجيه الله للأنظار والقلوب إلى ما في هذا الكون من مظوقات
٣١٠	- ثبوت نبوة الأنبياء بالأدلة والبراهين الحسية يدل على مرسل أرسلهم
٣١٢	المبحث الثاني : حكمة القول مع الوثنيين
٣١٤	المطلب الأول: الحجج والبراهين العقلية على إثبات ألوهية الله تعالى
٣١٦	المطلب الثاني: ضعف جميع المعبودات من دون الله تعالى من كل الوجوه
٣١٨	المطلب الثالث: ضرب الأمثال الحكيمة
٣٢١	المطلب الرابع: الكمال المطلق من كل الوجه للإله المستحق للعبادة
٣٢٤	المطلب الخامس: التوحيد دعوة جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام
٣٢٦	المطلب السادس: الغلو في المالحين سبب شرك البشر
٣٣١	المطلب السابع : الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية
٣٣١	- طريق الحكمة في الرد على من طلب الشفاعة من غير الله

رقم الصفحة	الموضوع
٣٣١	١ - ليس المخلوق كالخالق
٣٣٣	٢ - الشفاعة شفاعتان :
٣٣٣	١ - شفاعة مثبتة
٣٣٣	ب - شفاعة منفية
٣٣٤	٣ - انعقد إجماع علماء المسلمين على أن الشفاعة ملك لله وحده
٣٣٥	المطلب الثامن : الإله الحق سخر جميع ما في الكون لعباده فهو المستحق للعبادة
٣٣٨	المطلب التاسع : البراهين على إثبات البعث بعد الموت
٣٣٨	- من حكمة القول مع من ينكر البعث أن يسلك معهم ثلاثة مسالك :
٣٣٨	المسلك الأول : الأدلة العقلية القطعية على إثبات البعث
٣٣٨	أولا : حكمة الله وعدله يقتضيان البعث والجزاء
٣٣٩	ثانيا : القادر على إيجاد الخلق قادر على إعادته وهو أهون عليه
٣٤٠	ثالثا : الخالق لما هو أعظم قادر على خلق ما هو أصغر بلا شك
٣٤٠	رابعا : اليقظة بعد النوم تعتبر حياة مصغرة تدل على البعث
٣٤١	خامسا : القادر على خلق النار من الشجر الأخضر أولى بالقدرة على خلق الإنسان من التراب
٣٤١	المسلك الثاني : الأدلة الحسية
٣٤١	أولا : إحياء الله الموتى في الحياة الدنيا
٣٤٣	ثانيا : إحياء الأرض بعد موتها
٣٤٤	المسلك الثالث : الأدلة الشرعية

رقم الصفحة	الموضوع
٣٤٦	المبحث الثالث : حكمة القول مع أهل الكتاب
٣٤٦	تمهيد
٣٤٩	المطلب الأول : حكمة القول مع اليهود
	المسلك الأول : الأدلة العقلية والنقلية على نسخ الإسلام لجميع
٣٤٩	الشرائع
٣٥٠	أولا : الأدلة العقلية
٣٥١	ثانيا : الأدلة النقلية السمعية، وهي نوعان:
	النوع الأول : ما تقوم به الحجة على من أنكر رسالة محمد
٣٥١	صلى الله عليه وسلم مطلقا
	النوع الثاني: ما تقوم به الحجة على من اعترف برسالته صلى
٣٥٣	صلى الله عليه وسلم، ولكنه جعلها خاصة بالعرب
٣٥٥	المسلك الثاني: الأدلة القطعية على وقوع التحريف في التوراة
٣٥٧	المسلك الثالث: إثبات اعتراف المنصفين من علماء اليهود أنفسهم
٣٥٧	١ - عبدالله بن سلام رضي الله عنه
٣٥٩	٢ - زيد بن سحنة رضي الله عنه
٣٥٩	٣ - اعتراف أحد أئمة اليهود قبل موته وإعلانه الإسلام
	المسلك الرابع: الأدلة القطعية على إثبات رسالة عيسى ومحمد عليهما
٣٦٠	الصلاة والسلام
٣٦٥	المطلب الثاني: حكمة القول مع النصارى
٣٦٥	المسلك الأول : إبطال عقيدة التثليث من خمسة وجوه:
	١ - عقيدة التثليث لم تكن في أمة من الأمم السابقة من آدم إلى
٣٦٦	أن رفع عيسى عليه الصلاة والسلام
٣٦٧	٢ - تلقى النصارى عقيدة التثليث عن أصحاب المجامع العشرة
٣٦٩	٣ - بطلان كون الثلاثة إلها واحدا
٣٧٢	٤ - إبطال عقيدة التثليث بما في كتب النصارى أنفسهم

رقم الصفحة	الموضوع
٣٧٣	٥ - إبطال القرآن الكريم لعقيدة التثليث
	المسلك الثاني : الأدلة والبراهين القاطعة على بشرية عيسى عليه
٣٧٨	الصلاة والسلام وأنه عبدالله ورسوله
٣٨٢	المسلك الثالث : البراهين الدالة على إبطال قضية الصلب والقتل
٣٨٢	١ - الأدلة العقلية على إبطال ادعاء الصلب والقتل
٣٨٣	٢ - اليهود مصدر النصارى في أخبار الصلب والقتل
٣٨٤	٣ - تناقض الأناجيل في قضية الصلب
٣٨٥	٤ - إبطال القرآن الكريم لقضية الصلب والقتل
	المسلك الرابع : البيئات الواضحات على وقوع النسخ والتحريف في
٣٨٦	الأناجيل ...
٣٩١	المسلك الخامس: إثبات اعتراف المنمفين من علماء النصارى
٣٩١	١ - النجاشي رحمه الله ورضي عنه
٣٩٢	٢ - سلمان الفارسي رضي الله عنه
٣٩٢	٣ - هرقل عظيم الروم
	المطلب الثالث : البراهين والبيئات على إثبات الرسالة المحمدية
٣٩٤	وعمومها
٣٩٥	المسلك الأول : معجزات القرآن الكريم كثيرة، منها:
٣٩٧	الوجه الأول : الإعجاز البياني والبلاغي
٣٩٨	الوجه الثاني : الإخبار عن الغيوب بأنواعها
٣٩٩	الوجه الثالث : الإعجاز التشريعي
٤٠٠	الوجه الرابع : الإعجاز العلمي الحديث
٤٠١	المسلك الثاني : معجزات النبي - صلى الله عليه وسلم - الحسية
	المسلك الثالث : الأدلة والبراهين على عموم رسالة محمد - صلى الله
٤١٤	عليه وسلم - وشمولها

رقم الصفحة	الموضوع
٤١٨	المبحث الرابع : حكمة القول مع عصاة المسلمين
٤١٨	تمهيد : مراتب الدعوة بحسب مراتب البشر
٤١٩	المسلمون ينقسمون إلى قسمين :
	القسم الأول : المستجيبون الأذكياء القابلون للحق وكيفية دعوتهم بالقول
٤١٩	الحكيم ..
	القسم الثاني: القابلون للحق، ولكن عندهم غفلة، ولهم أهواء وشهوات
٤١٩	تصدهم عنه
٤١٩	القول الحكيم مع القسم الثاني من المسلمين - وهم العصاة - كالاتي:
٤٢٠	المطلب الأول : الموعظة الحسنة وأنواعها
٤٢٠	النوع الأول : وعظ التعليم
٤٢٢	النوع الثاني: وعظ التأديب
٤٢٢	- ضوابط الموعظة الحكيمة المؤثرة
٤٢٤	المطلب الثاني : الترغيب والترهيب
٤٢٥	المسلك الأول : الترغيب والتبشير، وهو قسمان :
٤٢٥	القسم الأول : الترغيب في جنس الطاعات، وهو أنواع
٤٢٨	القسم الثاني: الترغيب في أنواع الطاعات
٤٢٨	المسلك الثاني : الترهيب والإنذار، وهو قسمان:
	القسم الأول : الترهيب بذكر الوعيد بالعذاب والعقوبات على جنس
٤٢٩	المعاصي والذنوب، وهو أنواع
	القسم الثاني : الترهيب بذكر العذاب والعقوبات على أنواع
٤٢٣	الذنوب وآحادها
٤٢٥	المطلب الثالث : حكمة القول التصويرية
٤٢٦	المسلك الأول : القصص الحكيم
٤٢٨	المسلك الثاني: التشبيه وضرب الأمثال الحكيمة
٤٢٨	المسلك الثالث: لفت الأنظار والقلوب إلى الصور المعنوية وآثارها

رقم الصفحة	الموضوع
٤٣٩	المسلك الرابع: نعت الأنظار والقلوب الى الآثار المصسوسة
٤٤٠	الخاتمة، وتشتمل على ما يلي :
٤٤٠	١ - ملخص البحث
٤٤١	٢ - أهم النتائج
٤٤٧	٣ - التوصيات
٤٤٨	الفهارس :
٤٤٩	١ - فهرس الآيات القرآنية
٤٦٣	٢ - فهرس الأحاديث والآثار
٤٧٤	٣ - فهرس الأعلام المترجم لهم
٤٧٧	٤ - فهرس المصادر والمراجع
٤٩٥	٥ - فهرس الموضوعات